(فهرسة الجزء الحادي عشر من تاريخ الكامل لابن الاثير)

صحيفة

الدين

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفه

(فهرست الجزء الحادى عشر من تاريخ العلامة الجبرتى)

(ما شاء الله كان)

الجزء الحادى عشر من تاريخ الكامل العلامة أبى الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى المعروف بابن الاثير الجزرى الملقب بعز الدين رحمه الله تعالى

وبهامشه التاريخ المسمى عجائب الآثار فى التراجم والاخبار للمرحوم العلامة الشيخ عبد الرحمن الجبرتى الحنفى رحمة الله تعالى عليه

الطبعة الاولى بالمطبعة الازهرية
المصرية سنة ١٣٠١ هجرية

(عش)

وصل اليه من عسكر السلطان وأبلغه عن عسكر السلطان مسعود ما أوجب مسيره وعوده الى بغداد وقيل بلغه ان السلطان مسعودا عازم على قصد بغداد فعاد بالجملة وابنه وحل عنه فانحدر الى شبارة في دجلة فوصل الى بغداد يوم عرفة

(ذكر ملك شمس الملوك مدينة حماة)

وفي هذه السنة ايضا في شوال ملك شمس الملوك اسمعيل بن تاج الملوك صاحب دمشق مدينة حماة وقلعتها وهي لاتابك زنكي بن آقسنقر أخذها من تاج الملوك كما ذكرنا ولما ملك شمس الملوك قلعة بانياس أقام بدمشق الى شهر رمضان من هذه السنة وسار الى حماة في العشر الاخير منه وسبب طمعه انه بلغه ان المسترشد بالله يريد أن يحصر الموصل فطمع وكان الوالي بحماة قد سمع الخبر فتحصن واستكثر من الرجال والذخائر ولم يبق احد من أصحاب شمس الملوك الا أشار عليه بترك قصدها لقوة صاحبها فلم يسمع منهم وسار اليها وحصر المدينة وقاتل من بها يوم العيد وزحف اليها من وقته فقصر أهله وقاتلوه فعاد عنهم ذلك اليوم فلما كان الغد بكر اليهم وزحف الى البلد من جوانبه فملكه قهرا وعنوة وطلب من به الامان فامنهم وحصر القلعة ولم تكن في الحصانة والعلو على ما هي اليوم فان تقي الدين عمر ابن أخي صلاح الدين قطع جبلها وجعلها هكذا في سنين كثيرة فلما حصرها عجزوا الى بها عن حفظها فسلمها اليه فاستولى عليها وعلى ما بها من ذخائر وسلاح وغيرها وسار منها الى قلعة شيزر وبها صاحبها من بني منقذ فحصرها ونهب بلدها فراسله صاحبها وصانعه بمال حمله اليه فعاد عنه الى دمشق فوصل اليها في ذي القعدة من السنة المذكورة

(ذكر هزيمة صاحب طرابلس الفرنجي)

وفي هذه السنة عبر الى الشام جمع كثير من التركمان من بلاد الجزيرة واغاروا على بلاد طرابلس وغنموا وقتلوا كثيرا فخرج القمص صاحب طرابلس في جموعه فانزاح التركمان من بين يديه فتبعهم فعادوا اليه وقاتلوه فهزموه واكثروا القتل في عسكره ومضى هو ومن سلم معه الى قلعة بعرين فتحصنوا فيها وامتنعوا عن التركمان فحصرهم التركمان فيها فلما طال الحصار عليهم نزل صاحب طرابلس ومعه عشرون فارسا من أعيان أصحابه سرا فنجوا وساروا الى طرابلس وترك الباقين في بعرين يحفظونها فلما وصل الى طرابلس كاتب جميع الفرنج فاجتمع عنده منهم خلق كثير وتوجه بهم نحو التركمان ليرحلهم عن بعرين فلما سمع التركمان بذلك قصدوهم والتقوهم وقتل بينهم خلق كثير وأشرف الفرنج على الهزيمة فجمعوا نفوسهم وعادوا على حمية الى رفنية فتعذر على التركمان اللحاق بهم الى وسط بلادهم فعادوا عنهم راجعين

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة اشترى الاسماعيلية بالشام قلعة حصن القدموس من صاحبه ابن عمرون وصعدوا اليه وقاموا بحرب من يجاورهم من المسلمين والفرنج وكانوا كلهم

التي تصرف بخمسة انصاف فضة نهاد درهم واطعن في تصييرونها اربعة قروش فتضاعف الخمسة الى ثمانين وكل ذلك نقص واختلاس اموال الناس من حيث لا يشعرون

(واما من مات في هذه السنة ممن له ذكر) فمات الفقيه الفريد والعلامة المفيد الشيخ علي الحصاوي الشافعي ولا أعلم له ترجمة وانما رأيته يقرر الدروس ويفيد الطلبة في الفقه والمعقول ويشهد الفضلاء بفضله ورسوخه وكان على طريقة المتقدمين في الانقطاع للافادة وعدم الرفاهية والرضا بما قسم له متمسكا في حاله وعرض بالبرودة ولم ينقطع عن ملازمة الدروس حتى توفي في منتصف جمادى الثانية من السنة وصلي عليه بالازهر ودفن في تربة المجاورين بالصحراء ومات المعلم جرجس الجوهري القبطي كبير المباشرين بالديار المصرية وهو أخو المعلم ابراهيم الجوهري ولما مات اخوه في زمن رياسة الامراء المصرية تعين مكانه في الرياسة على المباشرين والكتبة وبيده حل الامور وربطها في جميع الاقاليم المصرية نافذ الكلمة وافر الحرمة وتقدم في أيام الفرنسيس فكان رئيس الرؤساء وكذلك عند حضرة الوزير والعثمانيين وقدموه واجلوه لما يبديه اليهم من الهدايا والرغائب حتى كانوا يسمونه برجس افندي ورأيته بمجلس جناب محمد باشا خسرو وبجانبه شريف افندي الدفتردار ويشير بحضرتهم

(ذكر حصر المسترشد بالله الموصل)

في هذه السنة (٥٢٧) حصر المسترشد بالله مدينة الموصل في العشرين من شهر رمضان وسبب ذلك ما تقدم من قصد الشهيد زنكي بغداد على ما ذكرناه قبل فلما كان الآن قصد جماعة من الامراء السلجقية باب المسترشد بالله وصاروا معه فقوى بهم واشتغل السلاطين السلجقية بالخلف الواقع بينهم فارسل الخليفة الشيخ بهاء الدين ابا الفتوح الاسفرايني الواعظ الى عماد الدين زنكي برسالة فيها خشونة وزادها ابو الفتوح زيادة ثقة بقوة الخليفة وناموس الخلافة فقبض عليه عماد الدين زنكي واهانه ولقيه بما يكره فارسل المسترشد بالله الى السلطان مسعود يعرفه الحال الذي جرى من زنكي ويعلمه انه على قصد الموصل وحصرها وتمادت الايام الى شعبان فسار عن بغداد في النصف منه في ثلاثين الف مقاتل فلما قارب الموصل فارقها اتابك زنكي في بعض عسكره وترك الباقي بها مع نائبه نصير الدين جقر دزدارها والحاكم في دولته وامرهم بحفظها فنازلها الخليفة وقاتلوها وضيق على من بها واما عماد الدين فانه سار الى سنجار وكان يركب كل ليلة ويقطع الميرة عن العسكر ومتى ظفر باحد من العسكر اخذه ونكل به وضاقت الامور بالعسكر ايضا وتواطأ جماعة من الجصاصين بالموصل على تسليم البلد فسعى بهم فاخذوا وصلبوا وبقى الحصار على الموصل نحو ثلاثة اشهر ولم يظفر منها بشئ ولا بلغه عن بها وهن ولا قلة ميرة وقوت فرحل عنها عائدا الى بغداد فقيل ان نصرا الخادم

(ومنها) انه نودى في اواخر السنة على صرف المحبوب بزيادة صرفه ثلاثين نصفا وكان يصرف بمائتين وخمسين من زيادات الناس في معاملاتهم فكانوا ينادون بالنقص ورجوعها الى ما كان قبل الزيادة ويعاقبون على الزائد (وفي هذه الايام) نودى بالزيادة وذلك بحسب الاغراض والمقاصد والمقتضيات ومراعاة مصالح انفسهم لا المصلحة العامة هذا مع نقص عياره ووزنه عما كان عليه قبل المناداة وكذلك نقصوا وزن القروش وجعلوا القرش على النصف من القرش الاول ووزنه درهمين وكان اربعة دراهم وفي الدرهم ربع درهم فضة هذا مع عدم الفضة العددية ووجودها بايدى الناس والصيارف واذا اراد انسان صرف قرش واحد من غيره صرفه بنقص ربع العشر واخذ بدله قطعا صغارا افرنجية يصرف منها الواحدة باثني عشر واخرى بعشرة واخرى بخمسة ولكنها جيدة العيار وهم الآن يجمعونها ويضربونها بعيار اصلها من النحاس وهو ثلاثة ارباعها قروشا لان القطعة الصغيرة

كثير من التركمان وغيرهم فنزل بازاء الفرنج وجرت بينهم مناوشة عدة أيام ثم ان شمس الملوك نهض ببعض عسكره وجعل الباقي قبالة الفرنج وهم لا يشعرون وقصد بلادهم طبرية والناصرة وعكا وما يجاورها من البلاد فنهب وخرب وأحرق وسبى النساء والذرية وامتلأت ايدي من معه من الغنائم واتصل الخبر بالفرنج فانزعجوا ورحلوا في الحال لا يلوي أخ على أخيه وطلبوا بلادهم واما شمس الملوك فانه عاد الى عسكره على غير الطريق الذي سلكه الفرنج فوصل سالما ورأى الفرنج بلادهم خرابا ففت في عضادهم وتفرقوا وراسلوا في تجديد الهدنة فهادنهم شمس الملوك في ذي القعدة السنة

• (ذكر عود الملك طغرل الى الجبل وانهزام الملك مسعود) •

في هذه السنة عاد الملك طغرل بن محمد بن ملكشاه فملك بلاد الجبل جميعها وأجلى عنها أخاه السلطان مسعودا وسبب ذلك ان مسعودا لما عاد من حرب أخيه طغرل بلغه عصيان داود ابن أخيه السلطان محمود باذربيجان فسار اليه وحصره بقلعة روئين دز وكان قد تحصن بها واشتغل بحصره فجمع الملك طغرل العساكر واستمال بعض قواد مسعود ولم يزل يفتح البلاد فكثرت عساكره وقصد مسعودا فلما قارب قزوين سار مسعود نحوه فلما تراءى العسكران فارق مسعودا من امرائه من كان قد استماله طغرل فبقي في قلة من العسكر فولى منهزما اواخر رمضان وارسل الى المسترشد بالله في القدوم لبغداد فأذن له وكان نائبه باصفهان البقش السلاحي ومعه الملك سلجوق شاه فلما سمع بانهزام مسعود قصد بغداد ايضا فنزل سلجوق شاه بدار السلطان فاكرمه الخليفة وانفذ اليه عشرة آلاف دينار ثم قدم مسعود بغداد واكثر اصحابه ركاب جمال لعدم ما يركبونه ولقي في طريقه مشقة فارسل اليه الخليفة الدواب والخيام والآلات وغيرها من الاموال والثياب فدخل الدار السلطانية ببغداد منتصف شوال وقام طغرل بهمذان

• (ذكر حصر أتابك زنكي آمد وملكه قلعة الصور) •

في هذه السنة اجتمع أتابك زنكي وتمرتاش صاحب ماردين وقصدا مدينة آمد فحصراها فارسل صاحبها الى داود بن سقمان صاحب حصن كيفا يستنجده فجمع عساكره وغيرها وسار نحو آمد ليرحلهما عنها فالتقوا على باب آمد وتصافوا في جمادى الآخرة فاقتتلوا فانهزم داود وعاد مفلولا وقتل جماعة من عسكره واقام زنكي وتمرتاش على آمد محاصرين لها وقطعا الشجر وشعثا البلد ثم عادا عنها من غير بلوغ غرض فقصد زنكي قلعة الصور من ديار بكر وحصرها وضايقها فملكها في رجب من هذه السنة واتصل به ضياء الدين ابو سعيد بن الكفرتوثي فاستوزره زنكي وكان حسن الطريقة عظيم الرياسة والكفاية محبا للخير

• (ذكر ملك زنكي قلاع الاكراد الحميدية) •

في هذه السنة استولى عماد الدين زنكي على جميع قلاع الاكراد الحميدية منها قلعة

السيد محمد المحروقي وقام باحتياجاته ولوازمه فلما وصل الى السويس • تجهز الداوات التي وصلت بالعمل وصفر عدة من المراكب التي انشاها ليقبضوا على الداوات والسفن التي بالاسكل وحوزها واستولى على البن الذي وجده ببندر السويس للتجار فلما وصل خبر ذلك الى مصر فغلا سعر البن وزاد حتى وصل الى خمسين ريالا الفرانسه بعد ان كان بستة وثلاثين عنها اثنا عشر الف فضة وخمسمائة نصف فضة

• (واستهل شهر صفر الخير بيوم الاحد سنة ١٢٢٦) •

في ثانيه يوم الاثنين حضر الباشا من السويس الى مصر في سادس ساعة من الليل فضربوا في صبحها مدافع لحضوره وقد حضر على هجين بمفرده ولم يصحبه الا رجل بهجين على هجين ايضا ابدله على الطريق وقطع المسافة في احدى عشرة ساعة وحضر من كان بصحبته في ثاني يوم وهم يجدون السير وحضر السيد محمد المحروقي بجمله في اليوم الثالث واخبروا ان الباشا انزل من ساحل السويس خمسة مراكب من المراكب التي انشاها باحتياجاتها ولوازمها وعساكرها ووجههم الى ناحية الينبع ليقبضوا على ما يجدونه من المراكب وان الصناع مجتهدون في العمل في مراكب كبار لحمل الخيول والعساكر واللوازم (فيه) حضر صالح اغا قوج حاكم السويس وقد اقلقت الاخبار من الامراء المصريين القبليين بانهم

يلزمون مجاورتهم وفيها وقع الخلف بالشام فقاتل بعضهم بعضا ولم تجر لهم بذلك عادة قبل هذه السنة وقتل بينهم جماعة وفيها في جمادى الآخرة أغار الامير سوار مقدم عسكر زنكي بحلب على ولاية تل باشر فغنم الكثير فخرج اليه الفرنج في جموع كثيرة فقاتلوه فظفر بهم وأكثر القتل فيهم وكان عدة القتلى نحو ألف قتيل وعاد سالما وفيها تاسع وعشرين ربيع الآخر وثب على شمس الملوك صاحب دمشق بعض مماليك جده طغدكين فضربه بسيف فلم يعمل فيه شيئا وتكاثر عليه مماليك شمس الملوك فأخذوه وقرروه ما الذي حمله على ما فعل فقال أردت اراحة المسلمين من شرك وظلمك ولم يزل يضرب حتى أقر على جماعة انهم وضعوه على ذلك فقتلهم شمس الملوك بغير تحقيق وقتل معهم أخاه سونج فعظم ذلك على الناس ونفروا عنه وفيها توفي الشيخ أبو الوفاء الفارسي وكان له جنازة مشهودة حضرها أعيان بغداد وفيها في رجب توفي القاضي أبو العباس أحمد بن سلامة بن عبد الله بن مخلد المعروف بابن الرطبي الفقيه الشافعي قاضي الكرخ وتفقه على أبي اسحق وأبي نصر بن الصباغ وسمع الحديث ورواه وكان قريبا من الخليفة يؤدب أولاده وتوفي أبو الحسين علي بن عبد الله بن نصر المعروف بابن الزاغوني الفقيه الحنبلي الواعظ وكان ذا فنون توفي في المحرم وتوفي علي بن يعلى بن عوض بن القاسم الهروي كان واعظا وله بخراسان قبول كثير وسمع الحديث فأكثر ومحمد بن أحمد بن علي أبو عبد الله العثماني وهو من أولاد محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان وكان محمد يلقب بالديباج لحسنه وأصله من مكة وهو من أهل نابلس وكان مغاليا في مذهب الأشعري وكان يعظ توفي في صفر وفيها توفي أبو فليتة أمير مكة وولي الامارة بعده ابنه القاسم وفيها توفي العزيز بن هبة الله بن علي الشريف العلوي الحسيني [illegible] بنيسابور وكان جده نقيب النقباء بخراسان وعرض على العزيز هذا نقابة العلويين فامتنع وعرض عليه وزارة السلطان فامتنع ولزم الانقطاع والاشتغال بأمر آخرته وفيها توفي قاضي قضاة خراسان أبو سعيد محمد بن أحمد بن صاعد وكان خيرا صالحا

(ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وخمسمائة)

(ذكر ملك شمس الملوك شقيف تيرون ونهبه بلد الفرنج)

في هذه السنة في المحرم سار شمس الملوك اسمعيل صاحب دمشق منها الى شقيف تيرون وهو في الجبل المطل على بيروت وصيدا وكان بيد الضحاك بن جندل رئيس وادي التيم قد تغلب عليه وامتنع به فتحاماه المسلمون والفرنج يحتمي على كل طائفة بالأخرى فسار شمس الملوك اليه في هذه السنة وأخذه منه في المحرم وعظم أخذه على الفرنج لان الضحاك كان لا يتعرض الى شيء من بلادهم المجاورة له فخافوا شمس الملوك فجمعوا عساكرهم فلما اجتمعت ساروا الى بلد حوران فخربوا أمهات البلد ونهبوا ما أمكنهم نهبه وكان شمس الملوك لما رآهم يجمعون جمع عساكره أيضا وحشد وحضر فنزل بجمع

القفطان وغيره ويراعون جانبه ويشاورونه في الامور وكان عظيم النفس ويعطي العطايا ويفرق على جميع الاعيان عند قدوم شهر رمضان الشموع العسلية والسكر والارز والكساوي والبن ويعطي ويهب وبنى عدة بيوت تجاه الونديك والازبكية وانشأ دارا كبيرة وهي التي يسكنها الدفتردار الآن ويعمل فيها الباشا وابنه الدواوين عند قنطرة الدكة وكان يقف على ابوابه الحجاب والخدم ولم يزل على حالته حتى ظهر المعلم غالي وتداخل في هذا الباشا وفتح له الابواب لاخذ الاموال والمترجم يداخل في ذلك واذا طلب الباشا طلبا واسعا من المعلم جرجس يقول له هذا لا يتيسر تحصيله فيأتي المعلم غالي فيتسهل له الامور ويفتح له ابواب التحصيل فضاق خناق المترجم وخاف على نفسه فهرب الى قبلي ثم حضر بامان كما تقدم وانحط قدره ولازمته الامراض حتى مات في اواخر شعبان وانقضى وخلا الجو للمعلم غالي وتعين بالتقدم ووافق الباشا في اغراضه الكلية والجزئية وكل شئ له بداية وله نهاية والله اعلم

(واستهلت سنة ست وعشرين ومائتين والف)

فكان اول المحرم يوم السبت فيه اظهر الباشا الاهتمام بامر الحجاز والتجهيز للسفر وركب في ليلة الجمعة سابعه الى السويس وسافر بصحبته كثير

متوفرا بمنعه لتكبره وقلة احتماله وكان نصير الدين جقر يكره عليا صاحب الربية وغيرها
فحسن لزنكى القبض عليه فاذن له فى ذلك فقبض عليه ثم ندم زنكى على قبضه فارسل
الى نصير الدين ان يطلقه فرآه قد مات قيل ان نصير الدين قتله ثم ارسل العسكر الى قلعة
الربية فنازلوها بغتة فملكوها فى ساعة واسروا كل من بها من ولد على واخوته واخواته
وكانت والدة على خديجة غائبة فلم توجد فلما سمع زنكى الخبر بفتح الربية سر وامر ان تسير
العساكر الى باقى القلاع التى لعلى فسارت العساكر فحصروها فرأوها منيعة فراسلهم
زنكى ووعدهم الاحسان فاجابوه الى التسليم على شرط ان يطلق كل من فى السجن منهم
فلم يجبهم الى ذلك الا ان يسلموا ايضا قلعة كواشى فمضت خديجة والدة على الى صاحب
كواشى واسمه خول وهو من ولدها ومن المهرانية فسألته النزول عن كواشى فاجابها الى
ذلك وتسلم زنكى القلاع واطلق الاسرى فلم يسمع بمثل هذا فقال ينزل من مثل كواشى
لقول امرأة فاما ان يكون اعظم الناس مروءة لا يرد من دخل بيته واما ان يكون اقل
الناس عقلا والله قاست ولا ينا الجبال

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة أوقع الدانشمند صاحب ملطية بالفرنج الذين بالشام فقتل كثيرا منهم
وفيها اصطلح الخليفة واتابك زنكى وفيها فى ربيع الاول عزل انوشروان بن خالد عن
وزارة الخليفة وفيها توفيت ام المسترشد بالله وفيها سار المسترشد بعسكره الى تكريت
يحصرون مجاهد الدين بهروز فصانع عن اعماله فعادوا عنه وفيها اجتمع من العساكر
السنجرية مع الامير ارغش وحصروا قلعة كرد كوه بخراسان وهى للاسماعيلية وضيقوا
على اهلها وطال حصرها وعدمت عندهم الاقوات فاصاب اهلها تشنج وكزاز وعجز
كثير منهم عن القيام فضلا عن القتال فلما ظهرت امارات الفتح رحل الامير ارغش
فقيل انهم حملوا اليه مالا كثيرا واعلاقا نفيسة فرحل عنهم وفيها توفى الامير سليمان
ابن مهارش العقيلى امير بنى عقيل وولى الامارة بعده اولاده مع صغر سنهم وطيشهم
فى بغداد رعاية لحق جدهم مهارش لانه هو الذى كان الخليفة القائم بامر الله عنده لما فعل
به البساسيرى ما ذكرنا وفيها توفى الفقيه ابو على الحسن بن ابراهيم بن فرهون الشافعى
الفارقى ومولده سنة ثلاث وثلاثين واربعمائة وتفقه على ابى عبد الله الكازرونى فلما
توفى الكازرونى انحدر الى بغداد وتفقه على ابى اسحق الشيرازى وابى نصر الصباغ
وولى القضاء بواسط وكان خيرا فاضلا لا يوازى ولا يحابى فى احقاق الحكم وفيها توفى
عبد الله بن محمد بن احمد بن الحسن وابو محمد بن ابى بكر الفقيه الشافعى تفقه على ابيه
وكان يعظ ويكثر فى كلامه من التجانيس فمن ذلك قوله اين القدود العالية والخدود
الوردية مناشيها واقعة العالية والوردية وهما مفترقان بتفريعلى ومن شعره

الدمع دما يسيل من اجفانى ● ان عشت مع البكى فما اجفانى
مضنى شجنى وهمنى همانى ● العاذل بالملام قد همانى ●
والذكر لهم يزيد فى اشجانى ● والنوح مع الحمام قد اشجانى

وجلسوا معه حصة وشربوا القهوة وتضاحكوا معهم ثم انجر الموكب على الوضع الذى مشى وتبوه فانجر طائفة الدلاة
وامير هم لاجين ازوك على
ومن خلفهم الوالى والمحتسب
والاغا والوجاقلية والالداشات
المصرية ومن ترتيبهم ومن
خلفهم طوائف العسكر
الرجالة والخيالة والبيكباشيات
وارباب المناصب منهم
وابراهيم اغا اغات الباب
وسليمان بك البواب بذهب
ويحيى وبرتب الموكب وكان
الباشا قد بيت مع حسن باشا
وصالح قوج والكتخدا فقط
غدر المصرية وقتلهم وامر
بذلك فى صحبة ابراهيم اغا
اغات الباب فلما انجر
الموكب وفرغ طائفة الدلاة
ومن خلفهم من الوجاقلية
والالداشات المصرية
وانفصلوا من باب العزب
عند ذلك امر صالح قوج
بغلق الباب وعرف طائفته
بالمراد فالتفتوا ضاربين
بالمصرية وقد انحصروا باجمعهم
فى المضيق المنحدر الحجر
المقطوع فى اعلى باب العزب
مسافة ما بين الباب الاعلى
الذى يتوصل منه الى رحبة
سوق القلعة الى الباب
الاسفل وقدامه دواعتهم من
العساكر واتقوهم على
علاوى النقر الحجر والحيطان
التى به فلما حصل الضرب
من الفتانيين اراد الامراء
الرجوع القهقرى فلم يمكنهم
ذلك لانتظام الخيول فى مضيق النقر واخذهم ضرب البنادق والقرابين من خلفهم ضاربوا وعلم العسكر الواقفون

الدقر وقلعة شوش وغيرهما وكان لصاحب الموصل آقسنقر صاحبها الامير عيسى الحميدي على ولايتها واعمالها ولم يعترضه على شيء مما هو بيده فلما حضر المسترشد الى الموصل حضر عيسى هذا عنده وجمع الاكراد عنده فاكثر فلما رحل المسترشد عن الموصل امر زنكي ان تحصر قلاعهم فحصرت مدة طويلة وقوتلت قتالا شديدا الى ان ملكت هذه السنة فاطمأن اذا اهل السواد المجاورون لهؤلاء القوم فانهم كانوا معهم في ضائقة كبيرة من نهب اموالهم وخراب البلاد

(ذكر ملك قلاع الهكارية وكواشي)

وحكي عن بعض العلماء من الاكراد ممن له معرفة باحوالهم ان اتابك زنكي لما ملك قلاع الحميدية واجلاهم عنها خاف ابو الهيجاء بن عبد الله صاحب قلعة اشب والجزيرة ونوشي فارسل الى اتابك زنكي من استحلفه له وحمل اليه مالا وحضر عند زنكي بالموصل فبقي مدة ثم مات فدفن بتل توبة ولما سار عن اشب الى الموصل اخرج ولده احمد بن ابي الهيجاء منها خوفا ان يتغلب عليها واعطاه قلعة نوشي وهذا احمد هو والد علي بن احمد المعروف بالمشطوب من اكابر امراء صلاح الدين بن ايوب بالشام ولما اخرجه ابوه من اشب استناب بها كرديا يقال له باو الارجي فلما مات ابو الهيجاء سار ولده احمد من نوشي الى اشب ليملكها فمنعه باو واراد حفظها لولد صغير لابي الهيجاء اسمه علي فسار زنكي بعسكره فنزل على اشب وملكها وسبب ملكها ان اهلها نزلوا كلهم الى القتال فتركهم زنكي حتى قاربوه واستجرهم حتى ابعدوا عن القلعة ثم عطف عليهم فانهزموا ووضع السيف فيهم فاكثر القتل والاسر وملك زنكي القلعة في الحال واحضر جماعة من مقدمي الاكراد فيهم باو فقتلهم وعاد عنها الى الموصل ثم سار عنها ففي غيبته ارسل نصير الدين جقر نائب زنكي وخرب اشب وحصر كهيجة ونوشي وقلعة الجلاب وهي قلعة العمادية وارسل الى قلعة الشعباني وفرح وكوشر والزعفران وألقى ونيروة وهي حصون المهرانية فحصرها فملك الجميع واستقام امر الجبل والزوزان وامنت الرعايا من الاكراد واما باقي قلاع الهكارية فجبل صور وهرور والملاسي ومابرما وباخوخا وكنار ونساس فان قراجا صاحب العمادية فتحها بعد مدة طويلة بعد قتل زنكي وهذا قراجا كان اميرا قد اقطعه زين الدين علي بلد الهكارية بعد قتل زنكي ولم اعلم تاريخ فتح هذه القلاع فلهذا ذكرته ههنا وحكى غير هذا بعض فضلاء الاكراد وخالف فيه فقال ان زنكي لما فتح قلعة اشب وخربها وبنى قلعة العمادية ولم يبق في الهكارية الا صاحب جبل صور وصاحب هرور ولم يكن لهما شوكة يخاف منها على الموصل فخافه اصحاب القلاع الجبلية فاتفق ان عبد الله بن عيسى بن ابراهيم صاحب الربية والقي وفرح وغيرها توفي وملكها بعده ولده علي وكانت والدته خديجة بنت الحسن اخت ابراهيم وعيسى وهما من الامراء مع زنكي وكانا بالموصل فارسلها ولدها علي الى اخويها وطلب له الامان من زنكي وحلفاه له ففعل ونزل الى خدمة زنكي واقره على قلاعه واشتغل زنكي بفتح قلاع الهكارية وكان الشعباني بيد امير من المهرانية اسمه الحسن بن عمر فاخذه

حضروا الى الطينة ورجعوا الى ناحية قنا وقوص وخرج اليهم اجناد الالفي وتحاربوا معهم وقتل من عساكره عدة وافرة (وفيه) قلد الباشا ابنه طوسون باشا سارى عسكر الركب الموجه الى الحجاز واخرجوا خيشهم الى ناحية قبة العزب ونصبوا عرضيا وخياما واظهر الباشا الاجتهاد الزائد والعجلة وعدم التوانى ونوه بتسفير عساكر لناحية الشام لتمليك يوسف باشا المعدلة وصارى عسكرهم شاهين بك الالفي ونحو ذلك من الايهامات وطلب من المنجمين ان يختاروا وقتا صالحا لالباس ابنه خلعة السفر فاختاروا له الساعة الرابعة من يوم الجمعة فلما كان يوم الخميس رابعه طاف الالاى جاويش بالاسواق على صورة الهيئة القديمة في المناداة على المواكب العظيمة وعليه الضلمة والطبق على راسه مزرا كب جار عال وامامه مقدم بعكاز وحوله جاويشية ينادون بقولهم يارن الاى ويكررون ذلك في اخطاط المدينة وطافوا باوراق التنبيه على كبار العسكر والبنبات والامراء المصرية الالفية وغيرهم يطلبونهم للحضور في باكر النهار الى القلعة ليركب الجميع بتجملاتهم وزينتهم امام الموكب فلما اصبح يوم الجمعة سادسه ركب الجميع وطلعوا الى القلعة وطلع المصرية بمماليكهم واتباعهم واجنادهم فدخل الامراء عند الباشا وصبحوا عليه

وغيرهم في اعمال البلد وبالغ في العقوبات لاستخراج الاموال وظهر منه بخل زائد ودناءة نفس بحيث انه لا يانف من اخذ الشئ الحقير بالعدوان الى غير ذلك من الاخلاق الدنيئة وكرهه اهله واصحابه ورعيته ثم انه ظهرت امه كاتبت عماد الدين زنكي ان يسلم اليه دمشق ويحثه على سرعة الوصول واخلى المدينة من الذخائر والاموال ونقل الجميع الى صوبه وتتابع الرسل الى زنكي يحثه على الوصول اليه ويقول له ان اهملت المجئ سلمت البلد الى الفرنج فسار زنكي فظهر الخبر بذلك فامتعض اصحاب ابيه وجده وانفقوا وذكروا الحال لوالدته فساءها واشفقت منه ووعدتهم بالراحة من هذا الامر ثم انها ارتقبت الفرصة في الخلوة من غلمانه فلما راته على ذلك امرت غلمانها بقتله فقتل وامرت بالقائه على موضع في الدار ليشاهده غلمانه واصحابه فلما راوه قتيلا سروا بمصرعه وبالراحة من شره وكان مولده سابع جمادى الآخرة سنة ست وخمسمائة وقيل كان سبب قتله ان والده كان له حاجب اسمه يوسف بن فيروز وكان متمكنا منهما كنا في دولته ثم في دولة شمس الملوك بعده فاتهم بام شمس الملوك ووصل الخبر اليه بذلك فهم بقتل يوسف فهرب منه الى تدمر وتحصن بها واظهر الطاعة لشمس الملوك فاراد قتل امه فبلغها الخبر فقتلته خوفا منه والله اعلم ولما قتل ملك بعده اخوه شهاب الدين محمود بن تاج الملوك وحلف له الناس واستقر له الملك بعده والله اعلم

(ذكر حصر اتابك زنكي دمشق)

في هذه السنة حصر اتابك زنكي دمشق ونازله سا اول جمادى الاولى وسببه ما ذكرناه من رسال شمس الملوك صاحبها اليه واستدعائه ليسلمها اليه فلما وصلت كتبه ورسله سار اليها فقتل شمس الملوك قبل وصوله ولما علم الفرات ارسل اليه رسلا في تقرير قواعد التسليم فرأوا الامر قد فات لانهم اكرموا واحسن اليهم واعيدوا باجمل هيئة وعرفوا زنكي بقتل شمس الملوك وان القواعد عندهم مستقرة لشهاب الدين والكلمة متفقة على طاعته فلم يحفل زنكي بهذا الجواب وسار الى دمشق فنازلها واجفل اهل السواد اليها واجتمعوا فيها على محاربته ونزل اولا شمالي البلد ثم انتقل الى ميدان الحصى وزحف وقاتل فرأى قوة ظاهرة وشجاعة عظيمة واتفاقا تاما على محاربته وقام معين الدين انز مملوك جده طغدكين في هذه الحادثة بدمشق قياما مشهودا وظهر من معرفته بامور الحصار والقتال وكفايته مالم يروا ما كان سبب تقدمه واستيلائه على الامور بامرها على ما نذكره ان شاء الله تعالى فبينما هو يحاصرها وصل رسول الخليفة المسترشد بالله وهو ابو بكر بن بشر الجزري من جزيرة ابن عمر بخلع الاتابك زنكي ويامره بمصالحة صاحب دمشق الملك البارسلان محمود والذي مع اتابك زنكي فرحل عنها لليلتين مضتا من جمادى الاولى من السنة المذكورة

(ذكر قتل حسن بن الحافظ)

وآخر يقول انا لست من خيالتهم فلم يرضوا الصاروخ ولا اشك ولا مستغيث وتبددوا

المنشتين والمسر بالمنفق نواحي القلعة وزواياها والذين فروا ودخلوا في البيوت والاماكن وقبضوا على من امسك حيا ولم يمت من الرصاص او مختلفا من الموكب وحال السامع لكلاكشدا كاحد بك الكيلارجي ويحيى بك الالفي وعلى كاشف الكبير فسلبوا ثيابهم وجروهم الى السجن تحت مجلس كتخدا بك ثم احضروا ايضا المشاعل ازمى اعناقهم في حوش الديوان واحدا بعد واحد من ضحوة النهار الى ان مضى حصة من الليل في المشاعل حتى امتلأ الحوش من القتلى ومن مات من المشاهير المعروفين وانصرع في طريق القلعة قطعوا راسه وسحبوا جثته الى باقي الجثث حتى انهم ربطوا في رجل شاهين بك في يديه حبالا وسحبوه على الارض مثل الحمار الميت الى حوش الديوان هذا ما حصل بالقلعة واما اسفل المدينة فانه عند ما انغلق باب القلعة وسمع من بالرميلة صوت الرصاص وقعت الكرشة في الناس وهرب من كان واقفا بالرميلة من الاجناد في انتظار الموكب وكذلك المتفرجون واتصلت الكرشة باسواق المدينة

فانزعجوا وهرب من كان بالحوانيت لانتظار الفرجة واغلق الناس حوانيتهم

ضاقت بما وسعتني اعطافي ٭ والسن رد الهموم قد اعطاني

وفيها توفي ابن ابي الصلت الشاعر ومن شعره يذم ثقيلا

لي صديق عجبت كيف استطاعت ٭ هذه الارض والجبال تقله

انا ارعاه مكرها وبقلبي ٭ منه ما يتلف الجبال اقله

هو مثل المشيب اكره رؤيا ٭ ولكن اصونه واجله

وله ايضا

ساد صغار الناس في عصرنا ٭ لا دام من عصر ولا كانا

كالدست مهما هم ان ينقضي ٭ صار به البيدق فرزانا

وفيها توفي محمد بن علي بن عبد الوهاب ابو رشيد الفقيه الشافعي من اهل طبرستان وسمع الحديث ايضا ورواه وكان زاهدا عابدا اقام بالجزيرة وهي جزيرة ابن عمر سنين منفردا يعبد الله سبحانه وتعالى وعاد الى آمل وتوفي بها

٭(ثم دخلت سنة تسع وعشرين وخمسمائة)٭

٭(ذكر وفاة الملك طغرل وملك مسعود بلد الجبل)٭

قد ذكرنا قدوم السلطان مسعود الى بغداد منهزما من اخيه الملك طغرل وان الخليفة اكرمه وحمل اليه ما يحتاج اليه مثله وامره بالمسير الى همذان وجمع العساكر ومنازعة اخيه طغرل في السلطنة والبلاد ومسعود يعد ويدافع الايام والخليفة يحثه على ذلك ووعده ان يسير معه بنفسه وامر ان يبرز خيامه الى باب الخليفة وكان قد اتصل الامير البقش السلاحي وغيره من الامراء بالخليفة وطلبوا خدمته فاجابهم وصاروا معه واتفق ان اقطاعا اخذ لغريم معه مقطعات من طغرل الى هؤلاء الامراء بالاقطاع لهم فلما رأى الخليفة ذلك قبض على امير منهم اسمه مقابلة ونهب ماله فاستشعر غيره من الامراء الذين مع الخليفة فهربوا الى عسكر السلطان مسعود فارسل الخليفة اليه في اعادتهم اليه فلم يفعل واحتج باشياء فعظم ذلك على الخليفة وحدث بينهما نفرة ووحشة اوجبت تاخره عن المسير معه وارسل اليه يلزمه بالمسير معه امراً لزماً فبينما الامر على هذا قد جاءه الخبر بوفاة اخيه طغرل وكانت وفاته في المحرم من هذه السنة وكان مولده سنة ثلاث وخمسمائة في المحرم وكان خيرا عاقلا عادلا قريبا الى الرعية محسنا اليهم وكان قبل موته قد خرج من داره يريد السفر لقتال اخيه مسعود فقطاله الناس فقال ادعوا والخير للسلطين ولما توفي وصل الخبر الى مسعود وسار من ساعته نحو همذان واقبلت العساكر جميعها اليه واستوزر شرف الدين انوشروان بن خالد وكان قد خرج صحبته هو واهله ووصل مسعود الى همذان واستولى عليها واطاعته البلاد جميعها واهلها

٭(ذكر قتل شمس الملوك وملك اخيه)٭

في هذه السنة رابع عشر ربيع الآخر قتل شمس الملوك اسمعيل بن تاج الملوك بوري بن طغدكين صاحب دمشق وسبب قتله انه ركب طريقا من الظلم ومصادرات العمال

بالاهالي المراد فضربوا ايضا فلما نظروا ما حل بهم سقط في ايديهم وارتبكوا في انفسهم وتحيروا في امرهم ووقع منهم اشخاص كثيرة فنزلوا عن الخيول واقتص شاهين بك وسليمان بك البواب وآخرون في عدة من مماليكهم راجعين الى فوق والرصاص نازل عليهم من كل ناحية ونزعوا ما كان عليهم من الفراوي والثياب الثقيلة ولم يزالوا سائرين وشاهرين سيوفهم حتى وصلوا الى الرحبة الوسطى المواجهة لقاعة الاعمدة وقد سقط اكثرهم واصيب شاهين بك وسقط الى الارض فقطعوا رأسه واسرعوا بها الى الباشا ليأخذوا عليها البقشيش وكان الباشا عندما ساروا بالموكب ركب من ديوان السراية وذهب الى البيت الذي به الحريم وهو بيت اسمعيل افندي الضربخانه واما سليمان بك البواب فهرب من حلاوة الروح وصعد الى حائط البرج الكبير فتابعوه بالضرب حتى سقط وقطعوا رأسه ايضا وهرب كثير الى بيت طوسون باشا يظن الالتجاء والاحتماء فيه فقتلوهم واسرف العسكر في قتل المصريين وسلب ما عليهم من الثياب ولم يرحموا احدا واظهروا كامن حقدهم وضبعوا فيهم وفيمن رافقهم متجملا معهم من اولاد الناس واهالي البلد الذين تزاحموا بهم لرؤية الموكب وهم يصرخون ويستغيثون ومنهم من يقول انا لست جنديا ولا مملوكا وغيرهم

رمضان وسبب ذلك ان السلطان مسعودا لما سار عن بغداد الى همذان بعد موت
اخيه طغرل وملكها فارقه جماعة من اعيان الامراء منهم برنقش بازدار وقزل آخر
وسنقر الخمارتكين والي همذان وعبد الرحمن بن طغايرك وغيرهم خائفين منه
مستوحشين ومعهم عدد كثير ومعهم دبيس بن صدقة وارسلوا الى الخليفة يطلبون منه
الامان ليحضروا في خدمته فقيل له انها مكيدة لان دبيسا معهم وساروا نحو خوزستان
واتفقوا مع برسق بن برسق فارسل الخليفة اليهم سديد الدولة بن الانباري بتوقيعات الى
الامراء المذكورين بتطييب نفوسهم والامر بحضورهم وكان الامراء المذكورون قد
عزموا على قبض دبيس والتقرب الى الخليفة بحمله اليه فبلغه ذلك فهرب الى
السلطان مسعود وسار الامراء الى بغداد في رجب فاكرمهم الخليفة وحمل اليهم الاقامات
والخلع وقطعت خطبة السلطان مسعود من بغداد وبرز الخليفة في العشرين من رجب
على عزم المسير الى قتال مسعود واقام بالشفيعي فعصى عليه بكبه صاحب البصرة
فهرب اليها فراسله وبذل له الامان فلم يعد اليه وتريث الخليفة عن المسير وهؤلاء
الامراء يحسنون له الرحيل ويسهلون عليه الامر ويضعفون عنده امر السلطان مسعود
فسير مقدمته الى حلوان فنهبوا البلاد وافسدوا ولم ينكر عليهم شيئا ثم سار الخليفة ثامن
شعبان ولحق به في الطريق الامير برسق بن برسق فبلغت عدتهم سبعة آلاف فارس
وتخلف بالعراق مع اقبال خادم المسترشد بالله ثلاثة آلاف فارس وكان السلطان مسعود
بهمذان في نحو الف وخمسمائة فارس وكان اكثر اصحاب الاطراف يكاتبون الخليفة
ويبذلون له الطاعة فتريث في مسيره فاستمال السلطان مسعود اكثرهم حتى صاروا
اليه فصاروا نحو خمسة عشر الف فارس وتسلل جماعة كثيرة من عسكر الخليفة حتى بقي
في خمسة آلاف وارسل اتابك زنكي نجدة فلم يلحق وارسل الملك داود ابن السلطان
محمود وهو باذربيجان الى الخليفة يشير بالميل الى الدينور ليحضر بنفسه وعسكره فلم
يفعل المسترشد وسار حتى بلغ داي مرج وعبى اصحابه فجعل في الميمنة برنقش بازدار ونور
الدولة سنقر وقزل آخر وبرسق بن برسق وجعل في الميسرة جاولي وبرسق شراب سلار
وغلبك الذي كان الخليفة قد قبض عليه واخرجه من محبسه لما سمع السلطان مسعود
خبرهم سار اليهم مجدا فوافاهم بداي مرج عاشر رمضان والتحقت ميسرة الخليفة الى
السلطان مسعود فصارت معه واقتتلت ميمنة الخليفة وميسرة السلطان قتالا ضعيفا
ودارت عساكر السلطان حول عساكر الخليفة وهو ثابت لم يتحرك من مكانه وانهزم
عسكره واخذ هو اسيرا ومعه جمع كثير من اصحابه منهم الوزير شرف الدين علي بن طراد
الزيني وقاضي القضاة وصاحب المخزن ابن طلحة وابن الانباري والخطباء والفقهاء
والشهود وغيرهم وانزل الخليفة في خيمة وغنموا ما في معسكره وكان كثيرا فحمل الوزير
وقاضي القضاة وابن الانباري وصاحب المخزن وغيرهم من الاكابر الى قلعة سرجهان
وباع الباقون نفوسهم بالثمن دون الطفيف ولم يقتل في هذه المعركة احد وهذا من العجب

ابناء العرب فلما حصلت هذه الحادثة بادروا التفصيل ما مولهم واشهروا ما كان حقيا في صدورهم وخفوها
من التشفي في النساء فان
العظيم منهم كان اذا خطب
ادنى امرأة ليتزوج بها فلا
ترضى به ونعافه وتأنف
قربه وان ألح عليها استجارت
بمن يحميها منه والامر شر من
بيتها او اختفت شهورا وذلك
بخلاف ما اذا خطبها اسفل
شخص من حفش المماليك
اجابته في الحال واتفق انه
لما اصطلح البشاشمع الاتابية
وطلبوا البيوت ظهر كثير من
النساء المستترات الخفيات
وتنافسن في ازواجهم وعلا
لهم السكاوي وقدمن لهم
التقادم وصرفن عليهم لوازم
البيوت التي تلزم الازواج
لزوجاتهم كل ذلك بمرأى من
الاتراك يحقدونه في قلوبهم
وفيهم من حمى جاره وصان
داره ومانع اعلاهم ادناهم
وقليل ما هم وذلك لغرض
ينتفعه وامر يرجيه فانه
بعد ارتفاع النوب كانوا
يتحضرون عليهم من البيوت
فيتولى الذي حماه ودافع
عنه على داره وما فيها وانتهبت
دور كثيرة من المجاورين لهم
اولادور اتباعهم بادنى شبهة
وبغير شبهة اويدخلون بحجة
التفتيش ويقولون عندكم
علوك اوجعنا ان عندكم
وديعة للملوك وبات الناس
واصبحوا على ذا شوش في هذه الحادثة من الاموال والامتعة الا يقدر قدره وحصيه الا الله سبحانه وتعالى

بذكرنا سنة ست وعشرين وخمسمائة ان الحافظ لدين الله صاحب مصر استوزر ابنه حسنا وخطب له بولاية العهد فبقي الى هذه السنة ومات مسموما وسبب ذلك انه كان جريا على سفك الدماء وكان فى نفس الحافظ على الامراء الذين اعانوا أبا على بن الافضل حقد وبريد الانتقام منهم من غير ان يباشر ذلك بنفسه فاستوزر ابنه وامره بذلك فتغلب على الامر جميعه واستبد به ولم يبق لابيه معه حكم وقتل من الامراء المصريين ومن اعيان البلاد جمعا حتى قيل انه قتل فى ليلة واحدة اربعين اميرا فلما رأى ابوه تغلبه عليه اخرج له خادما من خدام القصر الاكابر فجمع الجموع وحشد من الرجالة خلقا كثيرا وتقدم الى القاهرة ليقاتل حسنا وخرج حسن اليه فارسل له جماعة من خواصه واصحابه فقاتلوهم فانهزم الخادم وقتل الرجال الذين معه وعبر الباقون الى الجزيرة فاستكان الحافظ وصبر تحت الحجر ثم ان الباقين من الامراء المصريين اجتمعوا واتفقوا على قتل حسن وارسلوا الى ابيه الحافظ وقالوا له اما انك تسلم ابنك الينا فنقتله او نقتلكما جميعا فاستدعى ولده اليه واحتاط عليه وارسل الى الامراء بذلك فقالوا لا نرضى الا بقتله فرأى انه ان سلمه اليهم طمعوا فيه وليس الى ابقائه سبيل فاحضر طبيبين كانا له احدهما مسلم والآخر يهودى فقال لليهودى نريد سما نسقيه لهذا الولد ليموت ونتخلص من هذه الحادثة فقال انا لا اعرف غير النقوع وماء الشعير وما شاكل هذا من الادوية فقال انا اريد ما اتخلص به من هذه المصيبة فقال له لا اعرف شيئا فاحضر المسلم وامره بذلك فصنع له شيئا فسقاه الولد فمات لوقته فارسل الحافظ الى الجند يقول لهم انه قد مات فقالوا نريد ان ننظر اليه فاحضر بعضهم عنده فرأوه وظنوه قد عمل حيلة فجرحوا اسافل رجليه فلم يجر منها دم فعلموا موته ودفن حسن واحضر الحافظ الطبيب المسلم وقال له اخرج من عندنا من القصر وجميع ما لك من الانعام والجامكية باق عليك واحضر اليهودى وقال اعلم انك تعرف ما طلبته منك ولكنك عاقل فتقيم فى القصر عندنا وكان حسن سيئ السيرة فاجرا على سفك الدماء واخذ الاموال فهجاه الشعراء فمن ذلك ما قال المؤيد ابن الانصارى صاحب الترسل المشهور

لم تأت يا حسن بين الورى حسنا • ولم تر الحق فى دنيا ولا دين
قتل النفوس بلا جرم ولا سبب • والجور فى اخذ اموال المساكين
لقد جمعت بلا علم ولا ادب • تيه الملوك واخلاق المجانين

وقيل ان الحافظ لما رأى ابنه تغلب على الملك وضع عليه من سقاه السم فمات والله اعلم ولما مات حسن استوزر الحافظ الامير تاج الدولة بهرام وكان نصرانيا فتحكم واستعمل الارمن على الناس فاستذلوا المسلمين وسنذكر اخباره سنة احدى وثلاثين وخمسمائة ان شاء الله تعالى

•(ذكر مسير المسترشد الى حرب السلطان مسعود وانهزامه)•

فى هذه السنة كان الحرب بين الخليفة المسترشد بالله وبين السلطان مسعود فى شهر رمضان

ولا يمن لاحد علم بما حصل وظنوا ظنونا وعندما تحقق العسكر حصول الواقعة وقتل الامراء انتشروا كالجراد المنتشر الى بيوت الامراء المصريين ومن جاورهم طالبين النهب والغنيمة فوجدوها مغلقة ونهبوها نهبا ذريعا وحطموا الحرائر والحريم وسحبوا النساء والجوارى والخوندات والستات وسلبوا ما عليهن من الحلى والجواهر والثياب واظهروا الكامن فى نفوسهم ولم يجدوا مانعا ولا رادعا وبعضهم قبض على يد امرأة ليأخذ منها السوار فلم يتمكن من نزعه بسرعة فقطع يد المرأة وحصل بالناس فى بقية ذلك اليوم من الفزع والخوف وتوقع المكروه ما لا يوصف لان المماليك والاجناد تداخلوا وسكنوا فى جميع الحارات والنواحى وكل امير له دار كبيرة فيها امراؤه واتباعه ومماليكه وخيوله وجماله وفيه دار ودار ان صغار فى داخل العطف ونواحى الازهر والمشهد الحسينى يوزعون فيها ما يحتاجون عليه لانهم يعدها وحمايتها بحرمة الخلطة وصونها عند وقوع الحوادث وكثير من كبار العسكر يجاورون لهم فى جميع النواحى ويرمقون احوالهم ويطلعون على اكثر حركاتهم وسكناتهم ويتداخلون فيهم ويعاشرونهم ويسامرونهم بالليل ويظهرون لهم المودة والمحبة والحال انهم يحترقون من الحقد عليهم والبكراهة لهم بل ولجميع

من العسكر فلما جرت هذه الحادثة عبر الى الجانب الغربي واصعد الى تكريت وراسل مجاهد الدين بهروز فاصعده اليه الى القلعة

ذكر مسير السلطان سنجر الى غزنة وعوده عنها

في هذه السنة في ذي القعدة سار السلطان سنجر من خراسان الى غزنة وسبب ذلك انه نقل اليه عن صاحبها بهرام شاه انه تغير عن طاعته وانه قد مد يده الى ظلم الرعايا واغتصابهم اموالهم وكان السلطان سنجر هو الذي ملكه غزنة وقد ذكرناه سنة تسع وخمسمائة فلما سمع هذه الاخبار المزعجة سار الى غزنة ليأخذها ويصلحها فلما رأى الطريق ابعد ادركهم شتاء شديد البرد كثير الثلج وتعذرت عليهم الاقوات والعلوفات فشكا العسكر الى السلطان ذلك وذكروا له ما هم فيه من الضيق وتعذر ما يحتاجون اليه فلم يجبهم عنه بغير التقدم امامه فلما قارب غزنة ارسل بهرام شاه الى سنجر رسلا يتضرع ويسأل الصفح عن جرمه والعفو عن ذنبه فارسل اليه سنجر المقرب جوهرا الخادم وهو اكبر امير عنده ومن جملة اقطاعه مدينة الري في جواب رسالته يجيبه عن العفو عنه ان حضر عنده وعاد الى طاعته فلما وصل الى بهرام شاه اجابه الى ما طلب منه من الطاعة وحمل المال والحضور عنده بنفسه وبذل من الطاعة والانقياد لما يحكم به السلطان سنجر شيئا كثيرا وعاد المقرب جوهر ومعه بهرام شاه الى سنجر فلما قاربوه سبق المقرب الى السلطان سنجر واعلمه بوصول بهرام شاه وانه يحضر غدا يكون عنده وعاد المقرب الى بهرام شاه ليجيء بين يديه وركب سنجر من الغد في موكبه لتلقيه وتقدم بهرام شاه ومعه المقرب فلما رأى موكب سنجر والشتر على رأسه نكص على عقبيه عائدا فامسك المقرب عنانه وقبح فعله وخوفه عاقبة ذلك فلم يرجع وولى هاربا ولم يصدق بنجاته منه ان سنجر يأخذه ويملك بلده وتبعه طائفة من اصحابه وخواصه ولم يعرج على غزنة وسار سنجر الى غزنة فدخلها وملكها واحتوى على جميع ما فيها وجبى اموالها وكتب الى بهرام شاه يلومه على ما فعله ويحلف له انه ما اراد به شرا ولا له في بلده مطمع ولا هو عن تلون حفيظته وامد جيشه معه سيئة وانما قصده لاصلاحه فاعاد بهرام شاه الجواب يعتذر ويتنصل و يقول ان الخوف منعه عن الحضور ولا لوم على من خاف من السلطان وتضرع في عوده الى الاحسان فاجابه سنجر الى ان يعيد عليه بلده وفارق غزنة عائدا الى بلاده فوصل الى بلخ في شوال سنة ثلاثين وخمسمائة واستقر ملك غزنة لبهرام شاه ورجع اليها

ذكر قتل دبيس بن صدقة بالتاريخ

في هذه السنة قتل السلطان مسعود دبيس بن صدقة على باب سرادقه بظاهر مدينة خوى امر غلاما ارمنيا بقتله فوقف على رأسه وهو ينكت الارض باصبعه فضرب رقبته وهو لا يشعر وكان ابنه صدقة بالحلة فاجتمع اليه عسكر ابيه ومماليكه وكثر جمعهم واستأمن اليه الامير قتلغ تكين وامر السلطان مسعود بك آبه ان يأخذ الحلة فسار بعض عسكره

احدهما تركى والآخر بلدى وهما يلتقطان آخر النهب وما سقط من النهابين فأمر بقتلهما فأخذوهما الى باب الخرق وقطعوا رؤسهما ثم انه عطف على جهة الكعكيين فلاقاه من اخبره بان المشايخ مجتمعون وينتظرون ركوبه للاقاته والسلام عليه والتهنئة بالظفر فقال انا اذهب اليهم ولم يزل في سيره حتى دخل الى بيت الشيخ الشرقاوي وجلس عنده ساعة لطيفة وكان قد التجأ الى الشيخ شخصان من الكشاف المصرية فكلمه في شأنهما وترجى عنده في اعتاقهما من القتل وان يؤمنهما على انفسهما وقال له لا تفضحني ببلادي واقبل شفاعتي واعطهما محرمة الامان فاجابه الى ذلك وقال له شفاعتك مقبولة ولكن نحن لا نعطي محارم وانا امانى بالقول او تكتب ورقة ونرسلها اليك بالامان فاطمأن الشيخ لذلك ثم قام الباشا وركب وطلع الى القلعة وارسل ورقة الى الشيخ بطلبهما فقال لهما الشيخ ان الباشا ارسل هذه الورقة يؤمنكما ويطلبكما اليه فقالا وما يفعل بنا اذا ذهبنا اليه فلا شك في انه يقتلنا فقال الشيخ لا يصح ذلك ولا يكون كيف انه يأخذكم من بيتي ويقتلكم بعد ان قبل شفاعتي فذهبا مع الرسول فعندما وصلا الى الحوش وهو محله بالقتل وضرب الرقاب واقيم في المحبوسين والمحضرين بعثوا عليهما واوثقاهما فيهم وفي تلك اليوم نزل طوسون ابن الباشا

ما يحكى وعاد السلطان الى همذان وامر فنودى من تبعنا الى همذان من البغدادية
فلما خرج الناس كلهم على اقبح حال لا يعرفون طريقا وليس معهم ما يحملهم
وسير السلطان الامير بك آبه المحمودى الى بغداد شحنة فوصلها سلخ رمضان ومعه عبيد
فقبضوا جميع املاك الخليفة واخذوا غلاتها وثار جماعة من عامة بغداد فكسروا
المنبر والشباك ومنعوا من الخطبة وخرجوا الى الاسواق يحثون التراب على رؤسهم
و يبكون و يصيحون وخرج النساء حاسرات فى الاسواق يلطمن واقتتل اصحاب
الشحنة وعامة بغداد فقتل من العامة ما يزيد على مائة وخمسين قتيلا وهرب الوالى
وحاجب الباب واما السلطان فانه سار فى شوال من همذان الى مراغة لقتال الملك
داود ابن اخيه محمود وكان قد عصى عليه فنزل على فرسخين من مراغة والمسترشد معه
فترددت الرسل بين الخليفة وبين السلطان فى الصلح فاستقرت القاعدة على ما نذكره
ان شاء الله والله الموفق

(ذكر قتل المسترشد بالله وخلافة الراشد بالله)

لما قبض المسترشد بالله ابو منصور بن الفضل بن المستظهر بالله ابى العباس احمد على
ما ذكرناه جعله السلطان مسعود فى خيمة ووكل به من يحفظه وقام بما يجب من خدمته
وترددت الرسل بينهما فى تقرير قواعد الصلح على مال يؤديه الخليفة وان لا يعود يجمع
العساكر وان لا يخرج من داره فاجاب السلطان الى ذلك واركب الخليفة وحمل
الغاشية بين يديه ولم يبق الا ان يعود الى بغداد فوصل الخبر ان الامير قران خوان قد ورد
رسولا من السلطان سنجر فتأخر مسير المسترشد لذلك وخرج الناس مع السلطان مسعود الى
لقائه وفارق الخليفة بعض من كان موكلا به وكانت خيمته منفردة عن العسكر فقصده
اربعة وعشرون رجلا من الباطنية ودخلوا عليه فقتلوه وجرحوه ما يزيد على عشرين
جراحة ومثلوا به فجدعوا انفه واذنيه وتركوه عريانا وقتل معه نفر من اصحابه منهم ابو
عبد الله بن سكينة وكان قتله يوم الاحد سابع عشر ذى القعدة على باب مراغة وبقى حتى
دفنه اهل مراغة واما الباطنية فقتل منهم عشرة وقيل بل قتلوا جميعهم والله اعلم وكان
عمره لما قتل ثلاثا واربعين سنة وثلاثة اشهر وكانت خلافته سبع عشرة سنة وستة
اشهر وعشرين يوما وامه ام ولد وكان شهما شجاعا كثير الاقدام بعيد الهمة واخباره
المذكورة تدل على ما ذكرناه وكان فصيحا بليغا حسن الخط ولقد رأيت خطه فى غاية
الجودة ورأيت اجوبته على الرقاع من احسن ما يكتب وافصحه ولما قتل المسترشد
بالله بويع ابنه الراشد بالله ابو جعفر المنصور ولقب الراشد بالله وكان ابوه قد بايع له
بولاية العهد فى حياته وجددت له البيعة بعد قتله يوم الاثنين السابع والعشرين من
ذى القعدة وكتب السلطان مسعود الى بك آبه الشحنة ببغداد بان يبايع له وحضر الناس
البيعة وحضر بيعته احد وعشرون رجلا من اولاد الخلفاء وبايع له الشيخ ابو النجيب
ووعظه وبالغ فى الموعظة واما حال الدولة المسترشدية فكانه كان ببغداد فى مائة

كتخدا المتولى حد وليا على
باب من الباشا الى انشادا
بشبرا و بيت الامير عثمان
آغا الوردانى ومصطفى كاشف
المورلى والافندية الكتبة
وغيرهم واصبح يوم السبت
والنهب والقتل والقبض
على المتوارين والمختفين
مستمر و يدل البعض على
البعض او غمز عليه وركب
الباشا الى القصر ونزل من
القلعة وحوله اغواته الكبار
مشاة وامامه الصقاشية
والجاويشية بزينتهم
وملابسهم الفاخرة والجميع
مشاة ليس فيهم راكب سواه
وهم عدة نوب بطولها وخلفه
عدة وافرة واظهر الفرح والسرور
بقتل المصريين ونهبهم
والظفر بهم طافح من
وجوههم فكان كلما مر على
ارباب الدرك والقلقات
والضابطين وقف عليهم ووبخهم
على النهب وعدم منعهم لذلك
والحال انهم هم الذين كانوا
ينهبون اولا و يتبعهم غيرهم
فمر على العقادين الرومى
والشوايين فخرج اليه شخص
من تجار المغاربة يسمى العرفى
الحلو وصرخ فى وجهه وهو
يقول ايش هذا الحال وايش
انا علاقة حتى ينهبنا العسكر
ونحن ناس تجار مغاربة
منتبهون ولسنا عمالين ولا اجناد اقوة قال اليه وارسل معه نفرا الى داره فوجدوا ابها انقصبن

اليها جمع من الفرنج أهل صقلية في أسطول كثير وجمع غفير فيه من مشهوري فرسان
الفرنج جماعة فنزلوا بساحتها وأداروا المراكب بجهاتها واجتمع أهلها وقاتلوا قتالا
شديدا فوقع بين الفريقين وقعات عظيمة فثبت أهل جربة فقتل منهم بشر كثير
فانهزموا وملك الفرنج الجزيرة وغنموا أموالها وسبوا حريمها ونساءها وهلك أطفالها
وهلك كثير من رجالها ومن بقي منهم أخذوا لأنفسهم أمانا من صاحب صقلية وافتكوا
أسراهم وسبيهم وحريمهم والله أعلم بذلك

(ذكر ملك الفرنج حصن روطة من بلاد الاندلس)

في هذه السنة اصطلح المستنصر بالله بن هود والسليطين الفرنجي صاحب طليطلة مدة
عشر سنين وكان السليطين قد أدمن غزو بلاد المستنصر وقتالها حتى ضعف صاحبها
عن مقاومته لقلة جنوده وكثرة الفرنج فرأى ان يصالحه مدة يستريح فيها هو وجنوده
ويستعدون للمعاودة فترددت الرسل بينهم فاستقر الصلح على ان يسلم المستنصر الى
السليطين حصن روطة وهو من امنع الحصون واحصنها فاستقرت القاعدة واصطلحوا
وتسلمت منه الفرنج الحصن وهذه من المستنصر فعلة لم يفعلها قبله احد

(ذكر حصر ابن ردمير مدينة افراغة وهزيمته وموته)

في هذه السنة حصر ابن ردمير الفرنجي لعنه الله مدينة افراغة من شرق الاندلس
وكان الامير تاشفين بن علي بن يوسف بمدينة قرطبة أميرا على الاندلس لابيه فجهز الزبير
ابن عمرو اللمتوني من قرطبة ومعه الفا فارس وسير معه ميرة كثيرة الى افراغة وكان يحيى
ابن غانية الامير المشهور أمير مرسية وبلنسية من شرق الاندلس واليه الامر بها لامير
المسلمين علي بن يوسف فتجهز في خمسمائة فارس وكان عبد الله بن عياض صاحب
مدينة لاردة فتجهز في مائتي فارس فاجتمعوا وحملوا الميرة وساروا حتى اشرفوا على
مدينة افراغة وجعل الزبير الميرة أمامه وابن غانية امام الميرة وابن عياض امام ابن غانية
وكان شجاعا وكذلك جميع من معه وكان ابن ردمير في اثني عشر ألف فارس فاحتقر
جميع الواصلين من المسلمين فقال لاصحابه اخرجوا وخذوا هذه الهدية التي أرسلها
المسلمون اليكم وادركه العجب وانفذ قطعة كبيرة من جيشه فلما قربوا من المسلمين
حمل عليهم ابن عياض وكسرهم ورد بعضهم على بعض وقتل فيهم والتحم القتال وجاء
ابن ردمير بنفسه وعساكره جميعها وهم واثقون بكثرتهم وشجاعتهم فحمل ابن غانية وابن عياض
في صدورهم واشتد الامر بينهم وعظم القتال وكثر القتل في الفرنج وخرج في الحال
اهل افراغة جميعهم ذكرهم وانثاهم صغيرهم وكبيرهم الى خيام الفرنج فاشتغل الرجال
بقتل من وجدوا في العسكر واشتغل النساء بالنهب وحملوا جميع ما وجدوه هناك الى
المدينة من قوت وعدد وآلات وسلاح وغير ذلك وبينما المسلمون والفرنج في القتال اذ
وصل اليهم الزبير في عسكره فانهزم ابن ردمير وعسكره ولم يسلم منهم الا القليل ولحق ابن
ردمير بمدينة سرقسطة فلما رأى ما قتل من اصحابه مات مفجوعا بعد عشرين يوما من

وخرجوا الى قبلي وبعضهم تزيا بزي نساء الفلاحين وخرج في ضمن الفلاحات اللاتي يجئن بالجلة والجبنة
وذهبوا الى صفنهم وفر من نجا
منهم الى الشام وغيرها واما
كتخدا بك فانه لشدة بغضه
فيهم صار لا يرحم منهم احدا
فكان كل من احضروه ولو
فقيرا هرما من مماليك الامراء
الاقدمين يأمر بضرب عنقه
وارسل اوراقا الى كشاف
النواحي والاقاليم بقتل كل من
وجدوه بالقرى والبلدان
فوردت الرؤس في ثاني يوم من
النواحي فيضعونها بالرميلة
وعلى مصطبة السبيل المواجه
لباب زويلة وكان كثير من
الاجناد بالارياف لتحصيل
الفرض التي تعهدوا بدفعها
عن فلاحيهم وانقضت اجلتهم
وطولبوا بالدفع والفلاحون
قصرت ايديهم ولم يقبلوا
للملتزمين عذرا في التأخير فلم
يسعهم الا الذهاب بانفسهم
لاجل خلاص المطلوب منهم
للديوان فعندما وصلت الاوامر
الى كشاف الاقاليم بقتل
الكائنين بالبلاد بادروا بقتل
من امكنهم قتله ومن بعد عنهم
ارسلوا لهم العساكر في محلاتهم
فيدهمونهم على حين غفلة
ويقتلونهم وينهبون متاعهم
وما جمعوه من المال ويرسلون
رؤسهم او يحصلون على القبض
عليهم وقتلهم فصار يصل في
كل يوم العدد من الرؤس من
قبلي وبحري ويضعونها على
بابي زويلة وباب القلعة ولم يقبلوا شفاعة في احد ابدا ويعطون الامان لبعض فاذا حضروا قبضوا عليهم وقتلوهم

الى المدائن واقاموا مدة يتنظرون كما في بلاد آبه فلم يبرا اليهم جبينا وعجزوا عن قصد الحلة لكثرة العسكر بها مع صدقة وبني صدقة بالحلة الى ان قدم السلطان مسعود الى بغداد سنة احدى وثلاثين وخمسمائة فقصده واصلح حاله معه ولزم باب السلطان ومثل هذه الحادثة يقع كثيرا وهو قريب موت الحادثين فان دبيسا كان يعادي المسترشد بالله و يكره خلافته ولم يكن يعلم ان السلاطين انما كانوا يبقون عليه ليجعلوه عدة لمقاومة المسترشد فلما زال السبب زال المسبب والله اعلم بذلك

(ذكر حصر عسكر يحيى المهدية)

في هذه السنة حصر يحيى بن العزيز بن حماد صاحب بجاية عسكرا فحصروا المهدية وبها صاحبها الحسن بن علي بن تميم بن المعز بن باديس وكان سبب ذلك ان الحسن أحب ميمون بن زيادة اميرطائفة كبيرة من العرب ومال اليهوا كثر الانعام عليه فحسده غيره من العرب فساروا الى يحيى بن العزيز بن باولاده يحرضوه هم على قصده وطلبوا منه أن يرسل معهم عسكرا ليملكوا المهدية فاجابهم الى ذلك وهو متباطئ فاتفق انه وصله كتب من بعض مشايخ المهدية بمثل ذلك فوثق الى ما اتاه وسير عسكرا كثيرا واستعمل عليهم قائدا كبيرا من فقهاء اصحابه يقال له مطرف بن حمدون وكان هذا يحيى بن العزيز هو وآباؤه يحضرون المعز بن باديس واولاده بعده فسارت العساكر الفارس والراجل ومعهم من العرب جمع كثير حتى نزلوا على المهدية وحصروها برا وبحرا وكان مطرف يظهر التقشف والتورع من الدماء وقال انما اتيت لاتسلم البلد بغير قتال فغاب عنه فبقي اياما لم يقاتل ثم انهم باشروا فظهر اهل المهدية عليهم واثروا فيهم وتتابع القتال وفي كل ذلك الظفر لاهل البلد وقتل من الخارجين الجم الغفير وجمع مطرف عسكره برا وبحرا المباشر من القتال وقاتل اشد قتال فملكت شوانيه مماثلي البحر وقربوا من السور فاشتد الامر فامر الحسن بفتح الباب وخرج اول الناس وحمل هو ومن معه عليهم وقال انا الحسن فلما سمع من يقاتله ذلك سلموا عليه وانهزموا عنه اجلالا له ثم اخرج الحسن شوانيه ثلاث السابقين الينا فاخذ من ثلاثا الشواني اربع قطع وهرب الباقون ثم وصلت نجدة من رجار الفرنجي صاحب صقلية في البحر في عشرين قطعة فحصرت شواني صاحب بجاية فامرهم الحسن باطلاقها فاطلقوها ثم وصل ميمون بن زيادة في كثير من العرب لنصرة الحسن فلما راى ذلك مطرف وان النجدات تاتي الحسن في البر والبحر علم انه لا طاقة له بهم فرحل عن المهدية خائبا واظهر رجار الفرنجي للحسن انه مهادنه وموافقه وهو مع ذلك يعمر الشواني ويكثر عددها وآلاتها

(ذكر استيلاء الفرنج على جزيرة جربة)

كانت جزيرة جربة من بلاد افريقية قد استوت في كثرة عمارتها وخيراتها غير ان اهلها طغوا فلا يدخلون تحت طاعة سلطان و يعرفون بالفساد وقطع الطريق فخرج

وقت نزول أيهو بيق المدينة ولولا نزول الباشا وابنه في صبح ذلك اليوم لنهب العسكر بقية المدينة وحصل منهم غاية الضر واما القبض على الاجناد و المماليك فكثير وكذلك كل من كان يشبههم في الملبس والزي واكثر من كان يقبض عليهم عساكر حسن باشا الارنؤدي فيكبسون عليهم في الدور وفي الاماكن التي تواروا فيها واستدلوا عليهم فيقبضون على من يقبضون عليه و ينهبون من الاماكن [illegible] ما يجدونه من ثياب النساء والحلي و يسحبون الواحد والاثنين او اكثر بينهم و يأخذون عمائمهم وثيابهم وما في جيوبهم في اثناء الطريق واذا كان كبيرا او اميرا اختفى منه طلبوه بالرفق فاذا ظهر لهم قالوا له سيدنا حسن باشا يستدعيك اليه فلا تخش من شئ و يطمئن قليلا و يظن انهم يجيرونه وعلى اي حال لا يسعه الا الاجابة لانه ان امتنع اخذوه قهرا فاذا خرج من الدار استحبه جماعتهم وطلع البواقي الى الدار فاخذوا ما قدروا عليه ولحقوا بهم و يجري على الماخوذ ما يجري على امثاله من الماخوذين والبعض تراوى والتجا الى طائفة الدلاة وتزيا بشكلهم ولبس طرطورا واجاروه وهرب كثير في ذلك اليوم الى وقتل شخصا من التركمان ايضا فارتفع النهب وانكف العسكر عن ذلك

وسأله ان يمنعه من الخليفة فاجابه الى ذلك وعاد الموكب بغير وزير وارسل زنكي من حرس دار الوزير من النهب ثم اصلح حاله مع الخليفة واعاده الى وزارته وكذلك ايضا حمى عليه قاضي القضاة الزينبي وسار معه الى الموصل ثم ان الخليفة جد في عمارة السور فارسل له الملك داود من قلع ابوابه والترب فطلعه منه فارتاع الناس ببغداد ونقلوا اموالهم الى دار الخلافة وقطعت خطبة السلطان مسعود وخطب للملك داود وجرت الايمان بين الخليفة والملك داود وعماد الدين زنكي وارسل الخليفة الى اتابك زنكي مائتي الف دينار لينفقها ووصل الملك سلجوق شاه الى واسط فدخلها وقبض على الامير بك ابه ونهب ماله وانحدر اتابك زنكي اليه لدفعه عنها واصطلحا وعاد زنكي الى بغداد وعبر الى طريق خراسان وحث على جمع العساكر للقاء السلطان مسعود وسار الملك داود نحو طريق خراسان فنهب العسكر البلاد ووصلت الاخبار بمسير السلطان مسعود الى بغداد وفارق الملك داود واتابك زنكي فعاد اتابك زنكي الى بغداد وفارق الملك داود واظهر له انه يمضي الى مراغة اذا فارق السلطان مسعود همذان فبرز الراشد بالله الى الظاهر بغداد اول رمضان وسار الى طريق خراسان ثم عاد بعد ثلاثة ايام ونزل عند جامع السلطان ثم دخل الى بغداد خامس رمضان وارسل الى داود وسائر الامراء يامرهم بالعود الى بغداد فعادوا ونزلوا في الخيام وعزموا على قتال السلطان مسعود من داخل سور بغداد ووصلت رسل السلطان مسعود يبذل من نفسه الطاعة والموافقة للخليفة والتهديد لمن اجتمع عنده فعرض الخليفة الرسالة عليهم فكلهم راى قتاله فقال لهم الخليفة وانا ايضا معكم على ذلك

(ذكر ملك شهاب الدين حمص)

في هذه السنة في الثاني والعشرين من ربيع الاول تسلم شهاب الدين محمود صاحب دمشق مدينة حمص وقلعتها وسبب ذلك ان اصحابها اولاد الامير خيرخان بن قراجا والوالي بها من قبلهم ضجروا من كثرة تعرض عسكر عماد الدين زنكي اليها والى اعمالها وتضييقهم على من بها من جندي وعامي فراسلوا شهاب الدين في ان يسلموها اليه ويعطيهم عوضا عنها تدمر فاجابهم الى ذلك وسار اليهم وتسلمها منهم في التاريخ المذكور وسلم اليهم تدمر واقطع حمص مملوك جده معين الدين انر وجعل فيها نائبا عنه من ثقات اصحابه وعاد عنها الى دمشق فلما راى عسكر زنكي بحلب وحماة خروج حمص من ايديهم تابعوا الغارات الى بلدها والنهب لها والاستيلاء على كثير منه فجرى بينهم عدة وقائع وارسل شهاب الدين الى زنكي في المعنى واستقر الصلح بينهم وكف كل منهم عن صاحبه

(ذكر الفتنة بدمشق)

في هذه السنة وقعت الفتنة بدمشق بين صاحبها والجند وسبب ذلك ان الحاجب يوسف بن فيروز كان اكبر حاجب عند ابيه وجده ثم انه خاف اباه شمس الملوك وهرب

الالفية الاحمد بك تزوج على ابنه خانم بنت ابراهيم بك الكبير فانه كان ١٧ غائبا بناحية بوش وامين بك تسان من الفلافة وهرب الى ناحية الشام وعمر بك ايضا الالفي كان مسافرا في ذلك اليوم الى الفيوم فقتلوه هناك وبعثوا براسه بعد خمسة ايام ومعها نحو الخمسة عشر راسا وارسل دبوس اوغلي حاكم المنية خمسة وثلاثين راسا حضر من ناحية بحري غير ذلك كثير (واما من قتل في ذلك اليوم ممن لم نذكره ولم يبلغني خبره) فهم شاهين بك كبير الالفية ويحيى بك ونعمان بك وحسين بك الصغير ومصطفى بك الصغير ومراد بك وعلي بك هؤلاء من الالفية ومن غيرهم احمد بك الكيلارجي ويوسف بك ابو دياب وحسن بك صالح ومرزوق بك ابن ابراهيم بك الكبير وسليمان بك البواب واحمد بك تابعه ورشوان بك وابراهيم بك تابعه وقاسم بك تابع مراد بك الكبير وسليم بك الدمرجي ورستم بك الشرقاوي ومصطفى بك ايوب ومصطفى بك تابع عثمان بك حسن وعثمان بك ابراهيم وذو الفقار تابع جوهر وهو رجل كبير من الاختيارية ايضا ابن حرب هو ومصطفى بك الحداوي واما عند صالح بك الصندار والتجؤا اليه وطمنهم وارسل يخبرهم فقضى الامر فقطع رؤوسهم فاحضر المشاعلي وقطع رؤوسهم في مقعده وارسلها ومن الامراء الكشاف الالفية فهم على

المزيد وكان اشد ملوك الفرنج بأساوا كثرهم تجرد الحرب المسلمين واعظمهم ضررا كان ينام على طارقته بغير وطاء وقيل له هلا تسريت من بنات اكابر المسلمين اللاتي سبيت منهم فقال الرجل المحارب ينبغي ان يعاشر الرجال لا النساء وأراح الله منه وكفى المسلمين شره

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في شعبان زلزلت الارض بالعراق والموصل وبلاد الجبل وغيرها وكانت زلزلة شديدة وهلك فيها كثير من الناس والله أعلم

(ثم دخلت سنة ثلاثين وخمسمائة)

(ذكر الحرب بين عسكر الراشد وعسكر السلطان)

في هذه السنة وصل برنقش الزكوي من عند السلطان مسعود يطالب الخليفة بما كان قد استقر على المسترشد من المال وهو أربعمائة ألف دينار فذكر انه لا شيء عنده وان المال جميعه كان مع المسترشد بالله فنهب ثم بلغ الراشد بالله ان برنقش يريد الهجوم على دار الخلافة وتفتيشها ليأخذ المال فجمع العساكر لمنعها وامر عليهم كج ابه واعاد عمارة السور فلما علم برنقش بذلك اتفق هو وبك ابه شحنة بغداد وهو من امراء السلطان على ان يهجموا على دار الخليفة يوم الجمعة فبلغ ذلك الراشد بالله فاستعد لمنعهم وركب برنقش ومعه العساكر والامراء البكجية ومحمد بن عكر في نحو خمسة آلاف فارس ولقيهم عسكر الخليفة فظفر جواصكر السلطان الى دار السلطان فساروا الى طريق خراسان ثم انحدر بك ابه الى واسط وسار برنقش الى البندنيجين ونهبت العامة دار السلطان

(ذكر اجتماع اصحاب الاطراف على حرب مسعود ببغداد وخروجهم عن طاعته)

في هذه السنة اجتمع كثير من الامراء واصحاب الاطراف على الخروج عن طاعة السلطان مسعود فسار الملك داود ابن السلطان محمود في عسكر اذربيجان الى بغداد فوصلها في رابع صفر ونزل بدار السلطان ووصل اتابك عماد الدين زنكي بعده من الموصل ووصل برنقش بازدار صاحب قزوين وغيرهما والبقش الكبير صاحب اصفهان وصدقة بن دبيس صاحب الحلة ومعه عنتر بن أبي العسكر الجاواني يدبره ويتم نقص صباه وابن برسق وابن الاحمديلي وخرج اليهم من عسكر بغداد كج ابه والطرنطاي وغيرهما وجعل الملك داود في شحنكية بغداد برنقش بازدار وقبض الخليفة الراشد بالله على ناصح الدولة أبي عبد الله الحسن بن جهير استاذ الدار وهو كان السبب في ولايته وعلى جمال الدولة اقبال المسترشدي وكان قدم اليه من تكريت وعلى غيرهما من اعيان دولته فتغيرت نيات اصحابه عليه وخافوه فاما جمال الدولة فان اتابك زنكي شفع في شفاعة قبلها الزام فاطلق وصار اليه ونزل عنده وخرج موكب الخليفة مع وزيره جلال الدين ابي الرضا بن صدقة الى عماد الدين لتهنئتهما بالقدوم فاقام الوزير عنده

ثيابهم وقتلوهم والباشا يعلم من كتخداه وشدة البراءة ثم تقرب المماليك فعرض له الامر فيهم حتى انه كان بينه وبين محمد اغا كتخدا الجاوشية سابقا بعض منافرة من مدة سابقة اولكونه صاهر بعض الالفية وزوجه ابنته وكان غائبا ببلدة يقال لها الفرعونية جارية في اقطاعه وتعهده بما عليها من المال رحمة فذهب اليها بنفسه ليقتص منها الفرضة والمال الذي عليها ورحل الكتخدا بك الى كاشف المنوفية قبل الحادثة بيوم يأمره فيه بامره فارسل اليه طائفة من العسكر دخلوا عليه في الفجرية وهو يتوضأ لصلاة الصبح فقتلوه وقطعوا رأسه واحضروها الى مصر وكانوا يأتون بالقصاص من بقايا البيوت الشنيعة فيقتلونهم بين يدي الكتخدا فيبقى الجم غفيرون عن انفسهم ويسألهم فيكذبهم ويأمرهم الى الحبس الاول حتى يتبين امرهم فلما تدركهم الالطاف فيطلقون بعد معاينة الموت وهذا في النادر فقتل في هذه الحادثة اكثر من الف انسان امراء واجناد وكشاف ومماليك ثم صار واينقلون رممهم على الاخشاب ويرمونهم عند المغسل بالرميلة ثم يرفعونهم ويلقونهم في حفر من الارض فوق بعضهم البعض لا يميز الامير عن غيره وسطر واحدة رؤس من رؤس المقتولين والقو جماجمهم المسلوخة على الرمح في تلك الحفر فكانت هذه النكتة من اشنع الحوادث التي لم يتفق مثلها ولم يتح وساله

الدين الشهرزوري سيره في هذه المحضر الذي عمل بخلع الراشد حكم به قاضي القضاة
الزينبي بالموصل وكان عند اتابك زنكي

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة عزل السلطان مسعود وزيره شرف الدين انوشروان بن خالد وعاد الى بغداد واقام بداره معزولا ووزر بعده كمال الدين ابو البركات بن سلمة الدركزيني وهو من خراسان وفيها ثار العيارون ببغداد عند اجتماع العساكر بها وفتكوا في البلد ونهبوا الاموال ظاهرا وكثر الشر فقصدوا مشرعة الصبغ عند دار الرقيق وطلب العيارين ثار عليه اهل المحال الغربية فقاتلهم واحرق الشارع فاحترق فيه خلق كثير ونقل الناس اموالهم الى الحريم الطاهري فدخله الشحنة ونهب منه مالا كثيرا ثم وقعت فتنة ببغداد بين اهل باب الازج وبين اهل المأمونية وقتل بينهم جماعة ثم اصطلحوا وفيها سار قراسنقر في عساكر كثيرة في طلب الملك داود ابن السلطان محمود فاقام السلطان مسعود ببغداد ولم يزل قراسنقر يطلب داود حتى ادركه عند مراغة فالتقيا وتصافا واقتتل العسكران قتالا عظيما فانهزم داود واقام قراسنقر باذربيجان واما داود فانه قصد خوزستان فاجتمع عليه هناك عساكر كثيرة من التركمان وغيرهم فبلغت عدتهم نحو عشرة آلاف فارس فقصد تستر وحاصرها وكان عمه الملك سلجوق شاه ابن السلطان محمد بواسط فارسل الى اخيه السلطان مسعود يستنجده فامده بالعساكر فسار الى داود وهو يحاصر تستر فتصافا فانهزم سلجوق شاه وفيها توفي محمد بن حمويه ابو عبد الله الجويني وهو من مشايخ الصوفية المشهورين وله كرامات كثيرة ورواية الحديث وتوفي ايضا محمد بن عبد الله بن احمد بن حبيب العامري الصوفي مصنف شرح الشهاب وأنشد لما احتضر

ها قد مددت يدي اليك فردها * بالفضل لا بشماتة الاعداء

وتوفي ايضا ابو عبد الله محمد بن الفضل بن احمد الفراوي الصاعدي راوي صحيح مسلم عن عبد الغافر الفارسي وطريقه اليوم اعلى الطرق واليه الرحلة من الشرق والغرب وكان فقيها مناظرا ظريفا يخدم الغرباء بنفسه وكان يقال الفراوي ألف راوي رحمه الله ورضي عنه

(ثم دخلت سنة احدى وثلاثين وخمسمائة)

(ذكر تفرق العساكر عن السلطان مسعود)

في هذه السنة في المحرم اذن السلطان مسعود للعساكر التي عنده ببغداد بالعود الى بلادهم لما بلغه ان الراشد بالله قد فارق اتابك زنكي من الموصل فانه كان يمسك العساكر عنده خوفا ان يقصد به الى العراق فيملكه عليه فلما اراد ان يأذن للامير صدقة بن دبيس صاحب الحلة زوجه ابنته فعسكر به وقدم على السلطان مسعود جماعة من الامراء الذين حاربوه مع الملك داود منهم البقش السلاحي وبرسق بن برسق صاحب تستر وسنقر الخمارتكين شحنة همذان فرضي عنهم وأمنهم وولى البقش شحنكية بغداد

ما لا تقد الذي لا اقطار غوار واثنا عشر مدافع كبار على العربات وعربتين قصلان هو ومن تبعهم وخلفهم طوائف العسكر
الرجالة ارنؤود واتراك وصحبهم
وهم كثيرون مختلطون من
غير ترتيب مدة طويلة ثم
كبارهم وكبارنا بطوائفهم
ثم الوالي والمحتسب واغات
مستحفظان ثم طوائف صاحب
المركب وجنائبه وكذا هيئته
ثم الجاويشية والسعاة
والملازمون ثم طوسون باشا
وخلفه اتباعه واغواته ثم
الكتخدا وهو محمد كتخدا
المعروف بالبرديسي وهو الذي
كان كتخدا الالفي وصحبته
الخازندار وخلفهم النوبة
التركية ولما انقضى امر الموكب
دعاه المحروقي الى منزله فنزل
معه من باب السر الذي بالجامع
المعروف بالغوري وصحبته
حسن باشا وتوجهوا الى بيت
المحروقي وتغدى عنده هو واتباعه
وخواصه واحضر له آلات
الطرب واستمر هناك الى
آخر النهار في حظ وكيف
وقدم له المحروقي تقادم هدية
ثم ركب عائدا الى محله (وفي
يوم الاثنين رابع عشره)
نزل الباشا الى ترعة الفرعونية
للاهتمام بسدها ونقل الاحجار
في المراكب مستمر فاقام
عند السد اربع ليال وذهب
الى الاسكندرية عندما اتته
الاخبار بورود مراكب
الانكليز لاجل مشترى
الغلال فذهب ليبيع عليهم
الغلال التي جمعها فباع عليهم كل اردب بمائة قرش رومي عنها اربعة آلاف نصف واكثر واجتهد ببناء اسوار الاسكندرية

(وفيه ايضا) خرج عدة من عسكر الدلاة والجمال تقر الى ناحية قبلة العرب الدلاة في التعدية ليلا ونهارا ليسافروا الى بلادهم فاستمروا في قضاء اشغالهم الى ان سافروا (وفي يوم الاثنين ثالث عشرينه) ارتحل مصطفى بك واتصل الى ناحية الشيخ عثمان مسافرا الى قبلي وعدى الباشا راجعا الى مصر (وفيه حضر) ططريان من الروم بشرات بالعفو عن يوسف باشا المنفصل عن الشام وقبل فيه ترجي باشة مصر وشفاعته (وفي يوم الاربعاء خامس عشرينه) احضروا من ناحية قبلي اربعة وستين شخصا واكثرهم من الذين كانوا مستوطنين بالبلاد من بقايا البيوت القديمة الذين العديلة ومصرفين فلما احضروهم الى مصر القديمة ابقوهم الى الليل في حبس ثم اوقدوا المشاعل بساحل البحر وضربوا رقابهم ورموا بجثثهم الى البحر واتوا بالرؤس فوضعوها بحا باب زويلة ليراها الناس كما راوا غيرها

(واستهل شهر ربيع الاول بيوم الثلاثاء سنة ١٢٢٦) ه

وفي يوم الاحد سادسه عمل الباشا لابنه طوسون باشا موكبا عظيما ونبهوا في ليلتها على اجتماع العسكر في صبحها ونزل هو الى جامع الغورية ليتفرج على الموكب وصحبته حسن باشا واستمر ذلك التهيد الى الزوال وقد فرش له بالجامع المذكور فرش ومراتب ووسائد فمر الموكب وفي اوله الذين

وعقيبه وابن جابه حضر السلطان دار الخلافة ومعه الوزير شرف الدين الزينبي وصاحب المخزن ابن البقشلاني وغيرهما وامر باحضار الامير ابي عبد الله بن المستظهر من المكان الذي يسكن فيه فاحضر واجلس في المثمنة ودخل السلطان اليه والوزير وتحالفا وقرر الوزير القواعد بينهما وخرج السلطان من عنده وحضر الامراء وارباب المناصب والقضاة والفقهاء وبايعوا ثامن عشر ذي الحجة ولقب المقتفي لامر الله قيل سبب اللقب انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يلي الخلافة بستة أيام وهو يقول له ان هذا الامر يصير اليك فاقتف بي فلقب بذلك ولما استخلف سيرت الكتب الحكمية بخلافته الى سائر الامصار واستوزر شرف الدين علي بن طراد الزينبي فارسل الى الموصل واحضر قاضي القضاة ابا القاسم علي بن الحسين الزينبي ابن عم الوزير واعاده الى منصبه وقرر كمال الدين حمزة بن طلحة على منصبه صاحب المخزن وجرت الامور على أحسن نظام وبلغني ان السلطان مسعودا أرسل الى الخليفة المقتفي لامر الله في تقرير اقطاع يكون لخاصته فكان جوابه ان في الدار ثمانين بغلا تنقل الماء من دجلة فلينظر السلطان ما يحتاج اليه من يشرب هذا الماء ويقوم به فتقررت القاعدة على ان يجعل له ما كان للمستظهر بالله فاجاب الى ذلك وقال السلطان لما بلغه قوله لقد جعلنا في الخلافة رجلا عظيما والمقتفي هو الراشد هو والمسترشد ابنا المستظهر وليا الخلافة وكذلك السفاح والمنصور اخوان وكذلك المهدي والرشيد اخوان وكذلك الواثق والمتوكل اخوان واما ثلاثة اخوة ولوا الخلافة فالامين والمامون والمعتصم هم اولاد الرشيد والمكتفي والمقتدر والقاهر بنو المعتضد والراضي والمتقي والمطيع بنو المقتدر واما اربعة اخوة ولوها فالوليد وسليمان ويزيد وهشام بنو عبد الملك بن مروان لا يعرف غيرهم وحين استقرت الخلافة للمقتفي أرسل اليه الراشد بالله رسولا من الموصل مع رسول اتابك زنكي وكان كمال الدين محمد بن عبد الله الشهرزوري فاحضر في الديوان وسمعت رسالته وحكى لي والدي عنه قال لما حضرت الديوان قيل لي تبايع أمير المؤمنين فقلت أمير المؤمنين عندنا في الموصل وله في اعناق الخلق بيعة متقدمة وطال الكلام وعدت الى منزلي فلما كان الليل جاءتني امرأة عجوز سرا واجتمعت بي وابلغتني رسالة عن المقتفي لامر الله مضمونها عتابي على ما قلته واستنزالي عنه فقلت غدا أخدم خدمة يظهر اثرها فلما كان الغد حضرت الى الديوان وقيل لي في معنى البيعة فقلت أنا رجل فقيه قاض ولا يجوز لي ان ابايع الا ان يثبت عندي خلع المتقدم فاحضروا الشهود وشهدوا عندي في الديوان بما اوجب خلعه فقلت هذا ثابت لا كلام فيه ولكن لا بد لنا في هذه الدعوى من نصيب لان امير المؤمنين قد حصل له خلافة الله في أرضه والسلطان فقد استراح ممن كان يقصده ونحن بأي شيء نعود فرجع الامر الى الخليفة فامر ان يعطى اتابك زنكي صريفين ودرب هرون وجرى ملكا وهي من خاص الخليفة وزاد في القابه وقال هذا اصل لم يسمح به لاحد من زعماء الاطراف ان يكون لهم نصيب من خاص الخليفة وكانت بيعة كمال الدين سنة احدى وثلاثين وخمسمائة ولما عاد كمال

حتى علا الصوت فاذا قد وقع وخرج اليه جمع كثير من السودان وضعهم الحافظ عليه فحملوا على غلمانه فقاتلوهم فقتلوه وركب فتقدم اليه بعض اصحابه فرسا ليركبه فلما اراد ركوبه ضرب الرجل رأسه بالسيف فقتله وحمل رأسه الى الحافظ فارسله الى زوجته فوضع في حجرها فالقت به وقالت هكذا يكون الرجال ولم يستوزر الحافظ احدا وباشر الامور بنفسه الى ان مات

(ذكر فتح المسلمين حصن وادي ابن الاحمر من الفرنج)

وفي هذه السنة في رجب سار عسكر دمشق مع مقدمهم الامير بزاوش الى طرابلس الشام فاجتمع معه كثير من الغزاة المتطوعة والتركمان ايضا خلق كثير فلما سمع القمص صاحبها بقربهم من ولايته سار اليهم في جموعه وحشده فقاتلهم وانهزم الفرنج وعادوا الى طرابلس في صورة سيئة قد قتلت فرسانهم وشجعانهم فلما عادوا نهب المسلمون من اعمالهم اكثرها وحصروا حصن وادي ابن الاحمر وضيقوا عليه فملكوه عنوة ونهبوا ما فيه وقتلوا المقاتلة وسبوا الحريم والذرية واسروا الرجال فاشتروا انفسهم بمال جزيل وعاد المسلمون الى دمشق سالمين والله اعلم

(ذكر حصار زنكي مدينة حمص)

في هذه السنة في شعبان سار اتابك زنكي الى مدينة حمص وقدم اليها حاجبه صلاح الدين محمدا الباغيساني وهو اكبر امرائه معه وكان ذا مكر وحيل ارسله ليتوصل مع من فيها ليسلموها اليه فوصل اليها وفيها معين الدين انز وهو الوالي عليها والحاكم فيها وهو ايضا اكبر امير بدمشق وحمص اقطاعه كما سبق ذكره فلم ينفذ فيه مكره فوصل حينئذ زنكي اليها وحصرها وعاود مراسلته في التسليم غير مرة تارة بالوعد وتارة بالوعيد واحتج بانها ملك صاحبه شهاب الدين وانها بيده امانة ولا يسلمها الا عن غلبة فاقام عليها الى العشرين من شوال ورحل عنها من غير بلوغ غرض الى بعرين فحصرها وكان منه ومن الفرنج ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر ملك زنكي قلعة بعرين وهزيمة الفرنج)

وفي هذه السنة في شوال سار اتابك زنكي من حمص كما ذكرناه وحصر قلعة بعرين وهي للفرنج تقارب مدينة حماة وهي من امنع حصونهم واحصنها فلما نزل عليها قاتلها وزحف اليها فجمع الفرنج فارسهم وراجلهم وساروا في قضهم وقضيضهم وملوكهم وقمامصتهم وكنودهم الى اتابك زنكي ليرحلوه عن بعرين فلم يرحل وصبر لهم الى ان وصلوا اليه فلقيهم وقاتلهم اشد قتال رآه الناس وصبر الفريقان ثم اجلت الوقعة عن هزيمة الفرنج واخذتهم سيوف المسلمين من كل جانب واحتمى ملوكهم بحصن بعرين لقربه منهم فحصرهم المسلمون ومنع اتابك زنكي عنهم كل شيء حتى الاخبار فكان من به منهم لا يعلم شيئا من اخبار بلادهم لشدة ضبط الطرق وهيبته على جنوده

استجلاب الاموال ويتحيل في استخراجها بانواع من الحيل فمن ذلك انه يرسل الى اهل الحرف ويأمرهم ببيع بضائعهم بنصف ثمنها ويظهر انه يريد الشفقة والرأفة بالناس ويرخص لهم في اسعار المبيعات وان ارباب الحرف تعدوا الحد في غلاء الاسعار فيجتمع اهل الحرفة ويضجون ويأتون بدفاترهم وبيان رأس مالهم وما ينضاف اليه من غلو قيمات تلك البضاعة وما انصرف عليها من الجمارك والمكوس وغلو الاجرة في البحر والبر فلا يستمع لقولهم ولا يقبل لهم عذرا ويأمر بهم الى الحبس فعند ذلك يطلبون الخلاص ويصالحون على انفسهم بقدر من المال يدفعونه ويوزعون ذلك على افرادهم فيما بينهم ثم يزيدون في سعر تلك البضاعة ليعوضوا غراماتهم من الناس معتذرين بتلك الغرامة وما حل بهم من الخسارة ثم تستمر الزيادة على الدوام ويظن استمرار الغرامة ايضا فيجتمع بهذه الكيفية اموال الاعتقة وهي في الحقيقة سلب اموال الناس من الاغنياء والفقراء (وفي اواخره) حضر الباشا من الاسكندرية على حين غفلة فبات بقصر شبرا ثم حضر الى بيت الازبكية فاقام به يومين ثم طلع الى القلعة (وفيه وصلت) ايضا كثير من الارنؤد والاتراك حتى غصت بهم المدينة فلا يكاد المار

فسقف الناس وظلمهم وكان السلطان مسعود بعد تفرق العساكر عنه قد بقي معه ألف
فارس وتزوج الخليفة فاطمة أخت السلطان مسعود في رجب والصداق مائة ألف
دينار ووكل الوكيل في قبول النكاح وزير الخليفة علي بن طراد الزينبي والوكيل عن
السلطان وزيره الرازي ووثق السلطان حيث صار الخليفة وصدقة بن دبيس بما
صدقه وقصد به وحيث سار الراشد بالله من عنده زنكي الاتابك والله أعلم

﴿ذكر عزل بهرام عن وزارة الحافظ ووزارة رضوان﴾

وفي هذه السنة في جمادى الاولى هرب تاج الدولة بهرام وزير الحافظ لدين الله العلوي
صاحب مصر وكان قد استوزره بعد قتل ابنه حسن سنة تسع وعشرين وخمسمائة
وكان نصرانيا أرمنيا فتمكن في البلاد واستعمل الارمن وعزل المسلمين واساء السيرة
فيهم وأهانهم هو والارمن الذين ولاهم وطمعوا فيهم فلم يكن في اهل مصر من انف من
ذلك الا رضوان بن الريحيني فانه لما ساءه ذلك واقلقه جمع جمعا كثيرا وقصد القاهرة
فسمع به بهرام فهرب الى الصعيد من غير حرب ولا قتال وقصد مدينة اسوان فمنعه
واليها من الدخول اليها وقاتله فقتل السودان من الارمن كثيرا فلما لم يقدر على
الدخول الى اسوان أرسل الى الحافظ يطلب الامان فأمنه فعاد الى القاهرة فسجن
بالقصر فبقي مدة ثم ترهب وخرج من الحبس واما رضوان فانه وزر للحافظ ولقب
بالملك الافضل وهو أول وزير للمصريين لقب بالملك ثم فسد ما بينه وبين الحافظ
فعمل الحافظ في اخراجه فثار الناس عليه منتصف شوال في سنة ثلاث وثلاثين
وخمسمائة وهرب من داره وتركها بما فيها فنهب الناس منها ما لا يحد ولا يحصى وركب
الحافظ فسكن الناس ونقل ما بقي في دار رضوان الى قصره واما رضوان فسار
يريد الشام ليقصد الاتراك ويستنصرهم فأرسل اليه الحافظ الامير ابن مصال ليرده
بالامان والعهد انه لا يؤذيه فرجع الى القاهرة فحبسه الحافظ عنده في القصر وقيل
انه توجه الى الشام وهو الصحيح وقصد صرخد فوصل اليها في ذي القعدة ونزل على
صاحبها امين الدولة كمشتكين فأكرمه وعظمه واقام عنده ثم سار الى مصر سنة اربع
وثلاثين وخمسمائة ومعه عسكر فقاتل المصريين عند باب النصر وهزمهم وقتل منهم
جماعة كثيرة واقام ثلاثة أيام فتفرق عنه كثير ممن معه فعزم على العود الى الشام
فأرسل اليه الحافظ الامير ابن مصال فرده وحبسه عنده في القصر وجمع بينه وبين عياله
واهله فاقام في القصر الى سنة ثلاث واربعين فنقب الحبس وخرج منه وقد اعدت له
خيل فهرب عليها وعبر النيل الى الجيزة فحشد وجمع المغاربة وغيرهم وعاد الى القاهرة
فقاتل المصريين عند جامع ابن طولون وهزمهم ودخل القاهرة ونزل عند جامع الاقمر
فأرسل الى الحافظ يطلب منه مالا ليفرقه على عادتهم فانهم كانوا اذا وزر وزير ارسلوا
اليه عشرين الف دينار ليفرقها فأرسل الحافظ عشرين الف دينار ففرقها وكثر عليه
الناس وطلب زيادة فأرسل اليه عشرين الف دينار ففرقها فتفرق الناس وخفوا

وحدد بها ابراجا وحصونا ... وارسل وطلب البنائين والصناع فحضروا من كل ناحية وطالت غيبته هناك
ولاقامته لتتميم أغراضه وأمن
مشايخ عربان أولاد علي
المستولين على البحيرة وقبل
عليهم فلما حضروا اليه قبض
عليهم وقيدهم وطلب منهم أموالا
عظيمة ثم خلع عليهم وأطلقهم
وارسل العساكر فنهبت
نجوعهم وسبوا نساءهم وأولادهم
ومواشيهم وأموالا لا تعد الخ
فلما حضر بمصر قرر الفرض على البلاد
هو والكتبة حسب أوامر
عديدة وتنظموا كيفية أخرى
وهي أنهم جمعوا الميري والمضاف
والفائظ والرزق ايرادا أربع
سنوات وكتبوا بها مراسيم
بنصف المقرر ليقبض في دفعتين
وبعد أن تقرر النصف الاول
وتحصل منه ما تحصل وبقي
الباقي مع النصف الآخر
ويطلب من أربابه ولا بد
لا يسامح في شيء منه ومن
تكفل بما تقرر على حصته
والزم نفسه بدفعه وكتب على
نفسه وثيقة لاجل ما وطلب به
حتى قبل حلول الاجل
لاحتياج المهمات فتتوجه عليه
الحوالات بيد العساكر فيغرمون
بداره ويلازمونه ويضيقون
أنفاسه ويكلفونه ما لا يطيق
ولا يجد طلبا ولا خلاصا الا
بالدفع بأي وجه كان وانما يقول من
حصل بالفراغ الايراد ولا
يبقى بيده ما يتقوت به حصول الهم بجميع تغيير الانظار بشيء ان لم يكن له ايراد من جهة أخرى

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة رابع عشرين ذي الحجة ظهر بالشام سحاب اسود واظلمت له الدنيا وصار الجو كالليل المظلم ثم طلع بعد ذلك سحاب احمر كأنه النار اضاءت له الدنيا وهبت ريح عاصفة القت كثيرا من الشجر وكان اشد ذلك بحوران ودمشق وجاء بعده مطر شديد وبرد كبار وفيها عاد مؤيد الدين ابو الفوارس المسيب علي بن الحسين المعروف بابن الصوفي من صرخد الى دمشق وكان قد اخرج هو واهله من دمشق الى صرخد فبقوا فيها الى الآن وعاد وولي ابو الفوارس الرياسة بدمشق وحكم فيها حكما ماضيا وكان ذا رياسة عظيمة ومروءة ظاهرة وفيها كثرت الامراض ببغداد وكثر الموت خاصة باصفهان وهمذان وفيها سار اتابك زنكي الى دقوقا فحصرها وملكها بعد ان قاتل على قلعتها قتالا شديدا وفيها توفي ابو سعيد احمد بن محمد بن ثابت الخجندي رئيس الشافعية باصفهان وتفقه على والده ودرس بالنظامية باصفهان وتوفي ابو القاسم هبة الله بن احمد بن عمر الحريري ومولده يوم عاشوراء سنة خمس وثلاثين واربعمائة وهو آخر من روى عن ابي الحسن زوج الحرة وقد روى الخطيب ابو بكر بن ثابت عن زوج الحرة ايضا وكانت وفاة الخطيب سنة ثلاث وستين واربعمائة

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة﴾

﴿ذكر ملك اتابك زنكي حمص وغيرها من عمل دمشق﴾

وفي هذه السنة في المحرم وصل اتابك زنكي الى حماة وسار منها الى بقاع بعلبك فملك حصن المجدل وكان لصاحب دمشق وراسله مستحفظ بانياس واطاعه وهو ايضا لصاحب دمشق وسار الى حمص فحصرها وادام قتالها فلما نازل ملك الروم حلب رحل عنها الى سلمية فلما انجلت حادثة الروم على ما نذكره عاود منازلة حمص وارسل الى شهاب الدين صاحب دمشق يخطب اليه امه ليتزوجها واسمها زمرد خاتون ابنة جاولي وهي التي قتلت ابنها شمس الملوك وهي التي بنت المدرسة بظاهر دمشق المطلة على وادي شقرا ونهر بردى فتزوجها وتسلم حمص مع قلعتها وحملت الخاتون اليه في رمضان وانما حمله على التزوج بها ما رأى من تحكمها في دمشق فظن انه يملك البلد بالاتصال اليها فلما تزوجها خاب امله ولم يحصل على شيء فاعرض عنها

﴿ذكر وصول ملك الروم الى الشام وملكه بزاعة وما فعله بالمسلمين﴾

قد ذكرنا سنة احدى وثلاثين وخمسمائة خروج ملك الروم من بلاده وشغله بالفرنج وابن ليون فلما دخلت هذه السنة وصل الى الشام وخافه الناس خوفا عظيما وقصد بزاعة فحصرها وهي مدينة لطيفة على ستة فراسخ من حلب فمضى جماعة من اعيان حلب الى اتابك زنكي وهو يحاصر حمص فاستغاثوا به واستنصروه فسير معهم كثيرا من العساكر فدخلوا الى حلب ليحفظوها من الروم ان حصروها ثم ان ملك الروم قاتل بزاعة

الحمير والبغال والجمال وكل ما صادفوه من الدواب ومن وجدوه راكبا ولو من ... وجعلوا الناس انزلوه عن دابته وركبوها فانقبض الناس وانكمش غالبهم عن الركوب اصلا وهم واخفوا حميرهم وبغالهم واقام الباشا ثلاثة ايام جهة البر ثم ركب الى السويس (وفيه) وردت مراكب وداوات وفيها البن وذلك باستدعاء الباشا المأمون ناحية جدة واليمن لاجل حمل العساكر واللوازم والحمل صار البن قليلا

﴿واستهل شهر رجب سنة ١٢٢٦﴾

في ثاني عشرينه يوم الاثنين الموافق لسابع مسرى القبطي اوفى النيل اذرعه وكسر السد في صبحها يوم الثلاثاء بحضرة كتخدا بك والباشا غائب بالسويس

﴿واستهل شهر شعبان سنة ١٢٢٦﴾

في ثانيه سافر ديوان افندي بمن بقي من العساكر البحرية وفي يوم الثلاثاء تاسعه حضر الباشا من السويس وشرع في تشهيل العساكر البرية (وفي خامس عشره) خرج الباشا الى العادلية واجتهد في تشهيل سفر العساكر البرية اجتهادا كبيرا وجمع من اهل كل حرفة طائفة وكذلك من اهل كل صنعة والذي يعجز عن السفر يخرج عوضه بدلا وتعين من الفقهاء للسفر الشيخ محمد المهدي من الشافعية ومن الحنفية السيد احمد الطحطاوي وشيخ حنبلي وصل من ناحية الشام وكانوا

ثم ان القسوس والرهبان دخلوا بلاد الروم وبلاد الفرنج وما والاها من بلاد النصرانية مستنجدين على المسلمين واعلموهم ان زنكي ان اخذ قلعة بعرين ومن فيها من الفرنج ملك جميع بلادهم في اسرع وقت لعدم الحامي عنها وان المسلمين ليس لهم همة الا قصد البيت المقدس فحينئذ اجتمعت النصرانية وساروا على الصعب والذلول وقصدوا الشام مع ملك الروم وكان منهم ما نذكره واما زنكي فانه جد في قتال الفرنج فصبروا وقلت عليهم الميرة والذخيرة فانهم كانوا غير مستعدين ولم يكونوا يعتقدون ان احدا يقدر عليهم بل كانوا يتوقعون ملك باقي البلاد بالشام فلما قلت الذخيرة اكلوا دوابهم واذعنوا بالتسليم ليؤمنهم ويتركهم يعودون الى بلادهم فلم يجبهم الى ذلك فلما سمع بقرب ملك الروم من الشام واجتماع من بقي من الفرنج اعطى لمن في الحصن الامان وقرر عليهم تسليم الحصن ومن المال خمسين الف دينار يحملونها اليه فاجابوه الى ذلك فخرجوا وسلموا اليه فلما فارقوه بلغهم اجتماع من اجتمع بسببهم فندموا على التسليم حيث لا ينفعهم الندم وكان لا يصلهم شيء من الاخبار البتة فلهذا سلموه وكان زنكي في مدة مقامه عليهم فتح المعرة وكفر طاب من الفرنج فكان اهلها واهل سائر الولايات التي بينها وبين حلب وحماة مع اهل بعرين في الخزي لان الحرب بينهم قائمة على ساق والنهب والقتل لا يزال بينهم فلما ملكها امن الناس وعمرت البلاد وعظم دخلها وكان فتحا مبينا ومن رآه علم صحة قولي ومن احسن الافعال ما عمله زنكي مع اهل المعرة فان الفرنج لما ملكوها كانوا قد اخذوا املاكهم فلما فتحها زنكي الآن حضر من بقي من اهلها ومعهم اعقاب من هلك وطلبوا املاكهم فطلب منهم كتبها فقالوا ان الفرنج اخذوا كل ما لنا والكتب التي للاملاك فيها فقال اطلبوا دفاتر حلب وكل من عليه خراج على ملك يسلم اليه ففعلوا ذلك واعاد على الناس املاكهم وهذا من احسن الافعال واعدلها

(ذكر خروج ملك الروم من بلاده الى الشام)

قد تقدم ان الفرنج ارسلوا الى ملك القسطنطينية يستصرخون به ويعرفونه ما فعله زنكي فيهم ويحرضونه على لحاق البلاد قبل ان تملك ولا ينفعه حينئذ المجيء فتجهز وسار مجدا فابتدأ وركب البحر وسار الى مدينة انطاكية وهي له على ساحل البحر فارسى فيها واقام ينتظر وصول المراكب التي فيها اثقاله وسلاحه فلما وصلت سار عنها الى مدينة نيقية فحصرها وان اهلها صالحوه على مال يؤدونه اليه وقيل بل ملكها وسار عنها الى مدينة اذنة ومدينة المصيصة وهما بيد ابن ليون الارمني صاحب قلاع الدروب فحصرهما وملكهما ورحل الى عين زربة فحصرها وملكها عنوة وملك تل حمدون وحمل اهله الى جزيرة قبرس وعبر منها الى الاسكندرية وخرج الى الشام فحصر مدينة انطاكية في ذي القعدة وضيق على اهلها وبها صاحبها الفرنجي ريمند فترددت الرسل بينهم واصطلحوا ورحل عنها الى بغراس ودخل منها الى بلد ابن ليون الارمني فبذل له ابن ليون اموالا كثيرة ودخل في طاعته واقاطع

يقع بعضه الا عليهم امام وخلف وبداخل الازقة والعطف ولكن بخلاف الذين اقرهم وابقاهم في الاسكندرية

ومن هو بالجهات والاقاليم القبلية والبحرية وما يعلم جنودها الا هو (وفيه) اهتم الباشا بتسهيل العرضى اهتماما زائدا وفرض على البلاد جمالا وابغالا

(واستهل شهر جمادى الاولى سنة ١٢٢٦)

فيه ورد قاصد من الديار الرومية وعلى يده بشارة بانه ولد للسلطان مولودة انثى فعملوا لها شنكا وهي مدافع تضرب من ابراج القلعة في الاوقات الخمسة ثلاثة ايام (وفيه) فرضوا فرضة بمال على مياسير الناس واهل الحرف بغلة وبغلتين وثلاثة والذي لم يكن عنده بغلة الزم بالشراء او انه يدفع عنها كيسا عشرون الف فضة (وفيه) انقطع الوارد من الديار الحجازية وغلا سعر البن حتى وصل الى مائتين وسبعين نصف فضة كل رطل وقل وجوده من الاسواق والدكاكين فلا يوجد الا مع المشقة وصنع الناس القهوة من انواع الحبوب المحمصة كالشعير والقمح والفول وبزر العاقول وغيره خلطوها مع البن وبغير خلط

(واستهل شهر جمادى الثانية سنة ١٢٢٦)

في عاشره خرج الباشا الى البركة وطلب الجمال وقوافل العرب وشهول ما تقدم من العسكر المقدم الى السويس فاهتموا بالدخول والخروج من المدينة وطفقوا يخطفون (ذكر

الخطيب المنبر يصيح ويصيحون معه واسلاماه وادين محمداه ويشق ثيابه ويرمى عمامته من راسه ويخرج الى دار السلطان والناس معه يستغيثون كذلك ووضع انسانا آخر يفعل بجامع السلطان مثله فلما صعد الخطيب المنبر قام ذلك الرجل ولطم راسه والقى عمامته وشق ثوبه واولئك معه وصاحوا وابكى الناس وتركوا الصلاة ولعنوا السلطان وساروا من الجامع يتبعون الشيخ الى دار السلطان يستغيثون ويبكون فخاف السلطان فقال احضروا الى ابن الشهرزورى فاحضر فقال كمال الدين فقد خفت منه مما رايت فلما دخلت قال لى اى فتنة اثرت فقلت ما فعلت شيئا انما كنت فى بيتى وانما الناس يغارون للدين والاسلام ويخافون عاقبة هذا التوانى فقال اخرج الى الناس ففرقهم عنا واحضر غدا واختر من العسكر ما تريد فجئت ففرقت الناس وعرفتهم ما امر به من تجهيز العساكر وحضرت الغد الى الديوان فجهزوا الى طائفة عظيمة من الجيش فارسلت الى نصير الدين بالموصل اعرفه ذلك واحذره من العسكر ان يطرقوا البلاد فيملكوها ويسكنوها فعاد الجواب يقول البلاد لا شك مأخوذة فلأن يأخذها المسلمون خير من أن يأخذها الكافرون فشرعنا فى التحميل واذا قد وصلنى كتاب اتابك زنكى من الشام يخبر برحيل ملك الروم ويامر فى ان لا استصحب من العسكر احدا فعرفت السلطان ذلك فقال العسكر قد تجهزت ولا بد من الغزاة الى الشام فاعمل الجهد وبذل الحزم له ولاصحابه حتى عاد العسكر ولما عاد ملك الروم عن شيزر مدح الشعراء اتابك زنكى واكثروا فمن ذلك ما قاله المسلم بن الخضر بن قسيم الحموى من جملة قصيدة اولها

بعزمك ايها الملك العظيم • تذل لك الصعاب وتستقيم

ومن جملتها عدة الابيات

الم تر ان كلب الروم لما • تبين انه الملك الرحيم

فجاء يطبق الفلوات خيلا • كأن الجحفل الليل البهيم

وقد نزل الزمان على رضاه • ودان لخطبه الخطب العظيم

فحين رميته بك فى خميس • تيقن ان ذلك لا يدوم

وابصر فى المفاضة منك جيشا • فاحرب لا يسير ولا يقيم

كأنك فى العجاج شهاب نور • توقد وهو شيطان رجيم

اراد بقاء مهجته فولى • وليس سوى الحمام له حميم

وهى قصيدة طويلة ومن عجيب ما يحكى ان ملك الروم لما عزم على حصر شيزر سمع من بها ذلك فقال الامير مرشد بن على صاحبها وهو ينسخ مصحفا اللهم بحق من انزلته عليه ان قضيت بمجىء ملك الروم فاقبضنى اليك فتوفى بعد ايام

(ذكر الحرب بين السلطان مسعود والملك داود ومن معهما من الامراء)

لما فارق الراشد بالله اتابك زنكى من الموصل سار نحو اذربيجان فوصل مراغة وكان الامير منكبرس صاحب فارس ونائبه بخوزستان الامير بوزابة والامير عبد الرحمن

لا يفعل شيئا من الاشياء الا بمشورته واطلاعه ولا ينفذ امرا من الامور الا بعد مراجعته (وفيه) وردت الاخبار بان العساكر المصرية ملكوا ينبع البحر ونهبوا ما كان فيه من ودائع التجار وذكر انه كان بمرساة الينبع عدة مراكب ودوات والشريف غالب امير مكة يكاتب الباشا ويراسله ويظهر له النصح والصداقة وخلوص المودة والباشا ايضا يراسله ويكاتبه وارسل له السيد سلامة النجارى والسيد محمد الملا الترجمان المغربى بمراسلات وجوابات مرارا عديدة وكانا هما السفيرين بينهما وايضا الشريف فى كل كتابة مع كل رسول يعاهد الباشا ويعاقده ويواعده بنصر عساكره متى وصلت وينافق الطرفين الذى هو العثمانى والوهابى ويداهنهما اما الوهابى فلخوفه منه وعدم قدرته عليه فيظهر له الموافقة والامتثال وانه معه على العهود التى عاهده عليها من ترك الظلم واجتناب البدع ونحو ذلك ويميل باطنا للعثمانيين لكونه على طريقتهم ومذاهبهم وتعاقد مع الباشا انه متى وصلت عساكره قام بنصرتهم وساعدهم بكليته وجميع همته وارسل الى المراكب التى بمرساة الينبع بان ينقلوا ما فيها من مال التجار وغيره ويودعوه قلعة الينبع تحت يد وزيره وترك معه نحو الخمسمائة من عسكره واخذ المراكب وفرغها من بضائعهم وبهارهم وبونه وارسلها الى السويس لتباع

رجعوا باحضار السيد حسن كريت المالكي ٢٦ من رشيد والشيخ على خفاجي من دمياط فحضرا واعتذرا فاقاما ثم سافر ورجعا الى بلديهما

(وفى هذا الشهر ظهر نجم له ذنب فى جهة الشمال) بين بنات نعش الصغرى وبين مشار بنات نعش الكبرى وامه جهة المغرب وذنبه صاعد الى جهة المشرق وله شعاع مستطيل فى مقدار الرمح واستمر يظهر فى كل ليلة والناس ينظرون اليه ويتحدثون به ويسالون الفلكيين عنه ويبحثون عن دلالته وعن الاسم المصنفة فى ذوات الاذناب واستمر ظهوره قريبا من ثلاثة اشهر واضمحل بعض جرمه ومشى الى الناحية الجنوب وقرب من النسر الطائر

(واستهل شهر رمضان بيوم الاربعاء سنة ١٢٢٦)

وفى يوم الخميس تاسعه ارتحل العسكر من الحصوة ونزلوا ببركة الحج (وفى يوم الاحد ثانى عشره) ارتحلوا من البركة فكان مدة مكث العرضى من يوم خروج الموكب الى يوم ارتحالهم من البركة قريبا من ستة اشهر ونصف والناس فى امر مريج فى كل شئ (وفيه) خرج السيد محمد المحروقى ليسافر بصحبة الركب وخرج فى موكب جليل لانه هو المشار اليه فى

رياسة الركب ولوازمه واحتياجاته وامور العربان ومشايخها واوصى الباشا ولده طوسون باشا امير العسكر بان المخاطبيا

ونصب عليها المنجنيقات وضيق على من بها فملكها بالامان فى الخامس والعشرين من رجب ثم غدر باهلها فقتل منهم واسر وسبى وكان عدة من جرح فيها من اهلها خمسة آلاف وخمسمائة نفس وتنصر قاضيها وجماعة من اهلها نحو اربعمائة نفس واقام الروم بعد ملكها عشرة ايام يتطلبون من اختفى فقيل لهم ان جمعا كثيرا من اهل هذه الناحية قد نزلوا المغارات فدخنوا عليهم وهلكوا فى المغار ثم رحلوا الى حلب من الغد فى خيالهم ورجالهم فخرج اليهم احداث حلب فقاتلهم قتالا شديدا فقتل من الروم وجرح خلق كثير وقتل بطريق جليل القدر عندهم وعادوا خاسرين واقاموا ثلاثة ايام فلم يروا فيها طمعا فرحلوا الى قلعة الاثارب فخاف من فيها من المسلمين فهربوا عنها تاسع شعبان فملكها الروم وتركوا فيها سبايا بزاعة والاسرى ومعهم جمع من الروم يحفظونهم ويحمون القلعة وساروا فلما سمع الامير اسوار بحلب ذلك رحل فيمن عنده من العسكر الى الاثارب فاوقع بمن فيها من الروم فقتلهم وخلص الاسرى والسبي وعادوا الى حلب واما عماد الدين زنكي فانه فارق حمص وسار الى سلمية فنازلها وعبر ثقله الفرات الى الرقة واقام جريدة ليتبع الروم ويقطع عنهم الميرة واما الروم فانهم قصدوا قلعة شيزر فانها من امنع الحصون وانما حصروها لانها لم تكن لزنكي فلا يكون له فى حفظها اهتمام وانما كانت للامير ابى العساكر سلطان بن على بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني فنازلوها وحصروها ونصبوا عليها ثمانية عشر منجنيقا فارسل صاحبها الى زنكي يستنجده فسار اليه فنزل على نهر العاصي بالقرب منها بينها وبين حماة وكان يركب كل يوم ويسير الى شيزر هو وعساكره ويقفون بحيث يراهم الروم ويرسل السرايا فتاخذ من ظفرت به منهم ثم انه ارسل الى ملك الروم يقول له انكم قد تحصنتم منى بهذه الجبال فانزلوا منها الى الصحرا حتى نلتقى فان ظفرت بكم ارحت المسلمين منكم وان ظفرتم استرحتم واخذتم شيزر وغيرها ولم يكن له بهم قوة وانما كان يرهبهم بهذا القول واشباهه فاشار فرنج الشام على ملك الروم بمصافته وهونوا امره عليه فلم يفعل وقال اتظنون ان ليس له من العسكر الا ما ترون انما هو يريد ان تلقوه ويجيئه من نجدات المسلمين ما لا حد له وكان زنكي يرسل ايضا الى ملك الروم يوهمه بان فرنج الشام خائفون منه فلو فارق مكانه تخلفوا عنه ويرسل الى فرنج الشام يخوفهم من ملك الروم ويقول لهم ان ملك بالشام حصنا واحدا ملك بلادكم جميعا فاستشعر كل من صاحبه فرحل ملك الروم عنها فى رمضان وكان مقامه عليها اربعة وعشرين يوما وترك المجانيق وآلات الحصار فسار اتابك زنكي يتبع ساقة العسكر فظفر بكثير ممن تخلف منهم واخذ جميع ما تركوه ولما كان الفرنج على بزاعة ارسل زنكي القاضي كمال الدين ابا الفضل محمد بن عبد الله ابن القاسم الشهرزورى الى السلطان مسعود يستنجده ويطلب العساكر فمضى الى بغداد وانهى الحال الى السلطان وعرفه عاقبة الاهمال وانه ليس بينه وبين الروم الا ان يملكوا حلب وينحدروا مع الفرات الى بغداد فلم يجد عنده حركة فوضع انسانا من اصحابه يوم جمعة فمضى الى جامع القصر ومعه جماعة من رنود العجم وامرهم ان يثوروا اذا طلع

في بيت النوبة يوما واحدا وكان أبيض أشقر حسن اللون مليح الصورة مهيبا شديد القوة والبطش قال أبو بكر الصولي الناس يقولون ان كل سادس يقوم بأمر الناس من أول الاسلام لا بد من أن يخلع وربما قتل قال فتأملت ذلك فرأيته كما قيل فان أول من قام بأمر هذه الامة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن رضي الله عنهم فخلع ثم معاوية ويزيد ابنه ومعاوية بن يزيد ومروان وعبد الملك بن مروان وعبد الله بن الزبير فخلع ثم عبد الملك وأخوه سليمان وعمر بن عبد العزيز ويزيد وهشام ابنا عبد الملك والوليد بن يزيد بن عبد الملك فخلع وقتل ثم لم ينتظم امر بني أمية ثم ولي السفاح والمنصور والمهدي والهادي والرشيد والامين فخلع وقتل والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين فخلع وقتل والمعتز والمهتدي والمعتمد والمعتضد والمكتفي والمقتدر فخلع ثم رد ثم قتل ثم القاهر والراضي والمتقي والمستكفي والمطيع والطائع فخلع ثم القادر والقائم والمقتدي والمستظهر والمسترشد والراشد فخلع وقتل قلت وفي هذا نظر لان البيعة لابن الزبير كانت قبل البيعة لعبد الملك ابن مروان وكونه جعله بعده لا وجه له والصولي انما ذكر الى أيام المطيع فهو من بعده ذكره غيره

(ذكر حال ابن بكران العيار)

في هذه السنة في ذي الحجة عظم امر ابن بكران العيار ببغداد والعراق وكثرت اتباعه وصار يركب ظاهرا في جمع من المفسدين وخافه الشريف أبو الكرم الوالي ببغداد فأمر أبا القاسم ابن أخيه حامي باب الازج أن يشتد عليه وهو يلبس سراويل فتوة عمه ليأمن شره وكان ابن بكران يكثر المقام بالسواد ومعه رفيق له يعرف بابن البزاز فانتهى أمرهما الى انهما أرادا أن يضربا باسمهما سكة في الانبار فأرسل الشحنة والوزير شرف الدين الزينبي الى الوالي أبي الكرم وقالا اما ان تقتل ابن بكران واما ان نقتلك فأحضر ابن أخيه وعرفه ما جرى وقال له اما ان تختارني ونفسك واما ان تختار ابن بكران فقال انا أقتله وكان لابن بكران عادة يجيء في بعض الليالي الى ابن أخي أبي الكرم فيقيم في داره ويشرب عنده فلما جاء على عادته وشرب اخذ أبو القاسم سلاحه ووثب به فقتله وأراح الناس من شره ثم أخذ بعده بمدة يسيرة رفيقه ابن البزاز وصلب وقتل معه جماعة من الحرامية فسكن الناس واطمأنوا وهدأت الفتنة

(ذكر قتل الوزير الدركزيني ووزارة الخازن)

في هذه السنة قبض السلطان مسعود على وزيره العماد أبي البركات بن سلمة الدركزيني واستوزر بعده كمال الدين محمد بن الحسين الخازن وكان الكمال شهما شجاعا عادلا نافذ الحكم حسن السيرة أزال المكوس ورفع المظالم وكان يقيم مؤنة السلطان ووظائفه وجمع له خزائن كثيرة وكشف أشياء كثيرة كانت مستورة يخان فيها ويسرق فثقل على المتصرفين وأرباب الاعمال فأوقعوا بينه وبين الامراء لاسيما قراسنقر صاحب

وكان يعتقد ان يكون يوم السبت لان الهلال ايلان مرئي ورود الرسالة الجمعة وليلة السبت الا ان الشادرفي الناس وكان قوسه ليلة السبت عشر درجات (وفي سادس عشره) وصلت هجانة ومكاتبات من عساكر البر يخبرون بوصولهم الى ينبع البحر في اليوم السابع من الشهر وكان العيد عندهم بعقبة شعيب يوم السبت (وفيه) خرجت تجريدة لقتال قرا قبلي لمحاربة من بقي من الامراء المصريين بناحية ابريم

(واستهل شهر ذي القعدة يوم الاحد سنة ١٢٢٦)

فيه وصلت هجانة مغاربة في عدة مراكب على ظهر البحر وتلف منهم نحو ثلاثة مراكب وحضر بعدهم بايام الركب الطرابلسي ونزل بساحل بولاق (وفي سادسه) حضر ايضا الركب الفاسي وفيهم ابن سلطان الغرب مولاي ابراهيم ابن مولاي سليمان فاعتنى الباشا بشأنه وارسل كتخدا بك لملاقاته وقدم له تقادم واعدوا له منزلا على كشف بالقرب من بيت المحروقي لينزل فيه وقيد بخدمته الرئيس حسن المحروقي وصحبه واشيع انه وكان عمامه قطعا ... طلع الى القلعة وقابل الباشا ونزل الى المنزل الذي اعد له وامامه قواسة اتراك وطراديون واشخاص اتراك يضربون على طبلات وامامه جميع المغاربة يتعاطون يأمرون الناس الجالسين بالحوانيت بالقيام له على أقدامهم فاقام ...

طغايرك خلخال والملك داود ابن السلطان محمود متنصرين من السلطان مسعود خائفين منه فتجمعوا ووافقوا الراشد على الاجتماع لتكون ايديهم واحدة ويردوه الى الخلافة فاجابهم الى ذلك الا انه لم يجتمع معهم ووصل الخبر الى السلطان مسعود وهو ببغداد باجتماعهم فسار عنها في شعبان نحوهم فالتقوا ببنجن كشت فاقتتلوا فهزمهم السلطان مسعود واخذ الامير منكبرس اسيرا فقتل بين يديه صبرا وتفرق عسكر مسعود في النهب واتباع المنهزمين وكان بوزابه وعبد الرحمن بن طغايرك على تل من الارض فرأيا السلطان مسعود وقد تفرق عسكره عنه فحملا عليه وهو في قلة فلم يثبت لهما وانهزم وقبض بوزابه على جماعة من الامراء منهم صدقة بن دبيس صاحب الحلة ومنهم ولد اتابك قراسنقر صاحب اذربيجان وعنتر بن ابى العسكر وغيرهم وتركهم عنده فلما بلغه قتل صاحبه منكبرس قتلهم اجمعين وصار العسكران منهزمين وكان هذا من اعجب الاتفاق وقصد السلطان مسعود اذربيجان وقصد الملك داود همذان ووصل الراشد بعد الوقعة فاختلفت آراء الجماعة فبعضهم اشار بقصد العراق والتغلب عليه وبعضهم اشار باتباع السلطان مسعود للفراغ منه فان ما بعده يهون عليهم وكان بوزابه اكبر الجماعة فلم ير ذلك وكان غرضه المسير الى بلاد فارس واخذها بعد قتل صاحبها منكبرس قبل ان يمتنع من بها عليه فبطل عليهم ما كانوا فيه وسار الى فارس فملكها وصارت له مع خوزستان وسار سلجوق شاه ابن السلطان محمد الى بغداد ليملكها فخرج اليه البقش الشحنة بها ونظر الخادم امير الحاج وقاتلوه وكان عاجزا مستضعفا ولما قتل صدقة بن دبيس اقر السلطان مسعود الحلة على اخيه محمد ابن دبيس وجعل معه مهلهل بن ابى العسكر اخا عنتر المقتول يدبره ولما كان البقش شحنة بغداد يقاتل سلجوق شاه ثار العيارون ببغداد ونهبوا الاموال وقتلوا الرجال وزاد امرهم حتى كانوا يقصدون ارباب الاموال ظاهرا ويأخذون منهم ما يريدون ويحملون الامتعة على رؤوس الحمالين فلما عاد الشحنة قتل منهم وصلب وغرق الاشرار وكثر الظلم منه واخذ المستورين بحجة العيارين فجلا الناس عن بغداد الى الموصل وغيرها من البلاد

(ذكر قتل الراشد بالله)

لما وصل الراشد بالله الى همذان وبها الملك داود وبوزابه ومن معهما من الامراء والعساكر على ما تقدم ذكره ثم سار الى خوزستان مع الملك داود ومعهما خوارزم شاه فقاربا الحويزة فسار السلطان مسعود ليمنعهم عن العراق فعاد الملك داود الى فارس وعاد خوارزم شاه الى بلاده وبقي الراشد وحده فلما أيس من عود العساكر اليه سار الى اصفهان فلما كان الخامس والعشرون من رمضان وثب عليه نفر من الخراسانية الذين كانوا في خدمته فقتلوه وهو يريد القيلولة وكان في اعقاب مرض برئ منه ودفن بظاهر اصفهان بشهرستان فركب من معه فقتلوا الباطنية ولما وصل الخبر الى بغداد جلسوا للعزاء به

بعضهم ثم توسقوا ومات العساكر البحرية فلما وصلت مراكب العساكر الى الجسر بقرب القصر رامية الى البلد الينبع

احتاجوا الى الماء فنزل بعضهم بالماء فطلع طائفة من العسكر الى البرج لطلب شئ من الماء فمنعهم من عند هارابط فقاتلوهم وطردوهم ومنعوهم من الماء وفي حال رجوعهم رموا عليهم من القلعة المدافع والرصاص والحال ان الامر بينهم على القرب من فعند ذلك اشتدت العساكر وهاربة من بالقلعة واستاموا ابراجها وضربوا عليها القنابر والمدافع وركبوا على سورها سلالم وصعدوا عليها وتسلقوا على سور القلعة من غير مبالاة بالرصاص النازل عليهم من الكائنين بالقلعة فملكوا القلعة عنوة وقتلوا من كان بها ولم ينج منهم الا الوزير ومقدار خمسة انفار خرجوا هاربين على الخيول ونهبوا كل ما كان بالينبع من الودائع والاموال والامتعة والبن وسبوا النساء والبنات الكائنات بالينبع واخذوهن اسرى ويبيعوهن على بعضهم البعض ووصل المبشرون بذلك في عشرين منه فضربوا لذلك مدافع من القلعة كثيرة وعملوا شنكا وطافت المبشرون على بيوت الاعيان ليأخذوا منهم البقاشيش وارسلوا بتلك البشارة مخصوصا معينا كبيرا الى اسلامبول يبشرون أهل الدولة وسلطان الاسلام وكان ذلك أول فتح حصل

(واستهل شهر شوال بيوم الجمعة سنة ١٢٢٦)

وار بعمائة وكان فقيها محدثا سمع الحديث بكرخ واصفهان وهمذان وغيرها وفي شعبان منها توفي القاضي ابو العلاء صاعد بن الحسين بن اسمعيل بن صاعد وهو ابن عم القاضي ابي سعيد وولي القضاء بنيسابور بعد ابي سعيد

(ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة)

(ذكر الحرب بين السلطان سنجر وخوارزم شاه)

في هذه السنة في المحرم سار السلطان سنجر الى خوارزم شاه وهو ابن ملكشاه محاربا لخوارزم شاه اتسز بن محمد وسبب ذلك ان سنجر بلغه ان اتسز يحدث نفسه بالامتناع عليه وترك الخدمة له وان هذا الامر قد ظهر على كثير من اصحابه وامرائه فاوجب ذلك قصده واخذ خوارزم منه فجمع عساكره وتوجه نحوه فلما قرب من خوارزم شاه في عساكره خرج خوارزم شاه اليه في عساكره فالتقيا مصافا الا وصى كل واحد منهما عساكره واصحابه فاقتتلوا فلم يكن للخوارزمية قوة بالسلطان فلم يثبتوا وولوا منهزمين وقتل منهم خلق كثير ومن جملة القتلى ولد خوارزم شاه فحزن عليه ابوه حزنا عظيما ووجد عليه وجدا شديدا وملك سنجر خوارزم واقطعها غياث الدين سليمان شاه ولد اخيه محمد ورتب له وزيرا واتابكا وحاجبا وقرر قواعده وعاد الى مرو في جمادى الآخرة من هذه السنة فلما فارق خوارزم عاد اليها خوارزم شاه الفرصة فرجع اليها وكان اهلها يكرهون العسكر السنجري ويؤثرون عودة خوارزم شاه فلما عاد اعانوه على ملك البلد وفارقها سليمان شاه واختلفا بعد الاتفاق ففعل خوارزم شاه في خراسان سنة ست وثلاثين وخمسمائة ما نذكره ان شاء الله

(ذكر قتل محمود صاحب دمشق وملك اخيه محمد)

في هذه السنة في شوال قتل شهاب الدين محمود بن تاج الملوك بوري بن طغدكين صاحب دمشق على فراشه غيلة قتله ثلاثة من غلمانه هم خواصه واقرب الناس اليه في خلوته وجلوته وكانوا ينامون عنده فقتلوه وخرجوا من القلعة وهرب احدهم واخذ الآخران فصلبا وكتب معين الدين انز من دمشق الى اخيه جمال الدين محمد بن بوري صاحب بعلبك وهو بها بصورة الحال واستدعاه ليملك بعد اخيه فحضر في اسرع وقت فلما دخل البلد جلس للعزاء باخيه وحلف له الجند واعيان الرعية وسكن الناس وفوض امر دولته الى معين الدين انز مملوك جده وزاد في علو مرتبته وصار هو الجملة والتفصيل واقطعه بعلبك وتزوج بامه وكان انز خيرا عاقلا حسن السيرة فجرت الامور عنده على احسن نظام

(ذكر ملك زنكي بعلبك)

في هذه السنة في ذي القعدة سار عماد الدين اتابك زنكي بن آقسنقر الى بعلبك فحصرها ثم ملكها وسبب ذلك ان محمودا صاحب دمشق لما قتل كانت والدته زمرد خاتون عنده

من غفلة فخرج اليهم شديد شيخ الحرب لات ومعه الواقفون ولاة وعساكر فوافاهم ٢ قبل شروق الشمس ووقع بينهم القتال والوهابية يقولون هاه يا مشركون وانجلت الحرب عن هزيمة الوهابية وغنموا منهم نحو سبعين هجينا من الهجين الجياد محملة ادوات وكانت الحرب بينهم مقدار ساعتين هذا ملخص ما ذكره وفي الاجوبة التي حضرت (وفي يوم الجمعة خامس عشرينه) وصلت قافلة من السويس وحضر فيها احاويش باشا وصحبتهم مكاتبات وحضر ايضا السيد احمد الطهطاوي والشيخ الحنبلي واخبروا ان العرضي اوقفل من ينبع البحر في سابع عشر ذي القعدة ووصلوا الى منزلة الصفراء والجديدة ونصبوا عرضيهم وخيامهم ووطاقاتهم بالقرب من الجبال فوجدوا هنالك متاريس واحجارا فقاربوا على اول متراس حتى اخذوه ثم اخذوا متراسا آخر وصعدت العساكر الى تلال الجبال فيها لهم كثرة الجيش وسارت الخيالة في مضيق الجبال هذا والحرب قائمة في اعلى الجبال يوما وليلة الى بعد الظهر من يوم الاربعاء ثالث عشري القعدة فما يشعر الخلائق الا والعساكر الذين في الاعالي هابطون منهزمون طالبين الفرار وولوا الادبار وطلبوا جميعا الفرار وتركوا خيامهم واحمالهم واثقالهم وطفقوا ينهبون ويخطفون ما خف عليهم من امتعة رؤسائهم فكان القوي منهم ياخذ

ازربيجان فانه فارق السلطان وارسل يقول اما ان تنفذ الى الوزير والا خدمنا سلطانا آخر فشاور من حضر من الامراء بقتله وحذروه فتنة لا تتلافى فقتله على كره منه وارسل رأسه الى قراسنقر فرضي وكانت وزارته سبعة اشهر وكان قتله سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة ووزر بعده ابو العز طاهر بن محمد البروجردي وزير قراسنقر ولقب عز الملك وضاقت الامور على السلطان مسعود واستقطع الامراء البلاد بغير اختياره ولم يبق له شيء من البلاد البتة الا اسم السلطنة لا غير

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة ملك حسام الدين تمرتاش ابن ايلغازي صاحب ماردين قلعة الهتاخ من بلاد ديار بكر اخذها من بعض بني مروان الذين كانوا ملوك ديار بكر جميعها وهذا آخر من بقي فسبحان الحي الدائم الذي لا يزول ملكه ولا يتطرق اليه النقص ولا التغيير وفيها انقطعت كسوة الكعبة لما ذكرناه من الاختلاف فقام بكسوتها رامشت التاجر الفارسي كساها من الثياب الفاخرة بكل ما وجد اليه سبيل فبلغت الكسوة ثمانية عشر الف دينار مصرية وهو من التجار المسافرين الى الهند كثير المال وفيها توفيت زبيدة خاتون ابنة السلطان بركيارق زوج السلطان مسعود وتزوج بعدها سفري ابنة دبيس بن صدقة في جمادى الاولى وتزوج ابنة قاورت وهو من البيت السلجقي الا انه كان لا يزال يعاقر الخمر ليلا ونهارا فاهملها فسقط امره وفيها قتل السلطان مسعود ابن البقش السلاحي شحنة بغداد وكان قد ظلم الناس وعسفهم وفعل ما لم يفعله غيره من الظلم فقبض عليه وسيره الى تكريت فحبس بها عند مجاهد الدين بهروز ثم امر بقتله فلما ارادوا قتله القى بنفسه في دجلة فغرق فاخذ رأسه وحمل الى السلطان وجعل السلطان شحنة العراق مجاهد الدين بهروز فعمل اعمالا صالحة منها انه عمل مسناة النهروان واسباها وكان حسن السيرة كثير الاحسان وفيها ادرس الشيخ ابو منصور بن الرزاز بالنظامية ببغداد وفيها ارسل الخليفة الى اتابك زنكي في اطلاق قاضي القضاة الزينبي فاطلق وانحدر الى بغداد فخلع عليه الخليفة واقره على منصبه وفيها كان بخراسان غلاء شديد عدمت الاقوات فيه وعظم امره حتى اكل الناس الكلاب والسنانير وغيرهما من الدواب وتفرق اكثر اهل البلاد من الجوع وفيها توفي سقمان بن ارسلان صاحب بدليس وارزن من ديار بكر وولي بعده ابنه فرخي واستقام له الامر وفيها في شهر صفر جاءت زلزلة عظيمة بالشام والجزيرة وديار بكر والموصل والعراق وغيرها من البلاد فخربت كثيرا منها وهلك تحت الهدم عالم كثير وفيها توفي احمد بن محمد بن ابي بكر بن ابي الفتح الدينوري الفقيه الحنبلي ببغداد وكان ينشد كثيرا هذه الابيات

تمنيت ان تمسي فقيها مناظرا ... بغير عناء والجنون فنون
وليس اكتساب المال دون مشقة ... تلقيتها فالعلم كيف يكون

وفيها توفي محمد بن عبد الله بن عمر ابو الحسن الكرخي ومولده سنة ثمان وخمسين

ايام حتى تقضى اشغاله وفي ثالث المدة تفقد والبيع ... وتزوج رسل الباشا وارسل له هدية ذخيرة من كل صنف عسكر وعسل وسمن ودقيق وقمباط واشياء اخر وبارود واعطى له الف بندقية لضرب الرصاص وبرز في عاشره وسافر في ثاني عشره (وفي يوم الخميس ثامن عشره) وصلت هجانة على ايديهم مكاتبات خطابا الى الباشا وغيره وفيهم الخبر بان العسكر البري اجتمع مع العسكر البحري واخذوا ينبع البحر بغير حرب وان العربان اتت اليهم افواجا وقابلوا طوسون باشا وكساهم وخلع عليهم ثم انقطعت الاخبار

(واستهل شهر ذي الحجة سنة ١٢٢٦)

في منتصفه وصلت هجانة ومعهم رؤس قتلى ومكاتبات مؤرخة في منتصف شهر القعدة مضمونها انهم وصلوا الى ينبع البر في حادي عشر بن شوال واجتمع هناك العسكران البري والبحري وانهم ملكوا قرية ابن جبارة من الوهابية وتسمى قرية السويق وقراين جبارة بها وحضرت عربان كثيرة وقابلوا ابن الباشا وانهم مقيمون وقت تاريخه في منزلة الينبع منتظرين وصول الذخيرة وعاق المراكب ريح الشتاء المخالف وانه ورد عليهم خبر ليلة اربعة عشر شهره بان جماعة من كبار الوهابية حضروا بقوة آلاف خيال وفيهم عبد الله بن مسعود وعثمان المضايفي ومعهم مشاة وصفوا بايديهم والعرضي على دار بعمالة

المقامات الحريرية وكان رجلا عاقلا شهما دينا خيرا وزر للخليفة المسترشد وللسلطان محمود وللسلطان مسعود وكان يستقيل من الوزارة فيجاب الى ذلك ثم يخطب اليها فيجيب كارها وفيها قدم السلطان مسعود بغداد في ربيع الاول وكان الزمان شتاء وصار يشتي بالعراق ويصيف بالجبال ولما قدمها أزال المكوس وكتب الالواح بازالتها ووضعت على أبواب الجوامع والاسواق وتقدم ان لا ينزل جندي في دار عامي من اهل بغداد الا باذن فكثر الدعاء له والثناء عليه وكان السبب في ذلك الكمال الخازن وزير السلطان وفيها في صفر كانت زلازل كثيرة هائلة بالشام والجزيرة وكثير من البلاد وكان اشدها بالشام وكانت متوالية عدة ليال كل ليلة عدة دفعات فخرب كثير من البلاد ولا سيما حلب فان أهلها لما كثرت عليهم فارقوا البلاد والبيوت وخرجوا الى الصحراء وعدوا في ليلة واحدة جاءتهم ثمانين مرة ولم تزل بالشام تتعاهدهم من رابع صفر الى تاسع عشره وكان معها صوت وهزة شديدة وفيها أغار الفرنج على اعمال بانياس فسار عسكر دمشق في اثرهم فلم يدركوهم فعادوا وفيها توفي أبو القاسم طاهر بن طاهر الشحامي النيسابوري بها ومولده سنة ست واربعين واربعمائة وكان اماما في الحديث مكثرا عالي الاسناد وتوفي عبد الله بن احمد بن عبد القاهر بن محمد بن يوسف أبو القاسم بن ابي الحسين البغدادي بها ومولده سنة اثنتين وخمسين واربعمائة وعبد العزيز بن عثمان بن ابراهيم بن محمد الاسدي البخاري كان قاضي بخارا وكان من الفقهاء أولاد الائمة حسن السيرة وتوفي محمد بن شجاع بن أبي بكر بن علي بن ابراهيم اللفتواني الاصفهاني باصفهان في جمادى الآخرة ومولده سنة ست وتسعين واربعمائة وسمع الحديث الكثير باصفهان وبغداد وغيرهما

(ثم دخلت سنة اربع وثلاثين وخمسمائة)

(ذكر حصار اتابك زنكي دمشق)

في هذه السنة حصر أتابك زنكي دمشق مرتين فاما المرة الاولى فانه سار اليها في ربيع الاول من بعلبك بعد الفراغ من أمرها وتقرير قواعدها واصلاح ما تشعث منها بالحصر فنزل بالبقاع وأرسل الى جمال الدين محمد صاحبها يبذل له بلدا يقترحه ليسلم اليه دمشق فلم يجبه الى ذلك فرحل وقصد دمشق فنزل على داريا ثالث عشر ربيع الاول فالتقت الطلائع واقتتلوا وكان الظفر لعسكر زنكي وعاد الدمشقيون منهزمين فقتل كثير منهم ثم تقدم زنكي الى المصلى فنزل هناك ولقيه جمع كثير من جند دمشق واحداثها ورجالة الغوطة فقاتلوه فانهزم الدمشقيون واخذهم السيف فقتل فيهم وأكثر وأسر كذلك ومن سلم عاد جريحا وأشرف البلد ذلك اليوم على ان يؤخذ لكن عاد زنكي وامسك عنهم عدة أيام وتابع الرسل الى صاحب دمشق وبذل له بعلبك وحمص وغيرهما مما يختاره من البلاد فمال الى ان يسلم وامتنع غيره من اصحابه من ذلك

والخشكنانكات والمربيات وانواع الشرابات فوقعوا عليها أكلا ونهبا ولما تحققوا ان العرب لم تتبعهم ولم تأت في أثرهم أقاموا على ذلك يومين حتى استوفوا أغراضهم وشبعت بطونهم وارتاحت أبدانهم ثم لحقوا باخوانهم فكانوا هم اثبت القوم واعقلهم ولو كان على غير قصد منهم فكان مدة اقامة العسكر والعرضي بينبع البحر اربعة وعشرين يوما واما الخيالة فانهم اجتمعوا وساروا راجعين الى المويلح وقد أجهدهم التعب وعدم الذخيرة والعليق حتى حكوا انهم كانوا قبل الواقعة يعلقون على الجمل بنصف قدح فول مسوس وكانت علائقهم في كل يوم اربعمائة وخمسين اردبا واما المحروقي فان كبار العسكر قامت عليه واسمعوه الكلام القبيح وكادوا يقتلونه فنزل في سفينة وخلص منهم وحضر من ناحية القصير وحضر الكثير من اتباعه وخدمه متفرقين الى مصر فاما الذين ذهبوا الى المويلح فهم ثامر كاشف وحسين بك تابع الباشا وآخرون فاقاموا هنالك في انتظار اذن الباشا في رجوعهم الى مصر او عدم رجوعهم واما صالح آغا قوج فانه عندما نزل السفينة كر راجعا الى القصير واستقل برأيه لانه يرى في نفسه العظمة وانه الاحق بالرياسة ويسفه رأى المحروقي وطوسون باشا ويقول هؤلاء الصغار كيف يصطلون لتدبير الحروب ويصرح بمثل هذا الكلام وازيد منه وكان هو

أتابك زنكي بحلب قد تزوج بها وحدث القتل ولما جاء بعد اشد بدأ وخرجت عليه وارسلت الى زنكي وهو بديار بكر تعرفه الحادثة وتطلب منه ان يقصد دمشق ويطلب بثار ولدها فلما وقف على هذه الرسالة بادر في الحال من غير توقف ولا تريث وسار مجدا ليعبر دجلة الشط فسار الى ملك البلد وعبر الفرات عازما على قصد دمشق فاحتاط من بها واستعدوا واستكثروا من الذخائر ولم يتركوا شيئا مما يحتاجون اليه الا وبذلوا الجهد في تحصيله واقاموا ينتظرون وصوله اليهم فترك مسيره الى بعلبك وقيل كان السبب في ملكها انها كانت لمعين الدين انر كما ذكرناه وكان له جارية يهواها فلما تزوج ام جمال الدين سيرها الى بعلبك فلما سار زنكي الى الشام عازما على قصد دمشق سير الى انر يبذل له البذول الكثيرة ليسلم اليه دمشق فلم يفعل وسار اتابك الى بعلبك فوصل اليها في العشرين من ذي الحجة في السنة فنازلها في عساكره وضيق عليها وجد في محاربتها ونصب عليها من المنجنيقات اربعة عشر عددا ترمي ليلا ونهارا فاشرف من بها على الهلاك وطلبوا الامان وسلموا اليه المدينة وبقيت القلعة وبها جماعة من الشجعان شجعان الاتراك فقاتلهم فلما ايسوا من معين ونصير طلبوا الامان فامنهم وسلموا اليه القلعة فلما نزلوا منها وملكها غدر بهم وامر بصلبهم فصلبوا ولم ينج منهم الا القليل فاستقبح الناس ذلك من فعله واستعظموه وخافه غيرهم وحذروه لا سيما اهل دمشق فقالوا لو ملكنا لفعل بنا مثل فعله بهؤلاء فازدادوا نفورا وجدوا في محاربته ولما ملك زنكي بعلبك اخذ الجارية التي كانت لمعين الدين انر بها فتزوجها بحلب فلم تزل بها الى ان قتل فسيرها ابنه نور الدين محمود الى معين الدين انر وهي كانت اعظم الاسباب في المودة بين نور الدين وبين انر والله اعلم

(ذكر استيلاء قراسنقر على بلاد فارس وعوده عنها)

وفي هذه السنة جمع الاتابك قراسنقر صاحب اذربيجان عساكر كثيرة وسار طالبا بثار ابيه الذي قتله بوزابة في المصاف المتقدم ذكره فلما قاربه السلطان مسعود ارسل اليه يطلب منه قتل وزيره الكمال فقتله كما ذكرناه فلما قتل سار قراسنقر الى بلاد فارس فلما قاربها تحصن بوزابة منه في القلعة البيضاء ووطئ قراسنقر البلاد وتصرف فيها وليس له دافع ولا مانع الا انه لم يمكنه المقام وملك المدن التي في فارس فسلم البلاد الى الملك سلجوق شاه ابن السلطان محمود وقال له هذه البلاد لك فاملك الباقي وعاد الى اذربيجان فنزل حينئذ بوزابة من القلعة [illegible] وهزم سلجوق شاه وملك البلاد واسر سلجوق شاه وحبس في قلعة بفارس

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في صفر توفي الوزير شرف الدين انوشروان بن خالد معزولا ببغداد وحضر جنازته وزير الخليفة فمن دونه ودفن في داره ثم نقل الى الكوفة فدفن في مشهد امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام وكان فيه تشيع وهو كان السبب في عمل

مناخ رفيقه الضعيف وما خف ذاته ويركبها وربما [illegible] واخذ دابته وساروا طالبين الوصول الى السفائن بساحل البر بك لانهم كانوا اعدوا عدة مراكب بساحل البر بك من باب الاحتياط ووقع في قلوبهم الرعب واعتقدوا ان القوم في اثرهم والحال ان الله لم يتبعهم احلامهم لا يذهبون خلفهم المدبرو لا تبعوهم ما بقي منهم شخص واحد فكانوا يصرخون على القطائر فتأتي اليهم القطيرة وهي لا تسع الا القليل فيتكاثرون ويتزاحمون على النزول فيها فتسع بعضهم الجماعة ويمنعون البواقي من اخوانهم فان لم يمتنعوا رموهم بالبنادق والرصاص حتى كانوا من شدة حرصهم وخوفهم وازدحامهم على النزول في القطائر يخوضون في البحر الى رقابهم وكانت العقارب في اثرهم تريد خطفهم وكثير من العسكر والخدم لما شاهدوا الازدحام على اسكلة البر بك ذهبوا ماشين الى بقيع الغرور وقع التشتت في الدواب والاحمال والخلائق من الخدم وغيرهم ورجع طوسون باشا الى ينبع البحر بعد ان تغيب يوما من عسكره حتى انهم ظنوا فقده ورجع ايضا المحروقي وديوان افندي واستقروا بالينبع وترك المحروقي خيامه بما فيها فنزل بها طائفة من العسكر المنهزمين وهم على جهد من التعب والجوع فوجدوا بها المآكل والحلاوات وانواع الملبوسات والكعك المصنوع بالعجمية والسكر المكرر والمربيات

بيد قفجاق بن ارسلان تاش التركماني وكان حكمه نافذا على قاصي التركمان ودانيهم
وكلمته لا تخالف يرون طاعته فرضا فقصاه الملك قصده ولم يشعر والولاية لاحتمائه بمنعة
كثرة المضايق فعظم شأنه وازداد جمعه واتاه التركمان من كل فج عميق فلما كان هذه
السنة سار اليه أتابك زنكي عسكر الجمع اصحابه ولقيهم فتصافوا واقتتلوا فانهزم قفجاق
واستبيح عسكره وسار الجيش الاتابكي في اثارهم فحصروا الحصون والقلاع فملكوها
جميعها وبذلوا الامان لقفجاق فصار اليهم وانخرط في سلك العساكر ولم يزل هو وبنوه
في خدمة البيت على احسن قضية الى بعد سنة ستمائة بقليل وفارقوها

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة جرى بين امير المؤمنين المقتفي لامر الله وبين الوزير شرف الدين على بن طراد
الزينبي منافرة وسببها ان الوزير كان يعترض الخليفة في كل ما يأمر به فتنفر الخليفة من ذلك
فغضب الوزير ثم خاف فقصد دار السلطان في سميرية وقت الظهر ودخل اليها واحتمى بها
فارسل اليه الخليفة في العود الى منصبه فامتنع وكانت الكتب تصدر باسمه واستنيب
قاضي القضاة الزينبي وهو ابن عم الوزير وارسل الخليفة الى دار السلطان وسأل في معنى
الوزير فارخص له السلطان في عزله فحينئذ اسقط اسمه من الكتب واقام بدار السلطان
ثم عزل الزينبي من النيابة وناب سديد الدولة بن الانباري وفيها قتل المقرب جوهر وهو
من خدم السلطان سنجر وكان قد حكم في دولته جميعها ومن جملة اقطاعه الري ومن
مماليكه عباس صاحب الري وكان عامة عسكر السلطان سنجر يخدمونه ويقفون
ببابه وكان قتله بيد الباطنية وقف له جماعة منهم بزي النساء واستغاثوا به فوقف
يسمع كلامهم فقتلوه فلما قتل جمع صاحبه عباس العساكر وقصد الباطنية فقتل
منهم واكثر وفعل بهم ما لم يفعله غيره ولم يزل يغزوهم ويقتل فيهم ويخرب بلادهم الى
ان مات وفيها زلزلت كنجة وغيرها من اعمال اذربيجان واران الا ان اشدها كان بكنجة
فخرب منها الكثير وهلك عالم لا يحصون كثرة قيل كان الهالكى مائتي الف وثلاثين
الفا وكان من جملة الهالكين ابنان لقراسنقر صاحب البلاد وتهدمت قلعة هنالك
لمجاهد الدين بهروز وذهب له فيها من الذخائر والاموال شيء عظيم وفيها شرع مجاهد
الدين بهروز في عمل النهر وانات سكره لاعادة رد الماء الى مجراه الاول وحفر مجرى
الماء القديم وخرق اليه مجرى اتاه من ديالى ثم استقال بعد قليل وجرى الماء ناحية من
السكر وبقي السكر في البر لا ينتفع به احد ولم يتعرض احد الى رده الى مجراه عند السكر الى
وقتنا هذا وفيها انقطع الغيث ببغداد والعراق ولم يجئ غير مرة واحدة في اذار ثم انقطع
ووقع الغلاء وعدمت الاقوات وفي اوائل جمادى الآخرة دخل الخليفة بفاطمة خاتون
بنت السلطان مسعود وكان يوم حملها الى دار الخليفة يوما مشهودا واغلقت بغداد عشرة
ايام وزينت وتزوج السلطان مسعود بابنة الخليفة وفيها في ربيع الاول توفي القاضي
ابو الفضل يحيى ابن قاضي دمشق المعروف بالزكي

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وخمسمائة

اليهم من الكتبة المباشرين دون الاقباط ليحرروا به قوائم المصروف والمضاف والبراني فكانوا يعطون
لذلك كل يوم ماعدا يوم الجمعة
ثم اخرق الحال لسور بلاد
الباشا وهو ان الكثير من
الفلاحين لما سمعوا انطلق
اتوا من كل ناحية الى مصر
وكتبوا عرضحالات الى
كتخدا بك والباشا يتظلمون
من استاذيهم ويذكرون انهم
يزيدون عليهم زيادات في
قوائم المصروف ويشددون
عليهم في طلب الفرض او
براقيها فيسدهم الباشا
او الكتخدا الى الديوان
المحدث لينظر في امورهم
ويخلصهم معين تركي مباشر
يأتي بالملتزم ايضا والفلاحين
والشاهد والصراف وقوائم
المصروف لاجل المحاققة
فعند ذلك يتعنت ابراهيم
كتخدا في القوائم ويطلب
قوائم السنين الماضية
المختومة ونحو ذلك ولما فشا
هذا الامر واشتهر في البلدان
اتت طوائف الفلاحين
افواجا الى هذا الديوان
يطلبون الملتزمين ويخاصمونهم
ويكلفونهم فيكون امرا
مهولا وغاية في الزحام والعياط
والشياط وكذلك رفعوا
المعلم منصور ومن معه من
الكتبة من مباشرة ديوان
ابنه ابراهيم بك الدفتردار
وقيدوا بدلهم السيد محمد غانم
الرشيدي ومحمد افندي سليم
ومن انضم اليهم واظهر الباشا انه يفعل ذلك لما علمه من خيانة الاقباط وانما قصده الخفي خلاف ذلك وهو الاستيلاء

وخوفوه عاقبة فعله وان يفعل ويغدر كما فعل باهل بعلبك فلما لم يسلموا اليه عاد الى القتال والزحف ثم ان جمال الدين محمدا صاحب دمشق مرض ومات ثامن شعبان وطمع زنكي حينئذ في البلد وزحف اليه زحفا شديدا ظنا منه انه ربما يقع بين المقدمين والامراء خلاف فيبلغ به الغرض وكان ما امله بعيدا فلما مات جمال الدين ولي بعده مجير الدين ابق ولده وتولى ترتيب دولته معين الدين انر فلم يظهر لموت ابيه اثر مع ان عدوهم على باب المدينة فلما راى انر ان زنكي لا يفارقهم ولا يزول عن حصرهم راسل الفرنج واستدعاهم الى نصرته وان يتفقوا على دفع زنكي عن دمشق وبذل لهم بذولا وان يحصر بانياس ويأخذها ويسلمها اليهم وخوفهم من زنكي ان ملك دمشق فعلموا صحة قوله وعلموا انه ان ملكها لا يبقى لهم معه بالشام مقام وان الفرنج اجتمعوا وعزموا على المسير الى دمشق ليجتمعوا مع صاحبها وعسكرها على قتال زنكي فحين علم زنكي بذلك سار الى حوران خامس رمضان عازما على قتال الفرنج قبل ان يجتمعوا بالدمشقيين فلما سمع الفرنج خبره لم يفارقوا بلادهم فلما رآهم كذلك عاد الى حصر دمشق ونزل بعذرا شماليها سادس شوال فاحرق عدة قرى من المرج والغوطة ورحل عائدا الى بلاده ووصل الفرنج الى دمشق واجتمعوا بصاحبها وقد رحل زنكي فعادوا وسار معين الدين انر الى بانياس في عسكر دمشق وهي في طاعة زنكي كما تقدم ذكره ليحصرها ويسلمها الى الفرنج وكان واليها قد سار قبل ذلك منها بجمعه الى مدينة صور للاغارة على بلادها فصادفه صاحب انطاكية وهو قاصد الى دمشق نجدة لصاحبها على زنكي فاقتتلا فانهزم المسلمون واخذ والي بانياس فقتل ونجا من سلم منهم الى بانياس وجمعوا معهم كثيرا من البقاع وغيرها وحفظوا القلعة فنازلها معين الدين فقاتلهم وضيق عليهم ومعه طائفة من الفرنج فاخذها وسلمها الى الفرنج واما الحصر الثاني لدمشق فان اتابك لما سمع الخبر بحصر بانياس عاد الى بعلبك ليدفع عنها من يحصرها فاقام هناك فلما عاد عسكر دمشق بعد ان ملكوها وسلموها الى الفرنج فرق اتابك زنكي عسكره على الاغارة على حوران واعمال دمشق وسار هو جريدة مع خواصه فنازل دمشق سحرا ولم يعلم به احد من اهلها فلما اصبح الناس ورأوا عسكره خافوا وارتج البلد واجتمع العسكر والعامة على السور وفتحت الابواب وخرج الجند والرجالة فقاتلوه فلم يقدم زنكي وعسكره من الاقدام في القتال لان عامة عسكره كانوا قد تفرقوا في البلاد للنهب والتخريب وانما قصد دمشق لئلا يخرج منها عسكر الى عسكره وهم متفرقون فلما اقتتلوا ذلك اليوم قتل بينهم جماعة ثم احجم زنكي عنهم وعاد الى خيامه ورحل الى مرج راهط واقام ينتظر عودة عسكره فعادوا اليه وقد ملؤوا ايديهم من الغنائم لانهم طرقوا البلاد واهلها غافلون فلما اجتمعوا عنده رحل بهم عائدا الى بلادهم

(ذكر ملك زنكي شهرزور واعمالها)

في هذه السنة ملك اتابك زنكي شهرزور واعمالها وما يجاورها من الحصون وكانت

انه منهزم وعمل كل ذلك الباشا بكتابات ٤٣ ، وله مطرسون يخفف دون نفسه وقصد ذلك بعد عجز جرعة الى التصبير

ولم ينتظر اذنا في الرجوع او المكث ولما حصل ذلك لم يتزلزل الباشا واستمر على همته في تجهيزه عساكر اخرى وبرزوا الى خارج البلد وفرض على البلاد جمالا ذكرنا انها من اصل الغرائم والقرض في المستقبل وكذلك فرض غلالا لاكمال المفروض على اقليم الشرقية خاصة اثني عشر الف اردب بعناية على كاشف فابلاه الله بما يستحق وانقضت السنة بحوادثها التي من اعظمها الحادثة والنازلة المهولة النيل (ومنها) ان النيل هبط قبل الصليب بايام قليلة بعد ان بلغ في الزيادة مبلغا عظيما حتى غرق الزرع الصيفي والدراوي ولما انحسر عن الارض زرعوا البرسيم والوقت صائف والحرارة مستجنة في الارض فتولدت فيه الدودة واكلت الذي زرع فبذروه ثانيا فاكلته ايضا وعم امر الدودة حتى في الزرع البدري وخصوصا باقليم الجيزة والقليوبية والمنوفية بل وباقي الاقاليم (ومنها) ان الباشا احدث ديوانا وترتيبه بيت البكري القديم بالازبكية واظهر ان هذا الديوان لمحاسبة ما يتعلق به من البلاد ومحاسباتها والقصد الباطني غير ذلك وقيد به ابراهيم كتخدا الرزاز والشيخ احمد يوسف كاتب حسين افندي الروزنامجي وما انضم

بيد

ابن محمد بن الفضل الاصفهاني في عشر ذي الحجة ومولده سنة تسع وخمسين وله التصانيف المشهورة وتوفي يوسف بن أيوب بن يوسف بن الحسين بن يعقوب الهمذاني من أهل بوزنجرد من بلد مرو وتفقه على أبي اسحق الشيرازي وروى الحديث واشتغل بالرياضات والمجاهدات ووعظ ببغداد فقام اليه متفقه يقال له ابن السقاء وسأله وآذاه في السؤال فقال اسكت اني أشم منك رائحة الكفر فسار الرجل الى بلد الروم وتنصر وفيها مات أبو القاسم علي بن أفلح بن أفلح الشاعر المشهور

●(ثم دخلت سنة ست وثلاثين وخمسمائة)●

●(ذكر انهزام السلطان سنجر من الاتراك الخطا وملكهم ما وراء النهر)●

ثم ذكر أصحاب التواريخ في هذه الحادثة أقاويل نحن نذكرها جميعها لتعرف ما بينها من الاختلاف فيها وعهدتها على ناقليها فقيل في هذه السنة في المحرم وقيل في صفر انهزم السلطان سنجر من الترك الكفار وسبب ذلك ان سنجر كان قد قتل ابنا لخوارزم شاه أتسز بن محمد كما ذكرناه قبل فبعث خوارزم شاه الى الخطا وهم بما وراء النهر يطمعهم في البلاد ويروج عليهم أمرها وحثهم على قصد مملكة السلطان سنجر فساروا في ثلثمائة ألف فارس وسار اليهم سنجر في عساكره فالتقوا بما وراء النهر واقتتلوا أشد قتال وانهزم سنجر وعساكره وقتل منهم مائة ألف قتيل منهم اثنا عشر ألفا كلهم صاحب عمامة وأربعة آلاف امرأة وأسرت زوجة السلطان سنجر ووصل السلطان منهزما الى ترمذ وسار منها الى بلخ ولما انهزم سنجر قصد خوارزم شاه مدينة مرو فدخلها مراغمة للسلطان سنجر وقتل بها وقبض على أبي الفضل الكرماني الفقيه الحنفي وعلى جماعة من الفقهاء وغيرهم من أعيان البلد ولم يزل السلطان سنجر مسعودا الى وقت ذلك ثم زمه والقول تمت عليه هذه السنة الهزيمة أرسل الى السلطان مسعود واذن له في التصرف في الري وما يجري معها على قاعدة أبيه السلطان محمد وأمره ان يكون مقيما فيها بعساكره بحيث ان دعت حاجة استدعاه لاجل هذه الهزيمة وصل عباس صاحب الري الى بغداد بعساكره وخدم السلطان مسعودا خدمة عظيمة وسار السلطان الى الري امتثالا لامر عمه سنجر وقيل ان بلاد تركستان وهي كاشغر وبلاد بلاساغون وختن وطراز وغيرها مما يجاورها من بلاد ما وراء النهر كانت بيد الملوك الخانية الاتراك وهم مسلمون من نسل أفراسياب التركي الا انهم مختلفون وكان سبب اسلام جدهم شبق قراخاقان انه رأى في منامه كأن رجلا نزل من السماء فقال له بالتركية ما معناه أسلم تسلم في الدنيا والآخرة فأسلم في منامه وأصبح فأظهر اسلامه فلما مات قام مقامه ابنه موسى بن شبق ولم يزل الملك بتلك الناحية في أولاده الى ارسلان خان بن محمد بن سليمان بن داود بغراخان بن ابراهيم الملقب بطمغاج خان بن ايلك الملقب بنصر ارسلان بن علي بن موسى بن شبق فخرج على قدرخان فانتزع الملك منه فقتل سنجر قدرخان كما ذكرناه سنة أربع وتسعين وأربعمائة وأعاد الملك الى ارسلان خان وثبت قدمه وم جخوارج فلما خرج السلطان سنجر نصره واعاده والامر قد وحد (واما من مات في هذه السنة ممن له ذكر) فلم يمت من مشاهير الفقهاء من له شهرة فلا ذكر (واما الامراء

ثم اراد تمويهها مثلوا بموخرها وانفه وصلبوه على حانوته وعلقوا الريال في انفه وربما الغير وفي اثناء ذلك نادى بالمناداة بان يكون صرف الريال بمائتين وسبعين والمحبوب بثلثمائة وعشرة فاستمع واتعجب من هذه الاحكام الغريبة التي لم يطرق سمع سامع مثلها اصلا مع عدم الفضة العددية في ايدي الناس فقد دور التفتيش بالقرش وهو ينادي على صرفه بنقص اربعة انصاف نصف يوم حتى يصرفه بقطع افرنجية منها ما هو باثني عشر او خمسة وعشرين او خمسة فقط او يشتري من بياع الصرف شيئا من الزيات او الخضري او الجزار ويبقى عنده الكسور الباقية بعده بغلاقها فيعود اليه مرارا حتى يحصل عنده غلاقها وليس هو فقط بل امثاله كثير وسبب نقص الفضة العددية انه يضرب منها كل يوم بالضربخانة الوف مؤلفة ياخذها التجار بزيادة مائة نصف في كل الف يرسلونها الى بلاد الشام والروم ويعوضون بدلها في الضربخانة القرانات والذهب لانها تصرف في تلك البلاد باكثر مما تصرف به في مصر وزاد الحال بهذا التاريخ حتى استقر على صرف الالف بمائتين وتقرر ذلك في حساب الميري فيدفع الصارف ثلاثين قرشا منها الف ومائتان ويأخذ الناقص والقرانات والمحبوب حسابها المتعارف خلاف الحساب

ذكر مسير جهاردانكي الى العراق وما كان منه

في هذه السنة امر السلطان مسعود الامير اسمعيل المعروف بجهاردانكي والبقش كون خر بالمسير الى خوزستان وفارس واخذهما من بوزابة واطلق لهم نفقة على بغداد فساروا فيمن معهما الى بغداد فمنعهم مجاهد الدين بهروز عن دخولها فلم يقبلوا منه فارسل الى المعابر فخسفها وغرقها وجد في عمارة السور وسد باب الظفرية وباب كلواذى واغلق باقي الابواب وعلق عليها السلاسل وضرب الخيام للمقاتلة فلما رأوا ذلك عبروا بصرصر وقصدوا الحلة فمنعهم منها فقصدوا واسط فخرج اليهم الامير طرنطاي وتقاتلوا فانهزم طرنطاي ودخلوا واسطا فنهبوه ونهبوا بلد قرسان والنعمانية وانهزم طرنطاي الى حماد بن ابي الجبر صاحب البطيحة ووافقهم عسكر البصرة وفارق اسمعيل والبقش عسكرهما وصار مع طرنطاي فضعف اولئك فسار الى تستر واستشفع اسمعيل الى السلطان فعفا عنه

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة وصل رسول من السلطان سنجر ومعه بردة النبي صلى الله عليه وسلم والقضيب وكانا قد اخذا من المسترشد فاعادهما الآن الى المقتفي وفي هذه السنة توفي اتابك قراسنقر صاحب اذربيجان وارانية بمدينة اردبيل وكان مرضه السل وطال به وكان من مماليك الملك طغرل وصارت اذربيجان وارانية الى الامير جاولي الطغرلي وكان قراسنقر قد عظم محله على سلطانه وخافه السلطان وفيها كان بين اتابك زنكي وبين داود بن سقمان بن ارتق صاحب حصن كيفا حرب شديد وانهزم داود وملك زنكي من بلاده قلعة بهمرد وادركه الشتاء فعاد الى الموصل وفيها ملك الاسماعيلية حصن مصياث بالشام وكان واليه مملوكا لبني منقذ اصحاب شيزر فاحتالوا عليه ومكروا به حتى صعدوا اليه وقتلوه وملكوا الحصن وهو بايديهم الى الآن وفيها توفي سديد الدولة بن الانباري واستوزر الخليفة بعده نظام الدين ابا نصر محمد بن محمد بن جهير وكان قبل ذلك استاذ الدار وفيها توفي برنقش بازدار صاحب قزوين وفيها في رجب ظفر ابن الدانشمند صاحب ملطية وغيرها من تلك النواحي بجمع من الروم فقتلهم وغنم ما معهم وفيها في رمضان سارت طائفة من الفرنج فخرج اليهم العسكر الذي بعسقلان فقاتلهم فظفر المسلمون وقتلوا من الفرنج كثيرا فعادوا منهزمين وفيها بنيت المدرسة الكمالية ببغداد بناها كمال الدين ابو الفتوح بن طلحة صاحب المخزن ولما فرغت درس فيها الشيخ ابو الحسن بن الخل وحضره ارباب المناصب وسائر الفقهاء وفيها في رجب مات القاضي ابو بكر بن محمد بن عبد الباقي الانصاري قاضي المارستان عن نيف وسبعين سنة وله الاسناد العوالي بالحديث وكان عالما بالمنطق والحساب والهيئة وغيرها من علوم الاوائل وهو آخر من حدث في الدنيا عن ابي اسحق البرمكي والقاضي ابي بكر الطبري وابي طالب العشاري وابي محمد الجوهري وغيرهم وتوفي الامام الحافظ ابو القاسم اسمعيل

ابن

والأغوات النكاشي والجزلي و قطع منفعة الغير ولو قليلا فيضرب هذا بهذا والناس اعداء بعضهم لبعض وقلوبهم متنافرة فيغري هذا بذاك وذاك بهذا ومن الناس من سمى هذا الديوان ديوان الفتنة (ومنها) الزيادة الفاحشة في صرف المعاملة والنقص في وزنها وعيارها وذلك ان حضرة الباشا ابقى دار الضرب على ذمته وجعل خاله ناظرا عليها وقرر لنفسه عليها في كل شهر خمسمائة كيس بعد ان كان شهريتها ايام نظارة الهروي خمسين كيسا في كل شهر ونقصوا وزن القرش نحو النصف عن القرش المعتاد وزادوا في خلطه حتى لا يكون فيه مقدار ربعه من الفضة الخالصة ويصرف باربعين نصفا وكذلك المحبوب نقصوا من عياره ووزنه ولما كان الناس يتساهلون في صرف المحبوب والريال الفرانسه ويقبضونها في خلاص الحقوق من المماطلين والمفلسين وفي المبيعات الكاسدة بالزيادة لضيق المعايش حتى وصل صرف الريال الى مائتين وخمسين نصفا والمحبوب الى مائتين وثمانين ثم زاد الحال في التساهل في الناس بالزيادة ايضا عن ذلك فينادى ايضا كمنع الزيادة ويعفى الحال اياما قليلة ويعود لما كان او ازيد فتحصل المناداة ايضا ويقبضونها بالتشديد والتنكيل بمن يفعل ذلك ويقبض عليه اعوان الحاكم ويحبس ويضرب ويغرمونه

وملكوا المدينة لا يغيرون على اهلها شيئا بل ياخذون من كل بيت دينارا من اهل البلاد
وغيرهما من القرى واما المزدرعات وغيرها فلاهلها وكل من اطاعهم من الملوك يشد في
وسطه شبه لوح فضة فتلك علامة من اطاعهم ثم ساروا الى بلاد ماوراء النهر فاستقبلهم
الخاقان محمود بن محمد من حدود خجندة في رمضان سنة احدى وثلاثين وخمسمائة
واقتتلوا فانهزم الخاقان محمود بن محمد وعاد الى سمرقند فعظم الخطب على اهلها واشتد
الخوف والحزن وانتظروا البلاء صباحا ومساء وكذلك اهل بخارا وغيرهما من بلاد
ماوراء النهر وارسل الخاقان محمود الى السلطان سنجر يستمده ويعرفه ما لقي المسلمون
ويحثه على نصرتهم فجمع العساكر فاجتمع عنده ملوك خراسان صاحب سجستان
والغور وملك غزنة وملك مازندران وغيرهم فاجتمع اليه اكثر من مائة الف فارس
وبقي العرض ستة اشهر وسار سنجر الى لقاء الترك فعبروا الى ماوراء النهر في ذي الحجة
سنة خمس وثلاثين وخمسمائة فشكا اليه محمود بن محمد خان من الاتراك القارغلية
فقصدهم سنجر فالتجؤا الى كوخان الصيني ومن معه من الكفار واقام سنجر بسمرقند
فكتب اليه كوخان كتابا يتضمن الشفاعة في الاتراك القارغلية ويطلب منه ان يعفو
عنهم فلم يشفعه فيهم وكتب اليه يدعوه الى الاسلام ويهدده ان لم يجب اليه ويتوعده
بكثرة عساكره ووصفهم وبالغ في قتالهم بانواع السلاح حتى قال وانهم يشقون الشعر
بسهامهم فلم يرض هذا الكتاب وزير السلطان طاهر بن فخر الملك بن نظام الملك فلم
يصغ اليه سنجر الكتاب فلما قرئ الكتاب على كوخان امر بنتف لحية الرسول واعطاه
ابرة وكلفه شق شعرة من لحيته فلم يقدر يفعل ذلك فقال كيف يشق غيرك شعرة بسهم
وانت عاجز عن شقها بابرة واستعد كوخان للحرب وعنده جنود الترك والصين والخطا
وغيرهم وقصد السلطان سنجر فالتقى العسكران وكانا كالبحرين العظيمين بموضع يقال
له قطوان وطاف بهم كوخان حتى الجاهم الى واد يقال له درغم وكان على ميمنة سنجر
الامير قماج وعلى ميسرته ملك سجستان والاثقال وراءهم فاقتتلوا خامس صفر
سنة ست وثلاثين وخمسمائة وكانت الاتراك القارغلية الذين هربوا من سنجر من
اشد الناس قتالا ولم يكن ذلك اليوم من عسكر السلطان سنجر احسن قتالا من
صاحب سجستان فاجلت الحرب عن هزيمة المسلمين فقتل منهم ما لا يحصى من كثرتهم
واشتمل وادي درغم على عشرة آلاف من القتلى والجرحى ومضى السلطان سنجر
منهزما واسر صاحب سجستان والامير قماج وزوجة السلطان سنجر وهي ابنة
ارسلان خان فاطلقهم والحسام عمر بن عبد العزيز بن مازة البخاري الفقيه الحنفي
المشهور ولم يكن في الاسلام وقعة اعظم من هذه ولا اكثر ممن قتل فيها بخراسان
واستقرت دولة الخطا والترك الكفار بماوراء النهر وبقي كوخان الى رجب من سنة
سبع وثلاثين وخمسمائة فمات فيه وكان جميلا حسن الصورة لا يلبس الا الحرير الصيني
له هيبة عظيمة على اصحابه ولم يسلط اميرا على اقطاع بل كان يعطيهم من عنده ويقول
متى اخذوا الاقطاع ظلموا وكان لا يقدم اميرا على اكثر من مائة فارس حتى لا يقدر

الحرب وتارك الاخرى الصلاة وعسكرنا يتعجبون من ذلك لانهم لم يعتادوه فضلا عن رؤيتهم خادمين في معسكرهم
هلموا الى حرب المشركين
الحالقين الذقون المستبيحين
الزنا واللواط الشاربين الخمور
التاركين الصلاة الآكلين
الربا القاتلين الانفس المستحلين
المحرمات وكشفوا عن كثير
من قتلى العسكر فوجدوهم
غلفا غير مختونين ولما وصلوا
بدرا واستولوا عليها وعلى القرى
والخيوف وبها خيار الناس
وبها أهل العلم والصلحاء نهبوهم
واخذوا نساءهم وبناتهم
واولادهم وكتبهم فكانوا
يفعلون فيهم ويبيعونهم من
بعضهم لبعض ويقولون هؤلاء
الكفار الخوارج حتى اتفق
ان بعض أهل بدر الصلحاء اطلب
من بعض العسكر زوجته فقال
له حتى تبيت معي هذه الليلة
واعطيها لك من الغد (وفيه)
خرج العسكر المجرد الى السويس
وكبيرهم بونابارته الخازندار
ليذهب لملاقاة الينبعي بحجة
طوسون باشا (وفيه) وصل
جماعة من الانكليز ومعهم
هدية الى الباشا وفيها طيور
ببغا هندية مختلفة الالوان وملونة
وريالات فرانسه نقود معبأة
في براميل وحديد وآلات
وعجيبتهم وحضورهم في طلب
أخذ الغلال وفي كل يوم تسافر
المراكب المشحونة بالغلال
الى بحرى وكلما وردت مراكب
سفرت الى بحرى حتى نقصت
الغلال وغلا سعرها وارتفعت من السواحل والرقع ولا يكاد يباع الا مادون الويبة وكان سعر الاردب من اربعمائة نصف

الى مملكته وكان من جنده نوع من الاتراك يقال لهم القارغلية والاتراك الغزية الذين
نهبوا خراسان على ما نذكره ان شاء الله وهم نوعان نوع يقال لهم الجق واميرهم طوطي
ابن دادبك ونوع يقال لهم برق واميرهم بيغا ارسلان قرغوت بن عبد الحميد بحسين الشريف
الاشرف بن محمد بن ابي شجاع العلوي السمرقندي لولده ارسلان خان المعروف بنصرخان
فطلب الملك من ابيه واطمعه فيه فجمع محمد بن خان الكبير فقتل الابن والشريف الاشرف
وجرت بين ارسلان خان وبين جنده القارغلية وحشة ادت بهم الى العصيان عليه
والنزاع الملك منه فعاودوا الاستعانة بالسلطان سنجر فعبر جيحون بعساكره سنة اربع
وعشرين وخمسمائة وكان بينهما مصاهرة فوصل الى سمرقند وهرب القارغلية من بين
يديه واتفق ان السلطان سنجر خرج الى الصيد فراى خيالة فقبض عليهم فقررهم
فاقروا ان ارسلان خان وضعهم على قتله فعاد الى سمرقند فحصر ارسلان خان بالقلعة
فملكها واخذه اسيرا وسيره الى بلخ فمات بها وقيل بل غدر به سنجر واستضعفه فملك البلد
منه فاشاع عنه ذلك فلما ملك سمرقند استعمل عليها بعده قلج طمغاج ابا المعالي
الحسن بن علي بن عبد المؤمن المعروف بحسن تكين وكان من اعيان بيت الخانية الا
ان ارسلان خان اطرحه فلما ولي سمرقند وكان هذا حسن ابن اخت سنجر لم
تطل ايامه فمات عن قليل فاقام سنجر مقامه الملك محمود بن ارسلان خان محمد بن سليمان
ابن داود بغراخان وهو ابن الذي اخذ منه سنجر سمرقند وكان هذا محمود ابن اخت سنجر
وكان قبل ذلك سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة قد وصل الاعور وهو كوخان الصيني
الى حدود كاشغر في عدد كثير لا يعلمهم الا الله فاستعد له صاحب كاشغر وهو الخان احمد
ابن الحسن وجمع جنوده وخرج اليه والتقوا فاقتتلوا وانهزم الاعور الصيني وقتل كثير
من اصحابه ثم انه مات فقام مقامه كوخان الصيني وهو بلسان الصين لقب لاعظم
ملوكهم وخان لقب لملوك الترك فمعناه اعظم الملوك وكان يلبس لبسة ملوكهم من
المقنعة والخمار وكان مانويا ولما خرج من الصين الى تركستان انضاف اليه الاتراك
الخطا وكانوا قد خرجوا قبله من الصين وهم في خدمة الخانية اصحاب تركستان وكان
ارسلان خان محمد بن سليمان يسير كل سنة عشرة الاف خركاه منهم على الدروب التي
بينه وبين الصين يمنعون احدا من الملوك ان يتطرق الى بلاده وكان لهم على ذلك جرايات
واقطاعات فاتفق انه وجد عليهم في بعض السنين فمنعهم عن نسائهم لئلا يتوالدوا فعظم
عليهم ولم يعرفوا وجها يقصدونه وتحيروا واتفق ان اجتاز بهم قفل عظيم فيه الاموال
الكثيرة والامتعة النفيسة فاخذوه واحضروا التجار وقالوا لهم ان كنتم تريدون
اموالكم فعرفونا بلدا كثير المرعى فسيحا يسعنا ويسع اموالنا فاتفق راي التجار على
بلد بلاساغون فوصفوه لهم فاعادوا اليهم اموالهم واخذوا الموكلين الذين كانوا بهم ليمنعوهم
عن نسائهم وكتفوهم واخذوا نساءهم وساروا الى بلاساغون وكان ارسلان خان
يغزوهم ويكثر جهادهم فخافوه وخافوا قتلهم فلما مات زال ذلك عنهم وخرج كوخان الصيني
انضافوا اليه ايضا فعظم شانهم وتضاعف جمعهم وملكوا بلاد تركستان وكانوا اذا

فقد تقدم ذكرهم) وما وقع لهم ومقتلهم اجمالا فاغنى عن التكرار فالله يرحمنا اجمعين ◦ (ثم دخلت سنة سبع
وعشرين ومائتين والف) ◦
وما تجدد بها من الحوادث
فكان ابتداء المحرم بالرؤية
يوم الخميس في عاشره وصل
كثير من كبار العسكر الذين
تخلفوا بالمويلح بحضرة ثم حضروا
بلدة الى باشا وغيره فوصلوا
الى قبة النصر جهة العادلية
ودخلت عساكرهم المدينة شيئا
فشيئا وهم في اسوا حال من
الجوع وتغير الالوان وكآبة
المنظر والسحن ودوابهم وجمالهم
في غاية العي ويدخلون الى المدينة
في كل يوم ثم دخل اكابرهم الى
بيوتهم وقد سخط عليهم الباشا
ومنع ان لا ياتيه منهم احد ولا
يراه وكانهم كانوا قادرين على
النصر والغلبة وفرطوا في ذلك
ويلومهم على الانهزام والرجوع
وطفق يلوم بعضهم البعض في
الانهزام فتقول الخيالة سبب
هزيمتنا القرابة وتقول القرابة
بالعكس ولقد قال لي بعض
اكابرهم من الذين يدعون
الصلاح والتورع اين لنا بالنصر
واكثر عساكرنا على غير الملة
وفيهم من لا يتدين بدين ولا
ينتحل مذهبا وصحبتنا صناديق
المسكرات ولا يسمع في عرضينا
اذان ولا تقام به فريضة ولا
يخطر في بالهم ولا خاطرهم
شعائر الدين والقوم اذا دخل
الوقت اذن المؤذنون وينتظمون
صفوفا خلف امام واحد
بخشوع وخضوع واذا حان وقت الصلاة والحرب قائمة اذن المؤذن وصلوا صلاة الخوف فتتقدم طائفة

ملكوا

صاحبا في طاعته وكان قبل ذلك موافقا لداود على قتال زنكي فلما رأى قوة زنكي
صار معه وفيها عزل مجاهد الدين بهروز عن شحنكية بغداد وولي اقزل امير آخور
وهو من مماليك السلطان محمود وكان له بروجرد والبصرة فأضيف اليه شحنكية بغداد
ثم وصل السلطان الى بغداد فرأى من تبسط العيارين وفسادهم ما ساءه فأعاد بهروز الى
الشحنكية فتاب كثير منهم ولم ينقطع الناس بذلك لان ولد الوزير وولد امرأة السلطان كانا
يقاسمان العيارين فلم يقدر بهروز على منعهم وفيها تولى عبد الرحمن طغايرك حجبة
السلطان واستولى على المملكة وعزل الامير تتر الطغرلي عنها وآل امره الى ان مشى
في ركاب عبد الرحمن وفيها توفي ابراهيم السهاوي مقدم الاسماعيلية فأحرقه ولد
عباس صاحب الري في تابوته وفيها حج كمال الدين بن طلحة صاحب المخزن وعاد وقد
لبس ثياب الصوفية وتخلى عن جميع ما كان عليه واقام في داره مرعي الجانب محروس
القاعدة وفيها وصل السلطان الى بغداد وكان الوزير الزينبي بدار السلطان كما ذكرناه
فسأل السلطان ان يشفع فيه ليرده الخليفة الى داره فارسل السلطان وزيره الى دار
الخلافة ومعه الوزير شرف الدين الزينبي وشفع ان يعود الى داره فاذن له في ذلك واعاد
اخاه الى نقابة النقباء فلزم الوزير داره ولم يخرج منها الا الى الجامع وفيها اغار عسكر
اتابك زنكي من حلب على بلاد الفرنج فنهبوا واسروا وقتلوا وظفروا بسرية الفرنج فقتلوا
فيهم واكثروا فكان عدة القتلى سبعمائة رجل وفيها افسد بنو خفاجة بالعراق فسير
السلطان مسعود سرية اليهم من العسكر فنهبوا حللهم وقتلوا من ظفروا به منهم وعادوا
سالمين وفيها سير رجار الفرنجي صاحب صقلية اسطولا الى اطراف افريقية
فأخذوا مراكب سيرت من مصر الى الحسن صاحب افريقية وغدر بالحسن ثم راسله
الحسن وجدد الهدنة لاجل حمل الغلات من صقلية الى افريقية لان الغلاء كان
فيها شديدا والموت كثيرا وفيها توفي ابو القاسم عبد الوهاب بن عبد الواحد الحنبلي
الدمشقي وكان عالما وفيها توفي ضياء الدين ابو سعيد الكفرتوثي وزير اتابك
زنكي وكان حسن السيرة في وزارته كريما رئيسا وفيها توفي ابو محمد بن طاوس امام
الجامع بدمشق في المحرم وكان رجلا صالحا فاضلا وفيها توفي ابو القاسم اسمعيل بن
احمد بن عمر بن ابي الاشعث المعروف بابن السمرقندي ولد بدمشق سنة اربع وخمسين
واربعمائة وكان مكثرا من الحديث عالي الرواية

(ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وخمسمائة)

(ذكر ملك عماد الدين اتابك زنكي قلعة اشب وغيرها من الهكارية)

في هذه السنة ارسل اتابك زنكي جيشا الى قلعة اشب وكانت اعظم حصون الاكراد
الهكارية وبها اموالهم واهلوهم فحصروها وضيقوا على من بها فملكوها وامر
باخرابها وبناء القلعة المعروفة بالعمادية عوضا عنها وكانت هذه القلعة العمادية حصنا
عظيما من حصونهم خربوه لكبره لانه كبير جدا وكانوا يعجزون عن حفظه فخرب

عن احواله بموجودهم لمصادرتهم وقد اتفق انه رأى شخصا خرج آخر الصناع وهو راكب

٤١ وهو الموجود ثلاثة من
الخدم فسأل عنه فقيل له ان هذا
البواب الذي يغلق باب
الضربخانة بعد خروج الناس
منها ويفتحه لهم في الصباح
فسأل عن مرتبه في كل يوم
فعرفوه ان له في كل يوم قرشين
لا غير فقال ان هذا المرتب
لا يكفي خدمه الذين هم حوله
فكيف بمصرف داره وعليق
دوابه وجميع لوازمه مما ينفقه
ويحتاجه في تجملاته وملابسه
وملابس اهله وعياله ان
هؤلاء الناس كلهم سراق وكل
ما هم فيه من السرقة
والاختلاس ولابد من اخراج
الاموال التي اختلسوها
وجمعوها وتساهل في ذلك الشمع
المعلم غالي وقرناؤه ثم طلب
اولا اسمعيل افندي ليلا وهو
الافندي الكبير وقال له عرفني
خيانة فلان النصراني وفلان
اليهودي المورد فقال لا اعلم
على احد منهم خيانة وهذا شيء
يدخل بالميزان ويخرج بالميزان
ثم صرفه واحضر النصراني
وقال له عرفني بخيانة اسمعيل
افندي واولاده والنقاد
وابراهيم افندي الخضراوي
الختام وغيره فلم يزد على ما قاله
اسمعيل افندي ثم احضر
الحاج سالم الجواهرجي وهدده
فلم يزد على قول الجماعة شيئا
فقال الجميع شركاء لبعضهم
البعض ومتفقون على خيانتي

ثم امر بحبس الحاج سالم واحضر شخصا آخر من الجواهرجية يسمى صالح الدنف والبسه فروة وجعله

على الصبيان عليه وكان ينهى اصحابه عن الظلم و ينهى عن السكر ويعاقب عليه ولا
ينهى عن الزنا ولا يقصده ملك بعده ابنة له فلم تطل مدتها حتى ماتت فملك بعدها امها
زوجة كوخان واسمه محمد و بقي ماوراء النهر بيد الخطا الى ان اخذه منهم علاء الدين
محمد خوارزم شاه سنة اثنتي عشرة وستمائة على ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر مافعله خوارزم شاه بخراسان)

قد ذكرنا قبل قصد السلطان سنجر خوارزم واخذها من خوارزم شاه اتسز وعوده اليها
وقتل ولد خوارزم شاه وانه هو الذى راسل الخطا واطمعهم في بلاد الاسلام فلما لقيهم
السلطان سنجر وعاد منهزما سار خوارزم شاه الى خراسان فقصد سرخس في ربيع
الاول من السنة فلما وصل اليها لقي الامام ابا محمد الزيادى وكان قد جمع بين الزهد
والعلم فاكرمه خوارزم شاه اكراما عظيما ورحل من هناك الى مرو الشاهجان فقصده
الامام احمد الباخرزى وشفع في اهل مرو وسأل ان لا يتعرض اليهم احد من العسكر
فاجابه الى ذلك ونزل بظاهر البلد واستدعى ابا الفضل الكرمانى الفقيه واعيان اهلها
فثار عامة مرو وقتلوا بعض اهل خوارزم شاه واخرجوا اصحابه من البلد واغلقوا ابوابه
واستعدوا للامتناع فقاتلهم خوارزم شاه ودخل مدينة مرو سابع عشر ربيع الاول
من السنة وقتل كثيرا من اهلها وممن قتل ابراهيم المروزى الفقيه الشافعى وعلى بن
محمد بن ارسلان وكان ذا فنون كثيرة من العلم وقتل الشريف على بن اسحق الموسوى
كان راس فتنة ومثير شر وقتل كثيرا من اعيان اهلها وعاد الى خوارزم واستصحب
معه علماء كثيرا من اهلها منهم ابو الفضل الكرمانى وابو منصور العبادى والقاضى
الحسين بن محمد الارسابندى وابو محمد الخرقى الفيلسوف وغيرهم ثم سار في شوال من
السنة الى نيسابور فخرج اليه جماعة من فقهائها وعلمائها وزهادها وسألوه ان لا يفعل
باهل نيسابور مافعل باهل مرو فاجابهم الى ذلك لكنه استقصى في البحث عن اموال
اصحاب السلطان فاخذها وقطع خطبة السلطان سنجر اول ذى القعدة وخطب له فلما
ترك الخطيب ذكر السلطان سنجر وذكر خوارزم شاه صاح الناس وثاروا وكادت الفتنة
تثور والشر يعود جديدا واغا منع الناس ذووا الرأى والعقل نظرا في العاقبة فقطعت
الى اول المحرم سنة سبع وثلاثين فاعيدت خطبة السلطان سنجر ثم سير خوارزم شاه
جيشا الى اعمال بيهق فاقاموا بها يقاتلون اهلها خمسة ايام ثم سار عنها ذلك الجيش
ينهبون البلاد وعملوا بخراسان اعمالا عظيمة ومنع السلطان من مقاتلة اتسز خوارزم
شاه لاجل قوة الخطا بما وراء النهر ومجاورتهم وملك خوارزم شاه هذه البلاد وغيرها من
خراسان

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة ملك اتابك زنكى بن آقسنقر مدينة الحديثة ونقل من كان بها من آل
مهراش الى الموصل ورتب اصحابه فيها وفيها ايضا خطب لزنكى بمدينة آمد وصار

الى الفيوم الذين والفول كذلك ورعيا كان سعره ازيد من القمح لقلته فانه هاف زرعه في هذه السنة ولم يحصل من
ريعه الاعشر التقاوى وحصل
للناس في هذه الايام شدة بسبب
ذلك ثم بعد قليل وردت غلال
وانحلت الاسعار وتواجدت
الغلال بالسواحل والرقع (وفى
منتصفه) حضر رجل نصرانى
من جبل الدروز وتوصل الى
الباشا وعرفه انه يحسن
الصناعة بمقدار الضرب ويوفر
عليه كثيرا من المصاريف
وانها بنحو الخمسة الصانع
وان يقوم بالعمل باربعين
نفسا الاغير وانه يصنع آلات
وعدد الضرب القروش
وغيرها ولا يحتاج الى وقود
نيران ولا كثير من العمل
فصدق الباشا قوله وامر بان
يفرد له مكان ويضم اليه
ما يحتاجه من الرجال
والحدادين والصناع ليعمل
لصناعته العدد والآلات
التى يحتاجها وشرع في اشغاله
واستمر على ذلك شهورا
(وفيه) التفت الباشا الى
خدمة الضربخانه وافنديتها
وطمعت نفسه في مصادرتهم
واخذ الاموال المتوارى عليهم
من التجمل الزائد في الملابس
والمراكب لان من طبعه داء
الحسد والشره والطمع والتطلع
لما في ايدى الناس وارزاقهم
فكان ينظر اليهم ويرمقهم وهم
يغدون ويروحون الى الضربخانه
هم واولادهم راكبون البغال والرهوانات المحجلة وحولهم الخدم والاتباع فينال منهم ويستغير

القواعد فاستقرت القاعدة على مائة ألف دينار يحملها الى السلطان ايعود عنه فحمل عشرين ألف دينار اكثرها عروض ثم تنقلت الاحوال بالسلطان الى ان احتاج الى مداراة اتابك واطلق له الباقي استمالة له وحفظا لقلبه وعود السلطان عنه كان بسبب حصانة بلاده وكثرة عساكره واموله ومن جيد الرأى ما فعله الشهيد في هذه الحادثة فانه كان ولده الاكبر سيف الدين غازى لا يزال عند السلطان سفرا وحضرا بامر والده فارسل اليه تابعه وارسل اليه نائبه نصير الدين جقر يقول له امنعه من الدخول الى الموصل والوصول اليه فهرب غازى وبلغ الخبر والده فارسل اليه يامره بالعودة الى السلطان ولم يجتمع به وارسل معه رسولا الى السلطان يقول له ان ولدى هرب خوفا من السلطان لما رأى تغيره علي وقد اعدته الى الخدمة ولم اجتمع به فانه مملوكك والبلاد لك فحل ذلك من السلطان محلا عظيما

(ذكر ملك اتابك بعض ديار بكر)

وفي هذه السنة سار اتابك زنكي الى ديار بكر ففتح منها عدة بلاد وحصون فمن ذلك مدينة طنزة ومن ذلك مدينة اسعرد ومدينة حيزان وحصن الدوق وحصن مطليس وحصن باتسية وحصن ذى القرنين وغير ذلك مما لم يبلغ شهرة هذه الاماكن واخذ ايضا من بلد ماردين مما هو بيد الفرنج جملين والموزر وتل موزر وغيرها من حصون جوسلين ورتب امور الجميع وجعل فيها من الاجناد من يحفظها وقصد مدينة آمد وحاني فحصرهما واقام بتلك الناحية مصلحا لما افتتحه ومحاصرا لما لم يفتحه

(ذكر امر العيارين ببغداد)

وفي هذه السنة زاد امر العيارين وكثر الاذى منهم من الطلب بسبب ابن الوزير وابن قاورت اخى زوجة السلطان لانهما كان لهما نصيب من الذى ياخذه العيارون وكان النائب في شحنكية بغداد مملوكا اسمه ايلدكز وكان صارما مقداما الا انه لما علم ذلك الاقدام الى ان حضر عند السلطان فقال له السلطان ان السياسة قاصرة والناس قد هلكوا فقال يا سلطان العالم اذا كان عقيد العيارين ولد وزيرك واخا امرأتك فاى قدرة لى على المفسدين وشرح له الحال فقال له الساعة تخرج وتكبس عليهما اين كانا وتصلبهما فان فعلت والا صلبتك فاخذ خاتمه وخرج فكبس على ابن الوزير فلم يجده فاخذ من كان عنده وكبس على ابن قاورت فاخذه وصلبه فاصبح الناس وهرب ابن الوزير وشاع الامر ورؤى ابن قاورت مصلوبا فهرب اكثر العيارين وقبض على من اقام وكفى الناس شرهم

(ذكر حصر سنجر خوارزم وصلحه مع خوارزم شاه)

قد ذكرنا سنة ثلاث وثلاثين مسير سنجر الى خوارزم وملكه لها وعود اتسز خوارزم شاه اليها واخذها وما كان منه بخراسان بعد ذلك فلما كان في هذه السنة سار السلطان سنجر الى خوارزم شاه فجمع خوارزم شاه عساكره وتحصن بالمدينة ولم يخرج منها للقتال

لزوجته وطلع الى القلعة في موكب وقرئت المراسيم وعملوا الشنك ومدافع تضرب في الاوقات الخمسة بعدة ايام من القلعة والازبكية وبولاق والجيزة (واستهل شهر ربيع الاول سنة ١٢٢٧)

فيه حضر ابراهيم بك ابن الباشا من الجهة القبلية (وفي منتصفه) حضر احمد اغا لاظ الذى كان امير ابقنا وقوص وباقي الكشاف بعد ان راكوا جميع البلاد القبلية والاراضى وفرضوا عليها الاموال على كل فدان سبعة ريالات وهو شئ كثير جدا واحصوا جميع الرزق الاحباسية المرصدة على المساجد والبر والصدقة بالصعيد ومصر فبلغت ستمائة الف فدان واشاعوا بانهم يطلقون المرصد على المساجد خاصة نصف المفروض وهو ثلاثة ريال ونصف فضجت اصحاب الرزق وحضر الكثير منهم يستغيثون بالمشايخ فركبوا الى الباشا وتكلموا معه في شان ذلك وقالوا له هذا يترتب عليه خراب المساجد فقال واين المساجد العامرة التى لم يرض بذلك بل يهدمونها اهمر المساجد المتخربة وارتب لها ما يكفيها فلم يفد كلامهم فائدة فنزلوا الى بيوتهم (وفي اواخره) انتقل السيد عمر مكرم النقيب من دمياط الى طنطا وسكنها (وسبب ذلك) انه لما طالت اقامته بدمياط وهو ينتظر الفرج وقد اشاعوا عليه وهو ينتقل من المكان الذى هو فيه الى مكان آخر على شاطئ البحر وشاغل بعمارة خان انشاه هناك والحوش والآزموت له ولم يزل حتى ورد عليه صديق افندى قاضى العسكر فكلمه

الآن أشب وعمرت العمادية والقاصيت العمادية نسبة الى لقبه وكان نصير الدين جقر نائبه بالموصل قد فتح أكثر القلاع الجبلية

(ذكر حصر الفرنج طرابلس الغرب)

وفي هذه السنة سار شعرا كب الفرنج من صقلية الى طرابلس الغرب فحصروها وسبب ذلك ان أهلها في أيام الامير الحسن صاحب افريقية لم يدخلوا أبدا في طاعته ولم يزالوا مخالفين مشاقين له قد قدموا عليهم من بني مطروح مشايخ يدبرون أمرهم فلما رآهم ملك صقلية كذلك جهز اليهم جيشا في البحر فوصلوا اليهم تاسع ذي الحجة فنازلوا البلد وقاتلوه وعلقوا الكلاليب في سوره ونقبوه فلما كان الغد وصل جماعة من العرب نجدة لاهل البلد فقوي أهل طرابلس بهم فخرجوا الى الاسطول فحملوا عليهم حملة منكرة فانهزموا الهزيمة فاحشة وقتل منهم خلق كثير ولحق الباقون بالاسطول وتركوا الاسلحة والاثقال والدواب والآلات فنهبها العرب وأهل البلد ورجع الفرنج الى صقلية فجهزوا أسلحتهم وتجهزوا الى المغرب فوصلوا الى جيجل فلما رآهم أهل البلد هربوا الى البراري والجبال فدخلها الفرنج وسبوا من أدركوا فيها وهدموها وأحرقوها وأخربوا القصر الذي بناه يحيى بن العزيز بن حماد للنزهة ثم عادوا

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة خرج حسن أمير الامراء على السلطان سنجر بخراسان وفيها توفي محمد بن دانشمند صاحب ملطية والثغر واستولى على بلاده الملك مسعود بن قلج أرسلان صاحب قونية وهو من السلجوقية وفيها خرج من الروم عسكر كثير الى الشام فحصروا الفرنج بانطاكية فخرج صاحبها وأرسل الى ملك الروم وأصلح حاله معه وعاد الى مدينته ومات في رمضان من هذه السنة ثم ان ملك الروم بعد أن صالح صاحب انطاكية سار الى طرابلس فحصرها ثم سار عنها وفيها قبض السلطان مسعود على الامير برشق وهو من خواص الخليفة وممن رفي عضده وفي داره فساء ذلك الخليفة ثم أطلقه السلطان حفظا لقلب الخليفة وفيها كان بمصر وباء عظيم فهلك منه أكثر البلاد

(ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة)

(ذكر صلح الشهيد السلطان مسعود وأتابك زنكي)

في هذه السنة وصل السلطان مسعود الى بغداد على عادته في كل سنة وجمع العساكر وتجهز لقصد أتابك زنكي وكان حقد عليه حقدا شديدا وسبب ذلك ان أصحاب الاطراف الخارجين على السلطان مسعود كانوا يخرجون عليه على ما تقدم ذكره فكان ينسب ذلك الى أتابك زنكي ويقول هو الذي سعى فيه وأشار به لعلمه انهم كلهم كانوا يصدرون عن رأيه فكان أتابك زنكي لا شك يفعل ذلك الا ليشغل السلطان عنه فتمكن منعوه من غير بقتله فلما تفرغ السلطان هذه السنة جمع العساكر ليسير الى بلاده فسير أتابك يستعطفه ويستميله فأرسل اليه السلطان أبا عبد الله بن الانباري في تقرير

في خدمة الحاج سالم ثم ركب الباشا الى بيت الازبكية وطلب اسمعيل افندي لبلاده وأولاده فحضر وهم جماعة من العسكر في صورة هائلة وهددهم بالقتل وأمر باحضار المشاعل فأحضروها وأوقدوا المشاعل وسعت المتكلمون في العفو عنهم من القتل وقرروا عليهم مبلغا افتدوا به من الاكياس التزموا بدفعها وخوفا من القتل ففرضوا على الحاج سالم بمفرده سبعمائة وخمسين كيسا وعلى ابراهيم المذاد مائتي كيس وعلى أحمد أفندي الوزان مائتي كيس وعلى أولاد الشيخ المهدي مائتي كيس لان لهم بها آلات ختم ووظائف يستغلون أجرتها وأخذ الجماعة في تحصيل ما فرض عليهم فشرعوا في بيع أمتعتهم وجهات ايرادهم ورهنوا وتداينوا بالربا وحولت عليهم الحوالات لطف الله بنا وبهم

(واستهل شهر صفر الخير بيوم الجمعة سنة ١٢٢٧)

في سابعه يوم الخميس حضر السيد محمد المحروقي الى مصر ووصل من طريق القصير ثم ركب بحر النيل ولم يحضر الشيخ المهدي بل تخلف عنه بقنا لمرض لبعض أغراضه (وفيه) ألبس الباشا صالح أغا السلحدار خلعة وجعله سر عسكر التجريدة المتوجهة على طريق البر الى الحجاز وكذلك ألبس باقي السكشاف (وفي يوم الاحد) عاشره ورد نجابي وعلى يده مرسوم بشا رة بمولود ولد للسلطان محمود وتسمى مراد وصحبته ايضا مقرر للباشا على ولاية مصر فضربوا مدافع

تساق الى الاسكندرية وتباع على الافرنج فنفدت الغلال وغلا سعرها مع كون الفلاح لا يقدر على رفع غلته المحصلة له من زراعة ارضه التي غرم عليها المغارم بطول السنة بل تؤخذ منه قهرا مع الاجحاف في الثمن والكيل بحيث يكال الاردب اردبا ونصفا ثم يلزمونه باجرة حملها للمحل المعد لذلك ويلزم ايضا باجرة الكيال وعوائد المباشر في ذلك من الاعوان وخدمة الكشوفية واجرة المعادي وبعض البلاد يطلق له الاذن بدفع المطلوب بالثمن والبعض النصف غلال والنصف الآخر دراهم حسب رسم المعلم غالي واوامره واذنه فانه هو المرخص في الامر والنهي فيدفع المأذون له غلته باقصى همته براحة من المسكين الآخر الذي لم تسعده الاقدار وحضر الكثير من الفلاحين وازدحموا بباب المعلم غالي وتركوا بلادهم وتعطلوا عن الدراس (وفي) ليلة الاثنين خامس عشره ذهب الباشا الى قصر شبرا وسافر تلك الليلة الى ثغر الاسكندرية بقصد جمع ابنه ابراهيم بك الى الجهة القبلية وكذلك احدا طالانا الغرز وقبض الاموال (وفيه) ورد الخبر بان العسكر القبلي ذهبوا خلف الامراء القبليين الفارين الى خلف ابريم وضيقوا عليهم الطرق وماتت خيولهم وجمالهم وتفرق عنهم خدمهم واضمحل حالهم وحضر عدة من مماليكهم واجنادهم الى ناحية اسوان بامان من الاتراك فقبضوا عليهم

الاعمال مع غيرها مما هو غربي الفرات كجوسلين وكان صاحب رأي الفرنج والمقدم على عساكرهم لما هو عليه من الشجاعة والمكر وكان اتابك يعلم انه متى قصد حصرها اجتمع فيها من الفرنج من يمنعها فيتعذر عليه ملكها لما هي عليه من الحصانة فاشتغل بديار بكر ليوهم الفرنج انه غير متفرغ الى قصد بلادهم فلما رأوا انه غير قادر على ترك الارتقية وغيرهم من ملوك ديار بكر حيث انه محارب لهم اطمأنوا وفارق جوسلين الرها وعبر الفرات الى بلاده الغربية فجاءت عيون اتابك اليه فاخبروه الخبر فنادى في العسكر بالرحيل وان لا يتخلف عن الرها احد من غد يومه وجمع الامراء عنده وقال قدموا الطعام وقال لا يأكل معي على مائدتي هذه الا من يطعن غدا معي بباب الرها فلم يتقدم اليه غير امير واحد وصبي لا يعرف لما يعلمون من اقدامه وشجاعته وان احدا لا يقدر على مساواته في الحرب فقال الامير لذلك الصبي ما انت في هذا المقام فقال اتابك دعه فوالله اني ارى وجها لا يتخلف عني وسار والعساكر معه ووصل الى الرها وكان هو اول من حمل على الفرنج وحمل ذلك الصبي وحمل فارس من خيالة الفرنج على اتابك عرضا فاعترضه ذلك الامير فطعنه فقتله وسلم الشهيد ونازل البلد وقاتله ثمانية وعشرين يوما فزحف اليه عدة دفعات وقدم النقابين فنقبوا سور البلد ولج في قتاله خوفا من اجتماع الفرنج والمسير اليه واستنقاذ البلد منه فسقطت البدنة التي نقبها النقابون واخذ البلد عنوة وقهرا وحصر قلعته فملكها ايضا ونهب الناس الاموال وسبوا الذرية وقتلوا الرجال فلما رأى اتابك البلد اعجبه ورأى ان تخريب مثله لا يجوز في السياسة فامر فنودي في العساكر برد ما اخذوه من الرجال والنساء والاطفال الى بيوتهم واعادة ما غنموه من اثاثهم وامتعتهم فردوا الجميع عن آخره لم يفقد منه شيء الا الشاذ النادر الذي اخذ وفارق من اخذه العسكر فعاد البلد الى حاله الاول وجعل فيه عسكرا يحفظه وتسلم مدينة سروج وسائر الاماكن التي كانت بيد الفرنج شرقي الفرات ما عدا البيرة فانها حصينة منيعة وعلى شاطئ الفرات فسار اليها وحصرها وكانوا قد اكثروا ميرتها ورجالها فبقي على حصاره الى ان رحل عنها على ما نذكره ان شاء الله تعالى (حكى) ان بعض الحكماء بالانساب والتواريخ قال كان صاحب جزيرة صقلية قد ارسل سرية في البحر الى طرابلس الغرب وتلك الاعمال فنهبوا وقتلوا وكان بصقلية انسان من العلماء المسلمين وهو من اهل الصلاح وكان صاحب صقلية يكرمه ويحترمه ويرجع الى قوله ويقدمه على من عنده من القسوس والرهبان وكان اهل ولايته يقولون انه مسلم بهذا السبب ففي بعض الايام كان جالسا في منظرة تشرف على البحر واذ قد اقبل مركب لطيف واخبره من فيه ان عسكره دخل بلاد الاسلام وغنموا وقتلوا وظفروا وكان المسلم الى جانبه وقد اغفى فقال له الملك يا فلان اما تسمع ما يقولون قال لا قال انهم يخبرون بكذا وكذا اين كان محمد عن تلك البلاد واهلها فقال له كان غاب عنهم وشهد فتح الرها وقد فتحها المسلمون الآن فضحك منه من كان هناك من الفرنج فقال الملك لا تضحكوا فوالله ما يقول الا الحق فبعد ايام وصلت الاخبار من

لعلمه انه لا يقوى لسنجر وكان القتال يجرى بين الفريقين من وراء السور فاتفق في يوم من بعض الايام ان هجم امير من امراء سنجر اسمه سنقر على البلد من الجانب الغربي فلم يبق غير ملكه قهرا وعنوة وكان مقابل الشاحي هجم من الشرق فانهزم مقاتل من البلد وبقي سنقر وحده في البلد فقوي عليه خوارزم شاه فاسره فاخرجه من البلد وبقي سنجر وحده واشتد في حفظه فلما راى السلطان قوة البلد وامتناعه عزم على العود الى مرو ولم يمكنه من غير فائدة تستقر بينهما فاتفق ان خوارزم شاه ارسل رسلا يبذل المال والطاعة والخدمة ويعود الى ما كان عليه من الانقياد فاجابه الى ذلك واصطلحا وعاد سنجر الى مرو واقام خوارزم شاه بخوارزم

●(ذكر عدة حوادث)●

في هذه السنة سير اتابك زنكي عسكرا الى مدينة عانة من اعمال الفرات فملكوها وفيها في المحرم توفي ابو البركات عبد الوهاب بن المبارك بن احمد الانماطي الحافظ ببغداد ومولده سنة اثنتين وستين واربعمائة وفيها توفي ابو الفتوح محمد بن الفضل بن محمد الاسفرايني الواعظ من اهل اسفراين من خراسان واقام مدة ببغداد يعظ وسار الى خراسان فلما مات حضر الغزنوي عزاءه ببغداد وبكى واكثر فقال بعض اصحاب ابي الفتوح للغزنوي كلاما اغلظ له فيه فلما قام الغزنوي لامه بعض تلامذته على حضور العزاء وكثرة البكاء وقال له كنت مهاجرا لهذا الرجل فلما مات حضرت عزاءه وا كثرت البكاء واظهرت الحزن فقال كنت ابكي على نفسي كان يقال فلان وفلان فمن يعدم النظير ايقن بالرحيل وانشد هذه الابيات

ذهب المبرد وانقضت ايامه ● وسينقضي بعد المبرد ثعلب
بيت من الآداب اصبح نصفه ● خربا وباقي نصفه فسيخرب
فتزودوا من ثعلب فبمثل ما ● شرب المبرد عن قليل يشرب
اوصيكم ان تكتبوا انفاسه ● ان كانت الانفاس مما يكتب

وفيها توفي الوزير شرف الدين علي بن طراد الزينبي في رمضان معزولا ودفن بداره بباب الازج ثم نقل الى الحربية وفيها توفي ابو القاسم محمود بن عمر الزمخشري النحوي المفسر وزمخشر احدى قرى خوارزم

●(ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وخمسمائة)●

●(ذكر فتح الرها وغيرها من البلاد الجزرية)●

في هذه السنة سادس جمادى الآخرة فتح اتابك عماد الدين زنكي بن آقسنقر مدينة الرها من الفرنج وفتح غيرها من حصونهم بالجزيرة ايضا وكان ضررهم قد عم بلاد الجزيرة وشرهم قد استطار فيها ووصلت غاراتهم الى ادانيها واقاصيها وبلغت آمد ونصيبين وراس العين والرقة وكانت مملكتهم بهذه الديار من قريب ماردين الى الفرات مثل الرها وسروج والبيرة وسن ابن عطير وحملين والموزر والقرادي وغير ذلك وكانت هذه

بان ينقطع له عند الباشا في انتقاله الى ما عندنا فعل واجاب الباشا الى ذلك ●(واستهل شهر ربيع الآخر سنة ١٢٢٧)● في رابعه وصل الحجاج المغاربة ووصل ايضا مولاي ابراهيم ابن السلطان سليمان سلطان الغرب وسبب تاخرهم الى هذا الوقت انهم اتوا من طريق الشام وهلك الكثير من فقرائهم المشاة واخبروا انهم قضوا مناسكهم وحجوا وزاروا المدينة واكرمهم الوهابية اكراما زائدا وذهبوا ورجعوا من غير طريق العسكر (وفي عاشره) حضر تامر كاشف وعثمان بك وعبد الله اغا وهم الذين كانوا حضروا الى المويلح بعد الهزيمة فاقاموا به مدة ثم ذهبوا الى ينبع البحر عند طوسون باشا ثم حضروا في هذه الايام بامر طلب الباشا وكان عثمان بك في مركب من مراكب الباشا الكبار التي انشاها بالسويس على شعب وهلك من عسكره اشخاص ونجا هو ومن بقي معه واخبروا عنه انه كان اول من تقدم في الحرب هو وحسين بك فقتل من عسكرهما الكثير من دون البقية الذين استعملوا الفرار (وفيه) خرجت اوراق الفرضة على نسق العام الاول عن اربع سنوات على وفاتها ومضاف ورزق واوسية واسقط طلبها في دفعة واحدة ويؤخذ من اصل حسابها الغلال من الاجران بحساب ثمانية ريال كل اردب ويجمع غلال كل اقليم في نواحي عينوها

ماردين وصار وحاله فاملكها المسلمون وفيها اخرج اسطول الفرنج من صقلية الى ساحل افريقية والغرب ففتحوا مدينة برشك وقتلوا اهلها وسبوا حريمهم وباعوه بصقلية على المسلمين وفيها توفى تاشفين بن على بن يوسف صاحب المغرب وكانت ولايته تزيد على اربع سنين وولى بعده اخوه وضعف امر الملثمين وقوى عبد المؤمن وقد ذكرنا ذلك سنة اربع عشرة وخمسمائة وفيها فى شوال ظهر كوكب عظيم له ذنب من جانب المشرق وبقى الى نصف ذى القعدة ثم غاب ثم طلع من جانب الغرب فقيل هو هو وقيل بل غيره وفيها كانت فتنة عظيمة بين الامير هاشم بن فليتة بن القاسم العلوى الحسنى امير مكة والامير نظر الخادم امير الحاج فنهب اصحاب هاشم الحجاج وهم فى المسجد يطوفون ويصلون ولم يرقبوا فيهم الا ولا ذمة وفيها فى ذى الحجة توفى عبد الله احمد بن محمد بن عبد الله بن حمدويه ابو المعالى المروزى بمرو وسافر الكثير وسمع الحديث الكثير وبنى بمرو رباطا ووقف فيه كتبا كثيرة وكان كثير الصدقة والعبادة وتوفى محمد بن عبد الملك ابن حسن بن ابراهيم بن خيرون ابو منصور المقرى فى رجب ومولده فى رجب سنة اربع وخمسين واربعمائة وهو آخر من روى عن الجوهرى بالاجازة وفى ذى الحجة توفى ابو منصور سعيد بن محمد بن عمر المعروف بابن الرزاز مدرس النظامية ببغداد ومولده سنة اثنتين وستين واربعمائة وتفقه على الغزالى والشاشى ودفن فى تربة الشيخ ابى اسحق

(ثم دخلت سنة اربعين وخمسمائة)

(ذكر اتفاق بوزابه وعباس على منازعة السلطان)

فى هذه السنة سار بوزابه صاحب فارس وخوزستان وعساكره الى قاشان ومعه الملك محمد ابن السلطان محمود ووصل اليهما الملك سليمان شاه ابن السلطان محمد واجتمع بوزابه والامير عباس صاحب الرى واتفقا على الخروج عن طاعة السلطان مسعود وملكا كثيرا من بلاده ووصل الخبر اليه وهو ببغداد ومعه الامير عبد الرحمن طغايرك وهو امير حاجب حاكم فى الدولة وكان ميله اليهما فسار السلطان فى رمضان عن بغداد ونزل بها الامير مهلهل ونظر وجماعة من غلمان بهروز وسار السلطان وعبد الرحمن معه فتقارب العسكران ولم يبق الا المصاف فلحق سليمان شاه باخيه مسعود وشرع عبد الرحمن فى تقرير الصلح على القاعدة التى ارادوها واضيف الى عبد الرحمن ولاية اذربيجان وارانية الى ما بيده وصار ابو الفتح بن دارست وزير السلطان مسعود وهو وزير بوزابه فصار السلطان معهم تحت الحجر وارسلوا الى ارسلان بن طغرل المعروف بخاص بك وهو ملازم السلطان وتربيته وصار فى خدمته عبد الرحمن ليحقن دمه وصار بجماعة فى خدمة السلطان بالصورة لا بالمعنى والله اعلم

(ذكر استيلاء على بن دبيس بن صدقة على الحلة)

فى هذه السنة سار على بن دبيس الى الحلة حاربا فملكها وكان سبب ذلك ان السلطان

الماتيقو وكان المذكور جعل نفسه مريضا ومنقطعا فى داره فما اشعرهم فقالوا نحن قصدنا بخطابك الشرع على اهل الحرفة المنتسبين الى الازهر فى العمل بالشريعة واخذ العلم اوما علمت ما قد جرى فى العام السابق من حادثة الرغل وغير ذلك فلم يزالوا به حتى وعدهم انه يتكلم مع اولاده ويجمعون على ذلك بتباعتهم ونجابتهم (وفى اليوم الثالث) وقيل الثانى ارسل ابو القاسم المذكور فاحضر السيد احمد الذى يقال له الجندى المطلخ وابن اخيه وهما اللذان يتعاطيان الحسبة والاحكام بخط الازهر ويتكلمان على الباعة والخضرية والجزارين الكائنين بالخطة فلما حضرا عنده عاهدهما وحلفهما بان يسترا عليه وعلى اولاده ولا يفضحاهم ويعدانهم هذه القضية واخبرهما بان ولده لم يزل يتفحص بخطانته حتى عرف السارق ووجد بعض الامتعة ثم فتح خزانة بجلسه واخرج منها الامتعة والوعن الصندوق فقال هو باق عند من هو عنده ولا يمكن احضاره فى النهار فاذا كان آخر الليل انتظروا ولدى محمدا هذا عند جامع الفاكهانى بالعقادين الرومى وهو ياتيكم بالصندوق مع سارقه فاقبضوا عليه واتركوا ولدى ولا تذكروهم ولا تتعرضوا الاسم فقالوا له كذلك وحضر الجندى وابن اخيه فى الوقت الذى وجدهم به وصحبتهما الشخـ ـاص من اتباع الشر فلقوه وقفوا

فرنج الشام بفقدها * وحكى لي جماعة من أهل الدين والصلاح ان انسانا صالحا رأى الشهيد في النوم فقال له ما فعل الله بك قال غفر لي بفتح الرها

(ذكر قتل نصير الدين جقر وولاية زين الدين علي كوجك قلعة الموصل)

في هذه السنة في ذي القعدة قتل نصير الدين جقر نائب اتابك زنكي بالموصل والاعمال جميعها التي شرقي الفرات وسبب قتله ان الملك الب ارسلان المعروف بالخفاجي ولد السلطان محمود كان عند اتابك الشهيد وكان يظهر للخلفاء والسلطان مسعود واصحابه بالاطراف ان هذه البلاد لهذا الملك وانا نائبه فيها وكان ينتظر وفاة السلطان مسعود ليخطب له بالسلطنة ويملك البلاد باسمه وكان هذا الملك بالموصل هذه السنة ونصير الدين يقصده كل يوم ليقوم بخدمته ان عرضت له فحسن له بعض المفسدين طلب الملك وقال له ان قتلت نصير الدين ملكت الموصل وغيرها من البلاد ولا يبقى مع اتابك زنكي فارس واحد فوقع هذا منه موقعا حسنا وظنه صدقا فلما دخل نصير الدين اليه وثب عليه من عنده من اجناد اتابك ومماليكه فقتلوه والقوا رأسه الى اصحابه ظنا منهم ان اصحابه يتفرقون ويخرج الملك ويملك البلد وكان الامر خلاف ما ظنوه فان اصحابه واصحاب اتابك الذين في خدمته لما رأوا رأسه قاتلوا من بالدار مع الملك واجتمع معهم الخلق الكثير وكانت دولة اتابك مملوءة بالرجال والاجناد ذوي الرأي والتجربة ثم دخل اليه القاضي تاج الدين يحيى بن الشهرزوري ولم يزل به يخدعه وكان فيما قال له لما رآه منزعجا يا مولانا لم تحرد من هذا الكلب هذا واستاذه مماليكك والحمد لله الذي اراحنا منه ومن صاحبه على يدك وما الذي يقعدك في هذه الدار قم لتصعد القلعة وتأخذ الاموال والسلاح وتملك البلد وتجمع الجند وليس دون الموصل مانع فقام معه واصعده القلعة فلما قاربها اراد من بها من النقيب والاجناد القتال فتقدم اليهم القاضي تاج الدين وقال لهم افتحوا الباب وتسلموه وافعلوا به ما اردتم ثم فتح الباب ودخل الملك والقاضي اليها ومعهما من اعان على قتل نصير الدين فسجنوا ونزل القاضي وبلغ الخبر اتابك زنكي وهو يحاصر قلعة البيرة وقد اشرف على ملكها فخاف ان تختلف البلاد الشرقية بعد قتل نصير الدين ففارق البيرة وارسل زين الدين علي بن بكتكين الى قلعة الموصل والباقي على ما كان نصير الدين يتولاه

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة قبض السلطان مسعود على وزيره البروجردي ووزر بعده المرزبان بن عبيد الله ابن نصر الاصفهاني وسلم اليه البروجردي فاستخرج امواله ومات مقبوضا وفيها كان اتابك عماد الدين زنكي يحاصر البيرة وهي للفرنج شرقي الفرات بعد ملك الرها وهي من امنع الحصون وضيق عليها وقارب ان يفتحها فجاءه خبر قتل نصير الدين نائبه بالموصل فرحل عنها وارسل نائبا الى الموصل واقام ينتظر الخبر فخاف من بالبيرة من الفرنج ان يعود اليهم وكانوا يخافونه خوفا شديدا فارسلوا الى نجم الدين صاحب

وقتلوهم عن آخرهم وفعلوا قبل ذلك بغيرهم كذلك (وفي اواخره) سافر عدة من عسكر المغاربة الى الينبع ووصل جملة كبيرة من عسكر الاروام الى الاسكندرية فصرف عليهم الباشا العلائف وحضروا الى مصر وانتظموا في سلك من بها وبقي منهم المذكورين بمصر (وفيه) وقعت حادثة بجهة الجامع الازهر وحواليه من مدة تقدمت من قبل العام الماضي كان يقع بالخطة ونواحيها من الدور والحوانيت سرقات وضياع امتعة وتكرر ذلك حتى ضج الناس وكثر لغطهم وشاع تخمينهم فمن قائل انه مسترقيات يدخلون من نواحي الدور يتفرقون في الخطة ويفعلون ما يفعلون ومنهم من يقول ان ذلك فعل طائفة من العسكر الذين يقال لهم الخيطة في بلادهم الى غير ذلك ثم في تاريخه سرق من بيت امرأة رومية صندوق وسلاح فاتهمت اشخاصا من العميان المجاورين بزاويتهم تجاه مدرسة الجوهرية الملاصقة للازهر فقبض عليهم الاغا وزجرهم فانكروا وقالوا لسنا سارقين وانما معنا فلانا سموه وهو محمد بن ابي القاسم الدرقاوي المغربي المنفصل عن مشيخة رواق المغاربة ومعه اخوته وآخرون ونعرفه بصوته وهم يتذاكرون في ذلك ونحن نسمعهم فلما تحققوا ذلك وشاع بين الناس والاشياخ ذهب بعضهم الى ابي القاسم وخاطبوه وكلموا صهرا وخرقوه ومن

أهلها واشتبوا القتال فدامت الحرب بينهم ثلاثة أيام فلما كان اليوم الثالث سمع الفرنج بالمدينة ضجة عظيمة وخلت الأسوار من المقاتلة وسبب ذلك أن أهل طرابلس كانوا قبل وصول الفرنج بأيام يسيرة قد اختلفوا فأخرجت طائفة منهم بني مطروح وقدموا عليهم رجلا من الملثمين قدم يريد الحج ومعه جماعة فولوه أمرهم فلما نازلهم الفرنج أعادت الطائفة الأخرى بني مطروح فوقع الحرب بين الطائفتين وخلت الأسوار فانتهز الفرنج الفرصة ونصبوا السلالم وطلعوا على السور واشتد القتال فملكت الفرنج المدينة عنوة وقهرا بالسيف فسفكوا دماء أهلها وسبوا نساءهم وأخذوا أموالهم وهرب من قدر على الهرب والتجأ إلى البربر والعرب فنودي بالأمان في كافة الناس فرجع كل من فر منها وأقام الفرنج ستة أشهر حتى حصنوا أسوارها وحفروا خنادقها ولما عادوا أخذوا رهائن أهلها ومعهم بنو مطروح والملثم ثم أعادوا رهائنهم وولوا عليها رجلا من بني مطروح وأخذوا رهائنه وحده واستقامت أمور المدينة وألزم أهل صقلية والروم بالسفر إليها فعمرت سريعا

(ذكر حصر زنكي حصن جعبر وفنك)

وفي هذه السنة سار أتابك زنكي إلى حصن جعبر وهو مطل على الفرات وكان بيد سالم بن مالك العقيلي سلمه إليه السلطان ملكشاه لما أخذ منه حلب وقد ذكرناه فحصره وسير جيشا إلى قلعة فنك وهي تجاور جزيرة ابن عمر بينهما فرسخان فحصرها أيضا وصاحبها حينئذ الأمير حسام الدين الكردي البشنوي وكان سبب ذلك أنه كان لا يريد أن يكون في وسط بلاده ما هو ملك غيره حزما واحتياطا فنازل قلعة جعبر وحصرها وقاتله من بها فلما طال عليه ذلك أرسل إلى صاحبها مع الأمير حسان المنبجي لمودة كانت بينهما في معنى تسليمها وقال له تضمن عني الإقطاع الكثير والمال الجزيل فإن أجاب إلى التسليم وإلا فقل له والله لأقيمن عليك إلى أن أملكها عنوة ثم لا أبقي عليك ومن الذي يمنعك مني فصعد إليه حسان وأدى إليه الرسالة ووعده وبذل له ما قيل له فامتنع من التسليم فقال له حسان فهو يقول لك من يمنعك مني فقال يمنعني منه الذي منعك من الأمير بلك فعاد حسان وأخبر الشهيد بامتناعه ولم يذكر له هذا فقتل أتابك بعد أيام وكانت قصة حسان مع بلك ابن أخي إيلغازي أن حسانا كان صاحب منبج فحصره بلك وضيق عليه فبينما هو كذلك في بعض الأيام يقاتله جاءه سهم لا يعرف من رماه فقتله وخلص حسان من الحصر وقد تقدم ذكره وكان هذا القول من الاتفاق الحسن فلما قتل أتابك زنكي رحل العسكر الذين كانوا يحاصرون قلعة فنك عنها وهي بيد عقب صاحبها إلى الآن ومعتمدهم يذكرون أنهم لهم بها نحو ثلاثمائة سنة ولهم مقصد حسن وفيهم وفاء وعصبية يأخذون بيد كل من يلتجئ إليهم ويقصدهم ولا يسلمونه إلى ما إليه كائنا من كان قريبا أو غريبا

(ذكر قتل أتابك عماد الدين زنكي وشيء من سيرته)

أقوالا أخر واجتمع ثم من الذين سرق لهم فهو رجل يدعى السمين أخذ من خزنته عدة قواميص سمن وصينية القناطري التي يحمل عليها الكنافة مع أمتعة وفرش وجدت في ثلاثة أماكن وخاتم ياقوت ذكر والده بيع بحماية دنانير وعقد لؤلؤ وغير ذلك واستغفر وأياما والناس يذهبون إلى الأقاويل كرون ماصرف لهم ويسألهم يقرون بأشياء دون أشياء ويذكرون ضياع أشياء أصغر قوافيها وباعوها وأكلوا ثمنها ثم اتفق الحال على المرافعة في المحكمة الكبيرة فذهبوا بالجميع واجتمع العالم الكثير من الناس وأصحاب السرقات وغيرهم نساء ورجالا وادعوا على هؤلاء الأشخاص المقبوض عليهم فاحضروا بعض ما ادعوا به عليهم وقالوا أخذنا ولم يقولوا سرقنا وبرأ محمد بن أبي القاسم أخوه وقال إنهما لم يكونا معنا في شيء من هذا وحصل الاختلاف في ثبوت القطع بلفظ أخذنا وقد حضرت دعوى أخرى مثل هذه على رجل صباغ ثم إن القاضي كتب إعلاما للكتخدا بك بصورة الواقع وفوض الأمر إليه فأمر بهم إلى بولاق وأنزلوهم عند القبطان وصحبتهم أبوهم أبو القاسم فأقاموا أياما ثم إن كتخدا بك أمر بقطع أيدي الثلاثة وهم محمد بن أبي القاسم الدرقاوي ورفيقه الحرماني والصباغ الذي ثبتت عليه السرقة في الحادثة الأخرى فقطعوا أيدي الثلاثة في بيت

لما اراد الرحيل من بغداد اشار عليه مهلهل ان يحبس علي بن دبيس بقلعة تكريت فعلم ذلك فهرب في جماعة يسيرة نحو خمسة عشر فمضى الى الازيز وجمع بني اسد وغيرهم وسار الى الحلة وبها اخوه محمد بن دبيس فقاتله فانهزم محمد وملك علي الحلة واستهان السلطان امره اولا فاستفحل وضم اليه جمعا من غلمانه وغلمان ابيه واهل بيته وعساكرهم ثم جمعهم فسار اليه مهلهل فيمن معه في بغداد من العسكر وضربوا معه مصافا فكسرهم وعادوا منهزمين الى بغداد وكان اهلها يتعصبون لعلي بن دبيس وكانوا يصيحون اذا راوا مهلهلا وبعض اصحابه يا علي كله وكثر ذلك منهم بحيث امتنع مهلهل من الركوب ومد علي يده في اقطاع الامراء بالحلة وتصرف فيها وصار شحنة بغداد ومن فيها على وجل منه وجمع الخليفة جماعة وجعلهم على السور لحفظه وراسل عليا فاعاد الجواب بانني العبد المطيع مهما رسم لي فعلت فسكن الناس ووصلت الاخبار بعد ذلك ان السلطان مسعودا تفرق خصومه عنه فازداد سكون الناس لذلك

(ذكر عدة حوادث)

حج بالناس هذه السنة قايماز الارجواني صاحب امير الحاج نظر واحتج نظر بان بركة جب في كثرة الحلاوات بينه وبين امير مكة من الحروب ما لاجله امتنع من الحج وفيها اتصل بالخليفة عن اخيه ابي طالب ما كرهه فضيق عليه واحتاط على غيره من اقاربه وفيها ملك الفرنج لعنهم الله مدينة شنترين وباجة وماردة واشبونة وسائر المعاقل المجاورة لها من بلاد الاندلس وكانت للمسلمين فاختلفوا فطمع العدو واخذ هذه المدن وقوي بها وتمكن وتيقن ملك بلاد الاسلام بالاندلس خيب الله ظنه وكان ما نذكره وفيها سار اسطول الفرنج من صقلية فنهبوا جزيرة قرقنة من افريقية فقتلوا رجالها وسبوا حريمهم فارسل الحسن صاحب افريقية الى رجار ملك صقلية يذكره بالعهود التي بينهم فاعتذر بانهم غير مطيعين له وفي هذه السنة توفي مجاهد الدين بهروز الغياثي وكان حاكما بالعراق نيفا وثلاثين سنة وبرنقش الزكوي صاحب اصفهان وكان ايضا شحنة بالعراق وهو خادم ارمني لبعض القضاة وتوفي الامير بلدكز شحنة بغداد والشيخ ابو منصور موهوب بن احمد بن الخضر الجواليقي اللغوي ومولده في ذي الحجة سنة خمس وستين واربعمائة واخذ اللغة عن ابي زكريا التبريزي وكان يؤم المقتفي امير المؤمنين وتوفي احمد بن محمد بن الحسن بن علي بن احمد بن سليمان ابو سعيد بن ابي الفضل الاصفهاني ومولده سنة ثلاث وستين واربعمائة وروى الحديث الكثير وكان على سيرة السلف كثير الاتباع للسنة رحمة الله عليه

(ثم دخلت سنة احدى واربعين وخمسمائة)

(ذكر ملك الفرنج طرابلس الغرب)

في هذه السنة ملك الفرنج لعنهم الله طرابلس الغرب وسبب ذلك ان رجار ملك صقلية جهز اسطولا كثيرا وسيره الى طرابلس فاحاطوا بها برا وبحرا ثالث المحرم فخرج اليهم

في انتظاره عند جامع الغا كوالى بخضر اليهم وصحبته شخص صيرماتي فقال لهم مكانكم حتى ناتيكم ثم طلعا الدار وفتح بعدفة الاغا ليبين ورجعا في الحال بالصندوق حامله الصيرماتي على راسه فقبضوا عليه في ذلك الصيرماتي واخذوه بالصندوق الى بيت الاغا فاستقبوه بالضرب وهو يقول انا السبت وحدي ومعي شركائي ابن ابي القاسم واخواه وآخر يسمى شلاطة وابن عبد الرحيم الجميع خمسة اشخاص فذهب الاغا واخبر كتخدا بك فامر بطلب اولاد ابي القاسم فارسل اليه ورقة يطلبهم فاجابه بان اولاده حاضرون عنده بالازهر من طلبة العلم وليسوا بسارقين فبعد الاختصار اخذهم الاغا واحضر ذلك الصيرماتي معهم لاجل المقابلة فلم يزل يذكر لابن ابي القاسم ما كانوا عليه في سرقاتهم القديمة والجديدة ويقول له اما كنا كذا وكذا وكذا واخذنا ما هو كذا في ليلة كذا واقتسمناه كذا وكذا ويقيم عليه ادلة وقرائن وامارات ويقول له انت رئيسنا وكبيرنا في ذلك كله ولا عتبي الى ناحية ولا صرحة الا باشارتك فعند ذلك لم يسع ابن ابي القاسم الا الاقرار واعترف هو واخوته وخمستهم سوية واما شلاطة ورفيقه فانهما اختفيا وهربا واختفيا وشاعت القضية في المدينة وكثر القال والقيل في اهل الازهر ونواحيه وتذكروا قضية الدراهم الزغل التي ظهرت قبل تاريخه وتذكروا

هناك

○(ذكر ملك ولديه سيف الدين غازي ونور الدين محمود)○

لما قتل اتابك زنكي اخذ نور الدين محمود ولده خاتمه من يده وكان حاضرا معه وسار الى حلب فملكها وكان حينئذ يتولى ديوان زنكي ويحكم في دولته من اصحاب العمائم جمال الدين محمد بن علي وهو المنفرد بالحكم ومعه امير حاجب صلاح الدين محمد الباغيسياني فاتفقا على حفظ الدولة وكان مع الشهيد اتابك الملك الب ارسلان ابن السلطان محمود فركب ذلك اليوم واجتمعت اليه العساكر فحضر عنده جمال الدين وصلاح الدين وحسنا له الاشتغال بالشرب والمغنيات والجواري وادخلاه الرقة فبقي بها اياما لا يظهر ثم سار الى ماكسين فدخلها واقام بها اياما وجمال الدين يحلف الامراء لسيف الدين غازي ابن اتابك زنكي ويسيرهم الى الموصل ثم سار من ماكسين الى سنجار وكان سيف الدين قد وصل الى الموصل فلما وصلوا الى سنجار ارسل جمال الدين الى الدزدار وقال له ارسل الى ولد السلطان يقول له اني مملوك ولكن تبغي الموصل فان ملكتها سلمت البلد فسار الى الموصل فاخذه جمال الدين وقد صحبه مدينة بلد وقد بقي معه من العسكر القليل فاشار عليه بعبور دجلة فعبرها الى الشرق في نفر يسير وكان سيف الدين غازي بمدينة شهرزور وهي اقطاعه فارسل اليه زين الدين علي نائب ابيه بالموصل يستدعيه الى الموصل فحضر قبل وصول الملك فلما علم جمال الدين بوصول سيف الدين الى الموصل ارسل اليه يعرفه قلة من معه فارسل اليه بعض عسكره فقبضه وحبس في قلعة الموصل واستقر ملك سيف الدين البلاد وبقي اخوه نور الدين بحلب وهي له وسار اليه صلاح الدين الباغيسياني فدبر امره والقائم بدولته وحققها وقد استقصينا شرح هذه الحادثة في التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية

○(ذكر عصيان الرها)○

لما قتل اتابك كان جوسلين الفرنجي الذي كان صاحب الرها في ولايته وهي تل باشر وما يجاورها فراسل اهل الرها وعامتهم من الارمن وحملهم على العصيان والامتناع من المسلمين وتسليم البلد اليه فاجابوه الى ذلك وواعدهم يوما يصل اليهم فيه وسار في عساكره الى الرها وملك البلد وامتنعت القلعة عليه بمن فيها من المسلمين فقاتلهم فبلغ الخبر الى نور الدين محمود بن زنكي وهو بحلب فسار مجدا اليها في عسكره فلما قاربها خرج جوسلين هاربا عائدا الى بلده ودخل نور الدين المدينة ونهبها حينئذ وسبى اهلها وفي هذه الدفعة نهبت وخلت من اهلها ولم يبق بها منهم الا القليل وكثير من الناس يظن انها نهبت لما فتحها الشهيد وليس كذلك وبلغ الخبر الى سيف الدين غازي بعصيان الرها فسير العساكر اليها فسبقه الملك نور الدين الى البلد واستباحه وهم في الطريق فعادوا ومن اعجب ما يحكى ان زين الدين علي الذي كان نائب الشهيد واولاده بقلعة الموصل جاءه مغنية ارسلها اليه نور الدين من هذا الفتح وفي الجملة

الثالث (وفي هذا الشهر) وما قبله وردت عساكر كثيرة من الاتراك وعينوا السفر وخرجوا الى مخيم العرضي خارج باب النصر والفتوح فكانوا يخرجون مساء ويدخلون في الصباح ويقع منهم ما يقع من اخذ الدواب وخطف بعض النساء والاولاد كعادتهم (وفي ليلة الخميس) ثاني عشريه حضر الباشا من الاسكندرية ليلا وصحبته حسن باشا الى القصر بشبرا وطلع في صبحها الى القلعة وضربوا لقدومه مدافع من الابراج فكانت مدة غيبته في هذه المدة شهرين وسبعة ايام واجتهد فيها في عمارة سور المدينة وابراجها وحصنها تحصينا عظيما وجعل بها جبخانات وبارودا ومدافع وآلات حرب ولم تزل العمارة مستمرة بعد خروجه حسبما على الرسم الذي رسمه لهم واتخذ جميع ما ورد عليه من مراكب التجار من البضائع على ذمته ثم باعه للمتسببين بما احب من الثمن وورد من ناحية بلاد الافرنج كثير من البن الافرنجي وحبه اخضر ويوجد كبير من حب البن اليمني الذي يأتي الى مصر في مراكب الحجاز اخذه في جملة ما اخذ في معاوضة الغلال ورماه على باعة البن بمصر بثلاثة عشر قرشا القنطار والتجار يبيعونه بالزيادة ويخلطونه مع البن اليمني وفي ابتداء وروده كان يباع رخيصا لانه دون البن اليمني في الطعم والذوق شم به وتعاطيه وبينهما فرق ظاهر يدركه صاحب الكيف البتة

القبطان ثم انزلوهم في مركب وصحبتهم ابوهم ابو القاسم وولداه الآخران اللذان لم تقطع ايديهما وسفروهم الى

في هذه السنة خامس ربيع الآخر قتل أتابك الشهيد عماد الدين زنكي بن آقسنقر صاحب الموصل والشام وهو يحاصر قلعة جعبر على ما ذكرناه قتله جماعة من مماليكه ليلا غيلة وهربوا الى قلعة جعبر فصاح من بها من أهلها الى العسكر يعلمونهم بقتله واظهروا الفرح فدخل اصحابه اليه فادركوه وبه رمق (حدثني والدي) عن بعض خواصه قال دخلت اليه في الحال وهو حي فحين رآني ظن أني اريد قتله فاشار الي باصبعه السبابة يستعطفني فوقفت من هيبته فقلت يا مولاي من فعل هذا فلم يقدر على الكلام وفاضت نفسه رحمه الله قال وكان حسن الصورة اسمر اللون مليح العينين قد وخطه الشيب وكان قد زاد عمره على ستين سنة لانه كان لما قتل والده صغيرا كما ذكرناه قبل ولما قتل دفن بالرقة وكان شديد الهيبة على عسكره ورعيته عظيم السياسة لا يقدر القوي على ظلم الضعيف وكانت البلاد قبل ان يملكها خرابا من الظلم وتنقل الولاة ومجاورة الفرنج فعمرها وامتلأت اهلا وسكانا (حكى لي والدي) قال رأيت الموصل واكثرها خراب بحيث يقف الانسان قريب محلة الطبالين ولا يرى الجامع العتيق والعرصة ودار السلطان ليس بين ذلك عمارة وكان الانسان لا يقدر على المشي الى الجامع العتيق الا ومعه من يحميه لبعده عن العمارة وهو الآن في وسط العمارة وليس في هذه البقاع المذكورة كلها ارض براح قال وحدثني ايضا انه وصل الى الجزيرة في الشتاء فدخل الامير عز الدين الدبيسي وهو من اكابر امرائه من جملة اقطاعه مدينة دقوقا ونزل في دار انسان يهودي فاستغاث اليهودي الى اتابك وانهى حاله اليه فنظر الى الدبيسي فتأخر ودخل البلد واخرج بركه وخيامه قال فلقد رأيت غلمانه ينصبون خيامه في الوحل وقد جعلوا على الارض تبنا يقيهم الطين وخرج فنزلها وكانت سياسته الى هذا الحد وكانت الموصل من اقل بلاد الله فاكهة فصارت في ايامه وما بعدها من اكثر البلاد فواكه ورياحين وغير ذلك وكان ايضا شديد الغيرة ولا سيما على نساء الاجناد وكان يقول ان لم نحفظ نساء الاجناد والا فسدن لكثرة غيبة ازواجهن في الاسفار وكان اشجع خلق الله اما قبل ان يملك فيكفيه انه حضر مع الامير مودود صاحب الموصل مدينة طبرية وهي للفرنج فوصلت طعنته باب البلد واثرت فيه وحمل ايضا على قلعة عقر الحميدية وهي على جبل عال فوصلت طعنته الى سورها الى اشياء اخر واما بعد الملك فقد كان الاعداء محدقين ببلاده وكلهم يقصدها ويريد اخذها وهو لا يقنع بحفظها حتى انه لا ينقضي عليه عام حتى يفتح من بلادهم فقد كان الخليفة المسترشد بالله مجاوره في ناحية تكريت وقصد الموصل وحصرها ثم الى جانبه من ناحية شهرزور وتلك الناحية السلطان مسعود ثم ابن سقمان صاحب خلاط ثم داود بن سقمان صاحب حصن كيفا ثم صاحب آمد وماردين ثم الفرنج من مجاورة ماردين الى دمشق ثم اصحاب دمشق فهذه الولايات قد احتاطت بولايته من كل جهاته فهو يقصد هذا مرة وهذا مرة ويأخذ من هذا ويصانع هذا الى انه ملك من كل من يليه طرفا من بلاده وقد اتينا على اخباره في كتاب الباهر في تاريخ دولته ودولة اولاده فليطلب من

الاسكندرية وذلك في منتصف شهر جمادى الاولى من السنة

(واستهل شهر جمادى الثانية بيوم الخميس سنة ١٢٣٧)

فيه حضر الثلاثة اشخاص المقطوعين الايدي وذلك انهم لما وصلوا الى الاسكندرية وكان الباشا هناك تشفع فيهم المتشفعون عنده قائلين انه جرى عليهم الحد بالقطع فلا حاجة الى نفيهم وتغريبهم فامر بنفي ابي القاسم وولديه الصغيرين الى ابي قير ورجع ولده الآخر مع رفيقه الصرماتي والصباغ الى مصر فحضروا اليها وذهبوا الى دورهم واما ابن ابي القاسم فذهب الى داره وسلم على والدته ونزل الى السوق يطوف على اصحابه ويسلم عليهم وهو يتألم مما حصل في نفسه ولا يظهر ذلك لشدة وقاحته وجمودة نفسه وقلة حياء وجهه بل يظهر التجلد وعدم المبالاة بما وقع له من التنكيل وكسوف البال ومر في السوق والاطفال حوله وخلفه وامامه يتفرجون عليه ويقولون انظروا الحرامي وهو لا يبالي بهم ولا يلتفت اليهم حتى قيل انه ذهب الى مسجد خرب بالباطنية ودعا اليه حلاقا من ناحية الدرب الاحمر فجلس معه حصة من النهار ثم فارقه وذهب الى داره واشتد به الالم لان الذي باشر قطع يده لم يحسن القطع فمات في اليوم

حرقوقا والله اخلع الزردية فقال ان لي مع السلطان ايمانا وعهودا فلكم وخرج
له غلمان اعدوا لقتله فحينئذ تشهد وخلع الزردية والقاها وضربوه بالسيوف واحتزوا
رأسه والقوه الى اصحابه ثم القوا جسده ونهب رحله وانزعج البلد لذلك وكان عباس من
غلمان السلطان محمود حسن السيرة عادلا في رعيته كثير الجهاد للباطنية قتل منهم
خلقا كثيرا وبنى من رؤوسهم منارة بالري وحصر قلعة الموت ودخل الى قرية من قراهم
فالقى فيها النار فاحرق كل من فيها من رجل وامرأة وصبي وغير ذلك وقتل بالجانب
الغربي فارسلت ابنته فحملته الى الري فدفنته هناك وكان مقتله في ذي القعدة ومن
الاتفاق العجيب ان العبادي كان يعظ يوما فحضر عباس فاسمع بعض اهل الخاص
ورمى بنفسه نحو الامير عباس فضربه اصحابه ومنعوه خوفا عليه لانه كان شديد
الاحتراس من الباطنية لا يزال لابس الزردية لا تفارقه والغلمان الاجلاد فقال له
العبادي كم هذا الاحتراز والله لئن قضي عليك بامر لتحلن انت بيدك ازرار الزردية فينفذ
القضاء فيك وكان والله كما قال وقد كان السلطان استوزر ابن دارست وزير بوزابة كارها
على ما تقدم ذكره فعزله الآن لانه اختار العزل والعود الى صاحبه بوزابة فلما عزله قرر
معه ان يصلح له بوزابة ويزيل ما عنده من الاستشعار بسبب قتل عبد الرحمن وعباس
فسار الوزير وهو لا يعتقد النجاة فوصل الى بوزابة وكان ما نذكره

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة حبس السلطان مسعود اخاه سليمان شاه بقلعة تكريت وفيها توفي
الامير جاولي الطغرلي صاحب ارانية وبعض اذربيجان وكان قد تحرك للعصيان وكان
موته بخاة هد قوما انزف دما فمات وتوفي شيخ الشيوخ صدر الدين اسمعيل بن ابي سعد
الصوفي مات ببغداد ودفن بظاهر رباط الزوزني بباب البصرة ومولده سنة اربع وستين
واربعمائة وقام في منصبه ولده عبد الرحيم وفيها توفي مسعود بن بلال شحنة بغداد
وسار السلطان عنها وفيها كان بالعراق جراد كثير اكل اكثر البلاد وفيها ورد العبادي
الواعظ رسولا من السلطان سنجر الى الخليفة ووعظ ببغداد وكان له قبول بها وحضر
مجلسه السلطان مسعود فمن دونه واما العامة فانهم كانوا يتركون اشغالهم لحضور
مجلسه والمسابقة اليه وفيها بعد قتل الشهيد زنكي بن آقسنقر قصد صاحب دمشق
حصن بعلبك وحصره وكان به نجم الدين ايوب بن شاذي فخاف ان اولاد زنكي لا يمكنهم
انجاده بالعاجل فصالحه وسلم القلعة اليه واخذ منه اقطاعا ومالا وملكه عشر قرى من
بلد دمشق وانتقل ايوب الى دمشق فسكنها واقام بها وفي هذه السنة في ربيع الآخر
توفي عبد الله بن علي بن احمد المقرئ ابن بنت الشيخ ابي منصور ومولده في شعبان سنة
اربع وستين واربعمائة وكان مقرئا نحويا محدثا وله تصانيف في القراآت

(ثم دخلت سنة اثنتين واربعين وخمسمائة)

(ذكر قتل بوزابة)

المراكب وما حصل لهم من ... وزيادة في المكالمات فاثر الواقعين في بيوتهم ٥٣ بولاق ومصر والاذية بهم
وبين الباشا على السكوت نحو
العشرين يوما وامرهم في
ارتجاج واضطراب وعساكرهم
مجتمعة حولهم ثم ان الباشا امر
بقطع خرجهم وعلائفهم
فعند ذلك تحققوا منه
المقاطعة (وفي رابع عشرينه)
ارسل اليهم علائفهم
المنكسرة وقدرها الف
وخمسمائة كيس حملها
ر بالات خزانته وامر بحملها
على الجمال ووجهه اليهم
بالسفر فشرعوا في بيع بلادهم
ومتعلقاتهم وضاق ذرعهم
وتكدر طبعهم الى الغاية
وعسر عليهم مفارقة ارض
مصر وما صاروا فيه من
التنعم والرفاهية والسيادة
والامارة والتصرف في الاحكام
والمساكن العظيمة والزوجات
والسراري والخدم والعبيد
والجواري فان الاقل منهم له
البيتان والثلاثة من بيوت
الامراء ونسائهم اللاتي قتلت
ازواجهن على ايديهم وظنوا
ان البلاد صفت لهم حتى ان
النساء المترفهات ذوات البيوت
والايرادات والالتزامات صرن
يعرضن انفسهن عليهم ليتحصن
فيهم بعد ان كن يعفنهم ويانفن
من ذكرهم فضلا عن قربهم
(وفيه) ورد اغا بجي من دار
السلطنة وعلى يده مرسوم
بالبشارة بولادة ولد للسلطان
فعملوا ديوانا يوم الاحد رابع عشرينه وطلع الاغا المذكور في موكب الى القلعة وقرئ ذلك المرسوم وحضره الامراء وضربوا

جارية فلما دخل اليها وخرج من عندها وقد اغتسل قال لمن عنده تعلمون ما جرى لى فى يومى هذا قالوا لا قال لما فتحنا الرها مع الشهيد وقع فى يدى من السبى جارية رائعة اعجبنى حسنها ومال قلبى اليها فلم يكن بأسرع من ان امر الشهيد فنودى برد السبى والمال المنهوب وكان مهيبا مخوفا فرددتها وقلبى متعلق بها فلما كان الآن جاءتنى هدية نور الدين وفيها عدة جوار وفيهن تلك الجارية فوطئتها خوفا ان تقع مثل تلك الردة

(ذكر استيلاء عبد المؤمن على جزيرة الاندلس)

فى هذه السنة سير عبد المؤمن بن على جيشا الى جزيرة الاندلس فملكوا ما فيها من بلاد الاسلام وسبب ذلك ان عبد المؤمن لما كان يحاصر مراكش جاءه اليه جماعة من اعيان الاندلس منهم ابو جعفر احمد بن محمد بن حمدين ومعهم مكتوب يتضمن بيعة اهل البلاد التى هم فيها لعبد المؤمن ودخولهم فى زمرة اصحابه الموحدين واقامتهم لامره فقبل عبد المؤمن ذلك منهم وشكرهم عليه وطيب قلوبهم وطلب منهم النصرة وطلبوا منه النصرة على الفرنج فجهز جيشا كثيفا وسيره معهم وعمر اسطولا وسيره فى البحر فسار الاسطول الى الاندلس وقصدوا مدينة اشبيلية وصعدوا فى نهرها وبها جيش من الملثمين فحصروها برا وبحرا وملكوها عنوة وقتل فيها جماعة من الناس فسكنوا واسترالت العساكر على البلاد وكان لعبد المؤمن منها

(ذكر قتل عبد الرحمن طغايرك وعباس صاحب الرى)

فى هذه السنة قتل السلطان مسعود امير حاجب دولته عبد الرحمن طغايرك وهو صاحب خلخال وبعض اذربيجان والحاكم فى دولة السلطان وليس للسلطان معه حكم وكان سبب قتله ان السلطان لما ضيق عليه عبد الرحمن ولم يبق معه سوى الاسم ليس له فى البلاد حكم حتى ان عبد الرحمن قصد غلاما كان للسلطان وهو بك ارسلان المعروف بابن خاص بك بن بلنكرى وقد رباه السلطان وقربه فابعده عنه وصار لا يراه وكان فى خاص بك عقل وتدبير وجودة قريحة فتوصل لما رأته يعقله فجمع عبد الرحمن العساكر وخاص بك فيهم وقد استقر بينه وبين السلطان مسعود ان يقتل عبد الرحمن فاستدعى خاص بك جماعة ممن يثق بهم وتحدث معهم فى ذلك فكل منهم خاف الاقدام عليه الا رجلا اسمه زنكى وكان جاندارا فانه بذل من نفسه ان يبدأه بالقتل ووافق خاص بك على القيام فى الامر جماعة من الامراء فبينما عبد الرحمن فى موكبه ضربه زنكى الجاندار بمقرعة حديد كانت فى يده على رأسه فسقط الى الارض فاجهز عليه خاص بك واعانه على جنايته زنكى والقاه من معه ممن كان واطأه على ذلك من الامراء وكان قتله بظاهر جنزة وبلغ الخبر الى السلطان مسعود وهو ببغداد ومعه الامير عباس صاحب الرى وعسكره اكثر من عسكر السلطان فانكر ذلك وامتعض منه فداراه السلطان وتلطف به واستدعى الامير البقش كون خر وتتر الحاجب واميرا الطغرلى وتتر الذى كان حاجبا فلما قوى بهم احضر عباسا اليه فى داره فلما دخل اليه منع اصحابه من الدخول معه وعدلوا به الى

اغا الوكيل تابع سعيد اغا فعمل الباشا ديوانا يوم الاحد وقرئ المرسوم وخلع على كتخدا بك خلعة الوكالة وخلعة اخرى باستمراره فى الكتخدائية على عادته وركب فى موكب الى داره فلما استقر فى داره ارسل فى ثانى يوم فاحضر الكتبة من بيت عثمان اغا وامرهم بعمل حسابه من ابتداء سنة ١٢٢١ لغاية تاريخه فشرعوا فى ذلك واصبح عثمان اغا المذكور مسلوب النعمة بالنسبة لما كان فيه وهذا لسبب ما دخل فى طرفه وانتزعت منه بلاد الوكالة وتعلقات الحرمين واوقافهما وغير ذلك

(وفى يوم الخميس ثامنه) وصل صالح قوج ومحو بك وسليمان اغا وخليل اغا من ناحية الينبع على طريق القصير من الجهة القبلية وذهبوا الى دورهم

(واستهل شهر رجب بيوم الجمعة سنة ١٢٢٧)

فى ثالثه طلع الجماعة الواصلون الى القلعة وسلموا على الباشا وخاطره منحرف منهم ومتكدر عليهم لانه طالبهم بالحضور بعد حضورهم بدون عساكرهم ايضا ومعهم الفقر والعجلة عنا كرهم وقد كان ثبت عنده انهم هم الذين كانوا سببا للهزيمة لمخالفتهم على ابنه واضطراب رأيهم وتقصيرهم فى نفقات العساكر ومبادرتهم الهرب والهزيمة عند اللقاء وتركوا عاصمتهم الى

والحسين رسول صاحب المهدية عنده فجرى بين الرسولين مناظرة فذكر رسول
يوسف الحسن وما نال منه وذمه ثم انهما عادا في وقت واحد وركبا البحر كل واحد منهما
في مركبه فارسل رسول الحسن رقعة على جناح طائر يخبره بما كان من رسول يوسف
فسير الحسن جماعة من أصحابه في البحر فاخذوا رسول يوسف واحضروه عند الحسن
فسبه وقال ملكت الفرنج بلاد الاسلام وطالت لسانك بذمي ثم اركبه جملا وعلى رأسه
جلاجل وطيف به في البلد ونودي عليه هذا جزاء من سعى ان يملك الفرنج بلاد المسلمين
فلما توسط المهدية ثار به العامة فقتلوه بالحجارة

(ذكر ملك الفرنج المرية وغيرها من الاندلس)

في هذه السنة في جمادى الاولى حصر الفرنج مدينة المرية من الاندلس وضيقوا عليها
براً وبحراً فملكوها عنوة واكثروا القتل بها والنهب وملكوا أيضاً مدينة شاشة وولاية
جيان وكلها بالاندلس ثم استعادها المسلمون بعد ذلك منهم على ما نذكره ان شاء
الله تعالى

(ذكر ملك نور الدين محمود بن زنكي عدة مواضع من بلاد الفرنج)

في هذه السنة دخل نور الدين محمود بن زنكي صاحب حلب بلاد الفرنج ففتح منه مدينة
ارتاح بالسيف ونهبها وحصر مابولة وبصرفوت وكفرلاثا وكان الفرنج بعد قتل والده
زنكي قد طمعوا وظنوا انهم بعده يستردون ما اخذه فلما رأوا من نور الدين هذا الجد
في اول أمره علموا ان ما املوه بعيد وخاب ظنهم واملهم

(ذكر اخذ الحلة من علي بن دبيس وعوده اليها)

في هذه السنة كثر فساد اصحاب علي بن دبيس بالحلة وما جاورها وكثرت الشكاوى منه
فاقطع السلطان مسعود الحلة سلار كرد فسار اليها من همذان ومعه عسكر وانضاف
اليه جماعة من عسكر بغداد وقصدوا الحلة فجمع علي عسكره وحشده والتقى العسكران
بمطير اباذ فانهزم علي وملك سلار كرد الحلة واحتاط على أهل علي ورجعت العساكر
واقام هو بالحلة ومماليكه واصحابه وسار علي بن دبيس فلحق بالبقش كون خر وكان
باقطاعه في اللحف مخيما على السلطان فاستنجده فسار معه الى واسط واتفق هو
والطرنطاي وقصدوا الحلة فاستنقذوها من سلار كرد في ذي الحجة وفارقها سلار كرد وعاد
الى بغداد

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في جمادى الاولى خطب المستنجد بالله يوسف بن المقتفي لامر الله بولاية
العهد وفيها ولي عون الدين يحيى بن هبيرة كتابة ديوان الزمام ببغداد وولي زعيم الدين
يحيى بن جعفر المخزن وفيها في ربيع الاول مات ابو القاسم طاهر بن سعيد بن ابي
سعيد بن ابي الخير الميهني شيخ رباط البسطامي ببغداد وفي ربيع الآخر توفيت فاطمة
خاتون بنت السلطان محمد زوجة المقتفي لامر الله وفي رجب منها مات ابو الحسن محمد بن

الجمعة) برز خيام الباشا الى خارج باب النصر وعزم على الخروج والسفر بنفسه .. الى الحجاز وقد اطمأن خاطره
عندما سافر الجماعة المذكورون
لانهم قطع خرجهم وورائهم
وامرهم بالسفر جعل اعينا كرهم
اليهم وحيوانهم واخذوا الدور
والبيوت ببولاق وسكنوها
وصارت لهم صورة هائلة
وكثرت القالة وتخوف الباشا
منهم وخرج ذروته على خاصته
وسفاشيته وغيرهم من اللازمة
والمبيت بالقلعة وغير ذلك
(وفي يوم السبت حادي
عشرينه) اجتمعت العساكر
والعجر الموكب من باكر النهار
فكان اولهم طوائف الدلاة
ثم العساكر واكابرهم وحسن
باشا واخوه عابدين بك وهو
ماش على اقدامه في طوائفه
امام الباشا ثم الباشا وكتخدا
بك واغواتهم الصقلية
وطوائفهم وخلفهم الطبلخانات
وعند ركوبه من القلعة ضربوا
عدة مدافع فكان مدة
مرورهم نحو خمس ساعات
وجروا امام الموكب ثمانية
عشر مدفعا وثلاث قنابر

(واستهل شهر رمضان بيوم الاثنين سنة ١٢٢٧)

في رابع عشرينه وردت
هجانة مبشرون باستيلاء
الاتراك على عقبة الصفراء
والجديدة من غير حرب بل
بالمخادعة والمصالحة مع العرب
وتدبير شريف مكة ولم يجدوا
بها احدا من الوهابيين فعند
ما وصلت هذه البشارة ضربوا مدافع كثيرة تلك الليلة من القلعة وظهر فيهم الفرح والسرور (وفي تلك الليلة)

لما اتصل بالامير بوزابة قتل عباس جمع عساكره من فارس وخوزستان وسار الى اصفهان فحصرها وسير عسكرا آخر الى همذان وعسكرا ثالثا الى قلعة الماهكي من بلد اللحف فاما عسكره بالماهكي فانه سار اليهم الامير البقش كون خر فدفعهم عن اعماله وكانت اقطاعه ثم ان بوزابة سار عن اصفهان يطلب السلطان مسعودا فراسله السلطان في الصلح فلم يجب اليه وصار مجدا فالتقيا بمرج قراتكين واصافا فاقتتل العسكران فانهزم ميمنة السلطان مسعود وميسرته واقتتل القلبان أشد قتال واعظمه صبر فيه الفريقان وصار الحرب بينهما فسقط بوزابة عن فرسه بسهم أصابه وقيل بل عثر به الفرس فاخذ أسيرا وحمل الى السلطان فقتل بين يديه وانهزم أصحابه لما أخذ هو اسيرا وكانت هزيمة العسكر السلطاني من الميمنة والميسرة الى همذان وخراسان وقتل من الفريقين خلق كثير وكان هذا الحرب من أعظم الحروب الكائنة بين الاعاجم

●(ذكر ملك اهل قابس للفرنج وغلبة المسلمين عليها)●

كان صاحب مدينة قابس قبل هذه السنة انسان اسمه رشيد فتوفى وخلف اولادا فعمد مولى له اسمه يوسف الى ولده الصغير واسمه محمد فولاه الامر واخرج ولده الكبير معمرا واستولى يوسف على البلد وحكم على محمد لصغر سنه وجرى منه اشياء من التعرض الى حرم سيده والعهدة على ناقله وكان من جملتهن امرأة من بنى قرة فارسلت الى اخوتها تشكو اليهم ماهى فيه فجاء اخوتها لاخذها فمنعهم منها وقال هذه حرمة مولاى ولم يسلمها فسار بنو قرة ومعمر بن رشيد الى الحسن صاحب افريقية وشكوا اليه ما يفعل يوسف فكتب الحسن في ذلك فلم يجبه وقال ان لم يكف الحسن عنى والا سلمت قابس الى صاحب صقلية فجهز الحسن العسكر اليه فلما سمع يوسف بذلك ارسل الى رجار الفرنجى صاحب صقلية وبذل له الطاعة وقال له اريد منك خلعة وعهدا بولاية قابس لاكون نائبا عنك كما فعلت مع بنى مطروح أصحاب طرابلس فسير اليه رجار الخلعة والعهد فلبسها وقرئ العهد بجمع الناس فجد حينئذ الحسن في تجهيز العسكر الى قابس فساروا اليها ونازلوها وحصروها فثار أهل البلد بيوسف لما اعتمده من طاعة الفرنج وسلموا البلد الى عسكر الحسن وتحصن يوسف في القصر فقاتلوه حتى فتحوه واخذ يوسف أسيرا فتولى عذابه معمر بن رشيد وبنو قرة فقطعوا ذكره وجعل في فيه وعذب بانواع العذاب وولى معمر قابس مكان أخيه واخذ بنو قرة أختهم وهرب عيسى أخو يوسف وولد يوسف وقصدوا رجار صاحب صقلية فاستجاروا به وشكوا اليه ما لقوا من الحسن فغضب لذلك وكان ما نذكره سنة ثلاث واربعين وخمسمائة من فتح المهدية ان شاء الله تعالى وهذا الذى كان من يوسف والله أعلم

●(ذكر حادثة ينبغى ان يحتاط العاقل من مثلها)●

كان هذا يوسف صاحب قابس قد ارسل رسولا الى رجار صاحب صقلية فاجتمع هو

شكاو مدافع واستمروا على ذلك ثلاثة ايام في وقت كل اذان كايام الاعياد (وفي يوم الثلاثاء) مات احمد بك وهو من عظماء الارنؤد واركانهم وكان عندما بلغه قطع خرج المذكورين ارسل الى الباشا يقول له اقطع خرجى واعطنى علوفة عساكرى واسافر مع اخوانى فحنق منه الباشا واظهر الرافعية فتغير طبعه وزاد قهره وتمرض جسمه فارسل اليه الباشا حكيمه فسقاه شربة واصبح مات من ليلته فخرجوا بجنازته من بولاق ودفنوه بالقرافة الصغرى وخرج امامه صالح اغا وسليمان اغا وطاهر اغا وهم ركبون امامه ومشاة الارنؤد وعدد كبير مشاة حوله

●(واستهل شهر شعبان بيوم الاحد سنة ١٢٢٧)●

فى رابعه يوم الاربعاء الموافق لسابع مسرى القبطى اوفى النيل المبارك اذرعه ونزل الباشا فى صبح يوم الخميس فى جمع غفير وحشة وافرة من العساكر وكسر السد بحضرته وحضرة القاضى وجرى الماء فى الخليج ومنع المراكب من دخول الخليج (وفى منتصفه) سافر سليمان اغا وصحبته بعدان قبضوا اخذ العلوفة وباعوا تعلقاتهم وقبضوا علائقهم (وفى يوم الخميس تاسع عشره) سافر صالح اغا قوج وصحبته نحو الستمائة من اختارهم من عساكره الارنؤدية وتفرق عنه الباقون وانضموا الى حسن باشا واخيه عابدين بك وقبضوا (وفى يوم [illegible]) والخمسين

وقدر وصولهم الى المهدية وقت العصر ليحيطوا بها قبل ان يخرج اهلها فلم يتم لهم ذلك ولم يسلم منهم احد فقدر الله تعالى أن ارسل عليهم ريحا اهلكتهم ولم يقدروا على السير الا بالمقاذيف فطلع النهار ثاني صفر من هذه السنة قبل وصولهم فرآهم الناس فلما رأى جرجى ذلك وان الخديعة فاتته ارسل الى الامير الحسن يقول انما جئت بهذا الاسطول طالبا بثار محمد بن رشيد صاحب قابس ورده اليها واما انت فبيننا وبينك عهود ومواثيق الى مدة ونريد منك عسكرا يكون معنا فجمع الحسن الناس من الفقهاء والاعيان وشاورهم فقالوا نقاتل عدونا فان بلدنا حصين فقال اخاف ان ينزل الى البر ويحصرنا برا وبحرا ويحول بيننا وبين الميرة وليس عندنا ما يقوتنا شهرا فنؤخذ قهرا وانا ارى سلامة المسلمين من الاسر والقتل خيرا من الملك وقد طلب منى عسكرا الى قابس فان فعلت فما يحل لي معونة الكفار على المسلمين وان امتنعت يقول انتقض ما بيننا من الصلح وليس يريد الا ان يثبطنا حتى يحول بيننا وبين البر وليس لنا بقتاله طاقة والراى ان نخرج بالاهل والولد ونترك البلد فمن اراد ان يفعل كفعلنا فليبادر معنا وامر في الحال بالرحيل واخذ معه من حضر وما خف حمله وخرج الناس على وجوههم باهليهم واولادهم وما خف من اموالهم واثاثهم ومن الناس من اختفى عند النصارى وفي الكنائس وبقى الاسطول في البحر تمنعه الريح من الوصول الى المهدية الى ثلثي النهار فلم يبق في البلد من عزم على الخروج الا خرج ووصل الفرنج ودخلوا البلد بغير مانع ولا دافع ودخل جرجى القصر فوجده على حاله لم ياخذ الحسن منه الا ما خف من ذخائر الملوك وفيه جماعة من حظاياه ورأى الخزائن مملوءة من الذخائر النفيسة وكل شيء غريب يقل وجود مثله فختم عليه وجمع سراري الحسن في قصره وكان عدة من ملك منهم من زيرى بن مناد الى الحسن تسعة ملوك ومدة ولايتهم مائتا سنة وثمان سنين من احدى وستين وثلثمائة الى سنة ثلاث واربعين وخمسمائة وكان بعض القواد قد ارسله الحسن الى رجار برسالة فاخذ لنفسه ولاهله منه امانا فلم يخرج معهم ولما ملكت المهدية بقيت مقدار ساعتين ونودى بالامان فخرج من كان مختفيا واصبح جرجى من الغد فارسل الى من قرب من العرب فدخلوا اليه فاحسن اليهم واعطاهم اموالا جزيلة وارسل من جند المهدية الذين تخلفوا بها جماعة ومعهم امان لاهل المهدية الذين خرجوا منها ودواب يحملون عليها الاطفال والنساء وكانوا قد اشرفوا على الهلاك من الجوع ولهم بالمهدية خبايا وودائع فلما وصل اليهم الامان رجعوا ولم يمض غير جمعة حتى رجع اكثر اهل البلد واما الحسن فانه سار باهله واولاده وكانوا اثنى عشر ولدا ذكرا غير الاناث وخواص خدمه قاصدا الى محرز بن زياد وهو بالمعلقة فلقيه في طريقه امير من العرب يسمى حسن بن ثعلب فطلب منه مالا انكسر له في ديوانه فلم يمكن الحسن اخراج مال لئلا يؤخذ فسلم اليه ولده يحيى رهينة وسار فوصل في اليوم الثانى الى محرز وكان الحسن قد فضله على جميع العرب واحسن اليه ووصله بكثير من المال فلقيه محرز لقاء جميلا وقام بجميع ما يحتاج اليه فاقام عنده شهورا والحسن كاره للاقامة فاراد المسير الى ديار مصر الى

تماما طلبوه حتى انه كان انشأ جامعا بساحل بولاق بجوار داره وبنى له منارة

طريقة واشترى له عقارا واماكن وقفها على مصالح ذلك المسجد وشعائره وقد خرج له الباشا جميع ما صرفه عليه وعن العقار وغيره ولم يترك لهم مطالبة يحتجون بها في التأخير واعطى الكثير من دواتهم لحسن باشا وعابدين بك اخيه فالواصل منهم وفارقهم الكثير من عسكرهم وانضموا الى اجناسهم المقيمين عند حسن باشا واخيه فرتبوا لهم العلائف معهم واكثرهم مستوطنون ومتزوجون بل ومتناسلون ويصعب عليهم مفارقة الوطن وما صاروا فيه من النعيم ولا يهون بطلق الحيوان استبدال النعيم بالجحيم ويعلمون عاقبة ما هم صائرون اليه لانه قد بلغنا ان من سافر منهم الى بلاده قبض عليه حاكمها واستصفى ما معه من المال الذى جمعه من مصر وما معه من المتاع واودعه السجن ويفرض عليه قدرا فلا يطلقه حتى يقوم بدفعه على ظن ان يكون اودع شيئا عند غيره فيشترى نفسه به او يشتريه اقاربه او يرسل الى مصر مراسلة لعشيرته واقاربه فتاخذهم عليه الغيرة فيرسلون له ما فرض عليه ويفتدونه والا يموت بالسجن او يطلق مجردا او يرجع الى حالته التى كان عليها في السابق من الخدم المهينة

والاحتطاب من الجبل والتكسب بالصنائع الدنيئة ببيع الاسقاط والكروش

المظفر بن على ابن المسلمة ابن رئيس الرؤساء ومولده سنة اربع وعشرين وكان قد تصوف
وجعل داره التى فى القصر رباطا للصوفية وفيها سار سيف الدين غازى بن زنكى الى
قلعة دارا فملكها وغيرها من بلد ماردين ثم سار الى ماردين وحصرها وخرب بلدها ونهبه
وكان سبب ذلك ان اتابك زنكى لما قتل تطاول صاحب ماردين وصاحب الحصن
الى ما كان اخذه منهما من بلادهما فاخذاه فلما ملك سيف الدين وتمكن سار الى ماردين
وحصرها وفعل ببلدها الافاعيل القبيحة فلما رأى صاحبها وهو حينئذ حسام الدين
تمرتاش ما يفعل فى بلده قال كنا نشكو من اتابك الشهيد واين ايامه لقد كانت اعيادا
قد حصرنا غير مرة فلم يأخذ هو ولا احد من عسكره علاقة تبن بغير ثمن ولا تعدى هو وعسكره
حاصل السلطان وارى هذا ينهب البلاد ويخربها ثم راسله وصالحه وزوجه ابنته ورحل
سيف الدين عنه وعاد الى الموصل وجهزت ابنة حسام الدين وسيرت اليه فوصلت وهو
مريض قد اشفى على الموت فلم يدخل بها وبقيت عنده الى ان توفى وملك قطب الدين
مودود فتزوجها على ما نذكره ان شاء الله تعالى وفيها اشتد الغلاء بافريقية ودامت
ايامه فان اوله كان سنة سبع وثلاثين وخمسمائة وعظم الامر على اهل البلاد حتى
اكل بعضهم بعضا وقصد اهل البوادى المدن من الجوع فاغلقها اهلها دونهم وتبعه
وباء وموت كثير حتى خلت البلاد وكان اهل البيت لا يبقى منهم احد وسار كثير منهم الى
صقلية فى طلب القوت ولقوا امرا عظيما

(ثم دخلت سنة ثلاث واربعين وخمسمائة)

(ذكر ملك الفرنج مدينة المهدية بافريقية)

قد ذكرنا سنة احدى واربعين وخمسمائة مسير اهل يوسف صاحب قابس الى رجار
ملك صقلية واستغاثتهم به فغضب لذلك وكان بينه وبين الحسن بن على بن يحيى بن تميم
ابن المعز بن باديس الصنهاجى صاحب افريقية صلح وعهود الى مدة سنتين وعلم انه قد فاته
فتح البلاد فى هذه الشدة التى اصابتهم وكانت الشدة دوام الغلاء فى جميع المغرب من
سنة سبع وثلاثين الى هذه السنة وكان اشد ذلك فى سنة اثنتين واربعين فان الناس
فارقوا البلاد والقرى ودخل اكثرهم الى مدينة صقلية واكل الناس بعضهم بعضا
وكثر الموت فى الناس فاغتنم رجار هذه الشدة فعمر الاسطول واكثر منه فبلغ نحو مائتين
وخمسين شينيا مملوأة رجالا وسلاحا وقوتا وسار الاسطول عن صقلية ووصل الى جزيرة
قوصرة وهى ما بين المهدية وصقلية فصادفوا بها مركبا وصل من المهدية فاخذ اهله
واحضروا بين يدى جرجى مقدم الاسطول فسألهم عن حال افريقية ووجد فى المركب
قفص حمام فسألهم هل ارسلوا منها فحلفوا بالله انهم لم يرسلوا شيئا فامر الرجل الذى كان
الحمام صحبته ان يكتب بخطه اننا لما وصلنا جزيرة قوصرة وجدنا بها مراكب من صقلية
فسألناهم عن الاسطول المخذول فذكروا انه اقلع الى جزائر القسطنطينية واطلق الحمام
فوصل الى المهدية فسر الامير الحسن والناس واراد جرجى بذلك ان يصل بغتة ثم سار

حضر اجنادا لالاغا كم قتلوا ونزاحيها وكان من خبره له لما وصلت اليه الجماعة الذين سافروا فى الشهر الماضى
وهم صالح اغا وسليمان اغا
ومحمد بك ومن معهم واجتمعوا
على المذكور بمنوا اشتكوا اليه
وابثوا احوالهم واضمروا فى
نفوسهم انهم اذا وصلوا الى
مصر ووجدوا الباشا متغيرا
منهم او امرهم بالخروج
والعود الى الحجاز امتنعوا
عليه وخالفوه وان قطع خرجهم
واعطاهم علائفهم بارزوه
ونابذوه وحاربوه واتفق احد
اغاوات المذكور معهم على ذلك
وانه متى حصل هذا المذكور
ارسلوا اليه فيأتيهم على
الفور بعسكره وجنده
وينضم اليه الكثير من
المتعينين بمصر من طائفة
الارنؤد كعابدين بك وحسن
باشا وغيرهم ممن ذكرهم
لاتحاد الجنسية فلما حصل
وصول المذكورين وقطع
الباشا راتبهم وخرجهم
واعطاهم علائفهم المنكسرة
وامرهم بالسفر ارسلوا الاحد
اغاوات المذكور بالحضور بحكم
اتفاقهم معه فتقاعس واحب
ان يبدى لنفسه عذرا فى
شقاقه مع الباشا فارسل اليه
مكتوبا يقول له فيه ان كنت
تأمر بخرج احوالى وعزمت
على سفرهم من مصر واخراجهم
منها فاقطع ايضا خرجى ودعنى
اسافر معهم فاخذ الباشا
تلك المكاتبة واخره وذا الرسول
وقال له الجواب انه لما حضر وقضايا بهم حتى اعطى للمذكورين علائفهم على الكامل ودفع لصالح اغا الف

وقدره

وقال له قد بعت واشتريت مني فوالله لا اقيله ولا استقيله يعني قول الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وتقدم فقاتل الفرنج حتى قتل عند النيرب نحو نصف فرسخ عن دمشق وقوي الفرنج وضعف المسلمون فتقدم ملك الالمان حتى نزل بالميدان الاخضر فايقن الناس بانه يملك البلد وكان معين الدين قد ارسل الى سيف الدين غازي بن اتابك زنكي يدعوه الى نصرة المسلمين وكف العدو عنهم فجمع عساكره وسار الى الشام واستصحب معه اخاه نور الدين محمودا من حلب فنزلوا بمدينة حمص وارسل الى معين الدين يقول له قد حضرت ومعي كل من يحمل السلاح من بلادي فاريد ان يكون نوابي بمدينة دمشق لاحضر والقى الفرنج فان انهزمت دخلت انا وعسكري البلد واحتمينا به وان ظفرنا فالبلد لكم لا ينازعكم فيه احد وارسل الى الفرنج يتهددهم ان لم يرحلوا عن البلد فكف الفرنج عن القتال خوفا من كثرة الجراح وربما اضطروا الى قتال سيف الدين فابقوا على نفوسهم فقوي اهل البلد على حفظه واستراحوا من ملازمة الحرب وارسل معين الدين الى الفرنج الغرباء يقول لهم ان ملك المشرق قد حضر فان رحلتم والا سلمت البلد اليه وحينئذ تندمون وارسل الى فرنج الشام يقول لهم باي عقل تساعدون هؤلاء علينا وانتم تعلمون انهم ان ملكوا دمشق اخذوا ما بايديكم من البلاد الساحلية واما انا فان رايت الضعف عن حفظ البلد سلمته الى سيف الدين وانتم تعلمون انه ان ملك دمشق لا يبقى لكم معه مقام في الشام فاجابوه الى التخلي عن ملك الالمان وبذل لهم تسليم حصن بانياس اليهم واجتمع الساحلية بملك الالمان وخوفوه من سيف الدين وكثرة عساكره وتتابع الامداد اليه وانه ربما اخذ دمشق وتضعف عن مقاومته ولم يزالوا به حتى رحل عن البلد وتسلموا قلعة بانياس وعاد الفرنج الالمانية الى بلادهم وهي من وراء القسطنطينية وكفى الله المؤمنين شرهم وقد ذكر الحافظ ابو القاسم بن عساكر في تاريخ دمشق ان بعض العلماء حكى له انه راى الفندلاوي في المنام فقال له ما فعل الله بك واين انت فقال غفر لي وانا في جنات عدن على سرر متقابلين

(ذكر ملك نور الدين محمود بن زنكي حصن العريمة)

لما سار الفرنج عن دمشق رحل نور الدين الى حصن العريمة وهو للفرنج فملكه وسبب ذلك ان ملك الالمان لما خرج الى الشام كان معه ولد الفنش صاحب طليطلة وهو من اولاد ملوك الفرنج وكان جده هو الذي اخذ طرابلس الشام من المسلمين فاخذ حصن العريمة وملكه واظهر انه يريد اخذ طرابلس من القمص فارسل القمص الى نور الدين محمود وقد اجتمع هو ومعين الدين انر ببعلبك يقول له ولمعين الدين ليقصدا حصن العريمة ويملكاه من ولد الفنش فسارا اليه مجدين في عساكرهما وارسلا الى سيف الدين وهو بحمص يستمدانه فامدهما بعسكر كثير مع الامير عز الدين ابي بكر الدبيسي صاحب جزيرة ابن عمر وقصدوها فنازلوا الحصن وحصروه وبه ابن الفنش وامتنع به

والخطوب وهو الذي مهد البلاد القبلية واخلاها من الاجناد المصرية قطعا خلت الديار منهم واستقر هو بقنا وقوص وهو مطلق التصرف وصالح اغا قوج بالاسيوطية ثم ان الباشا وجه صالح اغا الى الحجاز وقلد ابنه ابراهيم باشا ولاية الصعيد فكان يناقض عليه احمد اغا المذكور في افعاله ويمانعه التعدي على اطيان الناس وارزاق الاوقاف والمساجد ويصل عند ابراهيم اباه فيرسل الى ابيه بالاخبار فحقد ذلك في نفسه ويظهر خلافه ويتغافل واحمد اغا المذكور على جليته وخلوص نيته فلما وصلته الرسالة اعتقد صدقه وبادر بالحضور في قلة من اتباعه حسب اشارته وطلع الى القلعة ليلة السبت وهي ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان فعبر عند الباشا وسلم عليه بعادته وعاتبه ونقم عليه اشياء وهو يجاوبه ويراده حتى ظهر عليه الغيظ فقام كتخدا بك وابراهيم اغا فاخذاه وخرجا من عند الباشا ودخلا الى مجلس ابراهيم اغا وجلسوا يتحدثون وصار الكتخدا وابراهيم اغا يلاطفان معه القول واشارا عليه بان يبيت معهما الى وقت السحور وسكون حدة الباشا فيدخلون اليه ويتحدثون معه فاجابهم الى رأيهم وامر من كان بصحبته من العسكر وهم نحو الخمسين بالنزول الى محلهم فامتنع اكبرهم وقال لا انزل حتى وثم كان وحيد اتفاق الكتخدا وما الذي يصيبه وهو معشر كجوش

الخليفة الحافظ العلوي واشترى مركباً ليفر فسمع جرجي الفرنجي فجهز شواني ليأخذ فعاد الحسن عن ذلك وعزم على المسير الى عبد المؤمن بالمغرب فارسل كبار اولاده يحيى وتميما وعليا الى يحيى بن العزيز وهو من بني حماد وهم اولاد عم يستأذنه في الوصول اليه وتجديد العهد به والمسير من عنده الى عبد المؤمن فاذن له يحيى فسار اليه فلما وصل لم يجتمع به يحيى وسيره الى جزيرة بني مزغنان هو واولاده ووكل بهم من يمنعهم من التصرف فبقوا كذلك الى ان ملك عبد المؤمن بجاية سنة سبع واربعين فحضر عنده وتقدم ذكر ما كان منه هناك ولما استقر رجار بالمهدية سير اسطولا بعد اسبوع الى مدينة صفاقس وسير اسطولا آخر الى مدينة سوسة فاما سوسة فان اهلها لما سمعوا خبر المهدية وكان واليها علي بن الحسن الامير فخرج الى ابيه وخرج الناس لخروجه فدخلها الفرنج بلا قتال ثاني عشر صفر واما صفاقس فان اهلها اتاهم كثير من العرب فامتنعوا بهم فقاتلهم الفرنج فخرج اليهم اهل البلد فاظهر الفرنج الهزيمة وتبعهم الناس حتى ابعدوا عن البلد ثم عطفوا عليهم فانهزم قوم الى البلد وقوم الى البرية وقتل منهم جماعة ودخل الفرنج البلد فملكوه بعد قتال شديد وقتلى كثيرة واسر من بقي من الرجال وسبي الحريم وذلك في الثالث والعشرين من صفر ثم نودي بالامان فعاد اهلها اليها وافتكوا حرمهم واولادهم ورفق بهم وباهل سوسة والمهدية وبعد ذلك وصلت كتب من رجار لجميع اهل افريقية بالامان والمواعيد الحسنة ولما استقرت احوال البلاد سار رجار في اسطول الى قلعة اقليبية وهي قلعة حصينة فلما وصل اليها سمعت العرب فاجتمعوا اليها ونزل اليهم الفرنج فاقتتلوا فانهزم الفرنج وقتل منهم خلق كثير فرجعوا خاسرين الى المهدية وصار للفرنج من طرابلس الغرب الى قريب تونس ومن المغرب الى دون القيروان والله اعلم

(ذكر حصر الفرنج دمشق وما فعل سيف الدين غازي بن زنكي)

في هذه السنة سار ملك الالمان من بلاده في خلق كثير وجمع عظيم من الفرنج عازما على قصد بلاد الاسلام وهو لا يشك في ملكها بايسر قتال لكثرة جموعه وتوفر امواله وعدده فلما وصل الى الشام قصده من به من الفرنج وخدموه وامتثلوا امره ونهيه فامرهم بالمسير معه الى دمشق ليحصرها ويملكها بزعمه فساروا معه ونازلوها وحصروها وكان صاحبها مجير الدين ابق بن محمد بن بوري بن طغدكين وليس له من الامر شيء وانما الحكم في البلد لمعين الدين انر مملوك جده طغدكين وهو الذي اقام مجير الدين وكان معين الدين عاقلا عادلا خيرا حسن السيرة فجمع العساكر وحفظ البلد واقام الفرنج يحاصرونهم ثم انهم زحفوا سادس ربيع الاول بفارسهم وراجلهم فخرج اليهم اهل البلد والعسكر فقاتلوهم وصبروا لهم وفيمن خرج للقتال الفقيه حجة الدين يوسف بن دي باس الفندلاوي المغربي وكان شيخا كبيرا فقيها صالحا فلما رآه معين الدين وهو راجل قصده وسلم عليه وقال له يا شيخ انت معذور لكبر سنك ونحن نقوم بالذب عن المسلمين وسأله ان يعود فلم يفعل

وقال

والمؤاجرة في حمل الامتعة ونحو ذلك فلذلك يختارون الاقامة ويتركون عناديهم خصوصا والخشية من طباعهم

هذا والباشا بعث صالح اغا ورفقاءه في الرحيل حيث لم يبق له عذر في التأخير فعند ما نزلوا في المراكب واصدروا في الليل احضر الباشا الخواجا المذكور وهو عبارة عن الافندي المخصوص بكتابة سره وايراده ومصرفه واعطاه جواب الرسالة مضمونها تطمينه وتأمينه وتمويه كرهه انه صعب عليه وتأثر من طلبه المقاطعة وطلبه المفارقة وصدقه اسباب الجراءة عن صالح اغا ورفقائه وما استوجبوه مما حصل لهم من الاخراج والابعاد واما هو فلم يحصل منه ما يوجب ذلك وانه باق على ما يعهده من المودة والمحبة فان كان ولا بد من قصده ومغرره فهو لا يمنعه من ذلك فيأتي بجميع اتباعه ويتوجه بالسلامة ايتماشاه والايان صرف من تفحص هذا الماجرى فليحضر في القضية في داره ويترك وماله واتباعه ليواجهه ويتحدث معه في مشورته وانتظام اموره التي لا يحصلها هذا الكتاب ويعود الى محل ولايته وحكمه مكرما فراج عليه ذلك التمويه وركن الى زخرف القول وظن ان الباشا لا يصله بمكروه ولا يواجهه بقبيح من القول فضلا عن الفعل لانه كان عظيما فيهم ومن الرؤساء المعدودين صاحب همة وشهامة واقدام جسور في الحروب

ذكر انهزام الفرنج بيغرى

فى هذه السنة هزم نور الدين محمود بن زنكى الفرنج بمكان اسمه يغرى من ارض الشام وكانوا قد تجمعوا ليقصدوا اعمال حلب ليغيروا عليها فعلم نور الدين فسار اليهم فى عسكره فالتقوا بيغرى واقتتلوا قتالا شديدا اجلت المعركة عن انهزام الفرنج وقتل كثير منهم واسر جماعة من مقدميهم ولم ينج من ذلك الجمع الا القليل وارسل من الغنيمة والاسارى الى اخيه سيف الدين والى الخليفة ببغداد والى السلطان مسعود وغيرهم وفى هذه الوقعة يقول ابن القيسرانى فى قصيدته التى اولها

يا ليت ان الصد مصدود • او لا فليت النوم مردود

ومنها ما هو فى ذكر نور الدين

وكيف لا نثنى على عيشنا الـ • محمود والسلطان محمود

وصارم الاسلام لا ينثنى • الا وشلو الكفر مقدود

مكارم لم تك موجودة • الا ونور الدين موجود

وكم له من وقعة يومها • عند ملوك الكفر مشهود

ذكر ملك الغورية غزنة وعودهم عنها

فى هذه السنة قصد سورى بن الحسين ملك الغور مدينة غزنة فملكها وسبب ذلك ان اخاه ملك الغورية قبله محمد بن الحسين كان قد صاهر بهرامشاه مسعود بن ابراهيم صاحب غزنة وهو من بيت سبكتكين فعظم شانه بالمصاهرة وطلبت همته فجمع جموعا كثيرة وسار الى غزنة ليملكها وقيل انما سار اليها مظهرا الخدمة والزيارة وهو يريد المكر والغدر فعلم به بهرامشاه فاخذه وحبسه ثم قتله فعظم قتله على الغورية ولم يمكنهم الاخذ بثاره ولما قتل ملك بعده اخوه سام بن الحسين فمات بالجدرى وملك بعده اخوه الملك سورى بن الحسين بلاد الغور والله اعلم وقوى امره وتمكن فى ملكه فجمع عسكره من الفارس والراجل وسار الى غزنة طالبا بثار اخيه المقتول وقاصدا ملك غزنة فلما وصل اليها ملكها فى جمادى الاولى سنة ثلاث واربعين وخمسمائة وفارقها بهرامشاه الى بلاد الهند فجمع جموعا كثيرة وعاد الى غزنة وعلى مقدمته السلار الحسين وابراهيم العلوى امير هندوستان وكان عسكر غزنة الذين اقاموا مع سورى بن الحسين الغورى قد مالوا اليه وقلوبهم مع بهرامشاه واغاظهم انما اقامهم مع سورى فلما التقى سورى وبهرامشاه رجع عسكر غزنة الى بهرامشاه وصاروا معه وسلموا اليه سورى ملك الغورية وملك بهرامشاه غزنة فى المحرم سنة اربع واربعين وصلب الملك سورى مع السيد الماهيانى فى المحرم ايضا من السنة وكان سورى احد الاجواد الكرم الغزير والمروأة العظيمة حتى انه كان يرمى الدراهم فى المقاليع الى الفقراء لتقع بيد من تقع ومن يتفق له ثم عاود الغورية وملكوها وخربوها وقد ذكرناه سنة سبع واربعين وذكرنا هنالك ابتداء دولة الغورية لانهم فى ذلك الوقت عظم محلهم وفارقوا الجبال وقصدوا خراسان

عليه فى نقابة الاشراف واركبه بغلة بعباءة ومشى امامه اجناد الجاويشية والمحتسبين

بنقيب الاشراف وامره بان يذهب الى الباشا ويقابله ليخلع عليه وارسل بصحبته محمد افندى فقال مبارك واشار اليه محمد افندى بان يخلع عليه فروة فقال الباشا ان هم جعلونا نائبا عنه وو كيلا فليس له عندى تلبيس لانه لم يتقلدها بالاصالة من عندى فقام ونزل من غير شئ الى داره بجوار المشهد الحسينى (وفى يوم الخميس ثالث عشرينه) سافر مصطفى بك دالى باشا بجميع الدلاة وغيرهم من العسكر الى الحجاز وحصل للناس فى هذا الشهر عدة كربات منها وهو اعظمها عدم وجود الماء العذب وذلك فى وقت النيل وجريان الخليج من وسط المدينة فصار الناس يستقون عكرا وذلك بسبب اخذهم الحمير والسقائين والرجال لخدمة العسكر المسافرين وغلوهم القرب التى تشترى لنقل الماء فان الباشا اخذ جميع القرب الموجودة بالوكالة عند الخليلية وما كان بغيرها ايضا حتى ارسل الى القدس والخليل فاحضر جميع ما كان بهما وبلغت الغاية فى قلة الاغنام حتى بيعت القربة الواحدة التى كان ثمنها مائة وخمسين نصفا بالف وخمسمائة نصف وياخذون ايضا الجمال التى تنقل الماء بالروايا الى الاسبلة والصهاريج وغيرها من الخليج فامتنع الجميع من الرواح والخروج واحتاج العسكر ايضا الى الماء فوضعوا

فزحف المسلمون اليه مرة وتقدم اليه الاقربون فنقبوا السور فاشتعل حينئذ من بهمن
الفرضة فملكه المسلمون واخذوا كل من به من فارس وراجل وصبي وامرأة وفيهم ابن
الفنش وامه بوالحصن وعادوا الى سيف الدين وكان مثل ابن الفنش كما قيل خرجت
النعامة تطلب قرنين فعادت بغير اذنين

(ذكر الخلاف بين السلطان مسعود وجماعة من الامراء ووصولهم الى بغداد وما كان منهم بالعراق)

في هذه السنة فارق السلطان مسعود جماعة من اكابر الامراء وهم من اذربيجان ايلدكز
المسعودي صاحب كنجة وارانية وقيصر ومن الجبل البقش كون خر وتتر الحاجب وهو
مسعودي ايضا وقرقاي العمري شحنة واسط وابن الاحمديلي وقرقوب وابن طغايرك
وكان سبب ذلك ميل السلطان الى خاص بك واطراحه لهم فخافوا ان يفعل بهم مثل
فعله بعبد الرحمن وعباس وبوزابة ففارقوه وساروا نحو العراق فلما بلغوا حلوان خاف
الناس ببغداد واعمال العراق وغلت الاسعار وتقدم الامام المقتفي لامر الله باصلاح
السور ورمه وارسل الخليفة اليهم العبادي الواعظ فلم يرجعوا الى قوله ووصلوا الى
بغداد في ربيع الآخر ومعهم الملك محمد ابن السلطان محمود فنزلوا بالجانب الشرقي
وفارق مسعود بلال شحنة بغداد البلد هاربا من الخليفة وسار الى تكريت وكانت له
فعظم الامر على اهل بغداد ووصل اليهم علي بن دبيس صاحب الحلة فنزل بالجانب
الغربي وجند الخليفة اجنادا يحتمي بهم ووقع القتال بين الامراء وبين عامة بغداد ومن
بها من العساكر واقتتلوا عدة دفعات ففي بعض الايام انهزم الامراء الاعاجم من عامة
بغداد مكرا وخديعة وتبعهم العامة فلما ابعدوا عادوا عليهم وصار بعض العسكر من
ورائهم ووضعوا السيف فقتل من العامة خلق كثير ولم يبقوا على صغير ولا كبير وفتكوا
فيهم فاصيب اهل بغداد بما لم يصابوا بمثله وكثر القتلى والجرحى واسر منهم خلق كثير
فقتل البعض وشهر البعض ودفن الناس من عرفوا ومن لم يعرف ترك طريحا بالصحراء
وتفرق العسكر في المحال الغربية فاخذوا من اهلها الاموال الكثيرة ونهبوا بلد دجيل
وغيره واخذوا النساء والولدان ثم ان الامراء اجتمعوا ونزلوا مقابل التاج وقبلوا الارض
واعتذروا وترددت الرسل بينهم وبين الخليفة الى آخر النهار وعادوا الى خيامهم ورحلوا
الى النهروان فنهبوا البلاد وافسدوا فيها وعاد مسعود بلال شحنة بغداد من تكريت
الى بغداد ثم ان هؤلاء الامراء تفرقوا وفارقوا العراق وتوفي الامير قيصر باذربيجان هذا
كله والسلطان مسعود مقيم ببلد الجبل والرسل بينه وبين عمه السلطان سنجر متصلة
وكان السلطان سنجر قد ارسل اليه يلومه على تقديم خاص بك ويأمره بابعاده ويتهدده
بانه ان لم يفعل يقصده ويأخذ منه السلطنة وهو يغالط ولا يفعل فسار السلطان سنجر
الى الري فلما علم السلطان مسعود بوصوله سار اليه وترضاه واستنزله عما في نفسه فسكن
وكان اجتماعهما سنة اربع واربعين على ما نذكره ان شاء الله تعالى

بالديوان أصيب بجنى كدت ، واتاه بهدية من ذلك الشرتلو وفاو فوه وبقي عنده من لا يستغني عنه في الخدمة فعند ذلك أما من
يستدعيه الى الباشا فلما
كان خارج المجلس قبضوا عليه
واخذوا سيفه وسلاحه ونزلوا
به الى تحت سلم الركوبة واشعل
الفدوى المشعل وأداروا كتافه
ووضعوا رقبته ورفعوه في الحبال
وغسلوه وكفنوه ودفنوه وذلك
في سادس ساعة من الليل واصبح
الخبر شائعا في المدينة واحضر
الباشا المحاوطة وطالب بالتعريف
عن أمواله وودائعه وعين في
الحال باشجاويش ليذهب الى
قناو يختم على داره ويضبط
ماله من الغلال والاموال
وطلبت الودائع ممن هي عنده
التي استدلوا عليها بالاوراق
فظهر له ودائع في عدة أماكن
وصناديق مال وغير ذلك ولم
يتعرض لمنزله ولا لحريمه

(واستهل شهر شوال بيوم الاربعاء سنة ١٢٢٧)

في رابعه يوم السبت قدم قابجي
من اسلامبول وعلى يده مقرر
للباشا بولاية مصر على السنة
الجديدة ومعه فروة لخصوص
الباشا فلما وصل الى بولاق
نزل كتخدا بك الاقاته فركب
في موكب جليل وخلفه النوبة
التركية وشق من وسط البلد
وصعد الى القلعة وحضر
الاشايخ واكابر دولتهم وقرئ
المرسوم بحضرة الجميع فلما
انقضى الديوان ضربوا عدة
مدافع من القلعة (وفيه) البس شيخ السادات ابن أخيه سيدي احمد خلعة وتنا باوجعله وكيلا

ذكر

من الارياف فيقطعونه قبل وصوله الى المدينة فحصل بسبب هذه الاحوال المذكورة شبكات ومشاحنات وضرب وقتل وتجريح ابدان ولولا خوف العسكر من الباشا وشدته عليهم حتى بالقتل اذا وصلت الشكوى اليه لحصل اكثر من ذلك

● (واستهل شهر ذي القعدة بيوم الجمعة سنة ١٢٢٧) ●

في سابعه يوم الخميس سافر الباشا ايضا الى السويس وصحبته حسن باشا (وفي يوم الجمعة خامس عشره) وصل مبشرون من ناحية الحجاز وهم اتراك على الهجن واخبر عنهم ان عساكرهم وصلوا الى المدينة المنورة ونزلوا بفنائها (وفي يوم الاحد سابع عشره) رجع الباشا من ناحية السويس الى مصر (وفيه) وردت اخبار لطائفة الفرنساوية وقنصلهم المقيم بمصر بان بونابارته وعساكر الفرنساوية زحفوا في جمع عظيم على بلاد المسكوب ووقع بينهم حروب عظيمة فكانت الهزيمة على المسكوب وانكسروا كسرة قوية وكتبوا بذلك اوراقا والصقوها بحيطان دوائرهم وحاراتهم ولما حضر الباشا اطلع اليه القنصل واخبره بتلك الاخبار واطلعه على الكتب الواردة من بلادهم (وفي ليلة الثلاثاء) عدى الباشا الى بر الجيزة وامر بخروج العساكر الى البر الغربي وعدى ايضا كتخدا بك وذلك بسبب ان عربانا اولاد علي نزلوا بناحية الفيوم بجمع عظيم واكلوا

الامير الك الجهد فى زى شاهر ● وقد فتحت نوقا فروع الشام

فوصلها الف دينار عين سوى الخلع وغيرها (و) توفي سيف الدين غازي كان اخوه قطب الدين مقيما بالموصل فاتفق جمال الدين الوزير وزين الدين علي امير الجيش على تمليكه فاحضروه واستحلفوه وحلفوا له واركبوه الى دار السلطنة وزين الدين في ركابه واطاعه جميع بلاد اخيه سيف الدين كالموصل والجزيرة ولما ملك تزوج الخاتون ابنة حسام الدين تمرتاش التي كان قد تزوجها اخوه سيف الدين وتوفي قبل الدخول بها وهي ام اولاد قطب الدين سيف الدين وعز الدين وغيرهما من اولاده

● (ذكر استيلاء نور الدين على سنجار) ●

لما ملك قطب الدين مودود الموصل بعد اخيه سيف الدين غازي كان اخوه الاكبر نور الدين محمود بالشام وله حلب وحماة فكاتبه جماعة من الامراء وطلبوه وفيهم كاتبه المقدم عبد الملك والد شمس الدين محمد وكان حينئذ مستحفظا لسنجار فارسل اليه يستدعيه ليتسلم سنجار فسار جريدة في سبعين فارسا من امراء دولته فوصل الى ماكسين في نفر يسير قد سبق اصحابه وكان يوما شديد المطر فلم يعرفهم الذي يحفظ الباب فاخبر الشحنة ان نفرا من الترك المجندين قد دخلوا البلد فلم يستتم كلامه حتى دخل نور الدين الدار على الشحنة فقام اليه وقبل يده ولحق به باقي اصحابه ثم سار الى سنجار فوصلها وليس معه غير ركابي وسلاحدار ونزل بظاهر البلد وارسل الى المقدم يعلمه بوصوله فرآه الرسول وقد سار الى الموصل وترك ولده شمس الدين محمدا بالقلعة فاعلمه بمسير والده الى الموصل وانما هو من لحق اباه بالطريق فاعلمه بوصول نور الدين فعاد الى سنجار فسلمها اليه فدخلها نور الدين وارسل الى فخر الدين قرا ارسلان صاحب الحصن يستدعيه اليه لمودة كانت بينهما فوصل اليه في عسكره فلما سمع اتابك قطب الدين وجمال الدين وزين الدين بالموصل بذلك جمعوا عساكرهم وساروا نحو سنجار فوصلوا الى تل يعفر وترددت الرسل بينهم بعد ان كانوا عازمين على قصده بسنجار فقال لهم جمال الدين ليس من الرأي محاقته وقتاله فاننا نحن قد عظمنا محله عند السلطان وما هو بصدده من الغزاة وجعلنا انفسنا دونه وهو يظهر للفرنج تعظيمنا وانه يتبعنا ولا يزال يقول لهم ان كنتم كما يجب والا سلمت البلاد لصاحب الموصل وحينئذ يفعل بكم ويصنع فاذا لقيناه فان هزمنا طمع السلطان فينا ويقول هذا الذي كانوا يعظمونه ويحتمون به اضعف منهم وقد هزموه وان هو هزمنا طمع فيه الفرنج ويقولون ان الذين كان يحتمي بهم اضعف منه وقد هزمهم وبالجملة فهو ابن اتابك واشار بالصلح وسار هو اليه فاصطلح وسلم سنجار الى اخيه قطب الدين وسلم مدينة حمص والرحبة بارض الشام اليه وبقي الشام له وديار الجزيرة لاخيه واتفقا وعاد نور الدين الى حلب واخذ معه ما كان قد ادخره ابوه عماد الدين اتابك فيها من الخزائن وكانت كثيرة جدا

● (ذكر وفاة الحافظ وولاية الظافر ووزارة ابن السلار) ●

وعلا شأنهم وفي بعض الخلف كما ذكرناه والله أعلم

(ذكر ملك الفرنج مدنا من الأندلس)

في هذه السنة ملك الفرنج بالأندلس مدينة طرطوشة وملكوا معها جميع قلاعها وحصون لاردة وافراغة ولم يبق للمسلمين في تلك الجهات شيء الا واستولى الفرنج على جميعه لاختلاف المسلمين بينهم وبقي بأيديهم الى الآن

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة توفي أبو بكر المبارك بن الكامل بن أبي غالب البغدادي المعروف أبوه بالخفاف سمع الحديث الكثير وكان مفيد بغداد وفيها غلت الأسعار بالعراق وتعذرت الأقوات بسبب العسكر الوارد وقدم أهل السواد الى بغداد منهزمين قد أخذت أموالهم وهلكوا جوعا وعريا وكذلك أيضا كان الغلاء في أكثر بلاد خراسان وبلاد الجبل واصفهان وديار فارس والجزيرة والشام وأما المغرب فكان أشد غلاء بسبب انقطاع الغيث ودخول العدو اليها وفيها توفي ابراهيم بن نبهان الرقي ومولده سنة تسع وخمسين وأربعمائة وصحب الغزالي والشاشي وروى الجمع بين الصحيحين للحميدي عن مصنفه وفيها في ذي القعدة توفي الامام أبو الفضل الكرماني الفقيه الحنفي امام خراسان

(ثم دخلت سنة أربع وأربعين وخمسمائة)

(ذكر وفاة سيف الدين غازي بن أتابك زنكي وبعض سيرته وملك أخيه قطب الدين)

في هذه السنة توفي سيف الدين غازي بن أتابك زنكي صاحب الموصل بها بمرض حاد ولما اشتد مرضه أرسل الى بغداد واستدعى أوحد الزمان فحضر عنده فرأى شدة مرضه فعالجه فلم ينجع فيه الدواء وتوفي أواخر جمادى الآخرة وكانت ولايته ثلاث سنين وشهرا وعشرين يوما وكان حسن الصورة والشباب وكانت ولادته سنة خمسمائة ودفن بالمدرسة التي بناها بالموصل وخلف ولدا ذكرا فرباه عمه نور الدين محمود وأحسن تربيته وزوجه ابنة أخيه قطب الدين مودود فلم تطل أيامه وتوفي في عنفوان شبابه فانقرض عقب سيف الدين وكان كريما شجاعا عاقلا وكان يصنع كل يوم لعسكره طعاما كثيرا بكرة وعشية فأما الذي بكرة فيكون مائة رأس غنم جيدة وهو أول من حمل على رأسه السنجق وأمر الأجناد أن لا يركبوا الا بالسيف في أوساطهم والدبوس تحت ركبهم فلما فعل ذلك اقتدى به أصحاب الأطراف وبنى المدرسة الأتابكية العتيقة بالموصل وهي من أحسن المدارس ووقفها على الفقهاء الحنفية والشافعية وبنى رباطا للصوفية بالموصل أيضا على باب المشرعة ولم تطل أيامه ليفعل ما في نفسه من الخير وكان عظيم الهمة ومن جملة كرمه أنه قصده شهاب الدين الحيص بيص وامتدحه بقصيدته التي أولها

بالطرق يرصدون مرور السقائين اوغيرهم من الفقراء والذين ينقلون الماء بالبلاليص والجرار على رؤسهم فيزدحمون على كل موردة من الموارد ويحصدونه من العسكر وهم واقفون بالأسلحة ينتظرون من يستقي من السقائين أو غيرهم فكان الخدم والنساء والفقراء والبنات والصبيان ينقلون بطول النهار والليل بالأوعية الكبيرة والصغيرة على رؤسهم بمقدار ما يكفيهم للشرب وبيعت القربة الواحدة بخمسة عشر نصف فضة وأكثر وعز وجود الحطب وغلا في الفرن زيادة على غلو سعره السمن حتى بيع بثمانية عشر نصف فضة كل رطل هذا ان وجد واللحم بالحفظ بأربعة عشر وطلبوا السمن ما أفقده من القبانية ومن الخبازين ومن أرباب الصنائع والحرف وشددوا عليهم الطلب في أواخر الشهر فتغيبوا وهربوا فسمرت بيوتهم وحوانيتهم وكذلك الخبازون والفرانون بالطوابين والأفران حتى عدم الخبز من الأسواق ولم يجد أصحاب البيوت فرنا يخبزون فيه عجينهم فصار القادر على الوقود من يخبز عجينه في داره أو عند جاره الذي يكون عنده فرن او عند بعض الفرانين الذي تكون فرنه داخل عطفة مستورة خفية أو ليلا من الخوف من العسكر والمرصدين لهم وكذلك عدم وجود التبن بسبب رصد العسكر في الطرق لأخذ ما يأتي به الفلاحون الام

علي بن دبيس فلما وصل السلطان الى بغداد قصده علي واتى بنفسه بين يديه واعتذر فرضي عنه وذكر بعض المؤرخين هذه الحادثة سنة اربع واربعين وذكرها ايضا مثلها سنة ثلاث واربعين فلعلهما حادثتين وانما اظنهما واحدة ولكنا تبعناه في ذلك ونبهنا عليه

(ذكر قتل البرنس صاحب انطاكية وهزيمة الفرنج)

في هذه السنة غزا نور الدين محمود بن زنكي بلاد الفرنج من ناحية انطاكية وقصد حصن حارم وهو للفرنج فحصره وخرب ربضه ونهب سواده ثم رحل الى حصن انب فحصره ايضا فاجتمعت الفرنج مع البرنس صاحب انطاكية وحارم وتلك الاعمال وساروا الى نور الدين ليرحلوه عن انب فلقيهم واقتتلوا قتالا عظيما وباشر نور الدين القتال ذلك اليوم فانهزم الفرنج اقبح هزيمة وقتل منهم جمع كثير واسر مثلهم وكان ممن قتل البرنس صاحب انطاكية وكان عاتيا من عتاة الفرنج وعظيما من عظمائهم ولما قتل البرنس ملك بعده ابنه بيمند وهو طفل فتزوجت امه ببرنس آخر ليدبر البلد الى ان يكبر ابنها واقام معها بانطاكية ثم ان نور الدين غزاهم غزوة اخرى فاجتمعوا ولقوه فهزمهم وقتل فيهم واسر وكان فيمن اسر البرنس الثاني زوج ام بيمند فتمكن حينئذ بيمند بانطاكية واكثر الشعراء مدح نور الدين وتهنئته بهذا الظفر فان قتل البرنس كان عظيما عند الطائفتين وممن قال فيه القيسراني الكاتب في القصيدة المشهورة التي اولها

هذي العزائم لا ما تدعي القضب * وذي المكارم لا ما قالت الكتب
وهذه الهمم اللاتي متى خطبت * تعثرت خلفها الاشعار والخطب
صافحت يا ابن عماد الدين ذروتها * براحة للمساعي دونها تعب
مازال جدك يبني كل شاهقة * حتى بنى قبة اوتادها الشهب
اغرت سيوفك بالافرنج راجفة * فؤاد رومية الكبرى لها يجب
ضربت كبشهم منها بقاصمة * اودى بها الصلب وانحطت بها الصلب
طهرت ارض الاعادي من دمائهم * طهارة كل سيف عندها جنب

(ذكر الخلف بين صاحب صقلية وملك الروم)

في هذه السنة اختلف رجار الفرنجي صاحب صقلية وملك القسطنطينية وجرى بينهم حروب كثيرة ودامت عدة سنين فاشتغل بعضهم ببعض عن المسلمين ولولا ذلك لملك رجار جميع بلاد افريقية وكان القتال بينهم برا وبحرا والظفر في جميع ذلك لصاحب صقلية حتى ان اسطوله في بعض السنين وصل الى مدينة القسطنطينية ودخل فم الميناء واخذوا عدة شواني من الروم واسروا جماعة منهم ورمى الفرنج طاقات قصر الملك بالنشاب وكان الذي يفعل هذا بالروم والمسلمين جرجي وزير صاحب صقلية فمرض عدة امراض منها البواسير والحصا ومات سنة ست واربعين وخمسمائة فسكنت الفتنة واستراح الناس من شره وفساده ولم يكن عند صاحب صقلية من يقوم مقامه بعده

(ذكر عدة حوادث)

قلعة المدينة المنورة ونزول الاغا وولي بها على حكمهم وان القاضي الذي اتى بشائر ووصل الى السويس ومعه مفاتيح المدينة فعمل الباشا بذلك سرور عظيم وضربوا مدافع وشنكا بعدة مدافع العيد واقترت المبشرون على بيوت الاعيان لاجل اخذ البقاشيش (وفي يوم الثلاثاء حادي عشره) وصل القادمون الى العادلية فعملوا القدوم شنكا عظيما وضربوا مدافع كثيرة من القلعة وبولاق والجيزة وخارج قبة العزب حيث العرضي المعد للسفر وايضا ضربوا بنادق كثيرة متتابعة من جميع الجهات حتى من اسطحة البيوت الساكنين بها واستمر ذلك اكثر من ساعتين فلكيتين فكان شيئا مهولا مزعجا واشيع في الناس دخول الواصلين في موكب واختلفت رواياتهم وخرج الباشا الى ناحية العادلية فاصطف الناس على مساطب الدكاكين والسقائف للفرجة فلما كان قريب الغروب دخل طائفة من العسكر وصحبتهم بعض اشخاص راكبين على الهجن وفي يد احدهم كيس اخضر وبيد الآخر كيس احمر بداخلهما المكاتيب والمفاتيح وعاد الباشا من ليلته وصعد الى القلعة هذا والمدافع والشنك يعمل في كل وقت من الاوقات الخمسة وفي الليل وفي صبح يوم الاربعاء مشى الاغا والوالي واغات التبديل

في هذه السنة في جمادى الآخرة توفي الحافظ لدين الله عبد المجيد ابن الامير ابي القاسم ابن المستنصر بالله العلوي صاحب مصر وكانت خلافته عشرين سنة الا خمسة اشهر وعمره نحو من سبع وسبعين سنة ولم يزل في جميعها محكوما عليه يحكم عليه وزراؤه حتى جعل ابنه حسنا وزيرا وولي عهده فحكم عليه واستبد بالامر دونه وقتل كثيرا من امراء دولته وصادر كثيرا فلما رأى الحافظ ذلك سقاه سما فمات وقد ذكرناه ولم يل الامر من العلويين المصريين من ابوه غير خليفة غير الحافظ والعاضد وسيرد ذكر نسب العاضد وولي الخلافة بعده ابنه الظافر بامر الله ابو منصور اسمعيل بن عبد المجيد الحافظ واستوزر ابن مصال فبقي اربعين يوما يدبر الامور فقصده العادل بن السلار من ثغر الاسكندرية ونازعه في الوزارة وكان ابن مصال قد خرج من القاهرة في طلب بعض المفسدين من السودان فدخل العادل القاهرة وصار وزيرا وسير عباس بن ابي الفتوح بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي في عسكر وهو ربيب العادل الى ابن مصال فظفر به وقتله وعاد الى القاهرة واستقر العادل وتمكن ولم يكن للخليفة معه حكم واما سبب وصول عباس الى مصر فان جده يحيى اخرج ابا الفتوح من المهدية لما توفي يحيى وولي بعده بلاد افريقية ابنه علي بن يحيى بن تميم بن يحيى صاحب افريقية اخرج اخاه ابا الفتوح والد عباس من افريقية سنة تسع وخمسمائة فسار الى الديار المصرية ومعه زوجته بلارة ابنة القاسم بن تميم بن المعز بن باديس وولده عباس هذا وهو صغير يرضع ونزل ابو الفتوح بالاسكندرية فاكرم واقام بها مدة يسيرة وتوفي وتزوجت بعده امرأته بلارة بالعادل بن السلار وشب العباس وتقدم عند الظافر حتى ولي الوزارة بعد العادل فان العادل قتل في المحرم سنة ثمان واربعين قيل وضع ربيبه عباس من قتله فلما قتل ولي الوزارة بعده وتمكن منها وكان جلدا حازما ومع هذا ففي ايامه اخذ الفرنج عسقلان واشتد وهن الدولة بذلك وفي ايامه اخذ نور الدين محمود دمشق من مجير الدين ابق وصار الامر بعد هذا الى ان اخذت مصر منهم على ما نذكره بعد ان شاء الله تعالى

(ذكر عود جماعة من الامراء الى العراق)

في هذه السنة في رجب عاد البقش كون خر والطرنطاي وابن دبيس ومعهم ملكشاه ابن السلطان محمود الى العراق وراسلوا الخليفة في الخطبة لملكشاه فلم يلتفت اليهم وجمع العساكر وحصن بغداد وارسل الى السلطان مسعود يعرفه بالحال فوعده بالوصول الى بغداد اذا انحضر وكان سبب ذلك ما ذكرناه من وصول عمه السلطان سنجر الى الري في معنى خاص بك فلما وصل الى الري سار اليه السلطان مسعود ولقيه واسترضاه فرضي عنه فلما علم البقش بمراسلة الخليفة الى مسعود نهب النهروان وقبض على الامير علي بن دبيس في رمضان فلما علم الطرنطاي بذلك هرب الى النعمانية ووصل السلطان مسعود الى بغداد منتصف شوال ورحل البقش كون خر من النهروان واطلق

الزروطات فخرج اليهم حسن اغا الشماشرجي فوزن نفسه معهم فرأى انه لا يقاومهم لكثرتهم فحضر الى مصر واخبر الباشا وتحرك الباشا لخروج اليهم ثم تعقبه ارسل لهم وخادعهم فحضر اليه دهاة اوهبوا خدمتهم وهاش وخلع عليهم وكساهم واعطاهم دراهم وعين لهم جهات وشرط عليهم ان لا يتعدوا حدهم ورجع وعدى الى بر مصر في ليلة الخميس حادي عشره (وفي سادس عشره) نهب العرب القافلة القادمة من السويس بحمل بضائع التجار وغيرهم وقتلوا العسكر الذين يخفرونهم وخفراءهم واخذوا الجمال باحمالها وذهبوا بها الناحية الوادي والجمال المذكورة على ملك الباشا واتباعه لانهم صيروا لهم جمالا واعدوها لحمل البضائع ويأخذون اجرتها لانفسهم بدلا عن جمال العرب وذلك من جملة الامور التي احتكروها واطمعوا وحجزوا في كل شئ ولم يرجع من الجمال الا البعض الذين سبقوهم وهم يكفوا ملتحقين لتلك الباشا وارسل في الحال مراسلات الى سليمان باشا محافظ عكا يعلمه بذلك ويلزمه باحضارها ويتوعده ان ضاع منها عقال بعير والذي ذهب بالمراسلة ابراهيم افندي المهردار

(واستهل شهر ذي الحجة بيوم السبت سنة ١٢٢٧) في عاشر يوم الاضحى وردت هجانة من ناحية الحجاز وعلى يدهم البشائر بالاستيلاء على

الذهب والفضة الى الضربخانة والنزل عنها كالذكر ووسط المشفوذات عندهم وورود الرجل النصراني الدرزي الشامي بانه كان في ايام مباشرته للايراد يضرب لنفسه دنانير خارجة عن حساب الميري خاصة به فامر الباشا باثبات ذلك وتحقيقه فحصل كلام كثير والحاج سالم يجحد ذلك وينكره فقال له ايوب تابعك الذي كان ينزل آخر النهار بالخرج على حماره في كل يوم بحجة الانصاف المدورة التي يفرقها على الصيارف بالمدينة وأكثر ما في الخرج خاص بك فاحضروا ايوب المذكور وطلبوه الشهادة فقال لا اشهد الا بما اعلم ولم يحصل هذا مطلقا ولا يجوز لي ولا يخلصني من الله ان اتهم الرجل بالباطل فقال اليهودي هذا رفيقه وصاحبه وخادمه ولا يمكنه ان يخبر بغير الا اذا خوف وعوقب واذا ثبت قولي فانه يطلع عليه ستة آلاف كيس فلما سمع الباشا قول اليهودي ستة آلاف كيس امر بحبس الحاج سالم ثم احضروا اخوته والحاج ايوب وسجنوهم وضربوهم والباشا يطالبه بستة آلاف كيس كما قال اليهودي واستمروا على ذلك اياما وقالت النصارى عند قراءتهم بجواريت الحريم بالازبكية وسبب خصومة شمعون اليهودي مع الحاج سالم انهم احتجوا على اليهودي باشياء وقرروا عليه غرامة ايضا فطلب من الحاج سالم المساعدة وقال له ساعدني كما ساعدتك في غرامتك فقال الحاج سالم انا لم تساعدني بمال من عندك بل هو من حسابي

الى المدينة فقصد اليهم وتهددوه بالشكوى منه الى السلطان سنجر فسار اليهم فاعطوا العرب مالا لئلا يشكوه فامتنعوا من ذلك فسار اليهم الى الغرابي وهو منزل يخرج اليه من مضيق بين جبلين فوقفوا على فم المضيق وقاتلوه وقاتلهم ومن معه فلما رأى عجزه اخذ لنفسه ولعامانه وتفرقوا بالحجاج وغنموا اموالهم وجميع ما معهم وتفرق الناس في البر فهلك منهم خلق كثير لا يحصون كثرة ولم يسلم الا القليل فوصل بعضهم الى المدينة وتحملوا منها الى البلاد واقام بعضهم مع العرب حتى توصل الى البلاد ثم ان الله تعالى انتقم للحاج من زغب فلم يزل في نقص وذلة ولقد رأيت شابا منهم بالمدينة سنة ست وسبعين وخمسمائة وجرى بيني وبينه مفاوضة قلت له فيها اني والله كنت اميل اليك حتى سمعت انك من زغب فنفرت وخفت شرك فقال لم فقلت بسبب اخذكم الحاج فقال لي انا لم ادرك ذلك الوقت وكيف رأيت الله صنع بنا والله ما افلحنا ولا انجحنا وقل العدد وطمع العدو فينا

﴿ذكر فتح حصن فاميا﴾

في هذه السنة فتح نور الدين محمود بن الشهيد زنكي حصن فامية من الفرنج وهو يجاور شيزر وحماة على تل عال من احصن القلاع وامنعها فسار نور الدين اليه وحصره وبه الفرنج وقاتلهم وضيق على من بها منهم فاجتمع من بالشام من الفرنج وساروا نحوه ليرحلوه عنهم فلم يصلوا الا وقد ملكه وملأه ذخائر وسلاحا ورجالا وجميع ما يحتاج اليه فلما بلغ مسير الفرنج اليه رحل عنه وقد فرغ من امر الحصن وسار اليهم يطلبهم فحين رأوا ان الحصن قد ملك وقوة عزم نور الدين على لقائهم عدلوا عن طريقه ودخلوا بلادهم وراسلوه في المهادنة وعاد سالما مظفرا ومدحه الشعراء وذكروا هذا الفتح فمن ذلك قول ابن الرومي من قصيدة اولها

اسنى الممالك ما اطلت منارها * وجعلت مرهفة الدمار دثارها
واحق من ملك البلاد واهلها * رؤف تكنف عدله اقطارها

ومنها في وصف الحصن

ادركت ثارك في البغاة وكنت يا * مختار امة احمد مختارها
طمحت حصونك فوقها واطالما * باتت تنافسها النجوم مزارها
عارية الزمن المعير مطالها * ملك المغيرة فاسترد معارها
امست مع الشعرى العبور واصبحت * شعرا تستقل الفحول شوارها

وهي طويلة

﴿ذكر حصر الفرنج قرطبة ورحيلهم عنها﴾

في هذه السنة سار السليطين وهو الاذفونش وهو ملك طليطلة واعمالها وهو من ملوك الجلالقة نوع من الفرنج في اربعين الف فارس الى مدينة قرطبة فحصرها وهي في ضعف وغلاء فبلغ الخبر الى عبد المؤمن وهو بمراكش فجهز عسكرا كثيرا وجهز

في هذه السنة زلزلت الأرض زلزلة عظيمة فقيل ان جبلا مقابل حلوان ساخ في الأرض وفيها ولي أبو المظفر يحيى بن هبيرة وزارة الخليفة المقتفي لأمر الله وكان قبل ذلك صاحب ديوان الزمام وظهر له كفاية عظيمة عند نزول العساكر بظاهر بغداد وحسن قيام في ردهم فرغب الخليفة فيه فاستوزره يوم الاربعاء رابع ربيع الآخر سنة أربع وأربعين وكان القمر على تربيع زحل فقيل له لو أخرت لبس الخلعة لهذا التربيعات فقال وأي سعادة أكبر من وزارة الخليفة ولبسها ذلك اليوم وفيها في المحرم توفي قاضي القضاة علي بن الحسين الزينبي وولي القضاء عماد الدين أبو الحسن علي بن أحمد الدامغاني وفيها في المحرم رخصت الأسعار بالعراق وكثرت الخيرات وتم جاء أهل السواد الى قراهم وفيها توفي الأمير نظر أمير الحاج وكان قد سار بالحاج الى الحلة فمرض واشتد مرضه واستخلف على الحاج قايماز الأرجواني وعاد الى بغداد مريضا فتوفي في ذي القعدة وكان خصيا عاقلا خيرا له معروف كثير وصدقات وافرة وفيها توفي أحمد بن نظام الملك الذي كان وزير السلطان محمد والمسترشد بالله وفيها توفي علي بن رافع بن خليفة الشيباني وهو من أعيان خراسان وله مائة وسبع سنين شمسية ومات الامام مسعود الصوابي في المحرم أيضا وفيها توفي معين الدين أنر نائب أبق صاحب دمشق وهو كان الحاكم والأمر اليه وكان أبق صورة أمير لا معنى تحتها وفيها توفي القاضي أحمد بن محمد بن الحسين الأرجاني أبو بكر قاضي تستر وله شعر حسن فمنه قوله

ولما بلوت الناس أطلب عندهم ۞ أخا ثقة عند اعتراض الشدائد
تطلعت في حالي رخاء وشدة ۞ وناديت في الأحياء هل من مساعد
فلم أر فيما ساءني غير شامت ۞ ولم أر فيما سرني غير حاسد
تمتعتما يا ناظري بنظرة ۞ وأوردتما قلبي أمر الموارد
أعيني كفا عن فؤادي فانه ۞ من البغي سعي اثنين في قتل واحد

وفيها توفي أبو عبد الله عيسى بن هبة الله بن عيسى البزاز وكان ظريفا وله شعر حسن كتب اليه صديق له رقعة وزاد في خطابه فأجابه

قد زدتني في الخطاب حتى ۞ خشيت نقصا من الزياده
فاجعل خطابي خطاب مثلي ۞ ولا تغير علي عاده ۞

۞ (ثم دخلت سنة خمس وأربعين وخمسمائة) ۞

۞ (ذكر أخذ العرب الحاج) ۞

في هذه السنة رابع عشر المحرم خرج العرب زعب ومن انضم اليهم على الحاج بالغرابي بين مكة والمدينة فأخذوهم ولم يسلم منهم الا القليل وكان سبب ذلك ان نظرا أمير الحاج لما عاد من الحلة على ما ذكرناه وصار على الحاج قايماز الأرجواني وكان حدثا غرا فسار بهم الى مكة فلما رأى أمير مكة قايماز استصغره وطمع في الحاج وتلطف قايماز الحال معه الى أن عادوا فلما ساروا عن مكة سمع باجتماع العرب فقال للحاج من المصلحة أن لا نمضي

وأما هم المناداة على الناس بتزيين الأسواق وما فيها من الحوانيت والدور ووقود القناديل والتعاليق ويسهرون ثلاث ليال بأيامها أولها يوم الخميس وآخرها يوم السبت الذي هو خامس عشره وأخرجوا طاقات وخياما الى خارج باب النصر والفتوح وخرج الباشا في ثاني يوم الى ناحية العادلية وهو ليلة يوم الزينة وعملوا حراقات ونفوطا وسواريخ ومدافع من كل ناحية مدة أيام الزينة وكتبت البشائر الى جميع النواحي وأنعم الباشا بأمريات ومناصب على عشرين نفسا من خواصه وعين الأنفس بلا أغاوات المفتاح للتوجه الى دار السلطنة بالبشائر والمفاتيح صحبته وسافر في صبح يوم الزينة على طريق البر وتعين خلافه أيضا فسفر بالبشائر الى البلاد الرومية والشامية والأماكن الاسلامية مثل بلاد الأنضول والروملي ورودس وسلانيك وازمير وكريت وغيرها (وفي أواخره) وردت الأخبار المترادفة بوقوع الطاعون الكثير باسلامبول فأشار الحكماء على الباشا بعمل كورنتينه بالاسكندرية على قاعدة اصطلاح الافرنج ببلادهم فلا يدعون أحدا من المسافرين الواردين في المراكب من الديار الرومية يصعد الى البر الا بعد مضي أربعين يوما من وروده واقامات بالمركب أبعد في أثناء المدة استأنفوا الأربعين (وفيه) وشي بعض اليهود على الحاج سالم الجوهري المباشر لايراد

الى

يوم الجمعة من دخول الجامع فصلى في جامع السلطان ومنع من التدريس فتقدم السلطان مسعود الى الشيخ ابى النجيب بان يدرس فيها فامتنع بغير امر الخليفة فاستخرج السلطان اذن الخليفة في ذلك فدرس منتصف المحرم من السنة وفيها توفى ابو عبد الله محمد ابن علي بن مهران الفقيه الشافعي تفقه على الهراسي وولي قضاء نصيبين ثم ترك القضاء وتزهد فاقام بجزيرة ابن عمر ثم انتقل الى جبل بلد الحصن في زاوية وكان له كرامات ظاهرة وفيها مات الحسن بن ذي النون بن ابي القاسم بن ابي الحسن الاسعردي ابو المفاخر النيسابوري سمع الحديث الكثير وكان فقيها اديبا دائم الاشتغال يعظ الناس وكان مما ينشد

ماتت الكرام وولوا وانقضوا ومضوا ● ومات من بعدهم تلك الكرامات
وخلفوني في قوم ذوي سفه ● لو ابصروا طيف ضيف في الكرى ماتوا

● (ثم دخلت سنة اربعين وخمسمائة) ●

● (ذكر انهزام نور الدين من جوسلين واسر جوسلين بعد ذلك) ●

في هذه السنة جمع نور الدين محمود عسكره وسار الى بلاد جوسلين الفرنجي وهي شمالي حلب منها تل باشر وعين تاب واعزاز وغيرها وعزم على محاصرتها واخذها وكان جوسلين لعنه الله فارس الفرنج غير مدافع قد جمع الشجاعة والراي فلما علم بذلك جمع الفرنج فاكثر وسار نحو نور الدين فالتقوا واقتتلوا فانهزم المسلمون وقتل منهم واسر جمع كثير وكان في جملة من اسر سلاحدار نور الدين فاخذه جوسلين ومعه سلاح نور الدين فسيره الى الملك مسعود بن قلج ارسلان صاحب قونية واقصرا وقال له هذا سلاح زوج ابنتك وسياتيك بعده ما هو اعظم منه فلما علم نور الدين الحال عظم عليه ذلك واعمل الحيلة على جوسلين وهجر الراحة لياخذ بثاره واحضر جماعة من امراء التركمان وبذل لهم الرغائب ان هم ظفروا بجوسلين وسلموه اليه اما قتيلا او اسيرا لانه علم انه متى قصده بنفسه احتمى بجموعه وحصونه فجعل التركمان عليه العيون فخرج متصيدا فلحقت به طائفة منهم وظفروا به فصانعهم على مال يؤديه اليهم فاجابوه الى اطلاقه اذا حضر المال فارسل في احضاره فمضى بعضهم الى ابي بكر بن الداية نائب نور الدين بحلب فاعلمه الحال فسير عسكرا معه فكبسوا اولئك التركمان وجوسلين معهم فاخذوه اسيرا واحضروه عنده وكان اسره من اعظم الفتوح لانه كان شيطانا عاتيا شديدا على المسلمين قاسي القلب واصيبت النصرانية كافة باسره ولما اسر سار نور الدين الى قلاعه فملكها وهي تل باشر وعين تاب واعزاز وتل خالد وقورس والراوندان وبرج الرصاص وحصن البارة وكفر سود وكفرلاثا ودلوك ومرعش ونهر الجوز وغير ذلك من اعماله في مدة يسيرة يرد تفصيلها وكان نور الدين كلما فتح منها حصنا نقل اليه من كل ما يحتاج اليه الحصون خوفا من نكثة تلحق المسلمين من الفرنج فتكون بلادهم غير محتاجة الى ما يحميها من المدد وقد مدحه الشعراء فممن قال فيه القيسراني من قصيدة في ذكر جوسلين

دار بحارة الروم بالقرب من دار ابنه محمد افندى فلما اخذ الباشا دار اسمعيل افندى دار الحريم واسكنه فيها لانها دار عظيمة جليلة عمرها المذكور وصرف عليها في الايام الخالية اموالا جمة فلما استولى عليها الباشا اسكن بها بعض جواريه وسراريه ولما قرر عليه غرامته اسقط منه منها عشرين كيسا لا غير وجعلها في ثمن داره المذكورة وذلك لا يقوم بثمن رخامها فقط فلما اشتد الحال باسمعيل افندى اشار عليه بعض المتشفعين بان يكتب له عرضحال ويطلع به الى الباشا صحبة المعلم غالي كبير الاقباط المباشرين ففعل ودخل معه المعلم غالي الى الباشا فعندما رآه مقبلا صحبة المذكور اشار اليه بالرجوع ولم يدعه يتكلم فرجع بقهره ونزل الى داره فمرض وتوفي بعد ايام الى رحمة الله تعالى ومات قبله ولده حسن افندى وبقي جميع المطلب على ولده محمد افندى فحصل له مشقة زائدة وباع اثاث بيته واوانيه وكتبه التي اقتناها وحصلها بالشراء والاستكتاب فباعها ببخس الاثمان على الصحافين وغيرهم وطال عليه الحال وانقضت مواعيد المداينين له فطالبوه وكربوه فتداين من غيرهم بالربا والزيادة وهكذا اواقعه يحسن تناوله العاقبة (وفيه) قدم الى الاسكندرية قليون من بلاد الاسلامبول فيه جماعة واشيا للباشا ومعه خمسون الف كيس نقودا ثمن غلال وشحنة يأخذونها من مصر

مقدمهم اياز كربابه بن برموز ونفذهم الى قرطبة فلما قربوا منها لم يقدروا ان يلاقوا عسكر السلطين فى الوطاء وارادوا الاجتماع باهل قرطبة ليمنعوها لخطر العاقبة وهول القتال فسلكوا الجبال الوعرة والمضايق المتشعبة فساروا نحو خمسة وعشرين يوما لو ساروا فى مسافة اربعة ايام فى السهل فوصلوا الى الجبل المطل على قرطبة فلما رآهم السلطين وتحقق امرهم رحل عن قرطبة وكان فيها القائد ابو الغمر السائب من ولد القائد بن غلبون وهو من ابطال اهل الاندلس وامرائها فلما رحل الفرنج خرج من وقته وصعد الى ابن برموز وقال له انزلوا عاجلا وادخلوا البلد ففعلوا وباتوا فيها فلما اصبحوا من الغد رأوا عسكر السلطين على رأس الجبل الذى كان فيه عسكر عبد المؤمن فقال لهم ابو الغمر هذا الذى خفته عليكم لانى علمت ان السلطين ما اقام الا طالبا لكم لان من الموضع الذى كنتم فيه طريق سهلة ولو لحقكم هناك لنال مراده منكم ومن قرطبة فلما رأى السلطين انهم قد فاتوه علم انه لم يبق له طمع فى قرطبة فرحل عائدا الى بلاده وكان حصره لقرطبة ثلاثة اشهر والله اعلم

(ذكر ملك الغورية هراة)

فى هذه السنة سار ملك الغور الحسن بن الحسين من بلاد الغور الى هراة فحصرها وكان اهلها قد كاتبوه وطلبوا ان يسلموها اليه هربا من ملك الاتراك لهم وزوال هيبة السلطنة عنهم فامتنع اهل هراة عليه ثلاثة ايام ثم رجعوا الى ما بذلوه وسلموا البلد واطاعوه فاحسن اليهم وافاض عليهم النعم وغمرهم بالعدل واظهر طاعة السلطان سنجر والقيام على الوفاء له والانقياد اليه

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة امر علاء الدين محمود بن مسعود الغالب على امر طرثيث اقامة الخطبة للخليفة وليس السواد ففعل الخطيب ذلك فثار به جماعة من واخوه وقاتلوه وكسروا المنبر وقتلوا الخطيب وكان فعل علاء الدين هذا لان اباه كان مسلما قبل غلب الاسماعيلية على طرثيث فاظهر موافقتهم وابطن اعتقاد الشرع وكان يناظر على مذهب الشافعى وازدادت قدمه بطرثيث وجرت امورها بارادته فلما حضره الموت اوصى ان يغسله فقيه شافعى واوصى الى ابنه علاء الدين ان امكنه ان يعيد فيها اظهار شريعة الاسلام فعل فلما رأى من نفسه قوة فعل فلم يتم له وفيها كثر المرض بالعراق لا سيما ببغداد وكثر الموت ايضا فيها وفارقها السلطان مسعود وفيها توفى الامير على بن دبيس بن صدقة صاحب الحلة باسداباذ واتهم طبيبه محمد بن صالح بالمواطأة عليه فمات الطبيب بعده بقريب وفيها استوزر عبد المؤمن صاحب بلاد المغرب ابا جعفر بن ابى احمد الاندلسى وكان ماسورا عنده فوصف له بالعقل وجودة الكتابة فاخرجه من الحبس واستوزره وهو اول وزير كان للموحدين وفى هذه السنة فى المحرم جلس يوسف الدمشقى مدرسا فى النظامية ببغداد وكان جلوسه بغير امر الخليفة

مطلب قال اليهودي الست كنت الداري ٦٨ عليك فيما تفعله واتسع الكلام بينهما وحضرة الباشا واعوانه مترقبون لما يكون يستخرجون به الاموال باى وجه كان ويتقولون ويوقعون بين هذا وهذا والناس اعداء لبعضهم البعض تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ثم ان السيد محمدا المحروقى خاطب الباشا فى شان الحاج سالم وحلف له ان الغرامة الاولى تمام عليه منها ثلثمائة كيس استدانها من الاوربيين ودفعها وهى باقية عليه الى الآن ومطلوبة منه وذلك بعد ان باع املاكه وحصة التزامه فاذا كان ولابد من تغريمه ثانيا فانا نتحيل اصحاب الديون ونقوم بدفع الثلثمائة كيس المطلوبة للدائنين وندفعها للخزينة فاجابه لذلك وامر بالافراج عن الحاج سالم واخوته ومن معه فدخلوا القرافة ثم على بعضهم وعقوبتهم واتباعهم سبعة اكياس (وفيه) اشتد الامر على اسمعيل افندى امين عيار الضربخانه واولاده بالطلب من ارباب الحوالات مثل والى باشلوه لاغه وضيق العسكر المعينون عليهم منافسهم ولازموا دورهم ولم يجدوا شافعا ولا دافعا ولا راحما فباعوا املاكهم وعقاراتهم وفراشهم ومصاغ حريمهم واوانيهم وملابسهم وكان الباشا اخذ من اسمعيل افندى المذكور دار بالقلعة عندما انتقل الى القلعة فاقام بها لاجل التعمل ونزل الى

فتح

ذكر ملك عبد المؤمن بجاية وممالك بني حماد

في هذه السنة سار عبد المؤمن بن علي الى بجاية وملكها وملك جميع ممالك بني حماد وكان لما اراد قصدها سار من مراكش الى سبتة سنة ست واربعين فاقام بها مدة يعمل الاسطول ويجمع العساكر القريبة منه واما ما هو على طريقه الى بجاية من البلاد فكتب اليهم ليتجهزوا ويكونوا على الحركة اي وقت طلبهم والناس يظنون انه يريد العبور الى الاندلس فارسل في قطع السابلة عن بلاد شرق المغرب برا وبحرا وسار من سبتة في صفر سنة سبع واربعين فاسرع السير وطوى المراحل والعساكر تلقاه في طريقه فلم يشعر اهل بجاية الا وهو في اعمالها وكان ملكها يحيى بن العزيز بن حماد آخر ملوك بني حماد وكان مولعا بالصيد واللهو لا ينظر في شيء من امور مملكته قد حكم فيها بنو حمدون فلما اتصل الخبر بميمون بن حمدون جمع العسكر وسار عن بجاية نحو عبد المؤمن فلقيهم مقدمته وهي تزيد على عشرين الف فارس فانهزم اهل بجاية من غير قتال ودخلت مقدمة عبد المؤمن بجاية قبل وصول عبد المؤمن بيومين وتفرق جميع عسكر يحيى بن العزيز وهربوا برا وبحرا وتحصن يحيى بقلعة قسنطينية الهواء وهرب اخواه الحرث وعبد الله الى صقلية ودخل عبد المؤمن بجاية وملك جميع بلاد ابن العزيز بغير قتال ثم ان يحيى نزل الى عبد المؤمن بالامان فامنه وكان يحيى قد فرح لما اخذت الافرنج المهدية من الحسن بن علي واظهر الشماتة به فكان يذمه ويذكر معايبه فلم تطل المدة حتى اخذت بلاده ووصل الحسن بن علي الى عبد المؤمن في جزائر بني مزغنان وقد ذكرنا سنة ثلاث واربعين سبب مصيره اليها واجتماعهما عنده فارسل عبد المؤمن يحيى بن العزيز الى بلاد المغرب واقام بها واجرى عليه شيئا كثيرا واما الحسن بن علي فانه احسن اليه والزمه صحبته واعلى مرتبته فلزمه الى ان فتح عبد المؤمن المهدية فجعله فيها وامر واليها ان يقتدي برايه ويرجع الى قوله ولما فتح عبد المؤمن بجاية لم يتعرض الى مال اهلها ولا غيره وسبب ذلك ان بني حمدون استامنوا فوفى لهم بامانه

ذكر ظفر عبد المؤمن بصنهاجة

لما ملك عبد المؤمن بجاية تجمعت صنهاجة في امم لا يحصيها الا الله تعالى وتقدم عليهم رجل اسمه ابو قصبة واجتمع معهم من كتامة ولواتة وغيرهما خلق كثير وقصدوا حرب عبد المؤمن فارسل اليهم جيشا كثيرا ومقدمهم ابو سعيد يخلف وهو من الخمسين فالتقوا في عرض الجبل شرقي بجاية فانهزم ابو قصبة وقتل اكثر من معه ونهبت اموالهم وسبيت نساؤهم وذراريهم ولما فرغوا من صنهاجة ساروا الى قلعة بني حماد وهي من احصن القلاع واعلاها لا ترام على راس جبل شاهق لا يكاد الطرف يحققها لعلوها ولكن القدر اذا جاء لا يمنع منه معقل ولا جيوش فلما راى اهلها عساكر الموحدين هربوا منها في رؤوس الجبال وملكت القلعة واخذ جميع ما فيها من مال وغيره وحمل الى عبد المؤمن فقسمه بين اصحابه

ايضا وباقي الى ديوان الكمرك ببولاق فبلغ كراه الى مكة وهو راجع اليه ١٧ ايضا الحاصل ان استقر سعر القنطار الواحد من الحطب بثلثمائة وخمسة عشر نصف فضة واجرة حمله من بولاق الى مصر ثلاثة عشر نصف فضة واجرة تكسيره مثل ذلك فيكون مجموع ذلك ثلثمائة واربعين نصف فضة القنطار وقد اشتريناه قبل استيلاء هذه الدولة بثلاثين نصفا واجرة حمله في المركب عشرة انصاف واجرته من بولاق الى مصر ثلاثة انصاف وتكسيره كذلك فيكون مجموع ذلك ستة واربعين نصفا وكذلك فعل في انواع الاخشاب المكرمة والحديد والرصاص والقصدير وجميع المجلوبات واستمر ينشئ في المراكب الكبار والصغار التي تسرح في النيل من قبلي الى بحري ومن بحري الى قبلي ولا يبطل الانشاء والاعمال والعمل على الدوام وكل ذلك على ذمته ومرمتها وعمارتها ولوازمها وملاحوها باليومية على طرفه لا بالضمان كما كان في السابق ولهم قومة ومباشرون متقيدون بذلك الليل والنهار (ومنها) وهي من الحوادث الغريبة التي لم يتفق في هذه الاعصار مثلها ان في اواخر ربيع الآخر احترق بحر النيل وجف بحر بولاق وكثرت فيه الرمال وعلت فوق بعضها حتى صارت مثل التلول والجسر الممتد حتى كان الناس يمشون الى قريب انبابة بعدما اسام

كما اخمدت الاقدار للقدس امره * وامسد قرن من حوالك الامر
خذى وبغى عدوا على غلوائه * فاوبقه الكفران عدوا والكفر
وامست عزاز كاسمها بك عزة * تشق على القيصر لوانها وكر
فسر واملك الدنيا ضياء وبهجة * فبالافق الداجي الى ذا السنى فقر
كانى بهذا العزم لا فل حده * واقصاه بالاقصى وقد قضى الامر
وقد اصبح البيت المقدس طاهرا * وليس سوى جارى الدماء له طهر

(ذكر حصر غرناطة والمرية من بلاد الاندلس)

في هذه السنة سير عبد المؤمن جيشا كثيفا نحو عشرين الف فارس الى الاندلس مع ابي حفص عمر بن يحيى الهنتاتي وسير معهم نساءهم فكن يسرن مفردات عليهن البرانس السود ليس معهن غير الخدم ومتى قرب منهن رجل ضرب بالسياط فلما قطعوا الخليج ساروا الى غرناطة وبها جمع من المرابطين فحصروها وعسكره وضيقوا عليها فاتاه اليه احمد بن ملحان صاحب مدينة وادى آش واعمالها بجماعته ووحدوا وصاروا معه واتاه ابراهيم بن همشك صهر ابن مردنيش صاحب جيان واصحابه ووحدوا وصاروا ايضا معه فكثر جمعه وحرضوه على المبادرة الى ابن مردنيش ملك بلاد شرق الاندلس ليبغته بالحصار قبل ان يتجهز فلما سمع ابن مردنيش ذلك خاف على نفسه فارسل الى ملك برشلونة من بلاد الفرنج يخبره ويستنجده ويحثه على الوصول اليه فسار اليه الفرنجي في عشرة آلاف فارس وسار عسكر عبد المؤمن فوصلوا الى حصن بلقوار وبينها وبين مرسية التي هي مقر ابن مردنيش مرحلة فسمعوا بوصول الفرنج فرجعوا وحصروا مدينة المرية وهي للفرنج عدة شهور فاشتد الغلاء في العسكر وعدمت الاقوات فرحلوا عنها وعادوا الى اشبيلية فاقاموا بها

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في ربيع الآخر توفي العبادي الواعظ واسمه المظفر بن اردشير بخوزستان وكان الخليفة المقتفي لامر الله قد سيره في رسالة الى الملك محمد ابن السلطان محمود ليصلح بينه وبين بدر الحويزي فتوفي هناك وحمل ولده ليقعد له العزاء فاقيم بحاجب من الديوان العزيز وكان ابنه يجلس ويعظ ويذكر والده ويبكي هو والناس كافة وحمل العبادي الى بغداد ودفن بالشونيزي ومولده سنة احدى وتسعين واربعمائة وسمع الحديث من ابي بكر الهروي وزاهر الشحامي وغيرهما وفيها انفجر بثق النهروان الذي اقسمه وذكرت الزيادة فيه تامرا واستمال امرها حتى عظم ذلك وتضرر به الناس وفيها سار الامير قيصر في طائفة من عسكر السلطان سنجر الى طرثيث بخراسان واغار على بلاد الاسماعيلية فنهب وسبى وخرب واحرق المساكن وفعل بهم افاعيل عظيمة وعاد سالما

(ثم دخلت سنة سبع واربعين وخمسمائة)

الى بلادهم فيقطعوا يجلبون لهم الحبول من أربابها فيبيعون ما يلمسونهم منها ويقيسونها بالاشبار فان وجدوا ابراقي غرضهم وعطلوهم في القياس والقيافة اخذوه ولو باقى على غمن والا تركوه (وفيه) ايضا ارسل الباشا بجميع كشاف الوجه القبلي بحجر جميع الغلال والحجر عليها الكل فلا يقدر احد ان يبيع ولا يشترى شيئا منها ولا يسافر بشئ منها في مركب مطلقا ثم طلبوا ما عند اهل البلاد من الغلال حتى ما ادخروه في دورهم للقوت فاخذوه ايضا ثم زادوا في الامر حتى صاروا يكبسون الدور ويأخذون ما يجدون من الغلال قل او كثر ولا يدفعون لها ثمنا بل يقولون لهم نحسب لكم ثمنه من مال السنة القابلة ويأخذون بذلك جميع مراكب الباشا التي استجدها واعدها لنقل الغلال ثم يسيرون بها الى بحرى فتنقل الى مراكب الافرنج بحساب مائة قرش من كل اردب وانقضت السنة ولم تنقض حوادثها بل استمر ما حدث فيها كالتي قبلها وزيادة (فمنها) ما احاط به علمنا وذكرنا بعضه ومنها ما لم يحط به علمنا او احاط ونسيناه لحدوث غيره قبل التثبت ومنها ان الباشا عمل ترسخانه عظيمه بساحل بولاق واعد عدة مراكب بالاسكندرية بخصوص جلب الاخشاب المتنوعة وكذلك الحطب الرومي من اماكنها في تستمر ويبيعه على الحطابين باسعار عليهم من الثمن ويحمل في المراكب المختصة به بأجرة محددة

(ذكر

السلطان وصلت الى واسط ففارقها عسكر الخليفة فلما سمع الخليفة بذلك تجهز بنفسه وسار عن بغداد الى واسط ففارقها العسكر السلطاني وملكها الخليفة وسار منها الى الحلة ثم عاد الى بغداد فوصلها تاسع عشر ذي القعدة وكانت غيبته خمسة وعشرين يوما ثم ان خاص بك بن بلنكري قبض على الملك ملكشاه الذي خطب له بالسلطنة بعد مسعود وارسل الى اخيه الملك محمد وهو بخوزستان يستدعيه وكان قصده ان يحضر عنده فيقبضه ويخطب لنفسه بالسلطنة فسار الملك محمد اليه فلما وصل اجلسه على تخت السلطنة اول صفر وخطب له بالسلطنة وخدمه وبالغ في خدمته وحمل له هدايا عظيمة جليلة المقدار ثم انه دخل الى الملك محمد ثاني يوم وصوله فقتله محمد وقتل معه زنكي الجاندار والقى برأسيهما فتفرق اصحابهما ولم ينتطح فيهما عنزان وكان ايدغدي التركماني المعروف بشملة مع خاص بك فنهاه عن الدخول الى الملك محمد فلم يقبل منه فقتل ونجا شملة فنهب جمعه الملك محمد ومضى طالبا خوزستان واخذ محمد من مال خاص بك شيئا كثيرا واستقر محمد في السلطنة وتمكن وبقي خاص بك ملقى حتى اكلته الكلاب وكان صبيا تركمانيا اتصل بالسلطان مسعود فتقدم على سائر الامراء ثم كان هذا خاتمة امره

ذكر الحرب بين نور الدين محمود وبين الفرنج

في هذه السنة اجتمعت الفرنج وحشدت الفارس والراجل وساروا نحو نور الدين وهو ببلاد جوسلين ليمنعوه عن ملكها فوصلوا اليه وهو بدلوك فلما قربوا منه رجع اليهم ولقيهم وجرى المصاف بينهم عند دلوك واقتتلوا اشد قتال رآه الناس وصبر الفريقان ثم انهزم الفرنج وقتل منهم واسر كثير وعاد نور الدين الى دلوك فملكها واستولى عليها ومما قيل في ذلك

اعدت بعصرك هذا الانيق • فتوح النبي واعصارها
فواملات باجنادا أجدبها • وامررت من بدرا بدارها
وكان مهاجرها تابعيك • وانصار رأيك انصارها
فجددت اسلام سلمانها • وعمر جدك عمارها
وما يوم انب الا كذا • لذا طال بالنوع اشبارها
صدمت عريمتها صدمة • اذابت مع الماء احجارها
وفي تل باشر باشرتهم • بزحف تسور اسوارها
وان دالكتهم دلوك فقد • شددت فصدقت اخبارها

ذكر الحرب بين سنجر والغورية

في هذه السنة كان بين السلطان سنجر وبين الغورية حرب وكانت دولتهم اول ما ظهرت واول من ملك منهم رجل اسمه الحسين بن الحسين ملك جبال الغور ومدينة

بل نقص قليلا وزاد في أوان الزيادة على العادة ذراعا في ايامه العادة سبحان الفعال (ومنها) شدة الغلال وخلو السواحل منها فلا يجد الناس الا ما يأتي بأيدي فلاحي الجهات البحرية القريبة يحملونه على الحمير الى الرحبات والرقع ويبيعونه على الناس كل اردب بأربعة وعشرين قرشا بخلاف المكس والكلف واستقر مكس الاردب الواحد اربعة وثلاثين نصف فضة واجرته اذا كان من طريق البحر من المنوفية او نحوها مائة نصف واقل واكثر واجرته من بولاق الى مصر خمسة وعشرون نصفا (ومنها) انه لما انتظم له ملك بلاد الصعيد ولم يبق له فيه منازع وقلد امارته لابنه ابراهيم باشا ورسم بان يضبط جميع اطيان بلاد الصعيد حتى الرزق الاحباسية المرصدة على المساجد والخيرات الكائنة بمصر وغيرها واوقاف سلاطين مصر المتقدمين وخيراتهم ومساجدهم ومكاتبهم وصهاريجهم ووظائف المدرسين والمقرئين وغير ذلك ففعل ذلك وزرع الاراضي بأسرها وشاع انه جعل على كل فدان من اراضي الرزق والاوقاف ثلاثة ريالات لا غير وعلى باقي فدادين الاطيان ثمانية ريالات خلاف التبارى وحوم زراعة الذرة فعمل على كل عود من عيدان القطوة

ذكر وفاة السلطان مسعود وملك ملكشاه بن محمود

في هذه السنة أول رجب توفي السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه بهمذان وكان مرضه حمى حادة نحو أسبوع وكان مولده سنة اثنتين وخمسمائة في ذي القعدة ومات معه سعادة البيت السلجوقي فلم يقم له بعده راية يعتد بها ولا يلتفت اليها

فما كان قيس هلكه هلك واحد • ولكنه بنيان قوم تهدما

وكان رحمه الله حسن الاخلاق كثير المزاح والانبساط مع الناس فمن ذلك ان اتابك زنكي صاحب الموصل ارسل اليه القاضي كمال الدين محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري في رسالة فوصل اليه واقام معه في العسكر فوقف يوما على خيمة الوزير حتى قارب اذان المغرب فعاد الى خيمته فاذن المغرب وهو في الطريق فرأى انسانا فقيها في خيمة فنزل اليه فصلى معه المغرب ثم سأله كمال الدين من اين هو فقال القاضي بمدينة كذا فقال له كمال الدين القضاة ثلاثة قاضيان في النار وهو والله انت وقاض في الجنة وهو من لم يعرف ابواب هؤلاء الظلمة ولا يراهم فلما كان الغد ارسل السلطان واحضر كمال الدين اليه فلما دخل عليه ورآه ضحك وقال القضاة ثلاثة فقال كمال الدين نعم يامولانا فقال والله صدقت ما اسعد من لا يرانا ولا نراه ثم امر ان تقضى حاجته واعاده من يومه وكان كريما عفيفا عن الاموال التي للرعايا حسن السيرة فيهم من اصلح السلاطين سيرة والينهم عريكة سهل الاخلاق لطيفا فمن ذلك انه اجتاز يوما في بعض اطراف بغداد فسمع امرأة تقول لاخرى انظري الى السلطان فوقف وقال حتى تنظر وهذه الست تنظر الينا وله فضائل كثيرة ومناقب جمة وكان عهد الى ملكشاه ابن اخيه السلطان محمود فلما توفي خطب له الامير خاص بك ورتب الامور وقررها بين يديه واذعن له جميع العسكر بالطاعة ولما وصل الخبر الى بغداد بموت السلطان مسعود هرب الشحنة بها وهو مسعود بلال الى تكريت واستظهر الخليفة المقتفي لامر الله على دار مسعود واصحاب السلطان ببغداد واخذ كل ما لهم فيها وكل من كان عنده وديعة لاحد منهم احضرها بالديوان وجمع الخليفة الرجال والعساكر واكثر التجنيد وتقدم باراقة الخمور من اماكن اصحاب السلطان ووجد في دار مسعود بلال شحنة بغداد كثير من الخمر فاريق ولم يكن الناس يظنون انه يشرب الخمر لبعده وقبض على المؤيد الالوسي الشاعر وعلى الحيص بيص الشاعر ثم اطلق الحيص بيص واعيد عليه ما اخذ منه ثم ان السلطان ملكشاه سير سلار كرد في عسكر الى الحلة فدخلها فسار اليه مسعود بلال شحنة بغداد واظهر له الاتفاق معه فلما اجتمعا قبض عليه مسعود بلال وغرقه واستبد بالحلة فلما علم الخليفة ذلك سير العساكر اليه مع الوزير عون الدين بن هبيرة فسار اليه فلما قاربوا الحلة عبر مسعود بلال الفرات اليهم وقاتلهم فانهزم من عسكر الخليفة ونادى اهل الحلة بشعار الخليفة فلم يدخلها وعادت الهزيمة عليه وعلى اصحابه فعاد الى تكريت وملك عسكر الخليفة الحلة وسير الوزير عسكرا الى الكوفة وعسكرا الى واسط فملكوهما ثم ان عساكر

وكذلك بحر مصر القديمة بقي مخاضا وفقدت أهل القاهرة الماء الحلو واشتد بالناس العطش بسبب ذلك وبسبب تحتير السقائين ونادى الامير الوالي على ان يكون حمل القربة بالمكان البعيد باربعة عشر نصف فضة واستهل شهر بشنس القبطي فزاد النيل في أوله في ليلة واحدة نحو ذراع ثم كان يزيد في كل يوم وليلة مثل دفعات أوائل أبيب ومسرى وجرى بحر بولاق ومصر القديمة وغطى الرمال وسارت فيه المراكب الكبار منحدرة ومقلعة وغرقت المقاثي مثل البطيخ والخيار والعبد اللاوي وما كان مزروعا بالسواحل وهو شيء كثير جدا واستمرت الزيادة نحو عشرين يوما حتى تغير وابيض وكاد يحمر وداخل الناس من ذلك وهم عظيم من هذه الزيادة التي في غير وقتها حتى اعتقدوا انه يوفي أذرع الوفاء قبل نزول النقطة ولم يعهد مثل ذلك وكان ذلك رحمة من الله بعبيده الفقراء العطاش ثم اني طالعت في تاريخ الحافظ المقريزي المسمى بالسلوك في دول الملوك فذكر مثل هذه النادرة في سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة ولما ترادفت هذه الزيادات خرج الوالي الى قنطرة السد وجمع الفعلة للعمل في ردم الخليج ونادى على نزح الخليج وتنظيفه وكنح اوساخه وقطع ارضه ثم وقفت الزيادة

لما قوي أمر عمهما علاء الدين الحسين بن الحسين استعمل العمال والأمراء على البلاد وكان ابنا أخيه وهما غياث الدين أبو الفتح محمد بن سام وشهاب الدين أبو المظفر محمد بن سام فيمن استعمل على بلد من بلاد الغور اسمه سنجة وكان غياث الدين يلقب حينئذ شمس الدين ويلقب الآخر شهاب الدين فلما استقر عملهما أحسنا السيرة في عملهما وعدلا وبذلا الأموال فمال الناس إليهما وانتشر ذكرهما فسعى بهما من يحسدهما إلى عمهما علاء الدين وقال إنهما يريدان الوثوب بك وقتلك والاستيلاء على الملك فأرسل عمهما يستدعيهما إليه فامتنعا وكانا قد علما الخبر فلما امتنعا جهز إليهما عسكرا مع قائد يسمى خروش الغوري فلما التقوا انهزم خروش ومن معه وأسر هو وأبقيا عليه وأحسنا إليه وخلعا عليه وأظهرا عصيان عمهما وقطعا خطبته فتوجه إليهما علاء الدين وسارا هما أيضا إليه فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم علاء الدين وأخذ أسيرا وانهزم عسكره فنادى فيهم ابنا أخيه بالأمان فأحضرا عمهما وأجلساه على التخت ووقفا في خدمته فبكى علاء الدين وقال هذان صبيان قد فعلا ما لو قدرت عليه منهما لم أفعله وأحضر القاضي في الحال وزوج غياث الدين بابنته وجعله ولي عهده وبقي كذلك إلى أن مات فلما توفي ملك غياث الدين بعده وخطب لنفسه في الغور وغزنة بالملك وبقي كذلك إلى أن ملك الغز غزنة بعد موت علاء الدين فإنهم ملكوها وبقيت بأيديهم خمس عشرة سنة يصبون على أهلها العذاب ويتابعون الظلم كعادتهم في كل بلدة ملكوها ولو أنهم لما ملكوا أحسنوا السيرة في الرعايا لدام ملكهم فلم يزل الغز بغزنة هذه المدة وغياث الدين قوي أمره ويحسن السيرة والناس يميلون إليه ويقصدونه محبة له

ه(ذكر ملك غياث الدين غزنة وما جاورها من البلاد)ه

لما قوي أمر غياث الدين جهز جيشا كثيفا مع أخيه شهاب الدين إلى غزنة وفيه أصناف الغورية والخلج وأخراسانية فساروا إليها فلقيهم الغز وقاتلوهم فانهزم الغز وثبت شهاب الدين فيمن ثبت معه على صاحب علمهم فقتله وأخذ العلم وتركه على حاله فرآه جمع الغز ولم يكونوا علموا بما كان من شهاب الدين فجاؤوا يطلبون علمهم فكلما جاء إليه طائفة قتلهم فأتى على أكثرهم ودخل غزنة وتسلمها وأحسن السيرة في أهلها وأفاض العدل وسار من غزنة إلى كرمان وشنوران فملكهما ثم تعدى إلى ماء السند وعمل على العبور إلى بلاد الهند وقصد لهاوور وبها يومئذ خسروشاه بن بهرام شاه المقدم ذكره فلما سمع خسروشاه بذلك سار في جمعه إلى ماء السند فمنعه من العبور فرجع عنه وقصد فرشابور فملكها وما يليها من جبال الهند وأعمال الأفغان والله أعلم

ه(ذكر ملك شهاب الدين لهاوور)ه

لما ملك شهاب الدين جبال الهند قوي أمره وجنانه وعظمت هيبته في قلوب الناس وأحبوه لحسن سيرته فلما خرج الشتاء وأقبل الربيع من سنة تسع وسبعين وخمسمائة سار نحو لهاوور في جمع عظيم وحشد كثير من خراسان والغور وغيرهم فعبر إلى لهاوور

والآخر غالب فيعير صاحب الحاجة كالحيلة المعترضة بين الشارط والمشروط وأمثال ذلك كثير (ومنها) الاستيلاء على جميع مزارع الارز بالبحر الغربي والشرقي ورتب لهم مباشرين وكتابا يصرفون عليهم من الكلف والتقاوي والبهائم ويؤخذ ذلك جميعه من حساب الفرض التي قررها على النواحي وعند استغلال الارز يرفعونها بأيديهم ويسعرونها بما يريدونه ويستوفون المصاريف ومعاليم القومة والمباشرين الذين هم ديوان فضل بعد ذلك شيء أعطوه للمزارع أو أخذوه منه وأعطوه ورقة بحسابها في المستقبل وفرض على كل دائرة من دوائر الارز خمسة أكياس في كل سنة خلاف المقرر القديم وعلى كل عود ثلاثة أكياس فإذا كان وقت الحصاد وزنوه شعيرا على أصحاب الدوائر والمناشر حتى إذا صلح وابيض حسبوا كلفه من أصل المقرر عليهم فإن زاد لهم شيء أعطوهم به ورقة وحاسبوا بها من قابل وأبطل تعامل المزارعين مع التجار الذين كانوا متسلطين بالصرف عليهم واستقر الحال إلى أن صار جميعه أصلا وفرعا لديوان الباشا ويباع الموجود على ذمته لأهل الأقاليم المتسببين وغيرهم وعوض كل أردب مائة قرش بل وزيادة وللإفرنج وبلاد الروم والشام بما لا يدري (ومنها) أنه حصل بين عبد الله أغا بكتاش الترجمان وبين النصراني الدرزي منافسة وهو الذي حضر

فيروز كوه وهي تقارب اعمال غزنة وقوى امره وتلقب بعلاء الدين وتعرض الى اعمال
ثم جمع جيشا وقصد هراة فحاصرها ونهب عسكره تكاب واوبه ومار بادمن هراة الروذ
وسار الى بلخ وحصرها فقاتله الامير قماج ومعه جمع من الغز فغدروا به وصاروا مع
الغوري فملك بلخ فلما سمع السلطان سنجر بذلك سار اليه ليمنعه فلقيه علاء الدين
واقتتلوا فانهزم الغورية واسر علاء الدين وقتل من الغور خلق كثير لاسيما
الرجالة واحضر السلطان سنجر علاء الدين بين يديه وقال له يا حسين لو ظفرت بي ما كنت
تفعل فاخرج له قيد فضة وقال كنت اقيدك بهذا واحملك الى فيروز كوه فخلع عليه
سنجر ورده الى فيروز كوه فبقي بها مدة ثم انه قصد غزنة ومالكها حينئذ بهرام شاه بن
مسعود بن محمود بن سبكتكين فلم يثبت بها بين يدي علاء الدين بل فارقها الى مدينة
كرمان وهي مدينة بين غزنة والهند وسكانها اقوم يقال لهم ابغان وليست هذه بالولاية
المعروفة بكرمان فلما فارق بهرام شاه غزنة ملكها علاء الدين الغوري واحسن
السيرة في اهلها واستعمل عليهم اخاه سيف الدين واجلسه على تخت المملكة وخطب
لنفسه ولاخيه سيف الدين بعده ثم عاد علاء الدين الى بلد الغور وامر اخاه ان يخلع على
اعيان البلد خلعا نفيسة ويصلهم بصلات سنية ففعل ذلك واحسن اليهم فلما جاء الشتاء
ووقع الثلج وعلم اهل غزنة ان الطريق قد انقطع اليهم كاتبوا بهرام شاه الذي كان
صاحبها واستدعوه اليهم فسار نحوهم في عسكره فلما قارب البلد ثار اهله على سيف
الدين فاخذوه بغير قتال وكان العلويون هم الذين تولوا اسره وانهزم الذين كانوا معه
فمنهم من نجا ومنهم من اخذ ثم انهم سودوا وجه سيف الدين واركبوه بقرة وطافوا
به البلد ثم صلبوه وقالوا فيه اشعارا يهجونه وغنى بها حتى النساء فلما بلغ الخبر الى اخيه
علاء الدين الحسين قال شعرا معناه ان لم اقلع غزنة في مرة واحدة فلست الحسين ابن
الحسين ثم توفي بهرام شاه وملك بعده ابنه خسرو شاه وتجهز علاء الدين الحسين وسار
الى غزنة سنة خمسين وخمسمائة فلما بلغ الخبر الى خسرو شاه سار عنها الى لهاوور
وملكها علاء الدين ونهبها ثلاثة ايام واخذ العلويين الذين اسروا اخاه فالقاهم من رؤس
الجبال وخرب المحلة التي صلب فيها واخذ النساء اللواتي قيل عنهن انهن كن يغنين بهجاء
اخيه والغورية فادخلهن حماما ومنعهن من الخروج حتى متن فيه واقام بغزنة
حتى اصلحها ثم عاد الى فيروز كوه ونقل معه من اهل غزنة خلقا كثيرا وحملهم المخالي
مملوءة ترابا فبنى به قلعة في فيروز كوه وهي موجودة الى الآن وتلقب بالسلطان المعظم
وحمل الجتر على عادة السلاطين السلجوقية وقد تقدم سنة ثلاث واربعين وخمسمائة
من اخبارهم ويخالف هذا في بعض الامر وكلاهما رأيناه في مصنفاتهم فلهذا
ذكرنا الامرين واقام الحسين على ذلك مدة واستعمل ابني اخيه وهما غياث الدين
وشهاب الدين

﴿ذكر ملك غياث الدين وشهاب الدين الغوريين﴾

سبعقر بالاث فرضي أصحاب الرزق والاطيان بهذا التنظيم وظنوا استمراره فان الكثير من المرتزقة ما كان يحصل له
من مزارعي رزقته مقدار
ما يحصل له على هذا الحساب
(ومنها) انه وضع يده بالحجر على
جميع حصص الالتزام فلم
يبق لاربابها شيئا الا ما قيز
وهو شئ قليل جدا واحتج في
ذلك باستيلاء الامراء المصريين
عليها عندما خرجوا من مصر
واقاموا بالبلاد القبلية
قرضه وايديهم على ذلك
وانتصاره بهم وطردهم وقتلهم
وورثنا ما كان بايديهم بحق
او باطل وسموه المضبوط واما
ما كان بايدي اربابه ايام استيلاء
المصريين وهم الملتزمون
القاطنون بالبلاد القبلية او
بمصر ممن راعى جانبه فانه اذا
عرض حاله وطلب اذنا في
التصرف واخبر بانه كان
مغروبا عند ايام استيلاء
المصريين واثبت ذلك
بالكشف من الروزنامه
وغيرها فاما ان يؤذن له في
التصرف او يقال له نعوضك
بدلها من البلاد البحرية
و يسوف ويتمادى الايام او
يحيل ذلك على ابنه ابراهيم
باشا ويقول انا لا علقه لي في
البلاد القبلية والامر فيها
لابراهيم باشا واذا ذهب لابراهيم
باشا يقول له انا اعطيك
القائمة فان رضي اعطائيتنا
تراوله وعسه بالاعطاء وان لم
يرض قال له هات لي اذنا من الاشد بنا وكل منهما امام يحل او مسافر او احدهما حاضر

خلاف لو سكت عن الحق فاصلحه ان شاء الله تعالى

(ذكر الخطبة لغياث الدين بالسلطنة)

لما استقر ملكهم بلهاوور واتسعت مملكتهم وكثرت عساكرهم واموالهم كتب غياث الدين الى اخيه شهاب الدين باقامة الخطبة له بالسلطنة وتلقب بالقاب السلاطين كان لقبه شمس الدين فتلقب غياث الدين والدنيا معين الاسلام قسيم امير المؤمنين ولقب اخاه بمعز الدين ففعل شهاب الدين ذلك وخطب له بالسلطنة

(ذكر ملك غياث الدين هراة وغيرها من خراسان)

لما فرغ شهاب الدين من اصلاح امر لهاوور وتقرير قواعدها سار الى اخيه غياث الدين فلما اجتمع به استقر رأيهما على المسير الى خراسان وقصد مدينة هراة ومحاصرتها فسارا في العساكر الكثيرة اليها وكان بها جماعة من الاتراك السنجرية فنازلا البلد وحصراه وضيقا على من به فاستسلموا اليهما وارسلوا يطلبون الامان منهما فاجاباهم الى ذلك وامناهم فتسلما البلد واخرجا من فيه من الامراء السنجرية واستناب فيه غياث الدين خرنك الغوري وسار غياث الدين واخوه الى فوشنج فملكاها ثم الى باذغيس وكالين وبيوار فملكاها ايضا وتسلم ذلك جميعه غياث الدين واحسن السيرة في اهل البلاد ورجع الى فيروزكوه ورجع شهاب الدين الى غزنة وكان ينبغي ان حوادث الغورية تذكر في السنين وانما جمعناها ليتلو بعضها بعضا ولان فيه ما لم يعرف تاريخه فتركنا بحاله

(ذكر ملك شهاب الدين مدينة آجرة من بلد الهند)

لما رجع شهاب الدين من خراسان الى غزنة اقام بها حتى اراح واستراح هو وعساكره ثم سار الى بلد الهند فحاصر مدينة آجرة وبها ملك من ملوك الهند فلم يظفر منه بطائل وكان للهندي زوجة غالبة على امره فراسلها شهاب الدين انه يتزوجها فاعادت الجواب انها لا تصلح له وان لها ابنة جميلة تزوجه بها فارسل اليها يجيبها الى التزويج بابنتها فسقت زوجها سما فمات وسلمت البلد اليه فلما تسلمه اخذ الصبية فاسلمت وتزوجها وحملها الى غزنة واجرى عليها الجرايات الوافرة ووكل بها من علمها القرآن وتشاغل عنها فتوفيت والدتها ثم توفيت هي بعد عشر سنين ولم يرها ولم يقربها فبنى لها مشهدا ودفنها فيه واهل غزنة يزورون قبرها ثم عاد الى بلد الهند فقتل له صاحبها وتيسر له فتح الكثير من بلادهم ودوخ ملوكهم وبلغ منهم ما لم يبلغه احد قبله من ملوك المسلمين

(ذكر ظفر الهند بالمسلمين)

لما اشتدت نكاية شهاب الدين في بلاد الهند واثخانه في اهلها واستيلاؤه عليهم اجتمع ملوكهم وتذامروا بينهم ووبخ بعضهم بعضا فاتفق رأيهم على الاجتماع والتعاضد على حربه فجمعوا عساكرهم وحشدوا واقبل اليهم الهنود من كل فج عميق على الصعب والذلول

له الباشا اربعة اكياس لمصرفه في كل شهر ومنعوا ايضا من كان معهم من نصارى الشوام من الطلوع الى الضربخانة واستقر بكتاش افندي ناظرا عليها ودقق على ارباب الوظائف والخدم لياخذ بذلك وجاهة عند مخدومه ثم ان الباشا بعد ايام امر بنفي المعروزي من مصر وجميع اهله واولاده وانقضى امره بعد ان احالوا تلك الصناعة عنه وفي تلك المدة بلغ ايراد الضربخانة لخزينة الباشا في كل شهر الفا وخمسمائة كيس وكان الذي يرد منها في زمن المصريين ثلاثين كيسا في كل شهر او اقل من ذلك فلما التزمها السيد احمد المحروقي اوصلها الى خمسين واستقرت على ابنه السيد محمد كذلك مدة فانتقلت لمحمد افندي طبل المعروف بناظر المهمات وزاد عليها ثلاثين كيسا وبقيت تحت نظارة المحروقي بذلك القدر ثم ان الباشا عزل السيد محمدا المحروقي عنها وابقاها على ذمته وقيد خاله في نظارتها ولم يزل الباشا يلعب بهذه الالاعيب حتى بلغت هذا المبلغ المستقر وربما تزيد وذلك خلاف المصروفات والمصادرات لاربابها ثم وشي له الى عبد الله اغا بكتاش بانه يزيد في وزن القروش وينقص منه عن القدر المحدود فاذا حسب القدر المنقوص وعمل معدله في مدة نظارته تحصل منه مقدار عظيم من الاكياس فلما نوقش في ذلك قال هذا الامر يدخل فيه صاحب العيار فاحضروه واحضروا

من جملة الدروزية يدعى الياس واجتمع ببعض من اوصله الى الباشا وهو بكتاش و[illegible] وعرفوه عن صناعته وانه يعمل آلات يعمل بها صنعة صناع الضربخانه ويوفر على الباشا كذا وكذا من الاموال التي تذهب في الدواليب والكلف وما ياخذه المباشرون من المكاسب لانفسهم وافردله بقعة خاصة بجانب الضربخانه وامر بحضور ما يطلبه اليه من الحديد والصناع واستمر في ذلك شهورا ولما تم الآلة صنع قروشا وضربها ناقصة في الوزن والعيار وجعل كتابتها على نسق القروش الرومية ووزن القرش درهمان وربع وفيه من الفضة الخالصة الربع بل اقل والثلاثة ارباع نحاس وكان المرتب في الاموال من النحاس في كل يوم قنطارين فتوقف الى ستة قناطير حتى غلا سعر النحاس والاواني المتخذة منه فبلغ سعر الرطل النحاس المستعمل مائة واربعين نصف فضة بعدان كان سعره في الازمان السابقة اربعة عشر نصفا والقراضة سبعة انصاف او اقل ثم زاد الطلب للضربخانه الى عشرة قناطير في كل يوم والمباشر لذلك كله بكتاش افندي ثم ان بكتاش افندي المذكور انحرف على ذلك الدروزي وذلك باغراء المباشرين وحصل بينهما منافسة بين يدي الباشا وانه لم ينل بذلك وانفصل الامر في ذلك المجلس على منع الدروزي من مباشرة العمل ورتب

خلف

وحصرها وارسل الى صاحبها خسروشاه والى اهلها يتهددهم ان منعوه واعلمهم انه لا يزول حتى يملك البلد وبذل لخسروشاه الامان على نفسه واهله وماله ومن الاقطاع ما اراد وان يزوج ابنته بابن خسروشاه على ان يطأ بساطه ويخطب لاخيه فامتنع عليه واقام شهاب الدين محاصرا له مضيقا عليه فلما رأى اهل البلد والعسكر ذلك ضعفت نياتهم في نصرة صاحبهم فخذلوه فارسل لما رأى ذلك قاضي البلد والخطيب يطلبون له الامان فاجابه شهاب الدين الى ذلك وحلف له وخرج اليه ودخل الغورية الى المدينة وبقي كذلك شهرين مكرما عند شهاب الدين فورد رسول من غياث الدين الى شهاب الدين يأمره بانفاذ خسروشاه اليه

(ذكر انقراض دولة سبكتكين)

لما انفذ غياث الدين الى اخيه شهاب الدين يطلب انفاذ خسروشاه اليه امر شهاب الدين بالتجهيز والمسير فقال انا لا اعرف اخاك ولا لي حديث الا معك ولا يمين الا في عنقك فعاد وطيب قلبه وجهزه وسيره وسير معه ولده واصحبهما جيشا يحفظونهما فسارا كارهين فلما بلغا فرشابور خرج اهلها اليهما يبكون ويدعون لهما فزجرهم الموكلون بهما وقالوا السلطان يريد سلطانا آخر لاى شئ تبكون وضربوهم فعادوا وخرج ولد خطيبها الى خسروشاه متوجعا له قال فلما دخلت عليه اعلمته رسالة ابي وقلت انه قد اعتزل الخطابة ولا حاجة بي الى خدمة غيركم فقال الحمد لله عليه واعطاني فرجية فوطا وصلى من عمل الصوفية وقال هذه تذكرة تبقى عندك فحملها اليه وقل له ادرج الدهر كيفما دار وانشد بلسان فصيح

وليس كعهد الدار يا ام مالك * ولكن احاطت بالرقاب السلاسل

قال فانصرفت الى ابي وعرفته الحال فبكى وقال غدا يقرن الرجل بالهلاك ثم وصلوا فلما بلغوا بلد الغور لم يجتمع بهما غياث الدين بل امر بهما فرفعا الى بعض القلاع فكان آخر العهد بهما وهو آخر ملوك آل سبكتكين وكان ابتداء دولتهم سنة ست وستين وثلثمائة فتكون مدة دولتهم مائتي سنة وثلاث عشرة سنة تقريبا وكان ملوكهم من احسن الملوك سيرة ولا سيما جدهم محمود فان آثاره في الجهاد معروفة واعماله للآخرة مشهورة

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم * قوم بآبائهم او مجدهم قعدوا

فتبارك الذي لا يزول ملكه ولا تغيره الدهور رأف لهذه الدنيا الدنية تفعل هذا بابنائها نسأل الله تعالى ان يكشف عن قلوبنا حتى نراها بعين الحقيقة وان يقبل بنا اليه وان يشغلنا به عما سواه انه على كل شئ قدير هكذا ذكر بعض فضلاء خراسان ان خسروشاه آخر ملوك آل سبكتكين وقد ذكر غيره انه توفي في الملك وملك بعده ابنه ملكشاه وسنذكره في سنة تسع وخمسين وخمسمائة وبالجملة فابتداء دولة الغورية عندي فيها

خلف

حدثني صديق لي من التجار بوقعة تشبه هاتين الوقعتين المذكورتين وبينهما بعض الخلاف وقد ذكرناهما سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة توفي يعقوب الكاتب ببغداد وكان يسكن بالمدرسة النظامية وحضر متولي التركات وختم على الغرفة التي كان يسكنها بالمدرسة فثار الفقهاء وضربوا المتولي وهذه عادة لهم فيمن يموت بها ولم يرث وارث فقبض حاجب الباب على رجلين من الفقهاء وعاقبهما وحبسهما فأغلق الفقهاء المدرسة وألقوا كرسي الوعاظ في الطريق وصعدوا سطح المدرسة ليلا واستغاثوا وتركوا الادب وكان حينئذ مدرسهم الشيخ ابا النجيب فجاء الى تحت التاج يعتذر فعفي عنه وفيها توفي حسام الدين تمرتاش صاحب ماردين وميافارقين وكانت ولايته نيفا وثلاثين سنة وولي بعده ابنه نجم الدين ألبي وفيها مات ابو الفضل محمد بن عمر بن يوسف الارموي الشافعي المحدث ومولده سنة تسع وخمسين واربعمائة وفيها توفي ابو الاسعد عبد الرحمن القشيري في شوال وهو شيخ شيوخ خراسان وفيها في المحرم باض ديك ببغداد بيضة وباض ثانيا بيضتين وباضت نعامة بلا ذكر معها بيضة

ثم دخلت سنة ثمان واربعين وخمسمائة

ذكر انهزام سنجر من الغز ونهبهم خراسان وما كان منهم

في هذه السنة في المحرم انهزم السلطان سنجر من الاتراك الغز وهم طائفة من الترك مسلمون كانوا بما وراء النهر فلما ملك الخطا أخرجوهم منه كما ذكرناه فقصدوا خراسان وكانوا خلقا كثيرا فأقاموا بنواحي بلخ يرعون في مراعيها وكان لهم امراء اسم احدهم دينار والآخر بختيار والآخر طوطي والآخر أرسلان والآخر جغر والآخر محمود فأراد الامير قماج وهو مقطع بلخ ابعادهم فصانعوه بشيء بذلوه له فعاد عنهم فأقاموا على حالة حسنة لا يؤذون احدا ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ثم ان قماج عاودهم وأمرهم بالانتقال عن بلده فامتنعوا وانضم بعضهم الى بعض واجتمع معهم غيرهم من طوائف الترك فسار قماج اليهم في عشرة آلاف فارس فجاء اليه امراؤهم وسألوه ان يكف عنهم ويتركهم في مراعيهم ويعطونه من كل بيت مائتي درهم فلم يجبهم الى ذلك وشدد عليهم في الانتزاح عن بلده فعادوا عنه واجتمعوا وقاتلوه فانهزم قماج ونهبوا ماله ومال عسكره واكثروا القتل في العسكر والرعايا واسترقوا النساء والاطفال وعملوا كل عظيمة وقتلوا الفقهاء وخربوا المدارس وانتهت الهزيمة بقماج الى مرو وبها السلطان سنجر فأعلمه الحال فراسلهم سنجر يتهددهم وامرهم بمفارقة بلاده فاعتذروا وبذلوا بذلا كثيرا ليكف عنهم ويتركهم في مراعيهم فلم يجبهم الى ذلك وجمع عساكره من اطراف البلاد واجتمع معه ما يزيد على مائة الف فارس وقصدهم ووقع بينهم حرب شديدة فانهزمت عساكر سنجر وانهزم هو ايضا وتبعهم الغز قتلا واسرا فصار قتلى العسكر كالتلال وقتل علاء الدين

الى ان انتهى بلغ في مصارفته من الفضة العددية الى مائتين وثمانين نصفا بل وزيادة خمسة انصاف فنودى عليه بنقص عشرة وشددوا في ذلك وبعد ايام نودى بنقص عشرة اخرى فخسر الناس حصة من اموالهم ثم ان ذلك القرش الذي يضاف اليه من الفضة ربع درهم ووزن الريال تسعة دراهم فضة فيكون الريال الواحد بما يضاف اليه من النحاس على هذا الحساب ستة وثلاثين قرشا فيخرج منها من الريال ستة قروش ونصف وكلفة الشغل في الجملة قرش او قرشان يبقى بعد ذلك سبعة وعشرون قرشا ونصف وهو المكتسب في الريال الواحد وهو من جملة سلب الاموال لان صاحب الريال اذا اراد صرفه اخذ بدله ستة قروش ونصفا وفيها من الفضة درهم ونصف وثمن وهي بدل التسعة دراهم التي هي وزن الريال ثم زيد في الشيء ونقصه وهي الحجر على الفضة العددية فلا يصرف قرش منها من الصيارف ولا التجار الا بالقرط وهو اربعة قروش على كل الف فيعطى التاجر خلافه تسعة وعشرون قرشا لا غير ويأخذ الف فضة عنها خمسة وعشرون قرشا ثم زادوا بعد ذلك في القرط فجعلوه خمسة قروش فيعطى الفا ومائتين ويأخذ بدلها الف فانظر الى هذه الزيادة والرداءة وكذا السخالة (ومنها) استمرار غلاء الاسعار في كل شئ وخصوصا في الاقوات

محمد افندي ابن اسمعيل افندي بدفتره وقضا اتفاق الحساب فسقط منهم خمسة اكياس لم تدخل الحساب فقالوا اين

وحدّوا في طلبهم وتعذيبهم وكان الحاكم على جميع الملوك المجتمعين امرأة وهي من اكبر
ملوكهم فلما سمع باجتماعهم ومسيرهم اليه تقدم هو ايضا اليهم في عسكر عظيم من
الغورية والخلج والخراسانية فالتقوا واقتتلوا ولم يكن بينهم كثير قتال حتى انهزم
المسلمون وركبهم الهنود يقتلون ويأسرون واثخنوا فيهم واصاب شهاب الدين ضربة
بطلت منها يده اليسرى وضربة اخرى على رأسه سقط منها الى الارض وحجز الليل بين
الفريقين فاحتمل شهاب الدين جماعة من غلمانه الاتراك في ظلمة الليل وهم يطلبونه
في القتلى ويبكون وقد رجع الهنود الى ورائهم فكانوا هم على بعض الجد فاتوا
به مسرعين وحملوه على رؤسهم رجالة يتناوبون حمله حتى بلغوا مدينة اجرة مع
الصباح وشاع خبر سلامته في الناس فجاؤا اليه يهنّؤنه من اقطار البلاد فاول ما عمل انه
اخذ امراء الغورية الذين انهزموا واستصغرا سلوهم وملأ مخالي خيلهم شعيرا وحلف انهم
ان لم يأكلوه ليضربن اعناقهم فاكلوه ضرورة وبلغ الخبر الى اخيه غياث الدين فارسل اليه
يلومه على عجلته واقدامه وانفذ اليه جيشا عظيما

(ذكر ظفر المسلمين بالهند)

لما سار شهاب الدين وعاد الى اجرة واتاه المدد من اخيه غياث الدين وعاد الهنود جمعوا
سلاحهم ووفروا جموعهم واقاموا العوض من قتل منهم وسارت ملكتهم وهم في عدد
يضيق عنه الفضاء فراسلها شهاب الدين يخدعها بانه يتزوجها فلم تجبه الى ذلك وقالت
اما الحرب واما ان تسلم بلاد الهند وتعود الى غزنة فاجابها الى العود الى غزنة وانه
يستأذن اخاه غياث الدين فعل ذلك مكرا وخديعة وكان بين العسكرين نهر وقد حفظ
الهنود المخاضات فلا يقدر احد من المسلمين ان يجوزه واقاموا ينتظرون ما يكون من
جواب غياث الدين بزعمهم فبينما هم كذلك اذ وصل انسان هندي الى شهاب الدين
واعلمه انه يعرف مخاضة قريبا من عسكر الهنود وطلب ان يرسل معه جيشا يعبرهم
المخاضة ويكبسون الهنود وهم غارون آمنون فخاف شهاب الدين ان يكون خديعة
ومكرا فاقام له ضمناء من اهل اجرة والمولتان فارسل معه جيشا كثيفا وجعل عليهم
الامير الحسين بن خرميل الغوري وهو الذي صار بعد صاحب هراة وكان من الشجاعة
والرأي بالمنزلة المشهورة فسار الجيش مع الهندي فعبروا النهر فلم يشعر الهنود الا وقد
خالطهم المسلمون ووضعوا السيف فيهم فاشتغل الذين يحفظون المخاضات فعبر شهاب
الدين وباقي العساكر واحاطوا بالهنود واكثروا القتل فيهم ونادوا بشعار الاسلام فلم
ينج من الهنود الا من عجز المسلمون عن قتله واسر وقتلت ملكتهم وتمكن شهاب
الدين بعد هذه الوقعة من بلاد الهند وامن من شرهم والتزموا له بالاموال وحملوا
اليه الرهائن وصالحوه واقطع مملوكه قطب الدين ايبك مدينة دهلي وهي كرسي
الممالك التي فتحها من الهند فارسل عسكرا من الخلج مع محمد بن بختيار فملكوا من بلاد
الهند مواضع ما وصل اليها مسلم قبله حتى قاربوا حدود الصين من جهة المشرق وقد

ذهبت هذه الخمسة اكياس
فاطفقوا ينظرون الى بعضهم
فقال المورد الحق ان هذه
الخمسة اكياس من حساب
محمد افندي وهو المولى له وتجاوز
عنها الفلان لان اليهودي المورد
من مدة صابقة فالتفت الباشا
الى محمد افندي وقال له لاي
شيء تجاوزت لليهودي عن هذا
القدر فقال اعلمني انه خلي
ليس عنده شيء فاخذتني
الرأفة عليه وتركت هذا المبلغ
حتى يحصل له اليسار فقال
كيف تتعالى على اليهودي
وقال له من حالي فقال
ومن اين كان لك ذلك وامر به
فجلدوه وضربوه بالعصي
ثم اقاموه واضافوا الخمسة
اكياس على باقي الغرامة
المطلوبة منه التي هو مقيم في
تحصيلها ولولا الاستدانة من
الربويين كما قال القائل
شكوت الى مرسال ان تقيل
فاوقني عن حومه اثقل
فكنت كمن شكا الطاعون
يوما
فزادوه على الطاعون دمل
ومحمد افندي هذا من وجهاء
الناس وخيارهم مرتحل به
هذه الفعال ثم انحط الحال مع
بكتاش افندي على ان فرض
عليه مائة كيس يقوم
بدفعها فقال ويعفوني افندينا
من نظارة الشر بخانه فتوجه الى ناظره واستمر في تلك الخدمة مدة كرها تعاقب على مراقبه (ومنها) ان الرجال

بلاده فتجمعوا وانضم اليهم طوائف من الترك وقصدهم ارسلان موفقا التركي بجمع
قماج عسكره ولقيهم فاقتتلوا يوما كاملا الى الليل فانهزم قماج وعسكره واسر هو وابنه
ابو بكر فقتلوهما وانتشروا في نواحي بلخ وعاثوا فيها وافسدوا بالنهب والقتل والسلب
وبلغ السلطان سنجر الخبر فجمع عساكره وسار اليهم فراسلوه يعتذرون ويتنصلون فلم
يقبل عذرهم ووصل اليهم مقدمة السلطان وفيها محمد بن ابي بكر بن قماج المقتول
والمؤيد اي ابه في المحرم من سنة ثمان واربعين وخمسمائة ووصل بعدهم السلطان
سنجر فالتقاه الغز بعد ان ارسلوا يعتذرون ويبذلون الاموال والطاعة والانقياد الى
كل ما يؤمرون به فلم يقبل سنجر ذلك منهم وسار اليهم فلقوه وقاتلوه وصبروا له ودام
قتالهم فانهزم عسكر سنجر وهو معهم فتوجهوا الى بلخ على اقبح صورة وتبعهم الغز
واقتتلوا مرة ثانية فانهزم السلطان سنجر ايضا ومضى منهزما الى مرو في صفر من السنة
فقصد الغز اليها فلما سمع العسكر الخراساني بقربهم منها رحلوا من بين ايديهم هاربين
لما دخل في قلوبهم من خوفهم والرعب منهم فلما فارقها السلطان والعسكر دخلها الغز
ونهبوها افحش نهب واقبحه وذلك في جمادى الاولى من السنة وقتل بها كثير من اهلها
واعيانها منهم قاضي القضاة الحسن بن محمد الارسابندي والقاضي علي بن مسعود
وغيرهما من الائمة العلماء ولما خرج سنجر من مرو وقصد نيسابور واخذه الغز اسيرا
واجلسوه على تخت السلطنة على عادته وقاموا بين يديه وبذلوا له الطاعة ثم عاودوا
الغارة على مرو في رجب من السنة فمنعهم اهلها وقاتلوهم قتالا شديدا بذلوا فيه جهدهم
وطاقتهم ثم انهم عجزوا فاستسلموا اليهم فنهبوها انهج من النهب الاول لم يتركوا بها
شيئا وكان قد فارق سنجر جميع امراء خراسان ووزيره طاهر بن فخر الملك بن نظام الملك
ولم يبق عنده غير نفر يسير من خواصه وخدمه فلما وصلوا الى نيسابور احضروا الملك
سليمان شاه ابن السلطان محمود فوصل الى نيسابور تاسع عشر جمادى الآخرة من السنة
فاجتمعوا عليه وخطبوا له بالسلطنة وسار في هذا الشهر جماعة من العسكر السلطاني
الى طائفة كثيرة من الغز فاوقعوا بهم وقتلوا منهم كثيرا وانهزم الباقون الى امرائهم
القريبة فاجتمعوا معهم فلما اجتمعت العساكر على الملك سليمان شاه وساروا الى جرو
يطلبون الغز فبرز الغز اليهم فساعة رآهم العسكر الخراساني انهزموا وولوا على ادبارهم
وقصدوا نيسابور وتبعهم الغز فمروا بطوس وهي معدن العلماء والزهاد فنهبوها وسبوا
نساءها وقتلوا رجالها وخربوا مساجدها ومساكن اهلها ولم يسلم من جميع ولاية طوس
الا البلد الذي فيه مشهد علي بن موسى الرضا ومواضع اخر يسيرة لها اسوار وممن قتل
من اعيان اهلها امام واعظ احمد المنتاوشكي ونقيب العلويين بها علي الموسوي وخطيبها
اسماعيل بن الحسن وشيخ شيوخها احمد بن محمد واقربائهم جماعة من الشيوخ الصالحين
وساروا منها الى نيسابور فوصلوها الباقي شوال سنة تسع واربعين ولم يجدوا دونها مانعا
ولا مدافعا فنهبوها نهبا ذريعا وقتلوا اهلها فاكثروا حتى ظنوا انهم لم يبقوا بها احدا
حتى انه احصي في محلتين خمسة عشر الف قتيل من الرجال دون النساء والصبيان

المستقيمين فيها ناقل عن ولا يبيعونها على الناس بما اخبروا او شاع بين الناس ١٨ اضافة ذلك الى الباشا يقولون كرنب
الباشا ولفت الباشا وملوخية
الباشا وبصل الباشا وقرنبيط
الباشا وزرع ايضا تماثيل من
انواع الزهور البهية المنظر
المتنوعة الاشكال من الاحمر
والاصفر والازرق والملون
اتوا بها كلها من بلاد الروم
كرنبيت والهت وليس لها
الاحسن المنظر فقط ولا رائحة
لها اصلا (ومنها) ان ديوان
المكس ببولاق الذي
يعبرون عنه بالكمرك لم
يزل يتزايد فيه المتزايدون
حتى اوصلوه الى الف
وخمسمائة كيس في السنة
وكان في زمن المصريين يؤدى
من يلتزمه ثلاثين كيسا مع
محاباة الكثير من الناس
والعفو عن كثير من البضائع
لمن ينتسب الى الامراء واصحاب
الوجاهة من اهل العلم وغيرهم
فلا يتعرضون له ولا يتحاشى
في بعض اتباعهم ولو بالكذب
ويعاملون غيرهم بالرفق مع
التجاوز الكثير ولا يفتشون
المتاع ولا ربطة الشيء المحزوم
بل على الصندوق او المحزوم
قدر يسير معلوم فلما ارتفع
امره الى هذه المقادير صاروا
لا يعفون عن شيء مطلقا
ولا يحابون احدا ولو كان
عظيما من العلماء او من غيرهم
وكان من عادة التجار اذا
بعثوا الى شركائهم محزوما

من الاغذية الرخيصة مثل الفاسكي والبامي جعلوا ابدالا عليها اشيا من

قماج وأسر السلطان سنجر واسر معه جماعة من الامراء فاما الامراء فضربوا اعناقهم
واما السلطان سنجر فان امراء الغز اجتمعوا وقبلوا الارض بين يديه وقالوا نحن عبيدك
لا نخرج عن طاعتك فقد علمنا انك لم ترد قتالنا وانما حملت عليه فانت السلطان ونحن
العبيد فمضى على ذلك شهران او ثلاثة ودخلوا معه الى مرو وهي كرسي ملك خراسان
وطلبها منه بختيار اقطاعا فقال السلطان هذه دار الملك ولا يجوز ان تكون اقطاعا لاحد
فضحكوا منه وحبق له بختيار بفمه فلما رأى ذلك نزل عن سرير الملك ودخل خانكاه
مرو وتاب من الملك واستولى الغز على البلاد وظهر منهم من الجور ما لم يسمع بمثله وولوا
على نيسابور واليا فقسط على الناس كثيرا وعسفهم وضربهم وعلق في الاسواق ثلاث
غرائر وقال اريد مل هذه ذهبا فثار به العامة فقتلوه ومن معه من الغز فدخلوا
نيسابور ونهبوها نهبا مجحفا وجعلوها قاعا صفصفا وقتلوا الكبار والصغار واحرقوها
وقتلوا القضاة والعلماء في البلاد كلها فممن قتل الحسين بن محمد الارسابندي والقاضي
علي بن مسعود والشيخ محيي الدين محمد بن يحيى واكثر الشعراء في مراثي محمد بن يحيى
فممن قال فيه علي بن ابراهيم الكاتب

مضى الذى كان يحيى الدين من فيه • يسيل بالفضل والافضال واديه
مضى ابن يحيى الذى قد كان صوب حيا • لابن سبيلهم ومصباحا لداجيه
خلا خراسان من علم ومن ورع • لما نعاه الى الآفاق ناعيه
لما اماتوه مات الدين واأسفا • من ذا الذي بعد محيي الدين يحييه

ويقصر وصف ما جرى منهم بتلك البلاد جميعها ولم يسلم من خراسان شيء لم تنهبه الغز غير
هراة ودهستان لانها كانت حصينة فامتنعت وقد ذكر بعض مؤرخي خراسان من
اخبارهم ما فيه زيادة ووضوح وقال ان هؤلاء الغز قوم انتقلوا من نواحي الثغر من
اقاصي الترك الى ما وراء النهر في ايام المهدي واسلموا واستنصر بهم المقنع صاحب
المخاريق الشعبذة حتى تم امره فلما سارت العساكر اليه خذله هؤلاء الغز واسلموه وهذه
عادتهم في كل دولة كانوا فيها وفعلوا مثل ذلك مع الملوك الخاقانية الان الاتراك
القارغلية قهروهم وطردوهم عن اوطانهم فقصدهم الامير زنكي بن خليفة الشيباني
المستولي على حدود طخارستان ليعوانهم بلاده وكانت بينه وبين الامير قماج عداوة
احكمتها الايام والمجاورة التي بينهما وكل منهما يريد ان يعلو على الآخر ويحكم عليه
فتقوى بهم زنكي وساروا معه الى بلخ محاربة قماج فكاتبهم قماج فمالوا اليه وخذلوا
زنكي عند الحرب فاخذ زنكي وابنه اسيرين فقتل قماج ابن زنكي وجعل يطعم اباه لحمه
ثم قتل الاب ايضا واقطع قماج الغز واباحهم مراعي بلاده فلما قام الحسين بن
الحسين الغوري وقصد بلخ خرج اليه قماج ومعه الغز ففارقه الغز وانضموا
الى الغوري حتى ملك المدينة بلخ فسار السلطان سنجر الى بلخ وفارقها الغوري بعد قتال
انهزم منه ثم دخل الى السلطان سنجر لعجزه عن مقاومته فرده الى غزنة وبقي الغز
بنواحي طخارستان وفي نفس قماج منهم الغيظ العظيم لما فعلوه معه فاراد صرفهم عن

بلاده

الغلاء بسبب ثمن العلف والتقريق الى وقت بسبب الاحداثات والمكوس التى ترتبت على كل شئ ومنها
المأكولات كاللحم والسمن
والعسل والسكر وغير ذلك
مثل الحمارات وابطال
جميع المذابح خلاف مذبح
الحسينية والتزم به المحتسب
بمبلغ عظيم مع كفاية لحم
الباشا واكابر دولته بالثمن
القليل ويوزع الباقي على
الجزارين بالسعر الاعلى الذي
يخرج به ثمن لحوم الدولة من
غير غرم فيقول الجزار ربما
يكون معه من الفضة او
الاثمن الخفيفة الى بيت او
عطفة مستورة فتزدحم عليه
المبتغون له والمنتظرون اليه
ويقع بينهم من المضاربة
والمشاجرة ما لا يوصف وثمن
الرطل اثنا عشر نصفا وقد يزيد
على ذلك ولا ينقص عن الاثني
عشر وكذلك الخضراوات
التي كانت تباع جزافا تباع
بالعدد والقيمة حتى ان الخس
مثلا الذي كان يباع كل
عشرة باعداد بنصف واحد
صارت الواحدة تباع بنصف
وقس على ذلك باقي
الخضراوات وان الباشا لما
وضع يده على الاراضي القريبة
وانشأ السواقي تجاه القصر
والبستان بناحية شبرا وحرث
الاراضي الخرس وزرع فيها
انواع الخضراوات واجرى
عليها المياه وقيد بخدمتها
المزارعين ايضا والمزارعين
بالمواجرة والمباشر على ذلك كله ذو الفقار كتخدا وعندما يبدو صلاح البقول والخضراوات يبيعها

كان السلطان سنجر مملوك اسمه اى ابه ولقبه المؤيد فلما كانت هذه الفتنة تقدم وعلا شانه واطاعه كثير من الامراء فاستولى على نيسابور وطوس ونسا وابيورد وشهرستان والدامغان وازاح الغز عن الجميع وقتل منهم خلقا كثيرا واحسن السيرة وعدل فى الرعية واحسن حال الناس ووفر الخراج على اهله وبالغ فى مراعاة ارباب البيوت فاستقرت البلاد له ودانت له الرعية لحسن سيرته وعظم شانه وكثرت جموعه فراسله خاقان محمود بن محمد فى تسليم البلاد والحضور عنده فامتنع وترددت الرسل بينهم حتى استقر على المؤيد مال يحمله الى الملك محمود فكف عنه محمود واقام المؤيد بالبلاد هو والسلطان محمود

(ذكر ملك اينانج الرى)

كان اينانج احد مماليك السلطان سنجر فلما كان من فتنة الغز ما ذكرناه هرب من خراسان ووصل الى الرى فاستولى عليها واقام بها وارسل السلطان محمد شاه بن محمود صاحب همذان واصفهان وغيرهما يخدمه وهاداه وارضاه والتزم له الطاعة وبقى بها الى ان مات السلطان محمد فاستولى على عدة بلاد تجاور الرى فملكها وعظم امره وعلا شانه وصارت عساكره عشرة آلاف فارس فلما ملك سليمان شاه همذان على ما نذكره حضر عنده واطاعه لانه به كان أيام مقام سليمان شاه بخراسان فتقوى أمره بذلك

(ذكر قتل ابن السلار وزير الظافر ووزارة عباس)

فى هذه السنة فى المحرم قتل العادل بن السلار وزير الظافر بالله قتله ربيبه عباس بن ابى الفتوح بن يحيى الصنهاجى اشار اليه بذلك الامير اسامة بن منقذ ووافق عليه الخليفة الظافر بالله فامر ولده نصرا فدخل على العادل وهو عند جدته ام عباس فقتله وولى الوزارة بعده ربيبه عباس وكان عباس قد قدم من المغرب كما ذكرناه الى مصر وتعلم الخياطة وكان خياطا حسنا فلما تزوج ابن السلار بامه احبه واحسن تربيته فجازاه بان قتله وولى بعده وكانت الوزارة فى مصر لمن غلب والخلفاء وراء الحجاب والوزراء كالمتملكين وقل ان وليها احد بعد الافضل الا بحرب وقتل وما شاكل ذلك فلذلك ذكرناهم فى تراجم مفردة والله اعلم

(ذكر الحرب بين العرب وعساكر عبد المؤمن)

فى هذه السنة فى صفر كانت الحرب بين عساكر عبد المؤمن والعرب عند مدينة سطيف وسبب ذلك ان العرب وهم بنو هلال والاثبج وعدى ورياح وزغبة وغيرهم من العرب لما ملك عبد المؤمن بلاد بنى حماد اجتمعوا من ارض طرابلس الى اقصى المغرب وقالوا ان جاورنا عبد المؤمن اجلانا من المغرب وليس الرأى الا القاء الجد معه واخراجه من البلاد قبل ان يتمكن وتحالفوا على التعاون والتظافر وان لا يخون بعضهم بعضا وعزموا على لقائه بالرجال والاهل والمال ليقاتلوا قتال الحريم واتصل الخبر بالملك رجار الفرنجى صاحب صقلية فارسل الى امراء العرب وهم محرز بن زياد وجبارة

عجايب تقضى تشيب منها النواصى

الذى كان يباع بمائة نصف فضة تراخى فى الثمن الى ألف نصف فضة وهكذا مفردا ونحو ذلك وتولى هذه المكارك كل من تزايد فيها من اى ملة كان من نصارى القبط او الشوام او الاروام او من يدعى الاسلام وهم الاقل فى الاشياء الدون والمتولى الآن فى ديوان كمرك بولاق شخص نصرانى رومى يسمى كرابيت من طرف طاهر باشا لانه مختص بارادة واعوان كرابيت من جنسه وعنده قواسة اتراك يحجزون متاع الناس ويقبضون على المسلمين ويحبسونهم ويضربونهم حتى يدفعوا ما عليهم واذا عثروا ببعض اخفى عنهم شيئا حبسوه وضربوه وسبوه ونكلوا به والزموه بغرامة مجازاة لفعله والحال ان بضائع المسلمين يؤخذ عشرها يعنى من العشرة واحد وبضائع الافرنج والنصارى ومن ينتسب اليهم يؤخذ عليها من المائة اثنان ونصف وكذلك احدثت عدة اشياء واحتكارات فى كثير من البضائع مثل السكر الذى يأتى من ناحية الصعيد وزيادات فى المكوس القديمة خلاف الحدثات وذلك ان من كان بطالا او كاسد الصنعة او قليل التكسب او متحاصل الفكر فيعمل فكرته فى شئ مهمل مغفول عنه ويبدى الى الحضرة بواسطة المتقربين او بعرضحال يقول فيه ان الداعى للحضرة يطلب الالتزام بالصنف الفلانى و يقوم

وسبوا النساء وأطفالهن وأخذوا أموالهم وبقي القتلى في الدروب كالتلال بعضهم فوق بعض واجتمع أكثر أهلها بالجامع المنيعي فتحصنوا به فحصرهم الغز فعجز اهل نيسابور عن منعهم فدخل الغز اليهم فقتلوهم عن آخرهم وكانوا يطلبون من الرجال المال فاذا اعطاهم أحد قتلوه وقتلوا كثيرا من أئمة العلماء والصالحين منهم محمد بن يحيى الفقيه الشافعي الذي لم يكن في زمانه مثله كان رحلة الناس من اقصى الغرب والشرق اليه ورثاه جماعة من العلماء منهم ابو الحسن علي بن ابي القاسم البيهقي فقال

يا سافكا دم عالم متبحر ● قد طار في اقصى الممالك صيته

بالله قل لي يا ظلوم ولا تخف ● من كان يحيي الدين كيف تميته

ومنهم الزاهد عبد الرحمن بن عبد الصمد الاكاف واحمد بن الحسين الكاتب سبط القشيري وابو البركات الفراوي والامام علي الصباغ المتكلم واحمد بن محمد بن حامد وعبد الوهاب المقابادي والقاضي صاعد بن عبد الملك بن صاعد والحسن بن عبد الحميد الرازي وخلق كثير من الائمة والزهاد والصالحين واحرقوا ما بها من خزائن الكتب ولم يسلم الا بعضها وحصروا شارستان وهي منيعة فاحاطوا بها وقاتلهم أهلها من فوق سورها ثم قصدوا جوين وبذلوا نفوسهم لله تعالى وحموا بعضهم والباقي اتى النهب والقتل عليه ثم قصدوا اسفراين فنهبوها وخربوها وقتلوا في اهلها فاكثروا وممن قتل عبد الرشيد الاشعثي وكان من أعيان دولة السلطان فتركها وأقبل على الاشتغال بالعلم وطلب الآخرة وابو الحسن الفندورجي وكان من ذوي الفضائل لا سيما في علم الادب ولما فرغ الغز من جوين واسفراين عادوا الى نيسابور فنهبوا ما بقي فيها بعد النهب الاول وكان قد لحق بشهرستان كثير من اهلها فحصرهم الغز واستولوا عليها ونهبوا ما كان فيها لاهلها ولاهل نيسابور وهتكوا الحرم والاطفال وفعلوا ما لم يفعله الكفار مع المسلمين وكان العيارون أيضا ينهبون نيسابور اشد من نهب الغز ويفعلون اقبح من فعلهم ثم ان السلطان سليمان شاه ضعف وكان قبيح السيرة سيء التدبير ووزيره طاهر بن فخر الملك بن نظام الملك توفي في شوال سنة ثمان واربعين فضعف امره واستوزر سليمان شاه بعده ابنه نظام الملك ابا علي الحسن بن طاهر واختل امر دولته بالكلية ففارق خراسان في صفر سنة تسع واربعين وعاد الى جرجان فاجتمع الامراء وراسلوا الخان محمود بن محمد بن بغراخان وهو ابن أخت السلطان سنجر وخطبوا له على منابر خراسان واستدعوه اليهم فملكوه امورهم وانقادوا له في شوال سنة تسع واربعين وخمسمائة وساروا معه الى الغز وهم يحاصرون هراة وجرت بينهم حروب كان الظفر في أكثرها للغز ورحلوا في جمادى الاولى من سنة خمسين وخمسمائة وسار معهم من على هراة الى مرو وعاودوا المصادرة لاهلها وسار الخان محمود بن محمد الى نيسابور وقد تغلب عليها المؤيد على ما نذكره وراسل الغز في الصلح واقام الى رجب من سنة خمسين وخمسمائة فقصدته على دخل وسيرد في اخبار سنة اثنتين وخمسين

(ذكر ملك المؤيد نيسابور وغيرها)

الاقمشة الغالية في الغرة مثل المقصبات الحلبي والكشميري والمنفى ونحو ذلك فتندرج معها الى غلاء السكر كما وقع وفي هذا الاوان يعملون وربما الحزوم ويقصون الصناديق وينبشون المتاع ويمسكون عشرة ويحصون عدده ويأخذون عشره أي من كل عشرة واحدا أو قيمته كما يبيعه التاجر غاليا أو رخيصا حتى البوابيج والاخفاف والموسوف التي تجلب من الروم يفتحون صناديقها ويعدونها بالواحد ويأخذون عشورها عينا أو ثمنا ويفعل ذلك ايضا متولى كمرك الاسكندرية ودمياط واسلامبول والشام فبذلك غلت أسعار البضائع من كل شيء لفحش هذه الامور وخصوصا في الاقمشة الشامية والحلبية والرومية المنسوجة من القطن والحرير والصوف فان عليها بفرضها مكوسا فاحشة قبل نسجها وكان الدرهم الحرير في السابق بنصف فضة فصار الآن بخمسة عشر نصفا وما يضاف اليه من الاصباغ وكلف الصناع والمكوس المذكورة فبذلك بلغ الغاية في غلو الثمن فيباع الثوب الواحد من القماش الشامي المسمى بالالاجة الذي كانت قيمته في السابق مائتي نصف فضة بالفين فضة مع ما يضاف اليه من ربح البائع وطمع التاجر والنعل الرومي الذي كان يباع بستين نصفا صار يباع باربعمائة نصف والذراع الواحد من الجوخ

وكان

في هذه السنة في رجب توفي السلطان بهرام شاه بن مسعود بن ابراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة بها وكانت ولايته نحو ستا وثلاثين سنة وكان عادلا حسن السيرة جميل الطريقة محبا للعلماء مكرما لهم باذلا لهم الاموال الكثيرة جامعا للكتب تقرأ بين يديه ويفهم مضمونها ولما مات ملك ولده خسروشاه الملك بعده

(ذكر ملك الفرنج مدينة عسقلان)

في هذه السنة ملك الفرنج بالشام مدينة عسقلان وكانت من جملة مملكة الظافر بالله العلوي المصري وكان الفرنج كل سنة يقصدونها ويحصرونها فلا يجدون الى ملكها سبيلا وكان الوزراء بمصر لهم الحكم في البلاد والخلفاء معهم اسم لا معنى تحته وكان الوزراء كل سنة يرسلون اليها من الذخائر والاسلحة والاموال والرجال من يقوم بحفظها فلما كان في هذه السنة قتل ابن السلار على ما ذكرناه واختلفت الاهواء في مصر وولي عباس الوزارة والى ان استقرت قاعدته اغتنم الفرنج اشتغالهم عن عسقلان فاجتمعوا وحصروها فصبر اهلها وقاتلوهم قتالا شديدا حتى انهم بعض الايام قاتلوا خارج السور وردوا الفرنج الى خيامهم مقهورين وتبعهم اهل البلد اليها فايس حينئذ الفرنج من ملكه فبيناهم على عزم الرحيل اذ قد اتاهم الخبر ان البلد قد وقع بين اهله خلاف وقتل منهم قتيل فصبروا وكان سبب هذا الاختلاف انهم لما عادوا عن قتال الفرنج قاهرين منصورين ادعى كل طائفة منهم ان النصرة من جهتهم كانت وانهم هم الذين ردوا الفرنج خاسرين فعظم الخصام بينهم الى ان قتل من احدى الطائفتين قتيل واشتد الخطب وعظم حينئذ وتفاقم الشر ووقعت الحرب بينهم فقتل بينهم قتلى فطمع الفرنج وزحفوا اليه وقاتلوا عليه فلم يجدوا من يمنعهم فملكوه

(ذكر حصر عسكر الخليفة تكريت وعودهم عنها)

في هذه السنة سير الخليفة المقتفي لامر الله عسكرا الى تكريت ليحصروها وارسل معهم مقدما عليهم ابن الوزير عون الدين بن هبيرة وترشك وهو من خواص الخليفة وغيرهما فجرى بين ابن الوزير وترشك منافرة اوجبت ان كتب ابن الوزير يشكو من ترشك فامر الخليفة بالقبض على ترشك فعرف ذلك فارسل الى مسعود بلال صاحب تكريت فصالحه وقبض على ابن الوزير ومن معه من المقدمين وسلمهم الى مسعود بلال فانهزم العسكر وغرق منه كثير وسار مسعود بلال وترشك من تكريت الى طريق خراسان فنهبا وافسدا فسار المقتفي من بغداد لدفعهما فهربا من بين يديه فقصد تكريت فحصرها اياما وجرى له مع اهلها حروب من وراء السور فقتل من العسكر جماعة بالنشاب فعاد الخليفة عنها ولم يملكها

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة وصلت مراكب من صقلية فيها جمع من الفرنج فنهبوا مدينة تنيس بالديار المصرية وفيها كان بين الملك مسعود صاحب قونية وبين ابن صلتق صاحب ارزن الروم

المجلس بثمانية عشر نصف فضة والآن بمائتين وأربعين نصفا وكذلك أدركنا القنطار من الجبن بعشرة أنصاف والآن بمائة وعشرين والحال في الزيادة (ومنها) ان الباشا شرع في عمارة قصر العيني وكان قد تلاشى وخربته العسكر واخذت اخشابه ولم يبق فيه ولا الجدران فشرع في انشائه وتعميره وتجديده على هذه الصورة التي هو عليها الآن على وضع الابنية الرومية (ومنها) انه هدم سراية القلعة وما اشتملت عليه من الاماكن فهدم المجالس التي كانت بها والدواوين وديوان قايتباي وهو المقعد المواجه للداخل الى الحوش علو الكلار الذي به الاعمدة وديوان الغوري الكبير وما اشتمل عليه من المجالس التي كانت تجلس بها الافندية والقلقاوات ايام الدواوين وشرع في بنائها على وضع آخر واصطلاح رومي واقاموا اكثر الابنية من الاخشاب ويبنون الاعالي قبل بناء السفل واشيع انهم وجدوا خبايا تحت جدرانها من ذخائر الملوك المصرية الاقدمين (ومنها) ان الباشا ارسل قطع الاشجار المحتاج اليها في عمل المراكب مثل التوت والسنط من جميع البلاد القبلية والبحرية فانبث المعينون لذلك في البلاد فلم يبقوا من ذلك الا القليل لمانعة اصحابه بالرشا والبراطيل حتى يتركوا لهم ما يتركون ويجتمع بترسخانة الاخشاب لصناعة المراكب مع ما ينضم اليها من الاخشاب الرومية شيء عظيم جدا يتعجب

ابن كامل وحسن بن ثعلب وعيسى بن حسن وغيرهم يحثهم على لقاء عبد المؤمن
ويعرض عليهم ان يرسل اليهم خمسة آلاف فارس من الفرنج يقاتلون معهم على
شرط ان يرسلوا اليه الرهائن فشكروه وقالوا ما بنا حاجة الى نجدته ولا نستعين بغير
المسلمين وساروا في عدد لا يحصى وكان عبد المؤمن قد رحل من بجاية الى بلاد المغرب
فلما بلغه خبرهم جهز من الموحدين ما يزيد على ثلاثين الف فارس واستعمل عليهم
عبد الله بن عمر الهنتاتي وسعد الله بن يحيى وكان العرب اضعافهم فاستجرهم الموحدون
وتبعهم العرب الى ان وصلوا الى ارض سطيف بين جبال فحمل عليهم عسكر عبد
المؤمن والعرب على غير اهبة والتقى الجمعان واقتتلوا اشد قتال واعظمه فانجلت المعركة
عن انهزام العرب ونصرة الموحدين وترك العرب جميع ما لهم من اهل ومال واثاث ونعم
فاخذ الموحدون جميع ذلك وعاد الجيش الى عبد المؤمن بجميعه فقسم جميع الاموال
على عسكره وترك النساء والاولاد تحت الاحتياط ووكل بهم من الخدم الخصيان من
يخدمهم ويقوم بحوائجهم وامر بصيانتهم فلما وصلوا معه الى مراكش انزلهم في المساكن
الفسيحة واجرى لهم النفقات الواسعة وامر عبد المؤمن ابنه محمدا ان يكاتب امراء العرب
ويعلمهم ان نساءهم واولادهم تحت الحفظ والصيانة وانه قد بذل لهم الامان
والكرامة فلما وصل كتاب محمد الى العرب سارعوا الى المسير الى مراكش فلما
وصلوا اليها اعطاهم عبد المؤمن نساءهم واولادهم واحسن اليهم واعطاهم اموالا
جزيلة فاسترق قلوبهم بذلك واقاموا عنده وكان بهم حفيا واستعان بهم على ولاية ابنه
محمد للعهد على ما نذكره سنة احدى وخمسين

(ذكر ملك الفرنج مدينة بونة وموت رجار وملك ابنه غليالم)

في هذه السنة سار اسطول رجار ملك الفرنج بصقلية الى مدينة بونة وكان المقدم عليهم
فتاه فيلب المهدوي فحصرها واستعان بالعرب عليها فاخذها في رجب وسبى اهلها
وملك ما فيها سوى انه اغضى عن جماعة من العلماء والصالحين حتى خرجوا باهليهم
واموالهم الى القرى فاقام بها عشرة ايام وعاد الى المهدية وبعض الاسرى معه وعاد الى
صقلية فقبض رجار عليه لما اعتمده من الرفق بالمسلمين في بونة وكان فيلب يقال انه
وجميع فتيانه مسلمون يكتمون ذلك وشهدوا عليه انه لا يصوم مع الملك وانه مسلم فجمع
له رجار الاساقفة والقسوس والرهبان فحكموا بان يحرق فاحرق في رمضان وهذا اول
وهن دخل على المسلمين بصقلية ولم يمهل الله رجار بعده الا يسيرا حتى مات في العشر
الاول من ذي الحجة من السنة وكان مرضه الخوانيق وكان عمره قريب ثمانين سنة
وكان ملكه نحو عشرين سنة ولما مات ملك بعده ابنه غليالم وكان فاسد التدبير سيء
التصرف فاستوزر مايو البرصاني فاساء التدبير فاختلفت عليه حصون من جزيرة صقلية
وبلاد قلورية وتعدى الامر الى افريقية على ما نذكره

(ذكر وفاة بهرام شاه صاحب غزنة)

المقريزية العامرة وكذا من الاكياس في كل سنة فاذا فعل ذلك تقبه الشاد والمستوفي وعدها لا نحياز وفي نشر ايام
فتتسامع المتكالبون على
امثال ذلك فيزيدون على
الطالب حتى تستقر الزيادة
على شخص اما هو او خلافه
ويقيد اسمه بدفتر الروزنامه
ويعمل بعد ذلك الملتزم
ما يريده وما يقرره على ذلك
الصنف ويتخذ له اعوانا
وخدمة واتباعا ينزلون
لخلاص المقررات ويحصلون
لانفسهم اقدارا خارجة عن
الذي يأخذه كبيرهم والذي
تولى كبر ذلك وفتح بابه نصارى
الاروام والارمن فتراسوا
بذلك وعلت اسافلهم ولبسوا
الملابس الفاخرة وركبوا
البغال والرهوانات واتخذوا
بيوت الاعيان التي بمصر القديمة
وعمروها وزخرفوها وعملوا
فيها بساتين وجنينات وذلك
خلاف البيوت التي لهم بداخل
المدينة وركب الكتاب منهم
بغال وامامه عدة من الخدم
والتواسية يطردون الناس
من امامه ويلفقون بدعوا
شيئا خارجا عن المنكر حتى
الفحم الذي يجلب من الصعيد
والحطب السنط والرتم
وحطب الذرة الذي كان يباع
منه كل مائة حزمة بمائة نصف
فلما احتكروه صار يباع كل
مائة حزمة بالف ومائتي نصف
وبسبب ذلك تعطلت اشياء
كثيرة وغلت اشياء مثل
الجبس والجير وكل ما كان يحتاج للوقود حتى الخبازين في الافران فانه ادركنا الاردب من

الملك وبايع له الناس واخذ عباس من القصر من الاموال والجواهر والاعلاق النفيسة ما اراد ولم يترك فيه الا ما لا خير فيه

❁(ذكر وزارة الملك الصالح بن رزيك)❁

كان السبب في وزارة الملك الصالح بن رزيك ان عباسا لما قتل الظافر واقام الفائز ظن ان الامر يتم له على ما يريده فكان الحال خلاف ما اعتقده فان الكلمة اختلفت عليه وثار به الجند والسودان وصار اذا امر بالامر لا يلتفت اليه ولا يسمع قوله فارسل من بالقصر من النساء والخدم الى الصالح طلائع بن رزيك يستغيثون به وارسلوا شعورهم طي الكتب وكان في منية بني خصيب واليا عليها وعلى اعمالها وليست من الاعمال الجليلة وانما كانت اقرب الاعمال اليهم وكان فيه شهامة فجمع ليقصد عباسا وسار اليه فلما سمع عباس ذلك خرج من مصر نحو الشام بما معه من الاموال التي لا تحصى كثرة والتحف والاشياء التي لا توجد الا هنالك مما كان اخذه من القصر فلما سار وقع به الفرنج فقتلوه واخذوا جميع ما معه فتقووا به وسار الملك الصالح فدخل القاهرة باعلام سود وثياب سود حزنا على الظافر والشعور التي ارسلت اليه من القصر على رؤس الرماح وكان هذا من الفال العجيب فان الاعلام السود العباسية دخلتها وازالت الاعلام العلوية بعد خمس عشرة سنة ولما دخل الصالح القاهرة خلع عليه خلع الوزارة واستقر في الامر واحضر الخادم الذي شاهد قتل الظافر فاراه موضع دفنه فاخرجوه ونقله الى مقابرهم بالقصر ولما قتل الفرنج عباسا اسروا ابنه فارسل الملك الصالح الى الفرنج وبذل لهم مالا واخذه منهم فسار من الشام مع اصحاب الصالح فلم يكلم احدا منهم كلمة واحدة الى ان راى القاهرة فانشد

بلى نحن كنا اهلها فابادنا ❁ صروف الليالي والجدود العواثر

وادخل القصر فكان آخر العهد به فانه قتل وصلب على باب زويلة واستقصى الصالح البيوت الكبار والاعيان بالديار المصرية فاهلك اهلها وابعدهم عن ديارهم واخذ اموالهم فمنهم من هلك ومنهم من تفرق في البلاد والحجاز واليمن وغيرها فعل ذلك خوفا منهم ان يثوروا عليه وينازعوه في الوزارة وكان ابن منقذ قد هرب مع عباس فلما قتل هرب الى الشام

❁(ذكر حصر تكريت ووقعة بكمزا)❁

في هذه السنة ارسل الخليفة المقتفي لامر الله رسولا الى والي تكريت بسبب من عندهم من المأسورين وهم ابن الوزير وغيره فقبضوا على الرسول فسير الخليفة عسكرا اليهم فخرج اهل تكريت فقاتلوا العسكر ومنعوه من الدخول الى البلد فسار الخليفة بنفسه مستهل صفر فنزل على البلد فهرب اهله فدخل العسكر فشعثوا ونهبوا بعضه ونصب على القلعة ثلاثة عشر منجنيقا فسقط من اسوارها برج وبقي الحصر كذلك الى الخامس والعشرين من ربيع الاول وامر الخليفة بالقتال والزحف فاشتد القتال وكثر القتل ولم

السلاطين التي يلزمها واضع اليد (ومنها) التقصير في الاجراء والمعمرين المستعملين في الابنية والعمائر مثل البنائين والنجارين والنشارين والمرخمين والزامهم عمائر الدولة بمصر وغيرها بالاجارة والتسخير واختفى الكثير منهم وابطل صناعته واغلق من له حانوت حانوته فيطلبه كبير حرفته الملزم باحضاره عنده معمارباشا فاما انه يلازم الشغل او يفتدي نفسه او يقيم بدلا عنه ويدفع له الاجرة من عنده فترك الكثير صناعته واغلق حانوته وتكسب بحرفة اخرى فتعطل بذلك احتياجات الناس في التعمير والبناء بحيث ان من اراد ان يبني له كانونا او مدودا لدابته تحير في امره واقام اياما في تحصيل البناء وما يحتاجه من الطين والجير والقصرمل وكان الباشا اشترى الف حمار وعملوا لها زنابيل واعدوها لنقل اتربة عمائره وشيل القصرمل من مستوقدات الحمامات بالمدينة وبولاق ويؤدي في المدينة مع الناس كانه عين اخذ شئ من القصرمل فكان الذي تلزمه الضرورة لشئ منه ان كان قليلا اخذه كالسرقة في الليل من المستوقد باغلى ثمن وان كان كثيرا لا يأخذه الا بفرمان بالاذن من كتخدا بك بعد ان كان شيئا مبتذلا وليس له قيمة ينقلونه اذا كثر بالمستوقدات الى الكيمان بالاجرة وان احتاجه الناس في ابنيتهم اما نقلوه على حميرهم او نقله خدمة المستوقد على حميرهم

مصاف وحرب شديد وانهزم صاحب آني وأسره الكرج ثم أطلقوه وفيها توفي أبو العباس
احمد بن أبي غالب الوراق المعروف بابن الطلاية الزاهد ببغداد وكان من
الصالحين وله حديث ورواية وتوفي عبد الملك بن عبد الله بن أبي سهل أبو الفتح بن أبي
القاسم الكروخي الهروي راوي جامع الترمذي ومولده سنة اثنتين ومن طريقه سمعناه

(ثم دخلت سنة تسع وأربعين وخمسمائة)

(ذكر قتل الظافر وولاية ابنه الفائز)

في هذه السنة في المحرم قتل الظافر بالله أبو المنصور اسمعيل بن الحافظ لدين الله عبد المجيد
العلوي صاحب مصر وكان سبب قتله ان وزيره عباسا كان له ولد اسمه نصر فأحبه
الظافر وجعله من ندمائه الذين لا يقدر على فراقهم ساعة واحدة فاتفق أن قدم من
الشام مؤيد الدولة الامير اسامة بن منقذ الكناني في وزارة ابن السلار واتصل بعباس
فحسن له قتل العادل بن السلار زوج امه فقتله وولاه الظافر الوزارة فاستبد بالامر وتم
له ذلك وعلم الامراء والاجناد أن ذلك من فعل ابن منقذ فعزموا على قتله فخلا بعباس
وقال له كيف تصبر على ما أسمع من قبيح القول قال وما ذاك قال الناس يزعمون
ان الظافر يفعل بابنك نصر وكان نصر خصيصا بالظافر وكان ملازما له ليله ونهاره
وكان من أجمل الناس صورة وكان الظافر يتهم به فانزعج لذلك وعظم عليه وقال
كيف الحيلة قال تقتله فيذهب عنك هذا العار فذكر الحال لولده نصر فاتفقا على قتله وقيل
ان الظافر أقطع نصر بن عباس قرية قليوب وهي من أعظم قرى مصر فدخل اليه مؤيد
الدولة بن منقذ وهو عند أبيه عباس قال له نصر قد أقطعني مولانا قرية قليوب فقال
له مؤيد الدولة ما هي في مهرك بكثير فعظم عليه وعلى أبيه وأنف من هذه الحال وشرع
في قتل الظافر فأمر ابنه فحضر نصر عند الظافر وقال له اشتهي ان تجيء الى داري
لدعوة صنعتها ولا تكثر من الجمع فمشى معه في نفر يسير من الخدم ليلا فلما دخل الدار
قتله وقتل من معه وأفلت خويدم صغير اختبأ فلم يروه ودفن القتلى في داره وأخبر اباه عباسا
الخبر فبكر الى القصر وطلب من الخدم الخاص بخدمة الظافر أن يطلبوا له اذنا في
الدخول عليه لامر يريد أن يأخذ رأيه فيه فقالوا انه ليس في القصر فقال لا بد منه وكان
غرضه ان ينفي التهمة عنه بقتله وان يقتل كل من بالقصر ممن يخاف ان ينازعه في
بقية الخلافة فطاف الخدم عليهم فعجزوا عن احضاره فبيناهم يطلبونه متحيرين
لا يدرون ما الخبر اذ وصل اليهم الخويدم الصغير الذي شاهد قتله وقد هرب من دار
عباس حين غفلوا عنه واخبرهم بقتل الظافر فخرجوا الى عباس وقالوا له سل ولدك
عنه فانه يعرف اين هو لانهما خرجا جميعا فلما سمع ذلك منهم قال اريد ان اعرض القصر
لئلا يكون قد اغتاله احد من أهله فاستعرض القصر فقتل اخوين للظافر وهما
يوسف وجبريل واجلس الفائز بنصر الله ابا القاسم عيسى بن الظافر بامر الله اسمعيل
ثاني يوم قتل ابوه وله من العمر خمس سنين فحمله عباس على كتفه واجلسه على سرير

منه الناظر من كثرته وكلما نقص منه شئ في الحاصل اجتمع خلافه اكثر منه (ومنها) ان احمدانا انما
تصدوا لك لما تقلدوه كاستاذدار
السعادة ونظارة الحرمين
انضم اليهما بالبيس الكتبة
المقصرين في الايراد والمصرف
وحصروا الاحكار المقررة
على الاماكن والاطيان التي
اجرها النظار السابقون
المدد الطويلة وجعلوا عليها
قدرا من المال يقبض في كل
سنة بحجة وقف اصله على عادة
مصر السابقة واللاحقة في
استئجار الاوقاف من نظارها
والاطيان والاماكن المستأجرة
من اوقاف الحرمين وتوابعها
كالدشيشة والخاصكية
والمحمدية والمرادية وغير ذلك
كثير جدا فقصروا هذا الباب
وتسلطوا على الناس في طلب
ما بايديهم من السندات وحجج
التحكيرات فاذا اطلعوا عليها
ولاحظوا ان تلك المدة
قد انقضت ومضت او بقي منها
بقية من السنين فان كان بقي
منها بقية زادوا في الاجرة المؤجلة
التي هي الحكر مثلها او مثليها
بحسب حال المحل ورواجه
وان كانت المدة قد انقضت
ومضت استولوا على عين
المحل وضبطوه او جعلوه لمن
تأخر او زادوا في حكره ويكون
ذلك بمصلحة جسيمة وعلى
كل حال لا بد من التحرير
والمصالحات الجوانية والبرانية
للكتاب والمباشرين والخدم والمعينين ثم المرافعة الى القاضي ودفع المحاصيل والرسوم والتسجيل وكتابة

الحجج

من صاحبها مجير الدين أبق بن محمد بن بوري بن طغدكين اتابك وكان سبب حرصه على
ملكها ان الفرنج لما ملكوا في العام الماضي مدينة عسقلان لم يكن لنور الدين
طريق الى ازعاجهم عنها لاعتراض دمشق بينه وبين عسقلان فلما ملك الفرنج
عسقلان طمعوا في دمشق حتى انهم استعرضوا كل من بها من مملوك وجارية من
النصارى فمن اراد المقام بها تركوه ومن اراد العود الى وطنه اخذوه قهرا من صاحبه
ام ابى وكان لهم على اهلها كل سنة قطيعة يأخذونها منهم فكان رسلهم يدخلون البلد
ويأخذونها منهم فلما راى نور الدين ذلك خاف ان يملكها الفرنج فلا يبقى حينئذ
للمسلمين بالشام مقام فاعمل الحيلة في اخذها حيث علم انها لا تملك قهرا لان صاحبها متى
راى غلبة من يقصده راسل الفرنج واستعان بهم لئلا يملكها من يقوى بها على قتالهم
فراسل مجير الدين صاحبها واستماله وواصله بالهدايا واظهر له المودة حتى وثق اليه
فكان نور الدين يقول له في بعض الاوقات ان فلانا قد كاتبني في تسليم دمشق يعني بعض
امراء مجير الدين فكان يبعد الذي قيل عنه ويأخذ اقطاعه فلما لم يبق عنده من الامراء
احد قدم أميرا يقال له عطاء بن حفاظ السلمي الخادم وكان شهما شجاعا وفوض اليه
امر دولته فكان نور الدين لا يتمكن معه من اخذ دمشق فقبض عليه مجير الدين وقتله
فسار نور الدين حينئذ الى دمشق وكان قد كاتب من بها من الاحداث واستمالهم
فوعدوه بالتسليم اليه فلما حصر نور الدين البلد أرسل مجير الدين الى الفرنج يبذل لهم
الاموال وتسليم قلعة بعلبك اليهم لينجدوه ويرحلوا نور الدين عنه فشرعوا في جمع
فارسهم وراجلهم ليرحلوا نور الدين عن البلد فالى ان اجتمع لهم ما يريدون تسلم
نور الدين البلد فعادوا بخفي حنين وأما كيفية تسليم دمشق فانه لما حصرها ثار
الاحداث الذين راسلهم فسلموا اليه البلد من الباب الشرقي وملكه وحصر مجير الدين
في القلعة وراسله في تسليمها وبذل له اقطاعا من جملته مدينة حمص فسلمها اليه وسار
الى حمص وأعطاه عوضا عنها بالس فلم يرضها وسار منها الى العراق واقام ببغداد وابتنى
بها دارا بالقرب من النظامية وتوفي بها

(ذكر قصد الاسماعيلية خراسان والظفر بهم)

في هذه السنة في ربيع الآخر اجتمع جمع كثير من الاسماعيلية من قهستان بلغت
عدتهم سبعة آلاف رجل ما بين فارس وراجل وساروا يريدون خراسان لاشتغال
عساكرها بالغز وقصدوا أعمال خواف وما يجاورها فلقيهم الامير فرخشاه بن محمود
الكاساني في جماعة من حشمه وأصحابه فعلم أن لا طاقة له بهم وسار عنهم وأرسل الى الامير
محمد بن انز وهو من أكابر أمراء خراسان وأشجعهم يعرفه الحال ويطلب منه المسير اليهم
بعسكره ومن قدر عليه من الامراء ليجتمعوا عليهم ويقاتلوهم فسار محمد بن انز في جماعة
من الامراء وكثير من العسكر واجتمعوا هو وفرخشاه ودافعوا الاسماعيلية وقاتلوهم
وطال الحرب بينهم ثم نصر الله المسلمين وانهزم الاسماعيلية وكثر القتل فيهم واخذهم
السيف من كل مكان وهلك أعيانهم وساداتهم بعضهم قتل وبعضهم أسر ولم يسلم منهم

من ناحية الصعيد ويدفع العسكر نصفين فضة ويعوضونه بالخارج كل نصف ٩٠ ، باثني عشر قرشا وخمسة عشر قرشا وهي دون
القنطار وكانت تباع في
السابق بستين نصفا وهي
قرش ونصف وغير ذلك امور
واحداثات وابتداعات لا يمكن
استقصاؤها ولم يصل الينا
خبرها اذ لا يصل الينا الا
ما تعلقت به اللوازم والاحتياجات
الكلية وقد يستدل بالبعض
على الكل (واما من مات في
هذه السنة ممن له ذكر) فمات
الشيخ الامام العلامة والنحرير
الفهامة الفقيه الاصولي
النحوي شيخ الاسلام والمسلمين
الشيخ عبد الله بن حجازي بن
ابراهيم الشافعي الازهري
الشهير بالشرقاوي شيخ
الجامع الازهر ولد ببلدة
تسمى الطويلة بشرقية بلبيس
بالقرب من القرين في
حدود الخمسين بعد المائة
وتربى بالقرين فلما ترعرع
وحفظ القرآن قدم الى
الجامع الازهر وسمع الكثير
من الشهابين الملوي والجوهري
والحفني واخيه يوسف
والدمنهوري والبليدي
وعطية الاجهوري ومحمد
الفارسي وعلي المنفيسي
الشهير بالصعيدي وعمر
الطحلاوي وسمع الموطأ فقط
على علي بن العربي الشهير
بالسقاط وبآخرة تلقن
بالسلوك والطريقة على
شيخنا الشيخ محمود الكردي
ولازمه وحضر معاني الاذكار وجمعياته ودرس الدروس بالجامع الازهر وبمدرسة

كل درهم بنصف واقل وازيد ونحو ذلك كالاصابع للانسان مفتاح خشب لا يعد تصارا يصنع له مفتاحا آخر الاخفية

يبلغ منها غرضا فرحل عائدا الى بغداد فدخلها آخر الشهر ثم امر الوزير عون الدين بن هبيرة بالعود الى محاصرتها والاستكثار من الآلات ففعل وسار اليها سابع ربيع الآخر ونازلها وضيق عليها فوصل الخبر بان مسعود بلال وصل الى شهرابان ومعه البقش كون خر وترشك وعسكر كثير ونهبوا البلاد فعاد الوزير الى بغداد وكان سبب وصول هذا العسكر انهم حثوا الملك محمدا بن السلطان محمود على قصد العراق فلم يتهيأ له ذلك فسير هذا العسكر وانضاف اليهم خلق كثير من التركمان فخرج الخليفة اليهم فارسل بلال مسعود الى تكريت واخرج منها الملك ارسلان ابن السلطان طغرل بن محمد وكان محبوسا بتكريت وقالوا ان هذا سلطان نقاتل بين يديه بازاء الخليفة والتقى العسكران عند بكمزا بالقرب من بعقوبا ودام بينهم المناوشة والمطاردة ثمانية عشر يوما ثم انهم التقوا آخر رجب فاقتتلوا فانهزمت ميمنة عسكر الخليفة وبعض القلب حتى بلغت الهزيمة بغداد وثبت الخليفة وقيل خازنه فحمل الخليفة بنفسه محمودا وفي عهده وصاح يا آل هاشم كذب الشيطان وقرأ ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وحمل باقي العسكر معه فانهزم مسعود والبقش وجميع من معهم وتمت الهزيمة وظفر الخليفة بهم وقد غنم عسكره جميع ما للتركمان من دواب وغنم وغير ذلك فبيع كل كبش بدانق وكانوا قد حضروا بابلد آخرهم واولادهم وخركاواتهم وجميع مالهم فاخذ جميعه ونودي من اخذ من اولاد التركمان ونسائهم شيئا فليرده فردوه فاخذ البقش كون خر الملك ارسلان وانهزم الى بلد اللحف وقلعة الماهكي وفي هذه الحرب غدر بنو عوف من عسكر الخليفة ولحقوا بالعجم ومضى هندي الكردي ايضا معهم وكان الملك محمد قد ارسل عسكرا مع خاص بك بن آق سنقر نجدة لهم فكانوا في طريقهم فوصلوا الى الراذان فلقيهم خبر الهزيمة فعادوا ورجع الخليفة الى بغداد فدخلها اوائل شعبان ثم وصل الخبر ان مسعود بلال وترشك قصدا واسط فنهبوا ونهبوا اقطاع الخليفة الوزير ابن هبيرة في عسكر خاص عشر شعبان فانهزموا منهم فلحقهم عسكر الخليفة ونهب منهم شيئا كثيرا وعاد الى بغداد فلقب الوزير سلطان العراق ملك الجيوش وسير الخليفة عسكرا الى بلد اللحف فاخذوها وفي هذه الحرب اطلقوا الملك ارسلان بن طغرل فان البقش اخذه معه الى بلده فارسل اليه الملك محمد يقول له ليحضر عنده وارسلان معه فمات البقش كون خر في رمضان في هذه السنة وبقي ارسلان مع ابن البقش وحسن الجاندار وحملاه الى الجبل فلما ملك السلطان محمد ارسلان الى زوج امه ايلدكز فجعله ذريعة الى قهر البلاد فلم ينفعه ذلك واتصل ارسلان بايلدكز زوج امه فصار معه وهو اخو پهلوان ابن ايلدكز لامه وهو طغرل الذي قتله خوارزمشاه وله ارسلان هذا وكان طغرل آخر السلجوقية

(ذكر ملك نور الدين محمود مدينة دمشق)

في هذه السنة في صفر ملك نور الدين محمود بن زنكي بن آق سنقر مدينة دمشق واخذها

من

وبطلب عنه جمعة عشر نصف فضة وكان من عادة المفتاح نصف فضة ان كان كبيرا او نصف نصف ان كان صغيرا (ومنها) ان الذي التزم بعمل البارود قرر على نفسه ما يشتري كبير واحتكر جميع لوازمه مثل الفحم وحطب الترمس والدريس والكبريت فقرر على كل صنف من ذلك قدرا من الاكياس وابطل الذين كانوا يعملون في المباخ بالكيمان ويستخرجون منه ملح البارود ثم يؤخذ منهم هيئا الى المعمل فيكررونه حتى يخرج ما بين يصلح للعمل وهي صناعة قذرة عتيقة فابطلهم منها وبنى احواضا بدلا من الصناديق وجعلها مقدمة وملاها بالخانق وعمل ساقية واجرى الماء منها الى تلك الاحواض واوقف العمال الذين بالاجرة يعملون في المباخ المذكور (ومنها) شدة الطلب الرومي في هذه السنة والداوود منه في تجره الباشا لاحتياجه فلا يرى الناس منه شيئا وكان الحطابة يبيعون بدله خشب الاشجار المقطوعة من القطار المصرى واقصاها السنط فيباع منه الحملة بثلثمائة نصف فضة واجرة حملها عشرة ونكسيرها عشرة بعض جودة الفحم ايضا حتى بيعت الاقة بعشرين نصفا وذلك لانقطاع الجالب الا ما يأتي قليلا

وسلموها الى أخيه فصلون وفيها في ذي الحجة قتل الاتراك القارغلية طمغاج خان بن محمد صاحب ما وراء النهر والقوه في الصحراء ونسبوه الى أشياء قبيحة وكان مدة ملكه مستضعفا غير مهيب وفيها توفي أبو الفضل محمد بن ناصر بن علي البغدادي الحافظ الاديب وكان مشهورا بالفضل وكان شافعيا وصار حنبليا مغاليا وولده سنة سبع وستين واربعمائة في شعبان وكان موته أيضا في شعبان وفيها كان بالعراق وماجاورها من البلاد زلزلة كبيرة في ذي الحجة وفيها توفي يحيى الاصفهاني الصوفي الموصلي وكان فاضلا خيرا وتاج الدين أبو طاهر يحيى بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري قاضي جزيرة ابن عمر

﴿ثم دخلت سنة احدى وخمسين وخمسمائة﴾

﴿ذكر عصيان الجزائر وافريقية على ملك الفرنج صاحب صقلية وما كان منهم﴾

قد ذكرنا سنة ثمان واربعين وخمسمائة موت رجار ملك صقلية وملك ولده غليالم وانه كان فاسد التدبير فخرج عن حكمه عدة من حصون صقلية فلما كان هذه السنة قوي طمع الناس فيه فخرج عن طاعته جزيرة جربة وجزيرة قرقنة وأظهروا الخلاف عليه وخالف عليه أهل افريقية فاول من أظهر الخلاف عليه عمر بن أبي الحسين الفرياني بمدينة صفاقس وكان رجار قد استعمل عليها لما فتحها اباه أبا الحسين وكان من العلماء الصالحين فاظهر العجز والضعف وقال استعمل ولدي فاستعمله وأخذ أباه رهينة الى صقلية فلما اراد المسير اليها قال لولده عمر انني كبير السن وقد قارب اجلي فمتى امكنتك الفرصة في الخلاف على العدو فافعل ولا تراقبهم ولا تنظر في انني أقتل واحسب انني قد مت فلما وجد هذه الفرصة دعا اهل المدينة الى الخلاف وقال يطلع جماعة منكم الى السور وجماعة يقصدون مساكن الفرنج والنصارى جميعهم ويقتلونهم كلهم فقالوا له ان سيدنا الشيخ والدك نخاف عليه قال هو امرني بهذا واذا قتل بالشيخ الوف من الاعداء فما مات فلم تطلع الشمس حتى قتلوا الفرنج عن آخرهم وكان ذلك اول سنة احدى وخمسين وخمسمائة ثم اتبعه ابو يحيى بن مطروح بطرابلس وبعده محمد بن رشيد بقابس وسار عسكر عبد المؤمن الى بونة فملكها وخرج جميع افريقية عن حكم الفرنج ما عدا المهدية وسوسة وارسل عمر بن ابي الحسين الى زويلة وهي مدينة بينها وبين المهدية نحو ميدان يحرضهم على الوثوب بمن معهم فيها من النصارى ففعلوا ذلك وقدم عرب البلاد الى زويلة فاعانوا اهلها على من بالمهدية من الفرنج وقطعوا الميرة عن المهدية فلما اتصل الخبر بغليالم ملك صقلية احضر ابا الحسين وعرفه ما عمل ابنه فامره ان يكتب اليه ينهاه عن ذلك ويأمره بالعود الى طاعته ويخوفه عاقبة فعله فقال من قدم على هذا لا يرجع بكتاب فارسل ملك صقلية اليه رسولا يتهدده ويأمره بترك ما ارتكبه فلم يمكنه عمر من دخول البلد يومه ذلك فلما كان الغد خرج اهل البلد جميعهم ومعهم جنازة والرسول يشاهدهم فدفنوها وعادوا وارسل عمر الى الرسول يقول له هذا ابي قد دفنته وقد جلست للعزاء به فاصنعوا به ما اردتم فعاد الرسول الى غليالم فاخبره بما صنع عمر بن

والمجاورين الذين يحضرون تلقي درسه يأتون اليه في كل ليلة عشاء يذكرون معه ويعمل لهم في بعض الاحيان ثريدا ويذهب بهم الى بعض البيوت فيها ثم المرقي ولده الى الشيخ والجميع المعتادة ومعهم منشدون ومولعون ومن يقرأ الاعشار عند ختم المجلس فيها كانوا العشاء ويسهرون حصة من الليل في الذكر والانشاد والتوله وينادون في انشادهم بقولهم يا بكري مدد يا حفني مدد يا شرقاوي مدد ثم يأتون اليهم بالطاري وهو الطعام بعد انقضاء المجلس ثم يعطونهم أيضا دراهم ثم اشترى له دار العمارة كتلة المجاهد بالعينية وساعده في ثمنها بعض من يعاشره من المياسير وترك الذهاب الى البيوت الا في النادر واستمر على حالته حتى مات الشيخ أحمد العروسي فتولى بعده مشيخة الجامع الازهر فزاد في تكبير عمامته وتعظيمها حتى كان يضرب بعظمها المثل وكانت تعارضت فيه وفي الشيخ مصطفى الصاوي ثم حصل الاتفاق على الترجيح وان الشيخ الصاوي يتقرر في وظيفة التدريس بالمدرسة الصلاحية المجاورة لضريح الامام الشافعي بعد صلاة العصر وهي من وظائف مشيخة الجامع ولما تولاها الشيخ العروسي تعدى على الوظيفة المذكورة الشيخ محمد المصيلحي الضرير وكان يرى في نفسه انه أحق بالمشيخة من العروسي ولم ينازعه فيها حسما للشر فلما مات المصيلحي

الا القليل النزر وخلت قلاعهم وحصونهم من حام ومانع فلولا اشتغال العساكر بالغز لكانوا ملكوها بغير تعب ولا مشقة وأراحوا المسلمين منهم ولكن قدّر أمرا هو بالغه

(ذكر ملك نور الدين تل باشر)

في هذه السنة أو التي بعدها ملك نور الدين محمود بن زنكي قلعة تل باشر وهي شمالي حلب من أمنع القلاع وسبب ملكها ان الفرنج لما رأوا ملك نور الدين دمشق خافوه وعلموا انه يقوى عليهم ولا يقدرون على الانتصاف منه لما كانوا يرون منه قبل ملكها فراسله من بهذه القلعة من الفرنج وبذلوا له تسليمها فسير اليهم الامير حسان المنبجي وهو من اكابر امرائه وكان اقطاعه ذلك الوقت مدينة منبج وهي تقارب تل باشر وامره ان يسير اليها ويتسلمها فسار اليها وتسلمها منهم وحصنها ورفع اليها من الذخائر ما يكفيها سنين كثيرة

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة مات استاذ دار ابو الفتوح عبد الله بن هبة الله بن المظفر بن رئيس الرؤساء وكان له صدقات ومعروف كثير ومجالسة للفقراء ولما مات تولى ابنه الاكبر عضد الدين ابو الفرج محمد بن عبد الله ما كان الى ابيه وتوفي عبد الرحمن بن عبد الصمد بن احمد ابن علي ابو القاسم الاكاف النيسابوري كان زاهدا عابدا فقيها مناظرا وكان السلطان سنجر يزوره ويتبرك بدعائه وكان يرعاه بمقالة ويمنعه من الدخول اليه وفيها توفي ثقة الدولة ابو الحسن علي بن محمد الدريني وكان يخدم ابا نصر محمد بن الفرج الابري وزوجه ابنته شهدة الكاتبة فتقرب به المقتفي لامر الله وكلفه فبنى مدرسة بباب الازج

(ثم دخلت سنة خمسين وخمسمائة)

في هذه السنة سار الخليفة المقتفي لامر الله الى دقوقا فحصرها وقاتل من بها ورحل عنها لانه بلغه ان عسكر الموصل قد تجهز والمسير لمنعه عنها فرحل ولم يبلغ غرضا وفيها استولى شملة التركماني على خوزستان وصاحبها حينئذ ملكشاه محمود بن محمد فسير الخليفة اليه عسكرا فلقيهم شملة في رجب وقاتلهم فانهزم عسكر الخليفة واسر وجوههم ثم احسن اليهم شملة واطلقهم وارسل يعتذر فقبل عذره وسار الى خوزستان فملكها وأزاح عنها ملكشاه ابن السلطان محمود بن محمد وفيها سار الغز الى نيسابور فملكوها بالسيف ودخلوها وقتلوا محمد بن يحيى الفقيه الشافعي ونحوا من ثلاثين الفا وكان السلطان سنجر له اسم السلطنة وهو معتقل لا يلتفت اليه حتى انه اراد كثيرا من الايام ان يركب فلم يكن له من يحمل سلاحه فشده على وسطه وركب وكان اذا قدم اليه طعام يدخر منه ما يأكله وقتا آخر خوفا من انقطاعه عنه لتقصيرهم في واجبه ولانهم ليس هذا مما يعرفونه وفيها وثب قرص الارمن على مدينة آني فاخذوها من الامير شداد

وسلموها

السنانية بالقشاشية وبرواق الجبرت والطيبرسية وأفتى في مذهبه ودرس في الازهر وأقرأ التحرير وله مؤلفات دالة على سعة فضله من ذلك حاشيته على التحرير وشرح نظم يحيى العمريطي وشرح العقائد المشرقية والمتن له ايضا وشرح مختصر في العقائد والفقه والتصوف مشهور في بلاد داغستان وشرح رسالة عبد الفتاح العادلي في العقائد ومختصر الشمائل وشرحه له ورسالة في لا اله الا الله ورسالة في مسئلة أصولية في جمع الجوامع وشرح الحكم والوصايا الكردية في التصوف وشرح ورد سحر البكري ومختصر المغني في النحو وغير ذلك ولما اراد السلوك في طريق الخلوتية ولقنه الشيخ الحفني الاسم الاول حصل له وله واختلال في عقله ومكث بالمارستان اياما ثم شفي ولازم الاقراء والافادة ثم تلقن من شيخنا الشيخ محمود الكردي وفتح الله عليه والبسه التاج وانكب على مجالسته وكان في قلة من خشونة العيش وضيق المعيشة فلا يطبخ في داره الا نادرا او بعض معارفه يواسونه ويرسلون اليه الصحفة من الطعام او يدعونه ليأكل معهم ولما عرفه الناس واشتهر ذكره وخواصه بعض تجار الشوام وغيرهم بالاكرامات والهدايا والصلات فراج حاله وتجمل بالملابس وكبر تاجه ولما توفي الشيخ الكردي كان المترجم من جملة خلفائه وقيم اليه اشخاصا من الطلبة

وغيرها بدعوه اليهم وافقته فتقدم في الفي فارس خلف كل منهما صاحبه وجعل ملكشاه ولي عهد سليمان شاه فوقع واعهما الخليفة بالمال والاسلحة وغيرها فساروا واجتمعوا هم وايلدكز فصاروا في جمع كبير فلما سمع السلطان محمد خبرهم ارسل الى قطب الدين مودود صاحب الموصل ونائبه زين الدين يطلب منهما المساعدة ويبذل لهما البذول الكثيرة ان ظفر فاجاباه الى ذلك واتفقوا وسار الى لقاء سليمان شاه ومن اجتمع معه من عساكره ووقعت الحرب بينهم في جمادى الاولى واشتد القتال بين الفريقين فانهزم سليمان شاه ومن معه وتشتت العسكر ووصل من عسكر الخليفة وكانوا ثلاثة آلاف رجل نحو من خمسين رجلا ولم يقتل منهم احد واغا اخذت خيولهم واموالهم وتشتتوا وجاؤا متفرقين وفارق سليمان شاه ايلدكز وسار نحو بغداد على شهرزور فخرج اليه زين الدين علي في جماعة من عسكر الموصل وكان بشهرزور الامير برزان مقطعا لها من جهة زين الدين وسار فوقفا على طريق سليمان شاه فاخذاه اسيرا وحمله زين الدين الى قلعة الموصل وحبسه بها مكرما محترما الى ان كان من امره ما نذكره سنة خمس وخمسين ان شاء الله فلما قبض سليمان شاه ارسل زين الدين الى السلطان محمود يعرفه ذلك ووعده المعاضدة على كل ما يريد منه والمساعدة له والله اعلم

(ذكر حصر نور الدين قلعة حارم)

في هذه السنة سار نور الدين محمود بن زنكي الى قلعة حارم وهي للفرنج تم لبيمند صاحب انطاكية وهي تقارب انطاكية من شرقيها وحصرها وضيق على اهلها وهي قلعة منيعة في نحور المسلمين فاجتمعت الفرنج من قرب منها ومن بعد وساروا نحوه ليرحلوه عنها وكان بالحصن شيطان من شياطينهم يعرفون عقله ويرجعون الى رايه فارسل اليهم يقول انا نقدر على حفظ القلعة وليس بنا ضعف فلا تخاطروا انتم باللقاء فانه ان هزمكم اخذها وغيرها والراي مطاولته فارسلوا اليه وصالحوه على ان يعطوه نصف اعمال حارم فاصطلحوا على ذلك ورحل عنهم فقال بعض الشعراء

البست دين محمد يا نوره ● عزا له فوق السها آساد ●
ما زلت تشمله بيمن القنا ● حتى تثقف عوده المياد ●
لم يبق مذ ارهفت عزمك دونه ● عقد يراع به ولا استعداد
ان المنابر لو تطيق تكلما ● حمدتك عن خطبائها الاعواد
ما في باطراف القرنجة كالكلا ● ظ رقاه ضرب صادق وجلاد
حاموا فلما عاينوا خوض الردى ● حاموا فراشي كيدهم او كادوا
ورأى البرنس وقد تبرنس ذلة ● حزم الحارم والمصاد مصاد
من منكران ينسف السيل الزبا ● وابوه ذاك العارض المداد
أو ان يعيد الشمس كاسفة السنى ● نار لها ذاك الشهاب زناد

الضاوى فيها الى ان مات فعادت الى المترجم عند ذلك وحن عليه منازع فواظب الاقراء فيها مدة وطالب

سدنة الضريح بمعلومها فماطلوه فتشاجر معهم وسبهم فشكوه للقاضي فيهم وهم اهل المكايد من الفقهاء وغيرهم وتعصبوا عليه وانهوا الى الباشا وضموا الى ذلك اشياء حتى اغروا عليه صدره واتفقوا على عزله من المشيخة ثم انحط الامر على ان يلزم داره ولا يخرج منها ولا يتداخل في شئ من الاشياء فكان ذلك اياما ثم عفا عنه الباشا بشفاعة القاضي فركب وقابله ولكن لم يعد الى القراءة في الوظيفة بل استناب فيها بعض الفقهاء وهو الشيخ محمد الشبراويني ولما حضرت الفرنساوية الى مصر في سنة ثلاث عشرة ومائتين والف ورتبوا ديوانا لاجراء الاحكام بين المسلمين جعلوا المترجم رئيس الديوان واتسع في ايامهم بما يتحصل اليه من المعلوم المرتب له من ذلك وقضايا وشفاعات لبعض الاجناد المصرية وجعالات على ذلك واستيلاء على تركات وودائع خبا اربابها في حادثة الفرنساوية وهلكوا واتسعت عليه الدنيا وزاد طمعه فيها واشترى دار ابن بيره بظاهر الازهر وهي دار واسعة من مساكن الامراء الاقدمين وزوجته بنت

الشيخ على الزعفراني هي التي تدبر امره وتحرز كل ما يأتيه وتجمعه ولا يروح ولا يغدو الا عن امرها ومشورتها

ابى الحسين فاخذ اباه وصاحبه فلم يزل يذكر الله تعالى حتى مات واما اهل زويلة فانهم كثر جمعهم بالعرب واهل سفاقس وغيرهم فحصروا المهدية وضيقوا عليها وكانت الاقوات بالمهدية قليلة فسير اليهم صاحب صقلية عشرين شينيا فيها الرجال والطعام والسلاح فدخلوا البلد وارسلوا الى العرب وبذلوا لهم مالا ليهزموا وخرجوا من الغد فقاتلوا هم واهل زويلة فانهزمت العرب وبقي اهل زويلة واهل سفاقس وركبوا في البحر فنجوا وبقي اهل زويلة فحمل عليهم الفرنج فانهزموا الى زويلة فوجدوا ابوابها مغلقة فقاتلوا تحت السور وصبروا حتى قتل اكثرهم ولم ينج الا القليل فتفرقوا ومضى بعضهم الى عبد المؤمن فلما قتلوا هرب من سلم من الحرم والصبيان والشيوخ في البر ولم يعرجوا على شيء من اموالهم ودخل الفرنج زويلة فقتلوا من وجدوا فيها من النساء والاطفال ونهبوا الاموال واستقر الفرنج بالمهدية الى ان اخذها منهم عبد المؤمن على ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر القبض على سليمان شاه وحبسه بالموصل)

في هذه السنة قبض زين الدين علي كوجك نائب قطب الدين مودود بن زنكي بن آقسنقر صاحب الموصل على الملك سليمان شاه ابن السلطان محمد بن ملكشاه وكان سليمان شاه عند عمه السلطان سنجر قد جعله ولي عهده وخطب له على منابر خراسان فلما جرى لسنجر مع الغز ما ذكرناه وتقدم على عسكر خراسان وضعفوا عن الغز مضى الى خوارزم شاه فزوجه ابنة اخيه اتسز ثم بلغه عنه ما كرهه فابعده فجاء الى اصفهان فمنعه شحنتها من الدخول فمضى الى قاشان فسير اليه محمد شاه ابن اخيه محمود بن محمد عسكرا ابعدوه عنها فسار الى خوزستان فمنعه ملكشاه عنها فقصد اللحف ونزل البندنيجين وارسل رسولا الى الخليفة المقتفي يعلمه بوصوله وترددت الرسل بينهما الى ان استقر الامر على ان يرسل زوجته تكون رهينة فارسلها الى بغداد ومعها كثير من الجواري والاتباع وقال قد ارسلت هؤلاء رهائن فان اذن امير المؤمنين في دخول بغداد فعلت والا رجعت فاكرم الخليفة زوجته ومن معها واذن له في القدوم اليه فقدم ومعه عسكر خفيف يبلغون ثلثمائة رجل فخرج ولد الوزير ابن هبيرة لتلقيه ومعه قاضي القضاة والنقيبان ولم يترجل له ابن الوزير ودخل بغداد وعلى راسه الشمسة وخلع عليه الخليفة واقام ببغداد الى ان دخل المحرم من سنة احدى وخمسين وخمسمائة فاحضر فيه سليمان شاه الى دار الخليفة واحضر قاضي القضاة والشهود واعيان العباسيين وحلف للخليفة على النصح والموافقة ولزوم الطاعة وانه لا يتعرض الى العراق بحال فلما حلف خطب له ببغداد ولقب القاب ابيه غياث الدنيا والدين وباقي القابه وخلع عليه خلع السلطنة وسير معه من عسكر بغداد ثلاثة آلاف فارس وجعل الامير قويدان صاحب الحلة امير حاجب معه وسار نحو بلاد الجبل في ربيع الاول وسار الخليفة الى حلوان وارسل الى ملكشاه ابن السلطان محمود اخي السلطان محمد صاحب همذان

ثم عزلها العروسي واجلس فيها الصاوي ويحضر درسه في اول ابتدائه لكونه من خواص تلامذته فلما مات العروسي وتولى الشرقاوي المشيخة اتفقوا على بقاء الصاوي في الوظيفة ومضى على ذلك اشهر ثم ان المجتمعين على الشرقاوي وسوسوا له وحرضوه على اخذ الوظيفة وان المشيخة لا تتم الا بها وكان متطلعا فتكلم في ذلك الشيخ محمد بن الجوهري وايوب بك الدفتردار ووافقاه على ذلك واغريهما وذهب بجماعته ومن انضم اليهم وهم كثيرون وقرأ بها درسا فلم يحتمل الصاوي ذلك وتشاور مع ذوي الرأي والمكايدة من رفقائه كالشيخ بدوي الهيثمي واضرابه فبيتوا امرهم وذهب الشيخ مصطفى الى رضوان كتخدا ابراهيم بك الكبير وله به صداقة ومعاملة ومقارضة شاعت في مبلغ كان عليه له فعند ذلك اهتم رضوان كتخدا المذكور وحضر عند الشرقاوي وتكلم معه واقنعه ثم اجتمع واتى ثاني يوم بيت الشرقاوي وحضر الصاوي وعزوته وباقي الجماعة فقال الشرقاوي اشهدوا يا جماعة ان هذه الوظيفة استحقاقي وانا تركتها الى الشيخ مصطفى الصاوي فقال له الصاوي ارجع اما الآن فلا ولا جميلة لك الآن في ذلك وباكته بكلام كثير وبانفاذه لرأي من حوله وغير ذلك وانفض المجلس على منعه من الوظيفة واستمراره وغيرها

فيحبسهم الى ان امر العسكر لعبد المؤمن لئلا في الموحدين وقال لهم ان الامر لابي حفص عمر فلما علم عمر ذلك خاف على نفسه فحضر عند عبد المؤمن واجاب الى خلع نفسه فحينئذ بويع لمحمد بولاية العهد وكتب الى جميع بلاده بذلك وخطب له فيها جميعها فاخرج عبد المؤمن في ذلك اليوم من الاموال شيئا كثيرا

(ذكر استعمال عبد المؤمن اولاده على البلاد)

في هذه السنة استعمل عبد المؤمن اولاده على البلاد فاستعمل ولده ابا محمد عبد الله على بجاية واعمالها واستعمل ابنه ابا الحسن عليا على فاس واعمالها وولى ابنه ابا سعيد سبتة والجزيرة الخضراء ومالقة وكذلك غيرهم واحتال في استعمالهم طريقا عجيبا وذلك انه كان قد استعمل على البلاد شيوخ الموحدين المشهورين من اصحاب المهدي محمد بن تومرت وكان يتعذر عليه ان يعزلهم فاخذ اولادهم وتركهم عنده يشتغلون في العلوم فلما تمهروا فيها وصاروا يقتدى بهم قال لآبائهم اني اريد ان تكونوا عندي استعين بكم على ما انا بصدده ويكون اولادكم في الاعمال لانهم علماء فقهاء فاجابوا الى ذلك وهم فرحون مسرورون فولى اولادهم ثم وضع عليهم بعض من يثق اليه فقال اني ارى امرا عظيما قد غفلتموه وقد تم فيه الحزم والادب فقالوا وما هو فقال اولادكم في الاعمال واولاد امير المؤمنين ليس لهم منها شيء مع ما فيهم من العلم وحسن السياسة واني اخاف ان ينظر في هذا فتسقط منزلتكم عنده فعلموا صدق القائل فحضروا عند عبد المؤمن وقالوا نحب ان تستعمل على البلاد السادة اولادك فقال لا افعل فلم يزالوا حتى فعل ذلك لهم بسؤالهم اياه

(ذكر حصر السلطان محمد بغداد)

في هذه السنة في ذي الحجة حصر السلطان محمد بغداد وسبب ذلك ان السلطان محمد بن محمود كان قد راسل الخليفة يطلب ان يخطب له ببغداد والعراق فامتنع الخليفة من اجابته الى ذلك فسار من همذان في عسكر كثير نحو العراق ووعده اتابك قطب الدين صاحب الموصل ونائبه زين الدين علي بارسال العساكر اليه نجدة له على حصر بغداد فقدم العراق في ذي الحجة سنة احدى وخمسين واضطرب الناس ببغداد وارسل الخليفة يجمع العساكر فاقبل خطلو برس في عسكر واسط ووصل مهلهل الى الحلة فاخذها واهتم الخليفة وعون الدين بن هبيرة بامر الحصار وجمع جميع السفن وقطع الجسر وجعل الجميع تحت التاج ونودي منتصف المحرم سنة اثنتين وخمسين ان لا يقيم احد بالجانب الغربي فاجفل الناس واهل السواد ونقلت الاموال الى حريم دار الخلافة وخرب الخليفة قصر عيسى والمربعة والقرية والمستجدة والمحمي ونهب اصحابه ما وجدوا وخرب اصحاب محمد شاه نهر القلائين والتوثة وشارع ابن رزق الله وباب الميدان وقطفتا واما اهل الكرخ واهل باب البصرة فانهم خرجوا الى عسكر محمد وكسبوا معهم اموالا كثيرة وعبر السلطان محمد دجلة في سرادقه الى الجانب الغربي ونهبت اوانا واتصل به

بيبرس خارج الحسينية وهو تحت نظر الشيخ ابراهيم السعيدي ليكون ذلك نكاية له نظير تعصبه عليه وعمل به طواحين وخزائن واشترى له غلالا من جرايات الشون واضافها الى اخباز الجامع وادخلوا في دفتره ويتسلموا خباز الجامع ويصرفها خبزا قرصة لاهل ذلك الرواق في كل يوم ويوزعها على الانفار الذين اختارهم من اهل بلاده ومما اتفق للترجمان خارج باب البرقية خانكاه انشاتها خوند طغاي الناصرية بالصحراء في جهة السالك الى تربة الجبانة المعروفة الآن بالبستان وكان الناظر عليها شخص من شهود المحكمة يقال له ابن الشاهيني فلما مات تقرر في نظرها المترجم واستولى على جهات ايرادها فلما وقع الفرنساوية اراضي مصر واحدثوا القلاع في التلول والاماكن المستعلية حوالي المدينة هدموا منارة هذه الخانكاه وبعض الحوائط الشمالية وتركوها على ذلك فلما ارتحلوا عن ارض مصر بقيت على وضعها في التخريب وكانت ساقيتها بجانب بابها في علوة يصعد اليها بزلاقة ويجري الماء منها الى الخانكاه على حائط مبني وبه قنطرة يمر من تحتها المارون وتحت الساقية حوض لسقي الدواب وقد ادركنا ذلك وشاهدنا دوران التورق الساقية ثم ان المترجم ابطل تلك الساقية وبنى مكانها زاوية وعمل لنفسه بها مدفنا وعقد عليه قبة

لا ينفع الآباء ما سمكوا من العلياء حتى يرفع الأولاد
وهي طويلة

(ذكر وفاة خوارزم شاه أتسز وغيره من الملوك)

في هذه السنة تاسع جمادى الآخرة توفي خوارزم شاه أتسز بن محمد بن أنوشتكين وكان قد أصابه فالج فتعالج منه فلم يبرأ فاستعمل أدوية شديدة الحرارة بغير أمر الأطباء فاشتد مرضه وضعفت قوته فتوفي وكان يقول عند الموت ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه وكانت ولادته في رجب سنة تسعين وأربعمائة ولما توفي ملك بعده ابنه أرسلان فقتل نفرا من أعمامه وسمل أخاه فمات بعد ثلاثة أيام وقيل بل قتل نفسه وأرسل إلى السلطان سنجر وكان قد هرب من أسر الغز على ما نذكره يبذل الطاعة والانقياد فكتب له منشورا بولاية خوارزم وسير الخلع له في رمضان فبقي في ولايته مستقر الأمر وكان أتسز حسن السيرة كافا عن أموال رعيته منصفا لهم محبوبا إليهم مؤثرا للإحسان والخير إليهم وكانت الرعية معه بين أمن غامر وعدل شامل وفي سابع عشر الشهر المذكور توفي أبو الفوارس بن محمد بن أرسلان شاه ملك كرمان وملك بعده ابنه سلجوق شاه وفيها توفي الملك مسعود بن قلج أرسلان بن سليمان بن قتلمش صاحب قونية وما يجاورها من بلاد الروم وملك بعده ابنه قلج أرسلان

(ذكر هرب السلطان سنجر من الغز)

في هذه السنة في رمضان هرب السلطان سنجر بن ملكشاه من أسر الغز وجماعة من الأمراء الذين معه وساروا إلى قلعة ترمذ واستظهر بها على الغز وكان خوارزم شاه أتسز بن محمد بن أنوشتكين والخاقان محمود بن محمد يقصدان الغز فيقاتلانهم فبين معهما فكانت الحرب بينهم سجالا وغلب كل واحد من الغز والخراسانيين على ناحية من خراسان فنهبوا كل ما دخلها لا رأس لهم يجمعهم وسار السلطان سنجر من ترمذ إلى جيحون يريد العبور إلى خراسان فاتفق أن مقدم الأتراك القارغلية واسمه علي بك توفي وكان أشد شيء على السلطان سنجر وعلى غيره كثير الشر والفساد وإثارة الفتن فلما توفي أقبلت القارغلية على السلطان سنجر وكذلك غيرهم من سائر الأمم من أقاصي البلاد وأدانيها وعاد إلى دار ملكه بمرو في رمضان فكانت مدة أسره مع الغز من سادس جمادى الأولى سنة ثمان وأربعين إلى رمضان سنة إحدى وخمسين وخمسمائة

(ذكر البيعة لمحمد بن عبد المؤمن بولاية عهد أبيه)

في هذه السنة أمر عبد المؤمن بالبيعة لولده محمد بولاية عهده وكان الشرط والقاعدة بين عبد المؤمن وبين عمر أن يلي هذا الأمر بعد عبد المؤمن فلما تمكن عبد المؤمن من الملك وكثر أولاده أحب أن ينقل الملك إليهم فأحضر أمراء العرب من هلال وزغب وعدي وغيرهم إليه ووصلهم وأحسن إليهم ووضع عليهم من يقول لهم اطلبوا من عبد المؤمن ويقولوا له نريد أن تجعل لنا ولي عهد من ولدك يرجع الناس إليه بعدك ففعلوا ذلك

وهي أم ولده سيدي علي الموجود الآن وكانت قبل تزوجها به في قلة من العيش فلما كثرت عليه الدنيا اشترت
الأملاك والعقار والحمامات
والحوانيت بما يغل إيراده
مبلغا في كل شهر له صورة وعمل
مهما لزواج ابنه المذكور في
أيام محمد باشا خسرو وسنة
سبع عشرة ومائتين وألف
ودعا إليه الباشا وأعيان
الوقت فاجتمع إليه شيء كثير
من الهدايا ولما حضر إليه
الباشا أنعم على ابنه بأربعة
أكياس عنها ثمانون ألف
درهم وذلك خلاف البقاشيش
واتفق للمترجم في أيام الأمراء
المصرية أن طائفة المجاورين
بالأزهر من الشرقاويين
يقطنون بمدرسة الطيبرسية
بباب الأزهر وعمل لهم المترجم
خزائن برواق معمر فوقع بينهم
وبين بعض المجاورين بها
مشاجرة تعصبوا لنقيب الرواق
فتعصب لهم الشيخ إبراهيم
الصبيحي شيخ الرواق على
الشرقاويين ومنعوهم من
الطيبرسية وخزائنها وقهروا
المترجم وطائفته فتوسط
بامرأة هي أيا تقيم تحضر عنده
في درسه إلى عند هانم ابنة
إبراهيم بك فتكلمت زوجها
إبراهيم بك المعروف بالوالي
بأن يبني لهم مكانا خاصا بطائفته
فأجابه إلى ذلك وأخذ مكانا
أمام الجامع المجاور لمدرسة
الجوهرية من غير ثمن وأضاف
إليه قطعة أخرى وأنشأ فيها
رواقا خاصا بهم ونقل إليه الأحجار والأعمدة الرخام الذي بوسطه من جامع الملك الظاهر

فسارت معها أمور الطريق لأجل اللبن الطري والجبن وكان يقل لها الجبن في الغداء واحتاط ونواحيها عن وصل

فهزموهم ونهبوا سوادهم وكرهوا لقاء الخصم فاحتاج الملك محمد الى الاسراع فسار فلما بلغ حلوان بلغه ان ايلدكز بالدينور واتاه وصول من نائبه باصبهان انه دخل همذان واعاد الخطبة له فيها فقويت نفسه وهرب شملة صاحب خوزستان الى بلاده وتفرق اكثر جمع ايلدكز وملكشاه وبقيا في خمسة آلاف فارس فعادا الى بلادهما فتبعه العساكر ولما دخل محمد شاه همذان اراد التجهز لقصد بلاد ايلدكز فابتدأ به مرض السل وبقي به الى ان مات

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في ربيع الاول اطلق ابو الوليد البدر ابن الوزير ابن هبيرة من حبس تكريت ولما قدم بغداد خرج اخوه والموكب يتلقونه وكان يوما مشهودا وكان مقامه في الحبس يزيد على ثلاث سنين وفيها احترقت بغداد في ربيع الآخر وكثر الحريق بها واحترق درب فراشا ودرب الدواب ودرب اللبان وخرابة ابن جردة والظفرية والخاتونية ودار الخلافة وباب الازج وسوق السلطان وغير ذلك وفيها في شوال قصد الاسماعيلية طبس بخراسان فاوقعوا بها وقتلوا فقيهها وأسروا جماعة من اعيان دولة السلطان ونهبوا اولادهم ودوابهم وقتلوا اكثرهم وفيها في ذي القعدة توفي شيخ الاسلام ابو المعالي الحسن ابن عبيد الله بن احمد بن محمد المعروف بابن الرزاز نسيب ابي ورد وهو من اعيان الافاضل وفي هذه السنة توفي مؤيد الدين بن بيسان وتبرس آمدوا لما كم فيها على صاحبها وولي ما كان اليه بعده ابنه كمال الدين ابو القاسم وتوفي ابو الحسن علي بن الحسين الغزنوي الواعظ المشهور ببغداد وكان قدم اليها سنة ست عشرة وخمسمائة وكان له قبول عظيم عند السلاطين والعامة والخلفاء الا ان المقتفي اعرض عنه بعد موت السلطان مسعود لاقبال السلطان عليه وكان موته في المحرم وتوفي ابو الحسن بن الخل الفقيه الشافعي شيخ الشافعية ببغداد وكان يؤم بالخليفة في الصلاة وتوفي ابن الآمدي الشاعر وهو من اهل النيل من اعيان الشعراء في طبقة الغزي والارجاني وكان عمره قد زاد على تسعين سنة وفيها قتل مظفر بن حماد بن ابي الخير صاحب البطيحة قتله نفيس بن فضل ابن ابي الخير في الحمام وولي بعده وفيها توفي الواوا الحلبي الشاعر المشهور وفيها في رمضان توفي الحكيم ابو جعفر بن محمد البخاري باسفراين وكان عالما بعلوم الحكماء الاوائل

(ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة)

(ذكر الزلازل بالشام)

في هذه السنة في رجب كان بالشام زلازل كثيرة قوية خربت كثيرا من البلاد وهلك فيها ما لا يحصى كثرة فخرب منها بالمرة حماة وشيزر وكفر طاب والمعرة وافامية وحمص وحصن الاكراد وعرقة واللاذقية وطرابلس وانطاكية واما ما لم يكثر فيه الخراب ولكن خرب اكثره في جميع الشام وتهدمت اسوار البلاد والقلاع فقام نور الدين محمود

الى مداومة البقل والجبن والقين في كل يوم بطارق الحج فما عساه يكون بعد ذلك وكان القاضي كريم الدين وامير مجلس وعدة من الامراء يترجلون عند النزول ويمشون بين يدي محفتها ويقبلون الارض لها كما يفعلون بالسلطان ثم حج بها الامير بشتاك في سنة تسع وثلاثين وسبعمائة وكان الامير تنكز اذا جهز من دمشق تقدمة للسلطان لا بد ان يكون لخوند طغاى منها جزء وافر قلما مات السلطان الملك الناصر استمرت عظمتها من بعده الى ان ماتت في شهر شوال سنة تسع واربعين وسبعمائة ايام الوباء عن الف جارية وثمانين خصيا واموال كثيرة جدا وكانت عفيفة طاهرة كثيرة الخير والصدقات والمعروف جهزت سائر جواريها وجعلت على قبرها بقبة المدرسة الناصرية بين القصرين قراء ووقفت على ذلك وقفا وجعلت من جملته خبزا يفرق على الفقراء ودفنت بهذه الخانكاه وهي من احسن الاماكن الى يومنا هذا انتهى كلامه (يقول) الفقير اليه تعالى وخلت هذه الخانكاه في اواخر القرن الماضي فوجدتها روحانية لطيفة وبها ناس كثير وسكان قاطنون بها وفيهم اصحاب الوظائف مثل المؤذن والوقاد والكناس والامام ودخلت

ويعمل تحتها المقصورة بداخلها تابوت عال مربع ٩٦ وعلى اركانه صناكر فضة وبنى بجانبها القصر الملاصق المحتوى على اروقة

زين الدين هناك وساروا ونزل محمد شاه عند الرملة وفرق الخليفة السلاح على الجند
والعامة ونصب المجانيق والعرادات فلما كان في العشرين من المحرم ركب عسكر
محمد شاه وزين الدين علي ووقفوا عند الرقة وورد وابا الشاب الى ناحية التاج فعبر اليهم
عامة بغداد فقاتلوهم ورموهم بالنفط وغيره ثم جرى بينهم عدة حروب وفي ثالث صفر
عاودوا القتال واشتدت الحرب وعبر كثير من أهل بغداد سباحة وفي السفن فقتلوا
وكانوا قد هموا وداموا ولم تزل الحرب بينهم كل وقت وعمل الجسر على دجلة وعبر عليه
أكثر العسكر الى الجانب الشرقي وصار القتال في الجانبين وبقي زين الدين في الجانب
الغربي وأمر الخليفة فنودي كل من جرح فله خمسة دنانير فكان كلما جرح انسان
يحضر عند الوزير فيعطيه خمسة دنانير فاتفق ان بعض العامة جرح جرحا ليس بكبير فحضر
الوزير يطالب الدنانير فقال له الوزير ليس هذا الجرح بشيء فعاودوا القتال فضرب فانشقت
جوفه وخرج شيء من شحمها فحمل الى الوزير فلما رآه قال يا مولانا الوزير ايرضيك هذا
فضحك منه وامر له بخمسة دنانير وقبض له من يعالج جراحته الى ان برئ وتعذرت الاقوات في
العسكر الا ان اللحم والفواكه والخضر كثيرة وكانت الغلات ببغداد كثيرة لان الوزير
كان يفرقها في الجند عوض الدنانير يبيعونها فلم تزل الاسعار عندهم رخيصة الا ان
اللحم والفاكهة والخضر قليل عندهم واشتد الحصار على اهل بغداد لانقطاع المواد
عنهم وعدم المعيشة لاهلها وكان زين الدين وعسكر الموصل غير مجدين في القتال لاجل
الخليفة والميل اليه وقيل لان نور الدين محمود بن زنكي وهو اخو قطب الدين صاحب
الموصل الاكبر ارسل الى زين الدين يلومه على قتال الخليفة فقصر واقصر ولم تزل الحرب
في اكثر الايام وعمل السلطان محمد شاه ارتفاع مائة سلم ليصعد الرجال فيها الى السور
وزحفوا وقاتلوا ففتح اهل بغداد ابواب البلد وقالوا اي حاجة بكم الى السلاليم هذه
الابواب مفتحة فادخلوا منها فلم يقدروا على ان يقربوها فبينما الامر على ذلك اذ وصل
الخبر الى السلطان محمد ان اخاه ملكشاه وايلدكز صاحب بلاد اران ومعه الملك
ارسلان ابن الملك طغرل بن محمد وهو ابن امرأة ايلدكز قد دخلوا همذان واستولوا عليها
واخذوا اهل الامراء الذين مع محمد شاه واموالهم فلما سمع محمد شاه ذلك جد في القتال
لعله يبلغ منها فلم يقدر على شيء ورحل عنها نحو همذان في الرابع والعشرين من ربيع
الاول سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة وعاد زين الدين الى الموصل وتفرق ذلك الجمع
على عزم العود اذا فرغ محمد شاه من اصلاح بلاده فلم يعودوا يجتمعون وفي كثير منهم
لم يقاتل بينهم الا نفر يسير وانما الجراح كانت كثيرة ولما ساروا انهبوا يعقوبا وغيرها من
طريق خراسان ولما رحل العسكر عن بغداد اصاب اهلها امراض شديدة حادة وموت
كثير للشدة التي مرت بهم واما ملكشاه وايلدكز ومن معهما فانهم ساروا من همذان
الى الري فخرج اليهم اينانج فهزمتهم وقاتلهم فهزموه فارسل الملك محمد الامير سقمش
ابن قيماز الحرامي في عسكر نجدة لاينانج فسار سقمش وكان ايلدكز وملكشاه
ومن معهما قد عادوا من الري يريدون محاصرة الخليفة فاتاهم سقمش فقاتلهم

ومساكن ومطبخ وكلار وذهبت
الساقية في هدم ذلك وجعلوا
بئرا وعليه خرزة يأخذون منها
بالدلو ونسيت تلك الساقية
وانطمست معالمها وكأنها لم
تكن وقد ذكر هذه الخانكاه
العلامة المقريزي في خططه
عند ذكر الخوانك لاباس
بايرادها نصه للمناسبة فقال
خانكاه ام انوك هذه الخانكاه
خارج باب البرقية بالصحراء
انشأتها الخاتون طغاي تجاه
تربة الامير طاشتمر الساقي
فجاءت من اجل المباني
ورتبت بها صوفية وقراء
ووقفت عليها الاوقاف الكثيرة
وقررت لكل جارية من جواريها
مرتبا يقوم بها ثم تزوجها بقولها
طغاي الخوندة الكبرى
زوج السلطان الملك الناصر
محمد بن قلاوون وهي ام ابنه
الامير انوك كانت من جملة
امائه فاعتقها وتزوجها ويقال
انها اخت الامير آقبغا عبد
الواحد وكانت بديعة الحسن
بادرة الجمال رأت من السعادة
ما لم يره غيرها من نساء ملوك
الترك بمصر وتنعمت في ملاذها
وصل سواها [illegible] ولم يدم
السلطان على محبة امرأة
سواها وصارت خوندة بعد
ابنة توكاى اكبر نساء مستحق
من ابنة الامير تنكز وحج بها
القاضي كريم الدين الكبير
واحدة الى بابها وحمل لها البقول في نظار طبقتان على دوو الجمال واخذ لها الابقار العلالية

فهزموه

علي أتي ما حالت حال عهدته • ولا غيرت هذي السنون ودادیا
فلا غرو عند الحادثات فانني • أراك يميني والأنام شماليا
تحل بها صدرا فلو قرنت بها • نجوم السماء لم تعد دراريا
تحلت بدر من صفاتك زانها • كما زان منظوم اللآلي الغوانيا
وعش باقيا للمجد ما كان واهيا • مشيدا من الاحسان ما كان هاويا

وكان الامر بينهما فيه تماسك فلما توفي مرشد سنة احدى وثلاثين وخمسمائة قلب اخوه سلطان لاولاده ظهر المجن وباداهم بما يسوءهم واخرجهم من شيزر فتفرقوا وقصد اكثرهم نور الدين وشكوا اليه ما لقوا من عمهم فغاظه ذلك ولم يمكنه قصده والاخذ بثارهم واعادتهم الى وطنهم لاشتغاله بجهاد الفرنج وبخوفه ان يسلم شيزر الى الفرنج ثم توفي سلطان وولي بعده اولاده فبلغ نور الدين عنهم مراسلة الفرنج فاشتد حنقه عليهم وانتظر فرصة تمكنه فلما خربت القلعة هذه السنة بالزلزلة لم ينج من بني منقذ الذين بها احد وسبب هلاكهم اجمعين ان صاحبها منهم كان قد ختن ولدا له وعمل دعوة للناس واحضر جميع بني منقذ في داره وكان له فرس يحبه ولا يكاد يفارقه واذا كان في مجلس اقيم الفرس على بابه وكان المهر في ذلك اليوم على باب الدار فجاءت الزلزلة فقام الناس ليخرجوا من الدار فرمح الفرس رجلا كان اولهم فقتله وامتنع الناس من الخروج فسقطت الدار عليهم كلهم وخربت القلعة وسقط سورها وكل بناء فيها ولم ينج منها الا الشريد فبادر اليها بعض امراء نور الدين وكان بالقرب منها فقصدها وتسلمها نور الدين منه فملكها وعمر اسوارها ودورها واعادها جديدة

(ذكر وفاة الدبيسي صاحب جزيرة ابن عمر واستيلاء قطب الدين مودود على الجزيرة)

كانت الجزيرة لاتابك زنكي فلما قتل سنة احدى واربعين اقطعها ابنه سيف الدين غازي للامير ابي بكر الدبيسي وكان من اكابر امراء والده فبقيت بيده الى الآن وعصى فيها وصار بحيث يتعذر على قطب الدين اخذها منه فتوفي في ذي الحجة سنة اثنتين وخمسين ولم يخلف ولدا فاستولى عليها مملوك له اسمه قلبك واطاعه جندها فحصرهم مودود ثلاثة اشهر ثم تسلمها من قلبك في صفر من سنة ثلاث وخمسين واعطاه عوضها اقطاعا كثيرة

(ذكر وفاة السلطان سنجر)

في هذه السنة في ربيع الاول توفي السلطان سنجر بن ملكشاه ابن الب ارسلان ابو الحرث اصابه قولنج ثم بعده اسهال فمات منه ومولده بسنجار من ديار الجزيرة في رجب سنة تسع وسبعين واربعمائة وسكن خراسان واستوطن مدينة مرو ودخل بغداد مع اخيه السلطان محمد واجتمع معه بالخليفة المستظهر بالله وعهد الى محمد بالسلطنة وجعل سنجر ولي عهده فلما مات محمد خوطب سنجر بالسلطان واستقام امره واطاعه

كان يابسها في حياته بكثير وعموها بشاش اخضر وعصبوها بشال كثير من الجرو وقف شخص عند باب مقصورته وبيده مقرعة يدعو الناس لزيارته ويأخذ منهم دراهم ثم ان زوجته وابنها ومن يلوذ بهم ابتدعوا المولد وعيدا في ايام مولد الحنفي وكتبوا بذلك فرمانا من الباشا ونادى به تابع الشرطة باسواق المدينة على الناس بالاجتماع والحضور لذلك المولد وكتبوا اوراقا ورسائل للاعيان واصحاب المظاهر وغيرهم بالحضور ونصبوا الخيام والصخر واطباخين وفراشين ومدوا السماطات بانواع الاطعمة والحلاوات والمسكرات والخشافات لمن حضر من الفقهاء والمشايخ والاعيان واورباب الاشاير والبدع ونصبوا قبالة تلك القبة صواري علقوا بها قناديل وبيارق وشراريب حمرا وصفرا يلوحها الريح واجتمع حول ذلك من غوغاء الناس وعملوا قهاوي وبياعين الحلوا والخلالات والترمس المحلى والفول المقلي ودهسوا ما بتلك البقعة من قبور الاموات واوقدوا بها النيران وصبوا عليها القاذورات مع ما يلقيهم من البول والغائط وامامة الاوباش والاولاد وصراخهم وفرقعتهم بالبارود وصياحهم وضجيجهم فقد شاهدنا بها ما كنا نسمعه من عفاريت العرب وضرب المثل بهم ثم انهم منهم فان العفاريت الحقيقية لم نر لهم اعمالا مثل هذه ولمنامات

في ذلك المقام المرضي وخاف على بلاد الاسلام من الفرنج حيث خربت الاسوار وخرج
ما ذكروا فاقام باطراف البلاد ولم يزل كذلك حتى فرغ من اسوار البلاد واما كثرة
القتلى فيكفي ان معلما كان بالمدينة وهي مدينة حماة ذكر عنه انه فارق المكتب لمهم
عرض له فجاءت الزلزلة فخربت البلد وسقط المكتب على الصبيان جميعهم قال المعلم فلم
يأت احد يسال عن صبي كان له بالمكتب

(ذكر ملك نور الدين حصن شيزر)

نبتدي بذكر هذا الحصن ولمن كان قبل ان يملكه نور الدين محمود بن زنكي فنقول هذا
الحصن قريب من حماة بينهما نصف نهار وهو على جبل عال منيع لا يسلك اليه الا من
طريق واحدة وكان لآل منقذ الكنانيين يتوارثونه من ايام صالح بن مرداس الى
ان انتهى الامر الى ابي المرهف نصر بن علي بن نصر بن منقذ بعد ابيه ابي الحسن علي
وكان بيده الى ان مات سنة احدى وتسعين واربعمائة وكان شجاعا كريما فلما حضره
الموت استخلف اخاه ابا سلامة مرشد بن علي فقال والله لا وليته ولاخرجن من الدنيا
كما دخلتها وكان عالما بالقرآن وهو والد مؤيد الدولة اسامة بن منقذ فولاه اخاه
الاصغر سلطان بن علي واصطحبا اجمل صحبة مدة من الزمان فاولد مرشد عدة اولاد
ذكور وكبروا وسادوا منهم عز الدولة ابو الحسن علي ومؤيد الدولة اسامة وغيرهما
ولم يولد لاخيه سلطان ولد ذكر الى ان كبر فجاءه اولاد ذكور فحسد اخاه على ذلك وخاف
اولاد اخيه على اولاده وسعى بينهم المفسدون فغيروا كلا منهما على اخيه فكتب
سلطان الى اخيه مرشد ابيات شعر يعاتبه على اشياء بلغته عنه فاجابه بشعر في معناه
رأيت اثباته ما تمس الحاجة اليه وهي هذه الابيات

ظلوم ابت في الظلم الا تماديا * وفي الصد والهجران الا تناهيا
شكت هجرنا والذنب في ذاك ذنبها * فيا عجبا من ظالم جاء شاكيا
وطاوعت الواشين في وطالما * عصيت عذولا في هواها وواشيا
ومال بها تيه الجمال الى القلى * وهيهات ان امسي لها الدهر قاليا
ولا ناسيا ما اودعت من عهودها * وان هي ابدت جفوة وتناسيا
ولما اتاني من قريضك جوهر * جمعت المعالي فيه لي والمعانيا
وكنت هجرت الشعر حينا لانه * تولى برغمي حين ولى شبابيا
واين من الستين لفظ مفوق * اذا رمت ادنى القول منه عصانيا
وقلت اخي يرعى بني واسرتي * ويحفظ عهدي فيهم وذماميا
ويجزيهم ما لم اكافه فعله * لنفسي فقد اعددته من تراثيا
فما لك لما ان حنى الدهر صعدتي * وثلم مني صارما كان ماضيا
تنكرت حتى صار برك قسوة * وقربك مني جفوة وتنائيا
واصبحت صفر الكف مما رجوته * ارى الياس قد عفى سبيل رجائيا

الى مدفن الواقفة وعلى قبرها تركيبة من الرخام الابيض وعند راسها عمامة شريفة كبيرة وعلى كرسي مصحف جليل وهي
مذهبة وعليها اسم الواقفة
رحمها الله تعالى فلو ان الشيخ
المترجم عمر هذه الخانكاه
بدل هذا الذي ارتكبه من
تخريب المكان له بذلك منقبة
وذكر حسن في حياته وبعد
مماته وبالله التوفيق * وللمترجم
طبقات جمعها في تراجم الفقهاء
الشافعية المتقدمين
والمتأخرين من اهل عصره
ومن قبلهم من اهل القرن
الثاني عشر نقل تراجم
المتقدمين من طبقات السبكي
والاسنوي وأما المتأخرون
فنقلهم من تاريخنا هذا
بالحرف الواحد واظن ان
ذلك آخر تاليفاته وعمل تاريخا
قبل مختصرا في نحو اربعة
كراريس مبدؤه قدوم الوزير
يوسف باشا الى مصر وخروج
الفرنساوية واهداه اليه
عدد فيه ملوك مصر وذكر في
آخره خروج الفرنسيس
ودخول العثمانية في نحو
ورقتين وهو في غاية البرود
وغلط فيه غلطات منها انه
ذكر الاشرف شعبان ابن
الامير حسين بن الناصر محمد بن
قلاوون فجعله ابن السلطان
حسن ونحو ذلك ولم يزل المترجم
حتى تعلل ومات في يوم
الخميس ثاني شهر شوال من
السنة وصلي عليه بالازهر في
جمع كثير ودفن بمدفنه الذي
بناه لنفسه كما ذكر ووضعوا على تابوته المذكور عمامة كبيرة كعمامته الى

(ذكر غزو صاحب طبرستان الاسماعيلية)

في هذه السنة جمع شاه مازندران رستم بن علي بن شهريار عسكره وسار ولم يعلم احدا جهة مقصده وسلك المضايق وجد السير الى بلد الموت وهي للاسماعيلية فاغار عليها واحرق القرى والسواد وقتل فاكثر وغنم اموالهم وسبى نساءهم واسترق ابناءهم وباعهم في السوق وعاد سالما غانما وانخذل الاسماعيلية ودخل عليهم من الوهن ما لم يصابوا بمثله وخرب من بلادهم ما لا يعمر في السنين الكثيرة

(ذكر اخذ حجاج خراسان)

في هذه السنة في ربيع الاول سار حجاج خراسان فلما رحلوا عن بسطام اغار عليهم جمع من الجند الخراسانية قد قصدوا طبرستان فاخذوا من امتعتهم وقتلوا نفرا منهم وسلم الباقون وساروا من موضعهم فبينما هم سائرون اذ طلع عليهم الاسماعيلية فقاتلهم الحجاج قتالا عظيما وصبروا صبرا عظيما فقتل اميرهم فانخزلوا والقوا بايديهم واستسلموا وطلبوا الامان والقوا اسلحتهم مستامنين فاخذهم الاسماعيلية وقتلوهم ولم يبق منهم الا شرذمة يسيرة وقتل فيهم من الائمة العلماء والزهاد والصلحاء جمع كثير وكانت مصيبة عظيمة عمت بلاد الاسلام وخصت خراسان ولم يبق بلد الا وفيه المأتم فلما كان الغد طاف شيخ في القتلى والجرحى ينادي يا مسلمون يا حجاج ذهب الملاحدة وانا رجل مسلم فمن اراد الماء سقيته فمن كلمه قتله واجهز عليه فهلكوا اجمعون الا من سلم وولى هاربا وقليل ما هم

(ذكر الحرب بين المؤيد والامير ايثاق)

وقد ذكرنا تقدم الامير أي ابه مملوك السلطان سنجر وتقدمه على خراسان فحسده جماعة من الامراء منهم الامير ايثاق وهو من الامراء السنجرية فانحرف عنه وكان تارة يقصد خوارزمشاه وتارة مازندران وتارة يظهر الموافقة للمؤيد ويبطن المخالفة فلما كان الآن فارق مازندران ومعه عشرة آلاف فارس قد اجتمع معه كل من يريد الغارة على البلاد وكل منحرف عن المؤيد وقصد خراسان واقام بنواحي نسا وابيورد لا يظهر المخالفة للمؤيد بل يراسله بالموافقة والمعاضدة وهو يبطن ضدها واشتغل المؤيد عن المكاتبة الى ان كاتبه وسار اليه جريدة فاغار عليه واوقع به فتفرق عنه جموعه ونجا بحشاشة نفسه وغنم المؤيد وعسكره كل مال ايثاق ومضى منهزما الى مازندران وكان ملكها رستم بينه وبين اخ له اسمه علي تنازع على الملك وقد قوي رستم فلما وصل ايثاق الى مازندران قتل عليا وحمل راسه الى اخيه رستم فعظم ذلك على رستم واشتد واستشاط غضبا وقال آكل لحمي ولا اطعمه غيري ولم يزل ايثاق يتردد في خراسان بالنهب والغارة لاسيما مدينة اسفرايين فانها اكثر من قصدها حتى خربت فراسله السلطان محمود بن محمد والمؤيد عوانه الى الموافقة فامتنع فسارا اليه في العساكر فلما قارباه فارقها كثير من عسكره فمضى من بين ايديهما الى طبرستان في صفر سنة ثلاث وخمسين فتبعاه في

اليوم بخضرة العروسي والمهدي فقال وابن الشرقاوي فلا بد من حضوره فارسلوا اليه الرسول فانقلب ورجع وبيده ورقة ويقول الرسول انه له ثلاثة ايام غائبا عن داره وترك هذه الورقة عند اهله وقال ان طلبوني اعطوهم هذه الورقة فاخذها القاضي وقراها جهارا يقول فيها بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم حضرة شيخ الاسلام انا تنازلنا عن المشيخة للشيخ بدوي الهيتمي الى آخر ما قال فعندما سمع الحاضرون ذلك القول قاموا قومة واكثرهم طائفة الشوام وقال بعضهم هو لم يثبت له مشيخة حتى انه يتنازل عنها لغيره وقال كبارهم من المدرسين لا يكون شيخا الا من يدرس العلوم ويفيد الطلبة وزادوا في اللغط فقال القاضي ومن الذي ترضونه فقالوا نرضى الشيخ المهدي وكذلك قال البقية وقاموا وصافحوه وقروا الفاتحة وكتب القاضي اعلاما الى الباشا بما حصل وانفض الجمع وركب الشيخ المهدي الى بيته في كبكبة وحوله وخلفه المشايخ وطوائف المجاورين وضربوا النقر بانات واقبلت عليه الناس للتهنئة وانتظر جواب الاعلام بقية ذلك اليوم فلم يأت الجواب ومضى اليوم الثاني والمدبرون يدبرون شغلهم واحضروا الشيخ الشرقاوي من المكان الذي كان متغيبا بمصر القديمة واشغلهم واحضروا السيد منصورا اليافاوي المنفصل عن مشيخة

الشيخ المتوفى بعد مرضه في محل مدته ثلاثة أيام ، اجتمع المشايخ في يوم الاحد خامسه وطلعوا الى القلعة ودخلوا الى الباشا
وذكروا له موت المترجم
ويستأذنونه فيمن يجعلونه
شيخا على الازهر فقال لهم
الباشا اعملوا رأيكم واختاروا
شخصا يكون خاليا عن
الاغراض وانا اقلده ذلك
فقاموا من مجلسه ونزلوا الى
بيوتهم واختلفت آراؤهم
فالبعض اختار الشيخ المهدي
والبعض ذكر الشيخ محمدا
الشنواني واما الشيخ محمد الامير
فانه امتنع من ذلك وكذلك
ابن الشيخ العروسي والشيخ
الشنواني المذكور منعزل عنهم
وليس له درس بالازهر ويقرأ
دروسه بجامع الفاكهاني الذي
في العقادين ويلازم وظائف
خدم الجامع وعند فراغه من
الدروس يغير ثيابه ويكنس
المسجد ويغسل القناديل
ويعمرها بالزيت والفتائل
حتى يكنس المراحيض فلما
بلغه انهم ذكروه تغيب ثم ان
الباشا امر القاضي وهو يومئذ
افندي بان يجمع المشايخ
عنده ويتفقوا على شخص
يجتمع رأيهم عليه بالشرط
المذكور فارسل اليهم القاضي
وجمعهم وذلك في يوم الثلاثاء
سابعه وحضر فقهاء الشافعية
مثل القويسني والفضالي
وكثير من المجاورين والشوام
والمغاربة فقال القاضي هل
بقي احد فقالوا لم يكن احد غائبا من الحضور الا ابن العروسي والمهدي والشنواني فارسلوا

السلاطين وخطب له على أكثر منابر الاسلام بالسلطنة نحو أربعين سنة وكان قبلها
يخاطب بالملك عشرين سنة ولم يزل أمره عاليا وجده متراقيا الى ان أسره الغز على ما ذكرناه
ثم انه تخلص بعد مدة وجمع اليه أطرافه وكاد يعود اليه ملكه فأدركه اجله وكان
مهيبا كريما رفيقا بالرعية وكانت البلاد في زمانه آمنة ولما مات دفن في قبة بناها
لنفسه سماها دار الآخرة ولما وصل خبر موته الى بغداد قطعت خطبته ولم يجلس له
في الديوان للعزاء ولما حضر السلطان سنجر الموت استخلف على خراسان الملك محمود
ابن محمد بن بغراخان وهو ابن أخت السلطان سنجر فأقام بها خائفا من الغز فقصد جرجان
يستظهر بها وعاد الغز الى مرو وخراسان واجتمع طائفة من عساكر خراسان على أي ابه
المؤيد فاستولى على طرف من خراسان وبقيت خراسان على هذا الاختلال الى سنة أربع
وخمسين وراسل الغز الملك محمودا على ما نذكره سنة ثلاث وخمسين وسألوه ان يحضر
عندهم ليملكوه عليهم فلم يثق اليهم وخافهم على نفسه فأرسل ابنه اليهم فأطاعوه مدة
ثم لحق بهم الملك محمود على ما نذكره سنة ثلاث وخمسين

(ذكر ملك المسلمين مدينة المرية وانقراض دولة الملثمين بالاندلس)

في هذه السنة انقرضت دولة الملثمين بالاندلس وملك أصحاب عبد المؤمن مدينة المرية
من الفرنج وسبب ذلك ان عبد المؤمن لما استعمل ابنه أبا سعيد على الجزيرة الخضراء
ومالقة عبر أبو سعيد البحر الى مالقة واتخذها دارا وكاتبه ميمون بن بدر اللمتوني صاحب
غرناطة ان يوحد ويسلم اليه غرناطة فقبل أبو سعيد ذلك منه وتسلم غرناطة فسار ميمون
الى مالقة بأهله وولده فتلقاه أبو سعيد وأكرمه ووجهه الى مراكش فأقبل عليه عبد
المؤمن وانقرضت دولة الملثمين ولم يبق لهم الا جزيرة ميورقة مع بني غانية فلما ملك
أبو سعيد غرناطة جمع الجيوش وسار الى مدينة المرية وهي بأيدي الفرنج أخذوها من
المسلمين سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة فلما نازلها وافاه الاسطول من سبتة وفيه
خلق كثير من المسلمين فحصروا المرية برا وبحرا وجاء الفرنج الى حصنها فحصرهم فيها
ونزل عسكره على الجبل المشرف عليها وبنى أبو سعيد سورا على الجبل المذكور الى البحر
وعمل عليه خندقا فصارت المدينة والحصن الذي فيه الفرنج محصورا بهذا السور
والخندق ولا يمكن من يجدهما من أن يصل اليهما فجمع الاذفونش ملك الفرنج
بالاندلس المعروف بالسليطين في اثني عشر ألف فارس من الفرنج ومعه محمد بن سعد
ابن مردنيش في ستة آلاف فارس من المسلمين ورامو الوصول الى المدينة ودفع المسلمين
عنها فلم يطيقوا ذلك فرجع السليطين وابن مردنيش خائبين فمات السليطين في عوده
قبل ان يصل الى طليطلة وتمادى الحصار على المرية ثلاثة أشهر فضاقت الميرة وقلت
الاقوات على الفرنج فطلبوا الامان ليسلموا الحصن فأجابهم أبو سعيد اليه وأمنهم
وتسلم الحصن ورحل الفرنج في البحر عائدين الى بلادهم فكان ملكهم المرية مدة عشر
سنين

(ذكر

الفقهاء الحنفية

(ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة)

(ذكر الحرب بين سنقر وارغش)

في هذه السنة كانت حرب شديدة بين سنقر الهمذاني وارغش المسترشدي وسببها ان سنقر الهمذاني كان قد نهب سواد بغداد وطريق خراسان وكثر جمعه فخرج الخليفة المقتفي لامر الله في جمادى الاولى بنفسه بطلبه فلما وصل الى بلد اللحف قال له الامير خطلوبرس انا اكفيك هذا المهم وكان بينه وبين سنقر مودة فركب اليه وتلاقيا وجرى بينهما عتاب طويل لاجل خروجه عن طاعة الخليفة فاجاب سنقر الى الطاعة وعاد خطلوبرس واصلح حاله فاقطعه بلد اللحف والامير ارغش المسترشدي فلما توجها الى اللحف جرى بينهما منازعة فاراد سنقر قبض ارغش فرآه محترزا فصارا واقتتلا قتالا شديدا وغدر بارغش اصحابه فعاد منهزما الى بغداد وانفرد سنقر ببلد اللحف وخطب فيه للملك محمد فسير من بغداد عسكر القتاله مقدمهم خطلوبرس فجرت بينهما حرب شديدة انهزم في آخرها سنقر وقتلت رجاله ونهبت امواله التي في العسكر وسار هو الى قلعة الماهكي واخذ ما كان له فيها واستخلف فيها بعض غلمانه وسار هو الى همذان فلم يلتفت اليه الملك محمد شاه فعاد الى قلعة الماهكي

(ذكر الحرب بين شملة وقايماز السلطاني)

في هذه السنة ايضا كان قتال بين شملة صاحب خوزستان ومعه ابن مكلبة وبين قايماز السلطاني في ناحية بادرايا في معسكرهما وساروا اليه فاتاه الخبر بذلك وهو يشرب فلم يحفل بذلك وركب اليهم في نحو ثلثمائة فارس وكان معجبا بنفسه فحمل عليهم واختلط بهم فاخذ قرابه وقاتل اشد قتال فانهزم اصحابه واخذوه اسيرا فقتله انسان تركماني كان له عليه دم لانه قتل ابنا للتركماني فقتله بابنه وارسل برأسه الى محمد شاه وارسل الخليفة عسكر القتال شملة ومن معه فانزاحوا من بين ايديهم ولحقوا بالملك ملكشاه بخوزستان فهلك كثير منهم بالبرد

(ذكر معاودة الغز الفتنة بخراسان)

كان الاتراك الغزية قد اقاموا ببلخ واستوطنوها وتركوا النهب والقتل ببلاد خراسان واتفقت الكلمة بها على طاعة السلطان خاقان محمود بن محمد ارسلان وكان المتولي لامور دولته المؤيد اي ابه وعن رأيه يصدر محمود فلما كان هذه السنة في شعبان سار الغز من بلخ الى مرو وكان السلطان محمود بسرخس في العساكر فسار المؤيد في طائفة من العسكر اليهم فاوقع بطائفة منهم وظفر بهم ولم يزل يتبعهم الى ان دخلوا الى مرو اوائل رمضان وغنم من اموالهم وقتل كثيرا وعاد الى سرخس فاتفق هو والسلطان محمود على قصد الغز وقتالهم فجمعا العساكر وحشدا وساروا الى الغز فالتقوا سادس شوال من هذه السنة وجرت بينهم حرب طال مداها فبقوا يقتتلون من يوم الاثنين

عليهم وخصوصا التفرج على الشيخ الجديد وكأنه لم يكن طول دهره بينهم ولا يأتون اليه وبعد فراغ الختم أنشد المنشد قصيدة ترقى بها الترقي من نظم الشيخ عبد الله العدوي المعروف بالقاضي وانفض الجمع ✽ ومات الاستاذ المكرم بقية السلف الصالحين ونتيجة الخلف المعتقد الشيخ محمد المكي أبا السعود ابن الشيخ محمد جلال ابن الشيخ محمد افندي المكي ملك المكارم ابن السيد عبد المنعم ابن السيد محمد المكي باقي السرور صاحب الترجمة ابن السيد القطب الملقب بأبي السرور البكري الصديقي العمري من جهة الام تولى خلافة سجادتهم في سنة سبع عشرة ومائتين والف عندما عزل ابن عمه السيد خليل البكري ولم تكن الخلافة في فرعهم بل كانت في اولاد الشيخ أحمد بن عبد المنعم وآخرهم السيد خليل المذكور فلما حضرت العثمانية الى مصر واستقر في ولايتها محمد باشا خسرو سعى في السيد خليل الكارهون له وأنهوا اليه فيه ورموه بالقبائح ومنها تداخله في الفرنسيس وامتزاجه بهم وعزلوه من نقابة الاشراف وولوها للسيد عمر مكرم ولم يكتفوا بذلك وذكروا انه لا يصلح للخلافة البكرية فقال الباشا وهل موجود في أولادهم خلافه فقالوا نعم وذكروا المترجم فمن ذكره وموالاته قد طعن في السن وفقير من المال فقال الباشا الفقر لا ينافي النسب وأمر له

الشوام ليلا ليعيدوه الى مشيخة الشوام ويحضروا الشيخ ذا بحما المتولى فقال والطائفة الذين تعالوا في مجلس القاضي

بالكلام وجمع ابقية المشايخ آخر الليل وركبوا في الصباح الى القلعة فقابلوا الباشا فخلع على الشيخ محمد الشنواني فروة سمور وجعله شيخا على الازهر وكذلك خلع السيد منصور اليافوي ليكون شيخا على رواق الشوام كما كان في السابق ثم نزلوا وركبوا وصحبتهم اغات الينكجرية بهيئة الموكب وعلى راسه الجوزة الكبيرة وامامه الملازمون بالجاقع والريش على رؤسهم ومازالوا سائرين حتى دخلوا حارة خوشقدم فنزلوا بدار ابن الزيجي لان دار ذات الشيخ الشنواني صغيرة وضيقة لا تسع ذلك الجمع والذي انزله في ذلك المنزل السيد محمد المحروقي وقام له بجميع الاحتياجات وارسل من الليل الطباخين والفراشين والاغنام والارز والحطب والسمن والعسل والسكر والقهوة واوقف عبيده وخدمه لخدمة القادمين للسلام والتهنئة ومناولة القهوة والشربات والبخور وماء الورد وازدحمت الناس عليه واتوا افواجا اليه وكان ذلك يوم الثلاثاء رابع عشره ووصل الخبر الى الشيخ المهدي ومن معه وحصل لهم كسوف وبطلت شيخته فلما كان يوم الجمعة حضر الشيخ الجديد الى الازهر وصلى الجمعة وحضر باقي المشايخ وصلوا الكثير للشيخ الشرقاوي وحصل ازدحام

عليه كرهما فارسل شاه مازندران يطلب الصلح فاجابه واصطلحوا وحمل شاه مازندران امو الاجابة وهدايا نفيسة وسير اينانج ابنه رهينة ثم عاد عنه

ذكر الحرب بين المؤيد وسنقر العزيزي

كان سنقر العزيزي من امراء السلطان سنجر وممن ساوى ايضا المؤيد اي ايه فلما استقل المؤيد بحرب اينانج سار سنقر من عسكر السلطان محمود بن محمد الى هراة ودعا اهلها وجماعة من الاتراك وغيرهم ممن بها اشير عليه بان يعتضد بالملك الحسين ملك الغورية فلم يفعل واستبد بنفسه منفردا لانه راى اختلاف الامراء على السلطان محمود بن محمد فطمع وحدثته نفسه بالقوة فقصده المؤيد الى هراة فلما وصل اليها قاتل من بها شيئا من قتال ثم ان الاتراك مالوا الى المؤيد واطاعوه وانقطع خبر سنقر العزيزي من ذلك الوقت ولم يعلم ما كان منه فقيل انه سقط عن فرسه فمات وقيل بل اغتاله الاتراك فقتلوه وتقدم السلطان محمود الى ولاية هراة في عساكره وجنوده والتحق جماعة من عسكر سنقر بالامير اينانج واغاروا على طوس وقراها فبطلت الزروع والحرث واستولى الخراب على البلاد وعمت الفتن اطراف خراسان واصابهم العين فانهم كانوا ايام السلطان سنجر في رغد عيش وامنه وهذا داب الدنيا لا يصفو نعيمها وخيرها من كدر وشوائب وآفات وقلما يخلص شرها من خير فنسال الله ان يحسن لنا العون والعقبى بمحمد وآله

ذكر ملك نور الدين بعلبك

وفي هذه السنة ملك نور الدين محمود بعلبك وقلعتها وكانت بيد انسان يقال له ضحاك البقاعي منسوب الى بقاع بعلبك وكان قد ولاه اياها صاحب دمشق فلما ملك نور الدين دمشق امتنع ضحاك بها فلم يمكن نور الدين محاصرته لقربه من الفرنج فتلطف الحال معه الى الآن فملكها واستولى عليها

ذكر عدة حوادث

وفي هذه السنة قلع الخليفة المقتفي لامر الله باب الكعبة وعمل عوضه بابا مصفحا بالنقرة المذهبة وعمل لنفسه من الباب الاول تابوتا يدفن فيه اذا مات وفيها توفي محمد بن عبد اللطيف بن محمد بن ثابت ابو بكر الخجندي رئيس اصحاب الشافعي باصفهان وسمع الحديث بها من ابي علي الحداد وكان صدرا مقدما عند السلاطين وكان ذا حشمة عظيمة وجاه عريض ووقعت اوله فتنة عظيمة باصفهان وقتل فيها خلق كثير وفيها كان بخراسان غلاء شديد اكلت فيه سائر الدواب حتى الناس وكان بنيسابور طباخ فذبح انسانا علويا وطبخه وباعه في المطبخ ثم ظهر عليه وانه فعل ذلك فقتل واسفر الغلاء وصلحت احوال الناس وفيها توفي القاضي ابو العباس احمد بن بختيار بن علي الماندائي الواسطي قاضيها وكان فقيها عالما وفيها في ربيع الآخر توفي القاضي برهان الدين ابو القاسم منصور بن ابي سعد محمد بن ابي نصر احمد الصاعدي قاضي نيسابور وكان من اكابر

ذكر اسر المؤيد وخلاصه

قد ذكرنا ان المؤيد اي ابه تخلص من السلطان ركن الدين محمود بن محمد بجرجان فلما كان الآن سار من جرجان الى خراسان فنزل بقرية من قرى خبوشان اسمها زانك وبها حصن فسمع الغز بوصوله الى زانك فساروا اليه وحصروه فيه فخرج منه هاربا فرآه واحد من الغز فاخذه فوعده بمال جزيل ان اطلقه فقال الغزي واين المال فقال هو مودع في بعض هذه الجبال فسار هو والغزي فوصلا الى جدار قرية فيها بساتين وعيون فقال للفارس المال ههنا وصعد الجدار ونزل من ظهره ومضى هاربا فرأى الغز قد ملأوا الارض فدخل قرية فرآه طحان في الماء فاعلم زعيم القرية به وطلب منه مركبا فأمده بما اراده واعانه على الوصول الى نيسابور فوصل اليها واجتمعت العساكر وقوي امره وعاد الى حاله واحسن الى الطحان وبالغ في الاحسان اليه

ذكر اجتماع السلطان محمود مع الغز وعودهم الى نيسابور

لما عاد الغز ومعهم الملك محمد بن محمود الخان الى نسا وابيورد كما ذكرناه خرج والده السلطان محمود الخان وكان هناك فيمن معه من العساكر الخراسانية فاجتمع بهم واتفقت الكلمة على طاعته وارادوا عمارة البلاد وحفظها فلم يقدر على ذلك فلما اجتمعوا ساروا الى نيسابور وبها المؤيد اي ابه في شعبان فلما سمع بقربهم منه رحل عنها الى خواف في سادس عشره ووصلوا اليها في الحادي والعشرين منه ونزلوا فيه وخافهم الناس خوفا عظيما فلم يفعلوا بهم شيئا وساروا عنها في السادس والعشرين منه الى سرخس ومرو وكان بها الفقيه المؤيد بن الحسين الموفقي رئيس الشافعية وله بيت قديم وهو من احفاد الامام ابي سهل الصعلوكي وله مصاهرة الى بيت ابي المعالي الجويني وهو المقدم في البلد والمشار اليه وله من الاتباع ما لا يحصى فاتفق ان بعض اصحابه قتل انسانا من الشافعية اسمه ابو الفتوح الفستقاني خطأ وهذا ابو الفتوح له تعلق بنقيب العلويين بنيسابور وهو ذخر الدين ابو القاسم زيد بن الحسن الحسيني وكان هذا النقيب هو الحاكم هذه المدة بنيسابور فغضب من ذلك وارسل الى الفقيه المؤيد يطلب منه القاتل ليقتص منه وتهدده ان لم يفعل فامتنع المؤيد من تسليمه وقال لا مدخل للشحنة مع اصحابنا انما حكمك على الطائفة العلويين فجمع النقيب اصحابه ومن يتبعه وقصد الشافعية فاحتمت موالاه وقاتلوه فقتل منهم جماعة ثم ان النقيب احرق سوق العطارين واحرقوا سكة معاذ ايضا وسكة باغ طاهر ودار امام الحرمين ابي المعالي الجويني وكان الفقيه المؤيد الشافعي بالعسكر الذي بينهم وعظمت المصيبة على كافة الناس وجمع بعد ذلك المؤيد الفقيه جموعا من طوس واسفراين وجوين وغيرهم وقتلوا واحدا من اتباع النقيب زيد يعرف بابن الحاجي الاشناني فاهتم العلوية ومن معهم فقتلوا ثامن عشر شوال من سنة اربع وخمسين وقامت الحرب على ساق واحرقت المدارس والاسواق والمساجد وكثر القتل في الشافعية فالتجأ المؤيد الشافعي في حرمة

وحضر والجنازة الى الازهر فصلوا عليه وذهبوا به الى القرافة فدفن بمشهد ... اسلافهم رحمه الله تعالى ومات الاجل المكرم المهذب في نفسه النادرة في ابناء جنسه محمد افندي الودنلي الذي عرف بناظر المهمات ويعرف ايضا بطبل اي الاعرج لانه كان به عرج قدم الى مصر في ايام قدوم الوزير يوسف باشا وولاه محمد باشا خسرو كشوفية اسيوط ثم رجع الى مصر في ولاية محمد علي باشا فجعله ناظرا على مهمات الدولة وسكن بيت سليمان افندي ميسو بعطفة ابي كلبة بناحية الدرب الاحمر فتقيد بعمل الخيام والبروج والبيرقات ولوازم الحروب فضاقت عليه الدار فاشترى بيت ابن الدالي بالعدوية بالقرب من قنطرة عمر شاه وهي دار واسعة عظيمة متخرب بعضها وما حولها من الدور والرباع والحوانيت فعمرها وسكن بها ورتب بها ورشات ارباب الاشغال والصنائع والمهمات المتعلقة بالدولة كسبك المدافع والجلل والقنابر والمكاحل والعربات وغير ذلك من الخيام والسروج ومصاريف ملوانف العساكر الافرنجية والعربجية والرماة وعمر ما حول تلك الدار من الرباع والحوانيت والمسجد الذي بجواره وعمل مكتبا لاقراء الاطفال ورتب تدريسا في المسجد المذكور بعد العصر وقرر فيه السيد احمد الطحطاوي الحنفي ومعه عشرة

سابع شوال الى نصف الليل من ليلة الاربعاء الحادي عشر من الشهر فوقعوا عدة
وقعات متتابعة ولم يكن بينهما راحة ولا نزول الا لما لا بد منه انهزم الغز فيها ثلاث
دفعات وعادوا الى الحرب فلما اسفر الصبح يوم الاربعاء انكشفت الحرب عن
هزيمة عساكر خراسان وتفرقهم في البلاد وظفر الغز بهم وقتلوا فاكثروا فيهم واما
الجرحى والاسرى فاكثر من ذلك وعاد المؤيد ومن سلم معه الى طوس فاستولى الغز
على مرو واحسنوا السيرة واكرموا العلماء والائمة مثل تاج الدين ابي سعيد السمعاني
وشيخ الاسلام علي البلخي وغيرهما واغاروا على سرخس وخربت القرى وحل اهلها
وقتل من اهل سرخس نحو عشرة آلاف قتيل ونهبوا طوس ايضا وقتلوا اهلها
الا القليل وعادوا الى مرو واما السلطان محمود بن محمد الخان والعساكر التي معه
فلم يقدروا على المقام بخراسان من الغز فساروا الى جرجان ينتظرون ما يكون من
الغز فلما دخلت سنة اربع وخمسين وخمسمائة ارسل الغز الى السلطان يسألونه ان
يحضر عندهم ليملكوه امرهم فلم يثق بهم وخافهم على نفسه فارسلوا يطلبون منه ابنه
جلال الدين محمدا ليملكوه امرهم ويصدروا عن امره ونهيه في قليل الامور وكثيرها
وترددت الرسل واحتاط السلطان محمود لولده بالعهود والمواثيق وتقرير القواعد ثم سيره
من جرجان الى خراسان فلما سمع الامراء الغزية بقدومه ساروا من مرو الى طريقه
فالتقوه بنيسابور واكرموه وعظموه ودخل نيسابور واتصلت به العساكر الغزية
واجتمعوا عنده في الثالث والعشرين من ربيع الآخر سنة اربع وخمسين
وخمسمائة ثم ان السلطان محمودا سار من جرجان الى خراسان في الجيوش الى معظم
الامراء السنجرية وتخلف عنه المؤيد اي ابه فوصل الى حدود نسا وابيورد واقطع
نسا الامير عمر بن حمزة النسوي فقام في حفظها المقام المرضي ومنع عنها ايدي
المفسدين واقام السلطان محمود بظاهر نسا حتى انسلخ جمادى الآخرة من السنة
ولما كان الغز بنيسابور هذه السنة ارسلوا الى طوس يدعونهم الى الطاعة والموافقة
فامتنع اهل راذكان من اجابتهم الى ذلك واغتروا بحصانة بلدهم وبما عندهم من
الشجاعة والقوة والعدة الوافرة والذخائر الكثيرة فقصدها طائفة من الغز وحصروهم
وملكوا البلد وقتلوا فيه ونهبوا واكثروا ثم عادوا الى نيسابور وساروا مع جلال
الدين محمد ابن السلطان محمود الخان الى بيهق وحصروا سابزوار رابع عشر جمادى
الآخرة سنة اربع وخمسين وخمسمائة فامتنع اهلها عليهم وقام بامرهم النقيب
عماد الدين علي بن محمد بن يحيى العلوي الحسيني نقيب العلويين واجتمعوا معه
ورجعوا الى امره ونهيه ووقفوا عند اشارته فامتنعوا على الغز وحفظوا البلد منهم
وصبروا على القتال فلما رأى الغز امتناعهم عليهم وقوتهم ارسلوا اليهم يطلبون
الصلح فاصطلحوا ولم يقتل من اهل سابزوار في تلك الحروب غير رجل واحد ورحل الملك
جلال الدين والغز عن سابزوار في السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة اربع
وخمسين وخمسمائة وساروا الى نسا وابيورد

يفرش وسرج وعباءة كعادة مركوبهم فاحضروه والبسوه التاج والفرجية وخلع عليه الباشا فروة سمور وانعم عليه
بخمسة أكياس وأن يأخذه
فائظا في بعض الاقطاعات
ويعفى من الحلوان وسكن
بدار بجهة باب الخرق وراج
أمره واشتهر ذكره من حينئذ
وسار سيرا حسنا مقرونا
بالكمال جاريا على نسق
قدمائه [illegible] كما
لديه خلفاء الطرائق الصوفية
وأصحاب الاشاير البدعية
كالاحمدية والرفاعية والبرهامية
والقادرية فيعمل قوانينهم
الماضية وينتقل في أوائل شهر
ربيع الأول الى داره بالازبكية
بدرب عبد الحق فيعمل هناك
ولمية المولد النبوي على
العادة وكذلك مولد
المعراج في شهر رجب بزاوية
الدشطوطي خارج باب
العدوي ولم يزل على حالته
وطريقته مع الكمال النفس
الى أن ضعفت قواه وتعلل
ولازم الفراش فعند ذلك طلب
الشيخ الشنواني وباقي المشايخ
وعرفهم ان مرضه الذي هو به
مرض الموت لأنه بلغ التسعين
وزيادة وانه عهد بالخلافة على
سجادتهم لولده السيد محمد
لأنه بالغ رشيد والتمس منهم
بأن يركبوا معه من الغد
ويطلعوا الى القلعة ويقابلوا
به الباشا فأجابوه الى ذلك
وركبوا من الغد بصحبته الى
القلعة فخلع عليه الباشا فروة
سمور ونزل الى داره بالازبكية بدرب عبد الحق وتوفي المترجم في اواخر شهر شوال من السنة

ذكر

به وحصاره قصد بغداد فسار من بلاد خوزستان الى واسط ونزل بالجانب الشرقي وهم
على غاية الضر من الجوع فنهبوا القرى نهبا فاحشا فقبح بتلك الناحية فغرق منهم
كثير وتحامل ملكشاه ومن سلم معه وساروا الى خوزستان فمنعه شملة من العبور فراسله
ليمكنه من العبور الى أخيه الملك محمد شاه فلم يجبه الى ذلك وكاتب حينئذ الاكراد
الذين هناك واستدعاهم اليه فقرح رايه ونزل اليه من تلك الجبال خلق كثير
فاطاعوه فرحل ونزل على كرخانا وطلب من شملة الحرب فقال له شملة القول وقال
انا اخطب لك واكون معك فلم يقبل منه فاضطر شملة الى الحرب فجمع عسكره وقصده
فلقيه ملكشاه ومعه سنقر الهمذاني وقويدان وغيرهما من الامراء فاقتتلوا فانهزم
شملة وقتل كثير من اصحابه وصعد الى قلعته دزدرزين وملك ملكشاه البلاد وجبى
الاموال الكثيرة واظهر العدل وتوجه الى ارض فارس

(ذكر الحرب بين التركمان والاسماعيلية بخراسان)

كان بنواحي قهستان طائفة من التركمان فنزل اليهم جمع من الاسماعيلية من قلاعهم
وهم ألف وسبعمائة فاوقعوا بالتركمان فلم يجدوا الرجال وكانوا قد فارقوا بيوتهم فنهبوا
الاموال واخذوا النساء والاطفال واحرقوا ما لم يقدروا على حمله وعاد التركمان فرأوا ما
فعل بهم فتبعوا أثر الاسماعيلية فادركوهم وهم يقتسمون الغنيمة فكبروا وحملوا
عليهم ووضعوا فيهم السيف فقتلوهم كيف شاؤا حتى أفنوهم قتلا واسرا ولم ينج الا
تسعة رجال لا غير

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة كثر فساد التركمان أصحاب يرجم الايوائي بالجبل فسير اليهم من بغداد
عسكر مقدمهم منكبرس المسترشدي فلما قاربهم اجتمع التركمان فالتقوا واقتتلوا هم
ومنكبرس فانهزم التركمان اقبح هزيمة وقتل بعضهم واسر بعض وحملت الرؤس
والاسارى الى بغداد وفيها حج الناس فلما وصلوا الى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم
وصل اليهم الخبر ان العرب قد اجتمعت لتاخذهم فتركوا الطريق وسلكوا طريق
خيبر فوجدوا مشقة شديدة ونجوا من العرب وفيها توفي الشيخ نصر بن منصور بن
الحسين العطار أبو القاسم الحراني ومولده بحران سنة أربع وثمانين وأربعمائة
واقام ببغداد وكثر ماله وصدقاته ايضا وكان يقرأ القرآن وهو والد ظهير الدين الذي
حكم في دولة المستضيء بامر الله على ما نذكره ان شاء الله وفيها توفي أبو الوقت عبد الاول
ابن عيسى بن شعيب السجزي ببغداد وهو سجزي الاصل هروي المنشا وكان قدم الى
بغداد سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة يريد الحج فسمع الناس بها عليه صحيح البخاري
وكان عالي الاسناد فتأخر لذلك عن الحج فلما كان هذه السنة عزم على الحج فمات
وفيها توفي يحيى بن سلامة بن الحسين بن محمد أبو الفضل الحصكفي الاديب بميافارقين
وله شعر حسن ورسائل جيدة مشهورة وكان يتشيع ومولده سنة ستين فمن شعره

وخليع بت اعذله ... ويرى عذلي من العبث

الفلاحين وغيرهم ممن معهم أشياء أو أحمال ولو حطبا أو برسيما أو تبنا أو سرجينا دراهم على كل شيء ولو امرأة فقيرة
معها أو على رأسها مقطف من
وجميع البهائم تبيعه في الشارع
وتقتات بثمنه فيحجزونها ولا
يدعونها تمر حتى تدفع لهم نصف
فضة ثم يأخذون أيضا من
ذلك الشيء و يأخذون على كل
حمل حمار أو بغل أو جمل نصف
فضة واذا اشترى شخص من
ساحل بولاق أو مصر القديمة
اردب غلة أو حملة حطب
لعياله أخذ منه المتقيدون عند
قنطرة الليمون فاذا خلص منهم
استقبله المكاثرون بالباب
الحديد وهكذا سائر الطرق
التي يدخل منها المارة الى المدينة
ويخرجون مثل باب النصر
وباب الفتوح وباب الشعرية
وباب العدوي وطرق
الازبكية وباب القرافة
والبرقية وطرق مصر القديمة
فسعى المترجم بابطال ذلك وتكلم
مع الباشا وعرفه تضرر الناس
وخصوصا الفقراء وهؤلاء
المتقيدون لهم علائف
يقبضونها من الباشا كغيرهم
وهذا قدر زائد فرخص له في
ابطال هذا الامر وكتب له
بيورلدي بمنع هؤلاء المركزين
من أخذ شيء من الناس جملة
كافية وقيد بكل مركز شخصا
من اتباعه لمراقبتهم وأشاع
ذلك في الناس فانطلقوا
وامتنعوا عن اخذ شيء من
عامة الناس وكانوا يجمعون
من ذلك مقادير من الفضة العددية يتقاسمونها آخر النهار وذلك خلاف ما يأخذونه من الاشياء المحمولة كالجبن

الى قلعة ترخك وقصر باع الشافعية عن القتال ثم انتقل المؤيد الى قرية من قرى طوس وبطل درس الشافعية بنيسابور وخرب البلد وكثر القتل فيه

(ذكر حصر صاحب ختلان ترمذ وعوده عنها)

في هذه السنة في رجب سار الملك أبو شجاع فرخشاه وهو يزعم انه من اولاد بهرام جور وقد تقدم ذكره ايام كسرى ابرويز الى ترمذ وحصرها وكان سبب ذلك انه كان في طاعة السلطان منحرفا عما رسم عليه الغز طلبه ليحضر معهم حربهم فجمع عسكره واظهر انه واصل فجمع عدة من العساكر اليه واقام ينتظر ما يكون منهم فان ظفروا حضر وقال انه سبقني بالحرب وان كان الظفر للغز قال لهم انا من جملتكم واراد ان يملكوا فلما انهزم سنجر وكان ما ذكرناه بقي الى الآن فسار الى ترمذ ليحصرها فخرج صاحبها فيروزشاه احمد بن ابي بكر بن قماج عسكره ولقيه فلم يشعر فالتقوا فانهزم فيروزشاه ومضى منهزما لا يلوي على شئ فاصابه في الطريق قولنج فمات منه

(ذكر عود المؤيد الى نيسابور وتخريب ما بقي منها)

في هذه السنة عاد المؤيد اي ابه الى نيسابور في عساكره ومعه الامام المؤيد الموفقي الشافعي الذي تقدم ذكر الفتنة بينه وبين ذخر الدين نقيب العلويين وغيره وجمع من نيسابور فلما خرج منها صار مع المؤيد وحضر معه حصار نيسابور وحصن النقيب العلوي بشارستان واشتد الخطب وطال الحرب وسفكت الدماء وهتكت الاستار وخرب ما بقي من نيسابور من الدور وغيرها وبالغ الشافعية ومن معهم في الانتقام فخربوا المدرسة الصندلية لاصحاب ابي حنيفة وخربوا غيرها وحصروا فهذه وهذه الفتنة استأصلت نيسابور ثم رحل المؤيد اي ابه عنها الى بيهق في شوال من سنة اربع وخمسين وخمسمائة كان ينبغي ان نذكر هذه الحوادث المتقدمة الواقعة في سنة اربع وخمسين مذكورة في سنتها وانما قدمناها هاهنا ليتلو بعضها بعضا فيكون احسن لسياقتها

(ذكر ملك ملكشاه خوزستان)

في هذه السنة ملك ملكشاه ابن السلطان محمود بلد خوزستان واخذه من شملة التركماني وسبب ذلك ان الملك محمد ابن السلطان محمود لما عاد من حصار بغداد كما ذكرناه مرض وبقي مريضا بهمذان ومضى أخوه ملكشاه الى قم وقاشان ونهبهما والاهما فنهبهما جميعا وصادر اهلها وجمع أموالا كثيرة فراسله أخوه محمد شاه يأمره بالكف عن ذلك ليجعله ولي عهده في الملك فلم يفعل ومضى الى اصفهان فلما قارب بها ارسل رسولا الى ابن الخجندي واعيان البلد في تسليم البلد اليه فامتنعوا من ذلك وقالوا الاخ في رقابنا يمين ولا نغدر به فحينئذ شرع ملكشاه في الفساد والمصادرة لاهل القرى فلما سمع محمد شاه الخبر سار من همذان وعلى مقدمته كرد بازوه الخادم فتفرقت جموع ملكشاه عنه قريبين فلحق به بهمذان وكان قد فارق الفتنى لامر الله واتفق مع سنقر الهمذاني فلحقا كلاهما

من الطلبة ونرتب لهم الف عثماني تصرف لهم من الروزنامه وللاطفال وكسوتهم خلاف ذلك ويشترى في عيد الاضحى جواميس وكباشا يذبح منها ويفرق على الفقراء والموظفين ويرسل الى أصحابه عدة كباش في عيد الأضحية الى بيوتهم الكبش والكبشين على قدر مقاديرهم ويرسل في كل ليلة من ليالي رمضان عدة قصاع مملوءة بالثريد واللحم الى الفقراء بالجامع الازهر واتفق ان الباشا قصد تعمير المجراة والسواقي التي تنقل الماء من النيل الى القلعة وكانت قد تهدمت وتخربت وتلاشت وبطل عملها مدة سنين فاحضروا المعمارجية فحولوا عليه أمرها واخبروه انها تحتاج خمسمائة كيس تنفق في عمارتها فعرض ذلك على المترجم فقال له انا اعمرها بمائة كيس قال كيف تقول قال بل بثمانين كيسا والتزم بذلك ثم شرع في عمارتها حتى اتمها على ما هي عليه الآن واهتدى اليه رجال دولتهم عدة انوار معرفته فعمر أيضا سواقيها وأدارها وجرى فيها الماء الى القلعة ونواحيها وانتفع بها أهل تلك الجهات ورخص الماء وكثر في تلك الاخطاط وكانوا قاسوا شدة من عدم الماء مدة سنين وعاصر من مناقبه ان القلقات المقيدين بالمراكز وأبواب المدينة كانوا يأخذون من الواردين والداخلين والخارجين والمسافرين من

ثلاثة ايام وعرض الاسلام على من بها من اليهود والنصارى فمن أسلم سلم ومن امتنع قتل واقام اهل تونس بها باجرة توخذ من نصف مساكنهم وسار عبد المؤمن منها الى المهدية والاسطول يحاذيه فى البحر فوصل اليها ثامن عشر رجب وكان حينئذ بالمهدية اولاد ملوك الفرنج وابطال الفرسان وقد اخلوا زويلة وبينها وبين المهدية غلوة سهم فدخل عبد المؤمن زويلة وامتلأت بالعساكر والسوقة فصارت مدينة معمورة فى ساعة ومن لم يكن له موضع من العسكر نزل بظاهرها وانضاف اليه من صنهاجة والعرب واهل البلاد ما يخرج عن الاحصاء واقبلوا يقاتلون المهدية مدة ايام فلا يؤثر فيها لحصانتها وقوة سورها وضيق موضع القتال عليها لان البحر دائر باكثرها فكانها كف فى البحر وزندها متصل بالبر وكانت الفرنج تخرج شجعانهم الى اطراف العسكر فتنال منه و يعودون سريعا فامر عبد المؤمن أن يبنى سور من غرب المدينة يمنعهم من الخروج واحاط الاسطول بها فى البحر وركب عبد المؤمن فى شينى ومعه الحسن بن على الذى كان صاحبها وطاف بها فى البحر فهاله ما رأى من حصانتها وعلم انها لا تفتح بقتال برا ولا بحرا وليس لها الا المطاولة وقال للحسن كيف نزلت عن مثل هذا الحصن فقال لقلة من يوثق به وعدم القوت وحكم القدر فقال صدقت وعاد من البحر وامر بجمع الغلات والاقوات وترك القتال فلم يمض الا قليل حتى صار فى العسكر كالجبلين من الحنطة والشعير فكان من يصل الى العسكر من بعيد يقولون متى حدثت هذه الجبال فيقال لهم هى حنطة وشعير فيتعجبون من ذلك وتمادى الحصار وفى مدته اطاع سفاقس عبد المؤمن ومدينة طرابلس وجبال نفوسة وقصور افريقية وما والاها وفتح مدينة قابس بالسيف وسير ابنه ابا محمد عبد الله فى جيش ففتح بلادا ثم ان اهل مدينة قفصة لما راوا تمكن عبد المؤمن اجمعوا على المبادرة الى طاعته وتسليم المدينة اليه فتوجه صاحبها يحيى بن تميم بن المعز ومعه جماعة من اعيانها وقصدوا عبد المؤمن فلما اعلمه حاجبه بهم قال له عبد المؤمن قد اشتبه عليك ليس هؤلاء اهل قفصة فقال له لم يشتبه على قال له عبد المؤمن كيف يكون ذلك والمهدى يقول ان اصحابنا يقطعون اشجارها ويهدمون اسوارها ومع هذا فنقبل منهم ونكف عنهم ليقضى الله امرا كان مفعولا فارسل اليهم طائفة من اصحابه ومدحه شاعر منهم بقصيدة اولها

ماهز عطفيه بين البيض والاسل ٭ مثل الخليفة عبد المؤمن بن على

فوصله بالف دينار ولما كان فى الثانى والعشرين من شعبان من السنة جاء اسطول صاحب صقلية فى مائة وخمسين شينيا غير الطرائد وكان قد وفد من جزيرة يابسة من بلاد الاندلس وقد سبى اهلها واسرهم وحملهم معه فارسل اليهم ملك الفرنج يامرهم بالمجىء الى المهدية فقدموا فى التاريخ فلما قاربوا المهدية حطوا شرعهم ليدخلوا الميناء فخرج اليهم اسطول عبد المؤمن وركب العسكر جميعه ووقفوا على جانب البحر فاستعظم الفرنج ما رأوه من كثرة العساكر ودخل الرعب قلوبهم وبقى عبد المؤمن يمرغ وجهه على الارض ويبكى ويدعو للمسلمين بالنصر واقتتلوا فى البحر فانهزمت شوانى الفرنج واعادوا

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها ٭ كفى المرء نبلا ان تعد معايبه

وبالجملة فمن رأس العين يأتى السكر كما قاله الليث بن سعد لما سأله الرشيد وقال له يا ابا الحرث ما صلاح بلدكم فقال له اما صلاح ارزاقها ومزارعها وجدها او خصبها فبالنيل واما صلاح احكامها فمن رأس العين يأتى السكدر فقال له صدقت ذكر ذلك الحافظ بن حجر فى المرحمة الغيثية فى الترجمة الليثية وعلى كل فكان المترجم احسن من رأيناه فى هذه الدولة وكان قد يلبس الخبز ومقنه مواظبا على الصلوات الخمس فى اوقاتها ملازما على الاشتغال ومطالعة الكتب والممارسة فى دقائق الفنون واقتنى كتبا كثيرة فى سائر الفنون واستنباط الصنائع حتى انه صنع الجوخ الملون الذى يعمل ببلاد الافرنج ويجلب الى الآفاق ويلبسه الناس للتجمل وكان قبل وجوده بمصر وغلاء ثمنه عمل عدة انوال ومناسج غريبة الوضع واحضر اشخاصا من النساجين فنسجوا الصوف بعد غزله مدات حددها لهم فى الطول والعرض ثم بسطه رجال اعدهم لقصره وتلبيده بالقلى والصابون منشورا ومطويا بكيفيات فى اوقات وايام باشرته لهم فى العمل واشارته ثم يضعونه مطويا فى احواض من خشب تدير فرفت تملى بالماء من ساقية صنعها لخصوص ذلك يصب منها

والرقص والخيال ولعب القناع وانواع الملاعيب والقرادة والبرميم والاحطاب والحضارات وغير ذلك ومن مناقبه أيضا

قلت ان الخمر مخبثة • قال حاشاها من الخبث
قلت فالارفاث تتبعها • قال طيب العيش فى الرفث
قلت منها القئ قال اجل • شرفت عن مخرج الحدث
وسأسلوها فقلت متى • قال عند الكون فى الجدث

(ثم دخلت سنة اربع وخمسين وخمسمائة)

ذكر ملك عبد المؤمن مدينة المهدية من الفرنج وملكه جميع افريقية قد ذكرنا سنة ثلاث واربعين وخمسمائة ملك الفرنج مدينة المهدية من صاحبها الحسن بن على بن يحيى بن تميم بن المعز ابن باديس الصنهاجى وذكرنا ايضا سنة احدى وخمسين ما فعله الفرنج بالمسلمين فى زويلة المجاورة للمهدية من القتل والنهب فلما قتلهم الفرنج ونهبوا اموالهم هرب منهم جماعة وقصدوا عبد المؤمن صاحب المغرب وهو بمراكش يستجيرونه فلما وصلوا اليه ودخلوا عليه اكرمهم واخبروه بما جرى على المسلمين وانه ليس فى ملوك الاسلام من يقصد سواه ولا يكشف هذا الكرب غيره فدمعت عيناه واطرق ثم رفع رأسه وقال ابشروا لانصرنكم ولو بعد حين وامر بانزالهم وامر لهم بالفى دينار ثم امر بعمل الروايا والقرب وما يحتاج اليه العسكر فى السفر وكتب الى جميع نوابه فى الغرب وكان قد ملك الى قريب تونس يأمرهم بحفظ جميع ما يتحصل من الغلات وان يترك فى سنبله ويخزن فى مواضعه وان يحفروا الآبار فى الطرق ففعلوا جميع ما امرهم به وجمعوا الغلات ثلاث سنين ونقلوها الى المنازل وطينوا عليها فصارت كأنها تلال فلما كان فى صفر من هذه السنة سار عن مراكش وكان اكثر اسفاره فى صفر فسار يطلب افريقية واجتمع من العساكر مائة الف مقاتل ومن الاتباع والسوقة امثالهم وبلغ من حفظه لعساكره انهم كانوا يمشون بين الزروع فلا تتأذى بهم سنبلة واذا نزلوا صلوا جميعهم مع امام واحد بتكبيرة واحدة لا يتخلف منهم احد كائنا من كان وقدم بين يديه الحسن بن على بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجى وكان صاحب المهدية وافريقية وقد ذكرنا سبب مصيره عند عبد المؤمن فلم يزل يسير الى ان وصل الى مدينة تونس فى الرابع والعشرين من جمادى الآخرة من السنة وبها صاحبها احمد بن خراسان واقبل اسطوله فى البحر فى سبعين شينيا وطريدة وشلندى فلما نازلها ارسل الى اهلها يدعوهم الى طاعته فامتنعوا فقاتلهم من الغد اشد قتال فلم يبق الا اخذها ودخول الاسطول اليها فجاءت ريح عاصف منعت الموحدين من دخول البلد فرجعوا ليباكروا القتال ويملكوه فلما جن الليل نزل سبعة عشر رجلا من اعيان اهلها الى عبد المؤمن يسألونه الامان لاهل بلدهم فاجابهم الى الامان لهم فى انفسهم واهليهم واموالهم لمبادرتهم الى الطاعة واما من عداهم من اهل البلد فيؤمنهم فى انفسهم واهاليهم ويقاسمهم على اموالهم واملاكهم نصفين وان يخرج صاحب البلد واهله فاستقر ذلك وتسلم البلد وارسل اليهم من يمنع العسكر من الدخول وارسل امناءه ليقاسموا الناس على اموالهم واقام عليها

ان الجاويشية والقواسة الاتراك المختصين بخدمة الباشا والكتخدا كان من عوائدهم القبيحة انهم فى كل يوم جمعة يلبسون احسن ملابسهم وينتشرون بالمدينة ويطوفون على بيوت الاعيان وأرباب المظاهر واصحاب المناصب ويأخذون منهم البقاشيش ويسمونها الجمعية فما هو الا ان يطلع احدهم ذكر ويجلس بمجلسه الاواثنان او ثلاثة يمرون عليه من غير استئذان فيقفون قبالته وبأيديهم العصى المفضضة فيعطيهم القرشين او الثلاثة بحسب منصبه ومقامه فاذا ذهبوا وانصرفوا احضر اليه خلافهم وهكذا ولا يرون فى ذلك ثقلا ولا رذالة بل يرون ان ذلك من اللازمات الواجبة فلا يكفى احد المقصودين الخمسون قرشا او اقل او اكثر فى ذلك اليوم تذهب بهم الافكار منهم من ينقطع فى جمعة ذلك اليوم او يتوارى ويتغيب عن منزله فاذا صادفوه مرة أخرى ذاكروه بما فاتهم فى السابق فلما تأخروا واشتدوا عليه بتركها اول اليوم بهان لم يكن عن يخشوه فتعدى ايضا الترجيم مع الباشا فى منعهم من ذلك • ومن مآثره انه اول من فتح باب الزيادة فى مقصل الضرب فانه هى تبعه الباشا من ذلك الوقت لاهل الضرب خانة واوقع بهم ما تقدم ذكره ثلاثة

السير فقاتلت العرب الذين أجفلوا منه من البرية الى البلاد لما استوطنوها وسكنوا البلاد التي الفوها واستقروا في البلاد فلما علم عبد المؤمن برجوعهم جهز اليهم ولديه ابا محمد وابا عبد الله في ثلاثين الف مقاتل من اعيان الموحدين وشجعانهم فجدوا السير وقطعوا المفاوز فما شعر العرب الا والجيش قد اقبل بغتة من ورائهم من جهة الصحراء ليمنعوهم الدخول اليها ان راموا ذلك وكانوا قد نزلوا جنوبا من القيروان عند جبل يقال له جبل القرن وهم زهاء ثمانين الف بيت والمشاهير من مقدميهم ابو محفوظ محرز بن زياد ومسعود بن زمام البلاط وجبارة بن كامل وغيرهم فلما اطلت عساكر عبد المؤمن عليهم اضطربوا واختلفت كلمتهم ففر مسعود وجبارة بن كامل ومن معهما من عشائرهما وثبت محرز بن زياد وامرهم بالثبات والقتال فلم يلتفتوا اليه فثبت هو ومن معه من جمهور العرب فناجزهم الموحدون القتال في العشر الاوسط من ربيع الآخر من السنة وثبت الجمعان واشتد العراك فاتفق ان محرز بن زياد قتل ورفع رأسه على رمح فانهزمت جموع العرب عند ذلك واسلموا البيوت والحريم والاولاد والاموال وحمل جميع ذلك الى عبد المؤمن وهو بجبل المزل فامر بحفظ النساء العربيات الصرائح وحملهن معه تحت الحفظ والبر والصيانة الى بلاد الغرب وفعل معهن مثل ما فعل في حريم الاثبج ثم اقبلت اليه وفود رياح مهاجرين في طلب حريمهم كما فعل الاثبج فاجمل الصنيع لهم ورد الحريم اليهم فلم يبق منهم احد الا صار عنده وتحت حكمه وهو يخفض لهم الجناح ويبذل فيهم الاحسان ثم انه جهزهم الى ثغور الاندلس على الشرط الاول وجمعت عظام القتلى في هذه المعركة عند جبل القرن فبقيت دهرا طويلا كالتل العظيم تلوح للناظرين من مكان بعيد وبقيت افريقية مع نواب عبد المؤمن آمنة لم يبق فيها من امراء العرب خارج عن طاعته الا مسعود البلاط بن زمام وطائفة في اطراف البلاد

(ذكر غرق بغداد)

في هذه السنة ثامن ربيع الآخر كثرت الزيادة في دجلة وخرق القورج فوق بغداد واقبل الماء الى البلد فامتلأت الصحارى وخندق البلد وافسد الماء السور ففتح فيه فتحة يوم السبت تاسع عشر الشهر فوقع بعض السور عليها فسدها ثم فتح الماء فتحة اخرى واهملوها ظنا انها تنفس عن السور لئلا يقع فغلب الماء وتعذر سده فغرق قراح ظفر والاجمة والمختارة والمقتدية ودرب القبار وخرابة ابن جردة والريان وقراح القاضي وبعض القطيعة وبعض باب الازج وبعض المأمونية وقراح ابي الشحم وبعض قراح ابن رزين وبعض الظفرية ودب الماء تحت الارض الى اماكن فوقعت واخذ الناس يعبرون الى الجانب الغربي فبلغت المعبرة عدة دنانير ولم يكن يقدر عليها ثم نقص الماء وتهدم السور وبقي الماء الذي داخل السور على حاله يتردد في المحال التي لم يركبها الماء فكثر الخراب وبقيت المحال لا تعرف وانما هي تلول فاخذ الناس حدود

وعمل معمل الاشغال التي تحتاج نظره ويعرف الباشا بتوفره من ذلك حتى زعم من نظارة جميع المهمات وقلدها صالح كتخدا الرزازة وعما تقدم عليه ان الكتخدا احضر لزيارة المشهد الحسيني في عصرية يوم من رمضان ثم ركب متوجها الى داره قبيل الغروب فصادف في طريقه عدة قصاع كبار مغطاة تحملها الرجال فسألهم عنها فعرفوه ان الترجمان يرسلها في كل ليلة من ليالي رمضان الى فقراء الجامع الازهر وبها الثريد واللحم فاستخبر من ذلك وعرف الباشا انه يؤلف الناس ويتودد اليهم بامر الملك ونحو ذلك واستمر الترجمان الاخير السنتين ولم يتضعضع ولم يظهر عليه تغير ونظامه وطبخه على حاله وطعامه مبذول ورواتبه جارية في تلك المدة اشتغل بمطالعة الكتب والممارسة والمدارسة وعانى الحسابيات وصناعة التقويم حتى مهر في ذلك وعمل الدستور السنوي وما يشتمل عليه من تقويم الكواكب السيارة وتداخل التواريخ والاهلة والاجتماعات والاستقبالات وطوالع التحاويل بالنصبات وصنع بيده ايضا الصنائع الفائقة مثل الظروف التي تأتي من بلاد الهند والافرنج والروم ويضع فيها الكتبة محابرهم واقلامهم فيصنعها اولا من الخشب الرقيق والقرطاس المقوى الملاصق ويصبغها وينقشها بانواع الاصباغ ويعمل النقوشات بالسندروس الطول ويضعها في صندوق

القلوع وتبعهم المسلمون فأخذوا منهم سبع شوانى ولو كان معهم شوانى لأخذوا اكثرها
وكان امراً عجيباً وقضاء قريباً وعاد اسطول المسلمين مظفراً منصوراً وفرق فيهم عبد المؤمن
الاموال ويئس اهل المهدية حينئذ من النجدة وصبروا على الحصار ستة اشهر الى آخر
شهر ذى الحجة من السنة فنزل حينئذ من فرسان الفرنج الى عبد المؤمن عشرة وسألوه
الامان لمن فيها من الفرنج على انفسهم واموالهم ليخرجوا منها ويعودوا الى بلادهم وكان
قوتهم قد فنى حتى اكلوا الخيل فعرض عليهم الاسلام ودعاهم اليه فلم يجيبوا ولم يزالوا
يترددون اليه اياماً بالكلام اللين فاجابهم الى ذلك وامنهم واعطاهم سفناً فركبوا فيها
وساروا وكان الزمان شتاء فغرق اكثرهم ولم يصل منهم الى صقلية الا النفر اليسير وكان
صاحب صقلية قد قال ان قتل عبد المؤمن اصحابنا بالمهدية قتلنا المسلمين الذين هم
بجزيرة صقلية واخذنا حرمهم واموالهم فاهلك الله الفرنج غرقاً وكان مدة ملكهم
المهدية اثنتى عشرة سنة ودخل عبد المؤمن المهدية بكرة عاشوراء من المحرم سنة خمس
وخمسين وخمسمائة وسماها عبد المؤمن سنة الاخماس واقام بالمهدية عشرين يوماً
فرتب احوالها واصلح ما انثلم من سورها ونقل اليها الذخائر من الاقوات والرجال
والعدد واستعمل عليها بعض اصحابه وجعل معه الحسن بن على الذى كان صاحبها وأمره
ان يقتدى برأيه فى افعاله واقطع الحسن بها اقطاعاً واعطاه دوراً نفيسة يسكنها وكذلك
فعل باولاده ورحل من المهدية أول صفر من السنة الى بلاد الغرب

ذكر ايقاع عبد المؤمن بالعرب

لما فرغ عبد المؤمن من امر المهدية واراد العود الى الغرب جمع امراء العرب من بنى رياح
الذين كانوا بافريقية وقال لهم قد وجبت علينا نصرة الاسلام فان المشركين قد استفحل
امرهم بالاندلس واستولوا على كثير من البلاد التى كانت بايدى المسلمين وما يقاتلهم
احد مثلكم فبكم فتحت البلاد اول الاسلام وبكم يدفع عنها العدو الآن ونريد منكم
عشرة آلاف فارس من اهل النجدة والشجاعة يجاهدون فى سبيل الله فاجابوا بالسمع
والطاعة فحلفهم على ذلك بالله تعالى وبالمصحف فحلفوا ومشوا معه الى مضيق جبل
زغوان وكان منهم انسان يقال له يوسف بن مالك وهو من امرائهم ورؤس القبائل فيهم
فجاء الى عبد المؤمن بالليل وقال له سراً ان العرب قد كرهوا المسير الى الاندلس وقالوا
ما غرضه الا اخراجنا من بلادنا وانهم لا يفون بما حلفوا عليه فقال يأخذ الله عز وجل
الغادر فلما كان الليلة الثانية هربوا الى عشائرهم ودخلوا البر ولم يبق منهم الا يوسف
ابن مالك فسماه عبد المؤمن يوسف الصادق ولم يحدث عبد المؤمن فى امرهم شيئاً وسار
مغرباً يحث السير حتى قرب من القسطنطينية فنزل فى موضع مخصب يقال له وادى
النساء والفصل ربيع والكلأ مستحسن فاقام به وضبط الطرق فلا يسير من العسكر
احد البتة ودام كذلك عشرين يوماً فبقى الناس فى جميع البلاد لا يعرفون لهذا العسكر
خبراً مع كثرته وعظمه ويقولون ما ازعجه الا خبر وصله من الاندلس فحث لاجله فى

الماء الى ثلاث الاحواض تديرها الاثوار وفى ثلاث الاحواض [illegible] شبيهة بعد ثلاث الاول تحرك فى صعودها
وحيوطها من ترس خاص يدور
بدوران الساقية وما يفيض
من ماء الاحواض يجرى الى
بستان زرعه حول ذلك فيسقى
ما به من الاشجار والمزارع فلا
يذهب الماء هدراً ثم يخرجونه
بعد ذلك ويبردونه ويصبغونه
بانواع الاصباغ ويضعونه فى
فى مكبس كبير يقال له [illegible]
صنعه له وعند ذلك يتم عمله
فكان الباشا يتعهد للتفرج
على ذلك اغراباً بصنعهم ثم
حضر اليه شخص فرنساوى
واشار عليه باشارات فى تغيير
الادوات وانفذ العمل واشتغل
هو بكثرة المهمات فتكاسل
عن اعادتها ثانياً وبطل ذلك
وكان مع كثرة اشغاله
ومهماته ليس له كاتب بل
يكتب ويحسب لنفسه وبين
يديه عدة دفاتر لكل شئ
دفتر مخصوص ولا يشغله شئ
عن شئ ولما اتسعت دائرته
وكثرت حاشيته واجتمعت فيه
عدة مناصب مضافة لتكثر
المهمات مثل معمل البارود
وقاعة الفضة ومدابغ
الجلود وغير ذلك فكان
كتخدا بك عمدة عليه فى
الباطن لامور بينهما حتى
قيل ان نعمته نشأت فى
السلالة الاولية فكان يتصدر
فى الامور والقضايا ويرافع
ويدافع ويتنزل مع الباشا
ويصالحه ويرده ويدخل عليه من قدم ان كان ان نزل الباشا قصداً يأتى به الصابونى

بكى وقال هذه العساكر والاموال والمماليك والسراري ما أرى يدفعون عني مقدار ذرة ولا يزيدون في اجلي لحظة وامر بالجميع ففرق بعد ان فرق منه شيئا كثيرا وكان عظيما كريما عاقلا كثير التأني في اموره وكان له ولد صغير فسلمه الى آقسنقر الاحمديلي وقال له انا اعلم ان الناس لا تطيع مثل هذا الطفل وهو وديعة عندك فارحل به الى بلادك فرحل الى مراغة فلما مات اختلفت الامراء فطائفة طلبوا ملكشاه اخاه وطائفة طلبوا سليمان شاه وهم الاكثر وطائفة طلبوا ارسلان الذي مع ايلدكز فاما ملكشاه فانه سار من خوزستان ومعه دكلا صاحب فارس وشملة التركماني وغيرهما فوصل الى اصفهان فسلمها اليه ابن الخجندي وجمع له مالا انفقه عليه وارسل الى العساكر بهمذان يدعوهم الى طاعته فلم يجيبوه لعدم الاتفاق بينهم ولان اكثرهم كان يريد سليمان شاه

(ذكر اخذ حران من نور الدين وعودها اليه)

في هذه السنة مرض نور الدين محمود بن زنكي صاحب حلب مرضا شديدا ارجف بموته وكان بقلعة حلب ومعه اخوه الاصغر امير اميران فجمع الناس وحصر القلعة وكان شيركوه بحمص فبلغه خبر موته فسار الى دمشق ليتغلب عليها وبها اخوه نجم الدين ايوب فانكر عليه ايوب ذلك وقال اهلكتنا المصلحة ان تعود الى حلب فان كان نور الدين حيا خدمته في هذا الوقت وان كان قد مات فانا في دمشق نفعل ما تريد من ملكها فعاد الى حلب مجدا وصعد القلعة واجلس نور الدين في شباك يراه الناس وكلمهم فلما رأوه حيا تفرقوا عن اخيه امير اميران فسار الى حران فملكها فلما عوفي نور الدين قصد حران ليخلصها فهرب اخوه منه وترك اولاده بحران في القلعة فملكها نور الدين وسلمها الى زين الدين علي نائب اخيه قطب الدين صاحب الموصل ثم سار نور الدين بعد اخذ حران الى الرقة وبها اولاد اميرك الجاندار وهو من اعيان الامراء وقد توفي وبقي اولاده فنازلها فشفع جماعة من الامراء فيهم فغضب من ذلك وقال هلا شفعتم في اولاد اخي لما اخذت منهم حران وكانت الشفاعة فيهم من احب الاشياء الي فلم يشفعهم واخذها منهم

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة مرض الخليفة المقتفي لامر الله واشتد مرضه وعوفي فضربت البشائر ببغداد وفرقت الصدقات من الخليفة ومن ارباب الدولة وغلق البلد اسبوعا وفيها عاد ترشك الى بغداد ولم يشعر به احد الا وقد القى نفسه تحت التاج ومعه سيف وكفن وكان قد عصى على الخليفة والتحق باعدائه فالآن رضي عنه واذن له في دخول دار الخلافة فواصلني مالا وفيها في جمادى الاولى ارسل محمد بن انز صاحب قهستان عسكرا الى بلد الاسماعيلية من الجبال فقتلوا كثيرا من العسكر واسروا الامير الذي كان مقدما عليهم اصفهبذية وهو صهر ابن انز فبقي عندهم اسيرا عدة شهور حتى زوج ابنته من رئيس الاسماعيلية علي بن الحسن وخلص من الاسر وفيها توفي شرف الدين علي بن

فاتفق ان صهره المذكور حلف يمينا بالطلاق الثلاث وحنث فيه ففرق بينه وبين ابنته وطرده فشكاه الى كتخدا بك فكلمه في شانه فلم يقبل وقال لا يجوز ان احلل المحرم لاجلك واستمر صهره يتردد على الكتخدا ويلقي ما يلقيه في حقه من النميمة ويذكر له عنه في حقه ما يزيده غيظا وكراهة ويقول له انه يجمع الناس في كل ليلة جمعة يقرؤن ويدعون عليك وعلى مخدومك وذكر له انه يقول لم يكن قصده السفر الى بلده وانما قصده السفر الى اسلامبول ليجتمع على مخدومه الاول لكونه تولى قبودان باشا وباسة الدوننمة ويقول عندما اكون بدار السلطنة افعل وافعل واخبرهم بحقيقة هؤلاء وافاعيلهم واقص عليهم امرهم وذكر له ايضا انه استخرج من احكام النجوم التي يعانيها ان الباشا يحصل له نكبة بعد مدة قريبة ويحصل ما يحصل من الفتن فيريد الخروج من مصر قبل وقوع ذلك وفهم ذلك فلما رجع الباشا من سفرته توسل المترجم بالكتخدا في ان ياخذ له اذنا من الباشا بالسفر وهو لا يعلم سريرته ففاوض الباشا في ذلك والقى اليه ما القاه حتى اوغر صدره منه ثم رد عليه بقوله اني استاذنت الباشا فلم يسهل به مفارقتك وقال ان كان في ضيق في المعيشة فاطلق له في كل شهر كيسين منها اربعون الف نصف فضة

دورهم بالقمين وامالجانب الغربي فغرقت فيه مقبرة احمد بن حنبل وغيرها من المقابر وانخسفت القبور المبنية وخرج الموتى على راس الماء وكذلك المشهد والحربية وكان امرا عظيما

(ذكر عود سنقر الهمذاني الى اللحف وانهزامه)

في هذه السنة عاد سنقر الهمذاني الى اقطاعه وهو قلعة الماهكي وبلد اللحف وكان الخليفة قد اقطعه للامير قايماز العميدي ومعه اربعمائة فارس فارسل اليه سنقر يقول له ارحل عن بلدي فامتنع فسار اليه وجرى بينهما قتال شديد انهزم فيه العميدي ورجع الى بغداد بامواله فبرز الخليفة وسار في عساكره الى سنقر فوصل الى النعمانية ومعه العساكر مع ترشك ورجع الى بغداد ومضى ترشك نحو سنقر الهمذاني فدخل سنقر في الجبال هاربا ونهب ترشك ما وجده لسنقر ولعسكره من مال وسلاح وغير ذلك واحرقه بعد فقتل من راى من اصحابه ونزل على الماهكي وحصرها اياما ثم عاد الى البندنيجين وارسل الى بغداد بالبشارة واما سنقر فانه مضى الى ملكشاه فاعطاه خمسمائة فارس فعاد ونزل على قلعة الماهكي وافسد اصحابه في البلاد وارسل ترشك الى بغداد يطلب نجدة فاتاه فارادسنقر ان يكبس ترشك فعرف ذلك فاحترز فعدل سنقر الى المخادعة فارسل رسولا الى ترشك يطلب منه ان يصلح حاله مع الخليفة فاحتبس ترشك الرسول عنده وركب فيمن خف من اصحابه فكبس سنقر ليلا فانهزم هو واصحابه وكثر القتل فيهم وغنم ترشك اموالهم ودوابهم وكل ما لهم ونجا سنقر جريحا

(ذكر الفتنة بين عامة استراباذ)

في هذه السنة وقع في استراباذ فتنة عظيمة بين العلويين ومن يتبعهم من الشيعة وبين الشافعية ومن معهم وكان سببها ان الامام محمدا الهروي وصل الى استراباذ فعقد مجلس الوعظ وكان قاضيها ابو نصر سعد بن محمد بن اسمعيل النعيمي شافعي المذهب ايضا فثار العلويون ومن يتبعهم من الشيعة بالشافعية ومن يتبعهم باستراباذ ووقعت بين الطائفتين فتنة عظيمة انتصر فيها العلويون فقتل من الشافعية جماعة وضرب القاضي ونهبت داره ودور من معه وجرى عليهم من الامور الشنيعة ما لا حد عليه فسمع شاه مازندران الخبر فاستعظمه وانكر على العلويين فعلهم وبالغ في الانكار مع انه شديد التشيع وقطع عنهم جرايات كانت لهم ووضع الجبايات والمصادرات على العامة ففرق كثيرا منهم وعاد القاضي الى منصبه وسكنت الفتنة

(ذكر وفاة الملك محمد بن محمود بن محمد بن ملكشاه)

في هذه السنة توفي السلطان محمد بن محمود بن محمد وهو الذي حاصر بغداد طالبا السلطنة وعاد عنها فاصابه سل وطال به فمات بباب همذان وكان مولده في ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة فلما حضره الموت امر العساكر فركبت واحضر امواله وجواهره وحظاياه ومماليكه فنظر الى الجميع من طيارة تشرف على ما تحتها فلما رآ

من الزجاج مشبكه مخصوص ذلك الاشياء والقبورات وحقاق دهان العرارة النحاس المضروب بالزجاج من الوان والقصار وعندما تمامها تكون في غاية الحسن والطراوة والبهجة بحيث لا يشك من يراها انها ليست من صناعة الهند او الافرنج المتقن الصناعة وكان كلما سمع بشخص ذي معرفة لصناعة من الصنائع او المعارف اجتهد في تحصيلها وتلقيها عنه باي وجه كان ولو ببذل الرغائب واعد عنده اماكن لاشخاص من ارباب المعارف يقيمون بها ويجرى عليهم النفقات والكساوي حتى يجتنى ثمار معارفهم وصناعاتهم ويجتمع عنده في كل ليلة جمعة جماعة من القراء التي ما اكثرهم قريبة من داره فيذكرون الله معهم حصة من الليل ثم يفرق فيهم دراهم ولما طال به الاهمال وتقدير الاحوال والباشا قليل الاقامة بمصر واكثر ايامه غائب عنها فحسن ببدئه الرحلة من مصر الى الديار الرومية ويذهب الى بلاده فاستاذن الباشا فوداعه وهو متوجه الى ناحية قبلي فاذن له واخذ في اسباب السفر فارسل الكتخدا الى الباشا ودس اليه كلاما فارسل عنعه ورتب له خرجا لحاجته فتعوق عن السفر لغير خاطره وفي اواخل السنة حضرت اليه والدته وابنته وزوجها فانزلهم في دار بجوار داره واجرى عليهم ما يحتاجون اليه من النفقة

مولده ثانى عشر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين وأربعمائة وأمه أم ولد تدعى باحى وكانت خلافته أربعا وعشرين سنة وثلاثة أشهر وستة عشر يوما ووافق أباه المستظهر بالله فى علة التراقى وماتا جميعا فى ربيع الاول وكان حليما كريما عادلا حسن السيرة من الرجال ذوى الرأى والعقل الكثير وهو أول من استبد بالعراق منفردا عن سلطان يكون معه من أول أيام الديلم الى الآن وأول خليفة تمكن من الخلافة وحكم على عسكره وأصحابه من حين تحكم المماليك على الخلفاء من عهد المستنصر الى الآن الا ان يكون المعتضد وكان شجاعا مقداما مباشر الحروب بنفسه وكان يبذل الاموال العظيمة لاصحاب الاخبار فى جميع البلاد حتى كان لا يفوته منها شئ

﴿ذكر خلافة المستنجد بالله﴾

وفى هذه السنة بويع المستنجد بالله أمير المؤمنين واسمه يوسف وأمه أم ولد تدعى طاوس بعد موت والده وكان للمقتفى حظية وهى أم ولده أبى على فلما اشتد مرض المقتفى وأيست منه أرسلت الى جماعة من الامراء وبذلت لهم الاقطاعات الكثيرة والاموال الجزيلة ليساعدوها على أن يكون ولدها الامير أبو على خليفة فقالوا كيف الحيلة مع ولى العهد فقالت اذا دخل على والده قبضت عليه وكان يدخل الى أبيه كل يوم فقالوا لابد لنا من أحد من أرباب الدولة فوقع اختيارهم على أبى المعالى بن الكيا الهراسى فدعوه الى ذلك فأجابهم على أن يكون وزيرا فبذلوا له ما طلب فلما استقرت القاعدة بينهم وعلمت أم أبى على أحضرت عدة من الجوارى وأعطتهن السكاكين وأمرتهن بقتل ولى العهد المستنجد بالله وكان له خصى صغير يرسله كل وقت يتعرف أخبار والده فرأى الجوارى بأيديهن السكاكين ورأى بيد أبى على وأمه سيفين فعاد الى المستنجد فأخبره وأرسلته هى الى المستنجد تقول له ان والده قد حضره الموت ليحضر و يشاهده فاستدعى استاذ دار عضد الدولة وأخذه معه وجماعة من الفراشين ودخل الدار وقد لبس الدرع وأخذ بيده السيف فلما دخل ثار به الجوارى فضرب واحدة منهن فجرحها وكذلك أخرى وصاح ودخل استاذ الدار ومعه الفراشون فهرب الجوارى وأخذ أخاه أبا على وأمه فسجنهما وأخذ الجوارى فقتل منهن وغرق منهن ودفع الله عنه فلما توفى المقتفى لامر الله جلس للبيعة فبايعه أهله وأقاربه وأولهم عمه أبو طالب ثم أخوه أبو جعفر بن المقتفى وكان أكبر من المستنجد ثم بايعه الوزير ابن هبيرة وقاضى القضاة وأرباب الدولة والعلماء وخطب له يوم الجمعة ونثرت الدنانير والدراهم (حكى عنه) الوزير عون الدين بن هبيرة انه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام منذ خمس عشرة سنة وقال لى يبقى أبوك فى الخلافة خمس عشرة سنة فكان كما قال صلى الله عليه وسلم قال ثم رأيته قبل موت المقتفى بأربعة أشهر فدخل بى فى باب كبير ثم ارتقى الى رأس جبل وصلى بى ركعتين ثم ألبسنى قميصا ثم قال لى قل اللهم اهدنى فيمن هديت وذكر دعاء القنوت ولما ولى الخلافة أقر ابن هبيرة على وزارته وأصحاب الولايات على ولاياتهم وأزال المكوس

امهلونى حتى اتوضأ واصلى ركعتين وقام من حلاوة الروح والقى بنفسه فى البحر فضربوا عليه بالرصاص واخرجوه وقتلوه واخذوا رأسه واخرجوا صناديقه واخذوا ما فيها من الكتب لان الباشا ارسل بطلبها واخذ ما معه من المال والدراهم خليل بك فاعطى لولده جانبا منه واذن له بالسفر مع عياله وانقضى امره ووصلت الكتب الى سراية الباشا واودعت عند ولى خوجا وتبدد الكثير منها وفرق منها عدة على غير اهلها وكانت قتلته فى اواخر شهر صفر من السنة والله اعلم

(ثم دخلت سنة ثمان وعشرين ومائتين والف)

﴿استهل المحرم بيوم الاثنين سنة ١٢٢٨﴾

فيه وصل الخبر من الجهة القبلية بان ابراهيم بك ابن الباشا قبض على احمد افندى ابن طاقفا افندى الذى بيده دفاتر الرزق الاحباسية وشنقه وضرب قاسم افندى ابن امين الدين كاتب الشهر علقة قوية وكان والده ارسلهما معه ليباشرا معه الامور ويعرفاه الاحوال وكان قاسم افندى خصيصا به مثل الوزير والصاحب والنديم ورتب له الباشا فى كل سنة ثمانين كيسا خلاف الخروج والكساوى وشرط عليه المناصحة فى كشف المستورات وما يكون فيه تحصيل الاموال فتمكنه فصرف كشف بعض الاشياء واوصل الى والده بعلمه خيانته هو وكاتب الارزاق

ابى القاسم منصور بن ابى سعد الساعدى قاضى نيسابور فى شهر رمضان وكان موته بالرى ودفن فى مقبرة محمد بن الحسن الشيبانى صاحب ابى حنيفة رضى الله عنهما وكان القاضى حنفيا ايضا

(ثم دخلت سنة خمس وخمسين وخمسمائة)

(ذكر مسير سليمان شاه الى همذان)

فى هذه السنة سار سليمان شاه من الموصل الى همذان ليتولى السلطنة وقد تقدم سبب قبضه واخذه الى الموصل وسبب مسيره اليها ان الملك محمد ابن السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه لما مات ارسل اكابر الامراء من همذان الى اتابك قطب الدين مودود ابن زنكى صاحب الموصل يطلبون منه ارسال الملك سليمان شاه ابن السلطان محمد بن ملكشاه اليهم ليولوه السلطنة فاستقرت القاعدة بينهم ان يكون سليمان شاه سلطانا وقطب الدين اتابكه وجمال الدين وزير قطب الدين وزير السلطان سليمان شاه وتحالفوا على هذا وجهز سليمان شاه بالاموال الكثيرة والبرك والدواب والآلات وغيرها مما يصلح السلاطين وسار معه زين الدين على وعسكر الموصل الى همذان فلما قاربوا بلاد الجبل اقبلت العساكر اليهم ارسالا كل يوم يلقاه طائفة وامير فاجتمع مع سليمان شاه عسكر يخافه زين الدين على نفسه لانه راى من تسلطهم على السلطان واطراحهم للادب معه ما اوجب الخوف منه فعاد الى الموصل فحين عاد عنه لم ينتظم امره ولم يتم له ما اراده وقبض العسكر عليه بباب همذان فى شوال سنة ست وخمسين وخطبوا لارسلان شاه ابن الملك طغرل وهو الذى زوج ايلدكز بامه وسنذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر وفاة الفائز وولاية العاضد العلويين)

فى هذه السنة توفى الفائز بنصر الله ابو القاسم عيسى بن اسمعيل الظافر صاحب مصر وكانت خلافته ست سنين ونحو شهرين وكان له لما ولى خمس سنين كما ذكرناه ولما مات دخل الصالح بن رزيك القصر واستدعى خادما كبيرا وقال له من ههنا يصلح للخلافة فقال ههنا جماعة وذكر اسماءهم وذكر له منهم انسانا كبير السن فامر باحضاره فقال له بعض اصحابه سرا لا يكون عباس احزم منك حيث اختار الصغير وترك الكبار واستبد بالامر فاعاد الصالح الرجل الى موضعه وامر حينئذ باحضار العاضد لدين الله ابى محمد عبد الله بن يوسف بن الحافظ ولم يكن ابوه خليفة وكان العاضد ذلك الوقت مراهقا قارب البلوغ فبايع له بالخلافة وزوجه الصالح ابنته ونقل معها من الجهاز ما لا يسمع بمثله وعاشت بعد موت العاضد وخروج الامر من العلويين الى الاتراك وتزوجت

(ذكر وفاة الخليفة المقتفى لامر الله وشئ من سيرته)

فى هذه السنة ثانى ربيع الاول توفى امير المؤمنين المقتفى لامر الله ابو عبد الله محمد بن المستظهر بالله ابى العباس احمد بن المقتدى بامر الله رضى الله عنه بعلة التراقى وكان

مولده

فلما قال له ذلك قال اما يكفينى هذا المقدار فان كان قد بطلنى فى خمسة اكياس فقال لم يرض باربعة اذكره الله وقال فلك مخادعة من الكذاب الحقيق ما حشد فى صدره وخدومه وما زال يتردد فى طلب الاذن حتى اذن له واضمر له القتل بعد خروجه من مصر فعند ذلك باع داره وما اعتقده حولها والبستان خارج خاطر السباع وما زاد عن حاجته من الاشياء والامتعة واشترى عبيدا وجوارى وقضى لوازمه وسافر الى رشيد فعندما مضى من نزوله يومان او ثلاثة كتبوا الى خليل بك حاكم الاسكندرية مرسوما بقتله فبلغه خبر ذلك وهو بثغر رشيد فلم يصدقه وقال اى ذنب استوجب به القتل ولو اراد قتلى ما الذى يمنعه وانا عنده بمصر وانا ما سافرت باذنه وودعته وقبلت يديه وطرفه وانخدعت خاطره وهو مبشوش معى كعادته فلما حصل بالاسكندرية واستقر بالسفينة ومضى ايام وهم ينتظرون اعتدال الريح والاذن من الحاكم بالاقلاع ووصل المرسوم الى خليل بك فارسل اليه فى وقت يدعوه ليتغدى معه فى راس التين ونظر الى خليل بك وهو واقف فى انتظاره عند بعد منه فوق صلاة فاجاب وخرج من السفينة فوصل الجماعة من العسكر واحاطوا به فتحقق عند ذلك ان ما كان يتوهمه برشيد ونظر الى خليل بك فلم يره فقال

فى الحساب وحسين افندى على جلبته وظن الله على عادته فى كونه مطلق التصرف فى الاموال الميرية وبيده الادا

وتحصن بحصنه فاخذه المؤيد منه قهرا وعنوة وقيده واحتاط عليه ثم قتله واراح المسلمين منه ومن شره وفساده وقصد المؤيد فى شهر رمضان ناحية بيهق عازما على قتالهم لخروجهم عن طاعته فلما قاربها اتاه زاهد من اهلها ودعاه الى العفو عنهم والحلم عن ذنوبهم ووعظه وذكره فاجاب الى ذلك ورحل عنهم فارسل السلطان محمود ابن محمد الخان وهو مع الغز الى المؤيد يطلب منه نيسابور وطوس واعمالها عليه ورد الحكم فيها اليه فعاد الى نيسابور رابع ذى القعدة من السنة ففرح الناس بما تقرر بينه وبين الملك محمود وبين الغز من ابقاء نيسابور عليه ليزول الخلف والفتن عن الناس

ذكر الحرب بين شاه مازندران ويغمر خان

لما قصد يغمر خان الغز وتوسل اليهم لينصروه على ايثاق لظنه انه هو الذى حسن للخوارزمية قصده فاجابوه الى ذلك وساروا معه على طريق نسا وابيورد ووصلوا الى الامير ايثاق فلم يجد لنفسه بهم قوة فانحدر الى شاه مازندران فجاءه ومعه من الاكراد والديلم والاتراك والتركمان الذين يسكنون نواحى ابسكون جمع كثير فاقتتلوا ودامت الحرب بينهم وانهزم الاتراك الغزية والبرزيقية من شاه مازندران خمس مرات ويعودون وكان على ميمنة شاه مازندران الامير ايثاق فحملت الاتراك الغزية عليه لما ايسوا من الظفر بقلب شاه مازندران فانهزم ايثاق وتبعه باقى العسكر ووصل شاه مازندران الى سارية وقتل من عسكره اكثرهم وحكى ان بعض التجار كفن ودفن من هؤلاء القتلى سبعة آلاف رجل واما ايثاق فانه قصد فى هزيمته خوارزم واقام بها وسار الغز من المعركة الى دهستان وكان الحرب قريبا منها فنهبوا واسروها واوقعوا باهلها ونهبوهم اوائل سنة ست وخمسين وخمسمائة بعد ان خربوا جرجان وفرقوا اهلها فى البلاد وعادوا الى خراسان

ذكر وفاة خسروشاه صاحب غزنة وملك ابنه بعده

فى هذه السنة فى رجب توفى السلطان خسروشاه بن بهرام شاه بن مسعود بن ابراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة وكان عادلا حسن السيرة فى رعيته محبا للخير واهله مقربا للعلماء محسنا اليهم راجعا الى قولهم وكان ملكه تسع سنين وملك بعده ابنه ملكشاه فلما ملك نزل علاء الدين الحسين ملك الغور الى غزنة فحصرها وكان الشتاء شديدا والثلج كثيرا فلم يمكنه المقام عليها فعاد الى بلاده فى صفر سنة ست وخمسين

ذكر الحرب بين ايثاق وبغراتكين

فى هذه السنة منتصف شعبان كان بين الامير ايثاق والامير بغراتكين برغش الجركانى حرب وكان ايثاق قد سار الى بغراتكين فى آخر اعمال جوين فنهب واخذ امواله وكل ماله وكان ذا نعمة عظيمة واموال جمة فانهزم بغراتكين منها وخلاها فاغتنمها ايثاق واستغنى بها وقويت نفسه بسببها وكثرت جموعه وقصده الناس واما بغراتكين

مثل ديها القائم بالدولة ايرادا ومصرفا ليكون اجالا لا تفصيلا لكونه امينا وعدلا وكان الايراد والمصرف محررا ومضبوطا فى الدفاتر التى بايدى الافندية الكتاب ومن انضم اليهم من كتاب اليهود فى دفاترهم ايضا بالعبرانى لتكون كل فرقة شاهدة وضابطة على الاخرى فلما استقل هذا الباشا بمملكة الديار المصرية واستغول فى تحصيل الاموال باى وجه واستحدث اقلام المكوس وجعلها فى دفاتر تحت ايدى الافندية وكتبة الروزنامه فصارت من جملة الاموال الميرية فى قبضها وصرفها وتحاويلها والباشا مرخى العنان للروزنامجى ومرخص له فى الاذن والتصرف والروزنامجى كذلك مرخى العنان لاحد خواص كتابه المعروف باحمد اليتيم لفطانته ودرايته فكان هو المشار اليه من دون الجميع ويتطاول عليهم ويعقب من فعل فعلا دون اطلاعه ويحاسبه ولو كان كبيرا او اعلى منزلة منه فى نفسه فيملى غيظا وينقطع من حضور الديوان فيهمله ولا يسال عنه والافندى الكبير لا يخرج عن رايه لكونه سادا مسد الجميع فدبروا على احمد افندى المذكور وحضروا والهواة روابهم حتى نكبه الباشا وصادره فى ثمانين كيسا ومحقوه

والضرائب وقبض على القاضي ابن المرخم وكان بئس الحاكم واخذ منه مالا كثيرا واخذت كتبه فاحرق منها في الرحبة ما كان من علوم الفلاسفة فكان منها كتاب الشفاء لابن سينا وكتاب اخوان الصفا وما يشاكلهما وقدم عضد الدين بن رئيس الرؤساء وكان استاذ الدار ومكنه وتقدم الى الوزير ان يقوم له وعزل قاضي القضاة ابا الحسن علي بن احمد الدامغاني ورتب مكانه ابا جعفر عبد الواحد الثقفي وخلع عليه

(ذكر الحرب بين عسكر خوارزمشاه والاتراك البرزية)

في هذه السنة في ربيع الاول سار طائفة من عسكر خوارزمشاه الى اجنه وهجموا على يغمرخان بن اودك ومن معه من الاتراك البرزية فاوقعوا بهم واكثروا القتل فانهزم يغمرخان وقصد السلطان محمود بن محمد الخان والاتراك الغزية الذين معه وتوسل اليهم بالقرابة وظن يغمرخان ان اختيار الدين ايناق هو الذي هيج الخوارزمية عليه فطلب من الغز انجاده

(ذكر احوال المؤيد بخراسان هذه السنة)

قد ذكرنا سنة ثلاث وخمسين عود المؤيد اي ابه الى نيسابور وتمكنه منها وان ذلك كان سنة اربع وخمسين فلما دخلت سنة خمس وخمسين وخمسمائة ورأى المؤيد تحكمه في نيسابور وتمكنه في دولته وكثرة جنده وعسكره احسن السيرة في الرعية لاسيما اهل نيسابور فانه جبر ضعفهم وبالغ في الاحسان اليهم وشرع في اصلاح اعمالها واصلاح ولاياتها فسير طائفة من عسكره الى ناحية استقبل وكان بها جمع قد تمردوا واكثروا العيث والفساد في البلاد وطال عنادهم في طغيانهم فارسل اليهم المؤيد يدعوهم الى ترك الشر والفساد ومعاودة الطاعة والصلاح فلم يقبلوا ولم يرجعوا عما هم عليه فسير اليهم سرية كثيرة فقاتلوهم واذاقوهم عاقبة ما صنعوا وافنوا واكثروا القتل فيهم وخربوا حصنهم وسار المؤيد من نيسابور الى بيهق فوصلها رابع عشر ربيع الآخر من السنة وقصد منها حصن خسروجرد وهو حصن منيع بناه كيخسرو الملك قبل فراغه من قتل افراسياب وفيه رجال شجعان فامتنعوا على المؤيد فحصرهم ونصب عليهم المجانيق وجد في القتال فصبر اهل الحصن حتى نفد صبرهم ثم ملك المؤيد القلعة واخرج كل من فيها ورتب فيها من يحفظها وعاد منها الى نيسابور في الخامس والعشرين من جمادى الاولى من السنة ثم سار الى هراة فلم يبلغ منها غرضا فعاد الى نيسابور وقصد مدينة كندر وهي من اعمال طريثيث وقد تغلب عليها رجل اسمه احمد كان خربنده واجتمع معه جماعة من الرنود وقطاع الطريق والمفسدين فخربوا كثيرا من البلاد وقتلوا كثيرا من الخلق وغنموا من الاموال ما لا يحصى وعظمت المصيبة بهم على خراسان وزاد البلاء فقصدهم المؤيد فتحصنوا بالحصن الذي لهم فقوتلوا اشد قتال ونصب عليهم العرادات والمجانيقات فاذعن هذا الخربنده احمد الى طاعة المؤيد والانخراط في سلك اصحابه واشياعه فقبله احسن قبول واحسن اليه وانعم عليه ثم انه عصى على المؤيد

فاذن لهم في فعلهما ما ذكر واخذ ما كانا جمعاه لانفسهما واشهر انه انما فعل بهما ذلك وانهما منهم لكان في ملاذهما عفو عنه على ارتكابهما المعصية (وفي عشرينه) حضر ابراهيم بك المذكور الى مصر وفيه حصلت منافسة بين حسين افندي الروزنامجي وبين شخصين من كتابه وهما مصطفى افندي باش جاجرت وقيطاس افندي وامل ذلك بافراء باطني على حسين افندي فرفعا امرهما الى الباشا وعرفاه عن مصارف وامور يفعلها حسين افندي ويخفيها عن الباشا وانه اذا حوسب على السنين الماضية يطلع عليه الوف من الاكياس فعند ما سمع ذلك امرهما بمباشرة حسابه عن اربع سنوات متقدمة فخرجا من عنده واخذا معهما مباشرا تركيا ونزلوا على حسين افندي بعد العصر وتوجهوا الى منزل اخيه عثمان افندي السرجي ففتحوا خزانة الدفاتر واخذوها بتمامها الى بيت ابن الباشا ابراهيم بك الدفتردار واجتمعوا في صبحها للمناقشة والحساب مع اخيه عثمان افندي المذكور واستمروا في المناقشة والمناقضة عدة ايام مع المرافعة والمدافعة والميل الكلي على حسين افندي ويذهبون في كل ليلة يخبرون الباشا بما يعملون وبالقدر الذي ظهر عليه فيعجبه ذلك ويثني عليهما و يعرضهما على التدقيق فتنفع اوقاتهما ويزيدان في الممانعة والمدافعة والمرافعة

وتحصن

الفقهاء ونادى بهم ونفيهم من الدار فمضى استاذ الدار وعاقبهم هناك واختفى مدرسهم
الشيخ ابو طالب ثم ان الوزير اعطى كل فقيه دينارا واستحل منهم واعادهم الى المدينة
وظهر مدرسهم

ذكر قتل ترشك

في هذه الايام قصد جمع من التركمان الى البندنيجين فامر الخليفة بتجهيز عسكر اليهم
وان يكون مقدمهم ترشك وكان في اقطاعه بلد اللحف فارسل اليه الخليفة يستدعيه
فامتنع من المجيء الى بغداد وقال يحضر العسكر فانا اقاتل بهم وكان عازما على الغدر
فجهز العسكر وساروا اليه وفيهم جماعة من الامراء فلما اجتمعوا بترشك قتلوه وارسلوا
رأسه الى بغداد وكان قتل غلاما للخليفة قديما فاولياء المقتول وقيل لهم ان امير المؤمنين
قد اقتص لابنكم ممن قتله

ذكر قتل سليمان شاه والخطبة لارسلان

في هذه السنة في ربيع الآخر قتل السلطان سليمان شاه ابن السلطان محمد بن ملكشاه
وسبب ذلك انه كان فيه تهور وخرق وبلغ به شرب الخمر حتى انه شربها في رمضان نهارا
وكان يجمع المساخر ولا يلتفت الى الامراء فاهمل العسكر امره وصاروا لا يحضرون بابه
وكان قد رد جميع الامور الى شرف الدين كردبازو الخادم وهو من مشايخ الخدم
السلجوقية يرجع الى دين وعقل وحسن تدبير فكان الامراء يشكون اليه وهو يسكنهم
فاتفق انه شرب يوما بظاهر همذان في الكشك فحضر عنده كردبازو فلامه على فعله فامر
سليمان شاه من عنده من المساخرة فعبثوا بكردبازو حتى ان بعضهم كشف له سوأته
فخرج مغضبا فلما صحا سليمان ارسل اليه يعتذر فقبل عذره الا انه تجنب الحضور
عنده فكتب سليمان الى اينانج صاحب الري يطلب منه ان ينجده على كردبازو
فوصل الرسول واينانج مريض فاعاد الجواب يقول اذا افقت من مرضي حضرت اليك
بعسكري فبلغ الخبر كردبازو فازداد استيحاشا فارسل اليه سليمان يوما يطلبه فقال اذا
جاء اينانج حضرت واحضر الامراء واستحلفهم على طاعته وكانوا كارهين لسليمان
لخلقه فاول ما عمل ان قتل المساخرة الذين لسليمان وقال انما افعل ذلك لملكك ثم
اصطلحا وعمل كردبازو دعوة عظيمة حضرها السلطان والامراء فلما صار السلطان
سليمان شاه في داره قبض عليه كردبازو وعلى وزيره ابي القاسم محمود بن عبد العزيز
الحامدي وعلى اصحابه في شوال سنة خمس وخمسين وخمسمائة فقتل وزيره وخواصه
وحبس سليمان شاه في قلعة ثم ارسل اليه من خنقه وقيل بل حبسه في دار مجد الدين
العلوي رئيس همذان وفيها قتل وقيل بل سقي سما فمات والله اعلم وارسل الى
ايلدكز صاحب ارانية واكثر بلاد اذربيجان يستدعيه اليه ليخطب للملك ارسلان شاه
الذي معه وبلغ الخبر الى اينانج صاحب الري فسار ونهب البلاد الى ان وصل الى
همذان فتحصن كردبازو وطلب منه اينانج ان يطلب مصافا فقال انا لا احارب الا بالشحنى

وما عداهم ربع استحقاقهم وكتب له بذلك فقال له الروزنامجي في بعضهم ١١٩ من يستحق المراعاة كبعض اهل
العلم العاملين واهل الحرمين
المهاجرين ومستوطنين بمصر
بعيالهم وليس لهم ايراد
يتعيشون منه الا ماهو مرتب
لهم من العلائف في كل سنة
وكذلك بعض الملتزمين الذين
اعتادوا اسداد ما عليهم من
الميري وبعضه بما لهم من
الاتلافات والعلائف والغلال
فقال له انظر في ذلك لرأيك
فان هذا شيء يعسر ضبط
جزئياته فاعتمد ذلك وطفق
يفعل في البعض بالنصف
والبعض بالثلث او الثلثين
واما العامة والارامل
فيصرف لهم الربع لا غير حسب
الامر ويقاسون في تحصيل
ربع استحقاقهم الشدائد من
السعي وتكرار الذهاب
والتسويف والرجوع في
الاكثر من غير شيء مع بعد
المسافة وفيهم الكثير من
العواجز فلما ترافعوا في
الحساب جاء المتصدر فيما
زاده على الربع وطلع الى الباشا
فعرفه بذلك فقال الباشا
لا تخصموا له الا ما كان باذني
وفرماني وما كان بدون ذلك
فلا وانكر الحال السابق
منه وقال هو متبرع فيما
فعله فتاخر عليه مبلغ كبير في
مدة اربع سنوات وكذلك
كان يحول عليه حوالات
لكبار العسكر يحول من
اتباعهم فلا يسعه الممانعة ويدفع القدر المحول عليه بدون فرمان اتكالا على الحالة التي هو مستمر عليها

فانه ارسل الى المؤيد صاحب نيسابور وصار فى جملته ومعدودا من اصحابه فتلقاه المؤيد بالقبول

ذكر وفاة ملكشاه بن محمود

فى هذه السنة توفى ملكشاه ابن السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه بن الب ارسلان باصفهان مسموما وكان سبب ذلك انه لما كثر جمعه باصفهان ارسل الى بغداد وطلب ان يقطعوا الخطبة لعمه سليمان شاه ويخطبوا له و يعيدوا القواعد بالعراق الى ما كانت اولا والا قصدهم فوضع الوزير عون الدين بن هبيرة خصيا كان خصيصا به يقال له اغلبك الكوهرائينى فمضى الى بلاد العجم واشترى جارية من قاضى همذان بالف دينار وباعها من ملكشاه وكان قد وضعها على سمه ووعدها امورا عظيمة على ذلك فسمته فى لحم مشوى فاصبح ميتا وجاء الطبيب الى دكلا وشملة فعرفهما انه مسموم فعرفوا ان ذلك من فعل الجارية فاخذت وضربت واقرت وهرب اغلبك ووصل الى بغداد ووفى له الوزير بجميع ما استقر الحال عليه ولما مات اخرج اهل اصفهان اصحابه من عندهم وخطبوا لسليمان شاه واستقر ملكه بتلك البلاد وعاد شملة الى خوزستان فاخذ ما كان ملكشاه تغلب عليه منها

ذكر عدة حوادث

فى هذه السنة حج اسد الدين شيركوه بن شادى مقدم جيوش نور الدين محمود بن زنكى صاحب الشام وشيركوه هذا هو الذى ملك الديار المصرية وسنذكره ان شاء الله تعالى وفيها ارسل زين الدين على نائب قطب الدين صاحب الموصل رسولا الى المستنجد يعتذر مما اعتمده من مساعدة محمد شاه فى حصار بغداد ويطلب ان يؤذن له فى الحج فارسل اليه يوسف الدمشقى مدرس النظامية وسليمان بن قتلمش يطيبان قلبه من الخليفة ويعرفانه الاذن فى الحج فحج ودخل الى الخليفة فاكرمه وخلع عليه وفيها توفى قايماز الارجوانى امير الحاج سقط عن الفرس وهو يلعب بالاكرة فسال مخه من مناخره واذنيه فمات وفيها فى ربيع الآخر توفى محمد بن يحيى بن على بن مسلم ابو عبد الله الزبيدى من اهل زبيد مدينة باليمن مشهورة وقدم بغداد سنة تسع واربعين وخمسمائة وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وكان نحويا واعظا وصحبه الوزير ابن هبيرة مدة وكان موته ببغداد

ثم دخلت سنة ست وخمسين وخمسمائة

ذكر الفتنة ببغداد

فى هذه السنة فى ربيع الاول خرج الوزير ابن هبيرة من داره الى الديوان والغلمان يطرقون له وارادوا ان يردوا باب المدرسة الكمالية بدار الخليفة فمنعهم الفقهاء وضربوهم بالآجر فشهر اصحاب الوزير السيوف وارادوا ضربهم فمنعهم الوزير ومضى الى الديوان فكتب الفقهاء مطالعة يشكون اصحاب الوزير فامر الخليفة بضرب

الفقهاء

بحسين افندى فى اربعمائة كيس واقطع احمد افندى من حضور الديوان وتقلد التاريخ وضم الباشا الى ديوانه من طرفه خليل افندى وسموه كاتب الذمة يعنى انه لا يكتب تحويل ولا ورقة ميرى ولا خلاف ذلك مما يسطر فى دواوينهم حتى يطلع عليه خليل افندى المذكور ويرسم عليه علامته فاحاط علمه بجميع ايراداتهم وكل قليل يحضر منه الباشا فيضبطه بمعلوماته ولم يزل حتى تحول ديوانهم وانتقل الى بيت خليل افندى تجاه منزل ابراهيم بك ابن الباشا بالازبكية وترأس بالديوان قاسم افندى كاتب الشهر وقريبه قيطاس افندى ومصطفى افندى باش جاجرت وبعد مدة اشهر سافر ابراهيم بك واخذ صحبته قاسم افندى على الصورة المتقدمة والروزنامجى وولده محمد افندى براهبيان جانب وبقية ولا يتعرضان لهما ديوانا يتصدران له ويضمانه فى عهدتهما فلما وصل الخبر بنكبة ابراهيم بك لقاسم افندى بعد ذلك قصر معهما وانقهر ابن الروزنامجى مكمون غيظه فى حقهما ومانعهما ايضا وخشن القول لهما واتفقا على انهاء الحال الى جناب الباشا فقطعا كذا وكان حسين افندى عندها استاذن الباشا فى صرف الجامكية المرتبة للعامة والخاصة فاذن له فى صرف ما يتعلق بمشايخ العلم والافندية الكتبة والسيد محمد المحروقى بالكامل

وجموعه فكانت اربعين الفا وسار الى اصفهان يريد بلاد فارس وارسل الى زنكى بن
دكلا يطلب منه الموافقة وان يعود يخطب لارسلان شاه فلم يفعل وقال ان الخليفة قد
اقطعني بلاده وانا سائر اليه فرحل ايلدكز وبلغه ان حسن ارسلان بن بوقا وهو امير من
امراء زنكى وفي اقطاعه ارجان بالقرب منه فانفذ سرية للغارة عليه فاتفق ان ارسلان
بوقا عزم على تغيير الخيل التي معه فاضعفها واخذ عوضها من تلك الجشر ففارق
عسكره الى الجشر فصادف العسكر الذي سيره ايلدكز لاخذ دوابه فقاتلهم واخذهم
وقتلهم وارسل الرؤس الى صاحبه فكتب بذلك الى بغداد وطلب المدد وعقيب ذلك
وكان الوزير عون الدين بن هبيرة ايضا قد كاتب الامراء الذين مع ايلدكز يحثهم على
طاعته ويضعف رأيهم ويحرضهم على مساعدة زنكى بن دكلا وايناج وكان ايناج قد
برز من الرى في عشرة آلاف فارس فارسل اليه ابن آقسنقر الاحمديلي خمسة آلاف
فارس وهرب ابن البازدار صاحب قزوين وابن طغايرك وغيرهما فلحقوا بايناج وهو
في عسكره واما ايلدكز فانه استشار اصحابه فاشاروا بقصد ايناج لانه اهم فرحل
اليه ونهب زنكى سميرم وغيرها فرد ايلدكز اليه امير الى عشرة آلاف فارس يحفظ
البلاد فسار زنكى اليهم فلقيهم وقاتلهم فانهزم عسكر ايلدكز اليه فقصد ايلدكز وارسل
يطلب عساكر اذربيجان فجاءته مع ولده قزل ارسلان وسير زنكى بن دكلا عسكرا كثيرا
الى ايناج واعتذر عن الحضور بنفسه عنده لخوفه على بلاده من شملة صاحب
خوزستان فسار ايلدكز الى ايناج وتداعى العسكران فالتقوا تاسع شعبان وجرى بينهم
حرب عظيمة اجلت عن هزيمة ايناج فانهزم اقبح هزيمة وقتل رجاله ونهبت امواله
ودخل الرى وتحصن في قلعة طبرك وحصره ايلدكز الى ان شرع في الصلح واقترح ايناج
اقتراحات فاجابه ايلدكز اليها واعطاه جرباذقان وغيرها وعاد ايلدكز الى همذان وكان
ينبغي ان تتأخر هذه الحادثة والتي قبلها وانما قدمت لتتبع اخواتها .

(ذكر وفاة ملك الغور وملك ابنه محمد)

في هذه السنة في ربيع الآخر توفي الملك علاء الدين الحسين بن الحسين الغوري ملك
الغور بعد انصرافه عن غزنة وكان عادلا من احسن الملوك سيرة في رعيته ولما مات
ملك بعده ابنه سيف الدين محمد واطاعه الناس واحبوه وكان قد صار في بلادهم جماعة
من دعاة الاسماعيلية وكثر اتباعهم فاخرجهم من تلك الديار جميعها ولم يبق فيها منهم
احد وراسل الملوك وهاداهم واستمال المؤيد اي به صاحب نيسابور وطلب موافقته

(ذكر الفتنة بنيسابور وتخريبها)

كان اهل العيث والفساد بنيسابور قد طمعوا في نهب الاموال وتخريب البيوت وفعل
ما ارادوا فاذا نهوا لم ينتهوا فلما كان الآن تقدم المؤيد اي به بقبض اعيان نيسابور
منهم نقيب العلويين ابو القاسم زيد بن الحسن الحسيني وغيره وحبسهم في ربيع الآخر
سنة ست وخمسين وقال انتم الذين اطمعتم الرنود والمفسدين حتى فعلوا هذه الافعال ولو

واستمرت لعصر يوم السبت وكانت قوتها يوم الجمعة أثارت غبارا أصفر ورمالا مع غيم
مطبق وقتام ورش مطر قليل
في بعض الاوقات (وفي يوم
الثلاثاء سابعه) وردت بشائر
من البلاد الحجازية باستيلاء
العساكر على جدة ومكة من
غير حرب وذلك انه لما انهزمت
الاتراك في العام الماضي
ورجعوا على الصورة التي
رجعوا عليها مشتتين
ومتفرقين وفيهم من حضر من
طريق السويس ومنهم من
اتى من البر ومنهم من حضر من
ناحية القصير وتغير الباشا من
استعجالهم بالهزيمة والرجوع
من غير امره ويخشى صولته
ويرى في نفسه انه احق
بالرياسة منه مثل صالح قوج
وسليمان وبحوا واخرجهم
من مصر واستراح منهم ثم قتل
احمد اغا لاظ جدد ترتيبا آخر
وعرفه كبراء العرب الذين
استمالهم واتفقوا معه وشيخ
له وبطانات ان الذي حصل
لهم اعادوه من العرب الموهبين
وهم عرب حرب والصفراء
وانهم مجهودون والوهابية
لا يعطونهم شيئا ويقولون لهم
قاتلوا عن دينكم وبلادكم
فاذا بذلتم لهم الاموال وانعمتم
عليهم بالانعام والعطاء ارتدوا
ورجعوا وصاروا معكم
وملكوكم البلاد فاجتهد
الباشا في جمع الاموال باي
وجه كان واستأنف الطلب
ورتب الامور واشاع الخروج
بنفسه ونصب العرضي خارج باب النصر وذلك في شهر شعبان وخرج بالموكب كما

يصل الاتابك الاعظم ايلدكز وسار ايلدكز في عساكره وجيوشها تزيد على عشرين ألف فارس ومعه ارسلان شاه بن طغرل بن محمد بن ملكشاه فوصل الى همذان فلقيهم كردبازو وانزله دار المملكة وخطب لارسلان شاه بالسلطنة بتلك البلاد وكان ايلدكز اتابكه والبهلوان حاجبه وهو أخوه لامه وكان ايلدكز هذا أحد مماليك السلطان مسعود واشتراه في أول امره فلما ملك اقطعه اران وبعض اذربيجان واتفق الحروب والاختلاف فلم يحضر عند احد من السلاطين السلجوقية وعظم شانه وقوي امره وتزوج بام الملك ارسلان شاه فولدت له اولادا منهم البهلوان محمد وقزل ارسلان عثمان وقد ذكرنا سبب انتقال ارسلان شاه اليه وبقي عنده الى الآن فلما خطب له بهمذان ارسل ايلدكز الى بغداد يطلب الخطبة لارسلان شاه ايضا وان تعاد القواعد الى ما كانت عليه ايام السلطان مسعود فاهين رسوله واعيد اليه على اقبح حالة واما اينانج صاحب الري فان ايلدكز راسله ولاطفه فاصطلحا وتحالفا على الاتفاق وتزوج البهلوان بن ايلدكز بابنة اينانج ونقلت اليه بهمذان

(ذكر الحرب بين ابن آقسنقر وعسكر ايلدكز)

لما استقر الصلح بين ايلدكز واينانج ارسل الى ابن آقسنقر الاحمديلي صاحب مراغة يدعوه الى الحضور في خدمة السلطان ارسلان شاه فامتنع من ذلك وقال ان كففتم عني والا فعندي سلطان وكان عنده ولد محمد شاه بن محمود الذي ذكرناه وكان الوزير ابن هبيرة قد كاتبه يطمعه في الخطبة لولد محمد شاه فجهز ايلدكز عسكرا مع ولده البهلوان فبلغ الخبر الى ابن آقسنقر فارسل الى شاه ارمن صاحب خلاط وحالفه وصارا يدا واحدة فسير اليه شاه ارمن عسكرا كثيرا واعتذر من تأخره بنفسه لانه في ثغر لا يمكنه مفارقته فقوي بهم ابن آقسنقر وكثر جمعه وسار نحو البهلوان فالتقيا على نهر اسبيدروذ فاشتد القتال بينهم فانهزم البهلوان اقبح هزيمة ووصل هو وعسكره الى همذان على اقبح صورة واستامن اكثر اصحابه الى ابن آقسنقر وعاد الى بلده منصورا

(ذكر الحرب بين ايلدكز واينانج)

لما مات ملكشاه ابن السلطان محمود الذي ذكرناه اخذ طائفة من اصحابه ابنه محمودا والتحقوا به نحو بلاد فارس فخرج عليهم صاحبها زنكي بن دكلا السلغري فاخذه منهم وتركه في قلعة اصطخر فلما ملك ايلدكز والسلطان ارسلان شاه الذي معه البلاد وارسل ايلدكز الى بغداد يطلب الخطبة للسلطان كما ذكرناه شرع الوزير عون الدين ابو المظفر يحيى بن هبيرة وزير الخليفة في اثارة اصحاب الاطراف عليه وراسل الاحمديلي وكان ما ذكرناه وكاتب زنكي بن دكلا صاحب بلاد فارس يبذل له ان يخطب للملك الذي عنده وهو ابن ملكشاه وعلق الخطبة له بظفره بايلدكز فخطب ابن دكلا للملك الذي عنده وانزله من القلعة وضرب الطبل على بابه خمس نوب وجمع عساكره وكاتب اينانج صاحب الري يطلب منه الموافقة وسمع ايلدكز الخبر فحشد وجمع وكثر عسكره.

فرجعوا عليه في كثير من ذلك وما خرج عليه مبلغ كبير ايضا فجمعوا حساب سنة واحدة على هذا النسق فبلغت نحو الالف كيس ومائتي كيس وكسور تبلغ في الاربع سنوات خمسة آلاف كيس فتقلق حسين افندي وتحير في امره وزاد وسواسه ولم يجد مخلصا ولا شافعا ولا دافعا (وفي اواخره) عمل الباشا مهما لختان ابن بونابارته الخازندار الغائب ببلاد الحجاز وعمل له زفة في يوم الجمعة بعد الصلاة ليجتمع الناس للفرجة عليها (وفيه) ايضا زاد الارجاف بحصول الطاعون ووقع الموت منه بالاسكندرية فأمر الباشا بعمل كورنتينه بثغر رشيد ودمياط والبرلس وشبرا وارسل الى الكاشف الذي بالجيزة بمنع المسافرين المارين من البر وامر ايضا بقراءة صحيح البخاري بالازهر وكذلك يقرؤن بالمساجد والزوايا سورة الملك والاحقاف في كل ليلة بنية رفع الوباء فاجتمعوا الاشياخ بالازهر نحو ثلاثة ايام ثم تركوا ذلك وتكاسلوا عن الحضور (وفي يوم الاثنين تاسع عشرينه) كسفت الشمس وقت العصر وكان المنكسف نحو ثلاثة ارباع الجرم وكانت الشمس في برج الدلو ايام الشتاء فاظلم الجو الا قليلا ولم ينتبه له كثير من الناس لغفلتهم انها غيوم متراكمة لانهم في فصل الشتاء

(واستهل شهر صفر بيوم الاربعاء سنة ١٢٢٨) فيه في اخريات النهار هبت ريح جنوبية غربية عاصفة باردة

وجوعه

مصر وغيرهم حتى خربت بغداد أو كل خراب ولم يبق فيها اثنان

ذكر قتل الصالح بن رزيك ووزارة ابنه رزيك

في هذه السنة في شهر رمضان قتل الملك الصالح أبو الغارات طلائع بن رزيك الأرمني وزير العاضد العلوي صاحب مصر وكان سبب قتله أنه تحكم في الدولة التحكم العظيم واستبد بالأمر والنهي وجباية الأموال إليه لصغر العاضد ولأنه هو الذي ولاه ووتر الناس فإنه أخرج كثيرا من أعيانهم وفرقهم في البلاد ليأمن وثوبهم عليه ثم إنه زوج ابنته من العاضد فعاداه أيضا الحرم من القصر فأرسلت عمة العاضد الأموال إلى أمراء المصريين ودعتهم إلى قتله وكان أشدهم عليه في ذلك إنسان يقال له ابن الداعي فوقفوا له في دهليز القصر فلما دخل ضربوه بالسكاكين على دهش فجرحوه جراحات مهلكة إلا أنه حمل إلى داره وفيه حياة فأرسل إلى العاضد يعاتبه على الرضا بقتله مع أثره في خلافته فأقسم العاضد أنه لا يعلم بذلك ولم يرض به فقال إن كنت بريئا فسلم عمتك إلي حتى أنتقم منها فأمر بأخذها فأرسل إليها فأخذها قهرا وأحضرت عنده فقتلها ووصى بالوزارة لابنه رزيك ولقب العادل فانتقل الأمر إليه بعد وفاة أبيه وللصالح أشعار حسنة بليغة تدل على فضل غزير فمنها في الافتخار

أبى الله إلا أن يدوم لنا الدهر • ويخدمنا في ملكنا العز والنصر
علمنا بأن المال تفنى ألوفه • ويبقى لنا من بعده الأجر والذكر
خلطنا الندى بالبأس حتى كأننا • سحاب لديه البرق والرعد والقطر
قرانا إذا رحنا إلى الحرب مرة • قرانا ومن أضيافنا الذئب والنسر
كما أننا في السلم نبذل جودنا • ويرتع في إنعامنا العبد والحر

وكان الصالح كريما فيه أدب له شعر جيد وكان لأهل العلم عنده إنفاق ويرسل إليهم العطاء الكثير بلغه أن الشيخ أبا محمد بن الدهان النحوي البغدادي المقيم بالموصل قد شرح بيتا من شعره وهو هذا

تجنب سمعي ما يقول العواذل • وأصبح لي شغل من الغزو شاغل

فجهز إليه هدية سنية ليرسلها إليه فقتل قبل إرسالها وبلغه أيضا أن إنسانا من أعيان الموصل قد أثنى عليه بمكة فأرسل إليه كتابا يشكره ومعه هدية وكان الصالح إماميا لم يكن على مذهب العلويين المصريين ولما ولي العاضد الخلافة وركب سمع الصالح ضجة عظيمة فقال ما الخبر فقيل إنهم يفرحون بالخليفة فقال كأني بهؤلاء الجهلة وهم يقولون ما مات الأول حتى استخلف هذا وما علموا أني كنت من ساعة أستعرضهم استعراض الغنم قال عمارة دخلت إلى الصالح قبل قتله بثلاثة أيام فناولني قرطاسا فيه بيتان من شعره وهما

نحن في غفلة ونوم وللمو • ت عيون يقظانة لا تنام
قد رحلنا إلى الحمام سنينا • ليت شعري متى يكون الحمام

الكراوي والفراوي السمور والشالات الكشميري تفرق عليهم من الكثير مثل ما وزع ... صاحب ... عليهم الأموال وأعطى أشجر ب مائة ألف فرانسة من وحضر باقي المشايخ فخلع عليهم وفرق فيهم لخص شيخ عرب بمفرده ثمانية عشر ألف فرانسة ثم رتب لهم علائف تصرف لهم في كل شهر لكل شخص خمسة فرانسة وغرارة قمح وغرارة عدس خصوصا ذلك ما لكوهم الأرض والذي كان مشارا بالمدينة من جنسهم فاستمالوه أيضا وسلم لهم المدينة وكل ذلك بمخامرة الشريف غالب أمير مكة وتدبيره وإشاراته فلما تم ذلك أظهر الشريف غالب أمره وملكهم مكة والمدينة وكان ابن مسعود الوهابي حضر في الموسم وحج ثم ارتحل إلى الطائف وبعد رحيله فعل الشريف غالب فعله وسيلقى جزاءه ولما وصلت البشائر بذلك في يوم الثلاثاء سابعه ضربوا مدافع كثيرة ونودي في صبح ذلك بزينة المدينة ومصر وبولاق فزينوا خمسة أيام أولها الأربعاء وآخرها الأحد وقاسى الناس في ليالي هذه الأيام العذاب الأليم من شدة البرد والصقيع وسهر الليل الطويل وكان ذلك في قوة فصل الشتاء وكل صاحب حانوت جالس فيها وبين يديه مجمرة نار يتدفأ ويصطلي بحرارتها وهو ملتف بالعباءة والأكسية الصوف واللحاف وخرج الناس من ليلة الأربعاء المذكور ونصبت

اردتم منعهم لامتنعوا وقتل من اهل الفساد جماعة وخربت نيسابور بالكلية ومن جملة ما خرب مسجد عقيل وكان مجمعا لاهل العلم وفيه خزائن الكتب الموقوفة وكان من اعظم منافع نيسابور وخرب ايضا من مدارس الحنفية ثمان مدارس ومن مدارس الشافعية سبع عشرة مدرسة واحرق خمس خزائن للكتب ونهب سبع خزائن كتب وبيعت بابخس الاثمان هذا ما امكن احصاؤه سوى ما لم يذكر

●(ذكر خلع السلطان محمود ونهب طوس وغيرها من خراسان)●

في هذه السنة في جمادى الآخرة قصد السلطان محمود بن محمد الخان وهو ابن اخت السلطان سنجر وقد ذكرنا انه ملك خراسان بعده ففي هذه السنة حصر المؤيد صاحب نيسابور بشاذياخ وكان الغز مع السلطان محمود فدامت الحرب الى آخر شعبان سنة ست وخمسين وخمسمائة ثم ان محمودا اظهر انه يريد دخول الحمام فدخل الى شهرستان آخر شعبان كالهارب من الغز واقاموا على نيسابور الى آخر شوال ثم عادوا اجمعين فعاثوا في القرى ونهبوها ونهبوا طوس نهبا فاحشا وحصروا المشهد الذى لعلى بن موسى وقتلوا كثيرا ممن فيه ونهبوهم ولم يعرضوا للقبة التي فيها القبر فلما دخل السلطان محمود الى نيسابور امهله المؤيد الى ان دخل رمضان من سنة سبع وخمسين وخمسمائة واخذه وكحله واعماه واخذ ما كان معه من الاموال والجواهر والاعلاق النفيسة وكان يخفيها خوفا عليها من الغز لما كان معهم وقطع المؤيد خطبته من نيسابور وغيرها مما هو في تصرفه وخطب لنفسه بعد الخليفة المستنجد بالله واخذ ابنه جلال الدين محمدا الذى كان قد ملكه الغز امرهم قبل ابيه وقد ذكرنا ذلك وسمله ايضا وحبسهما ومعهما جواريهما وحشمهما وبقيا فيها الى ان قتل ابناهما ومات السلطان محمود ثم مات ابنه بعده من شدة وجده لموت ابيه والله اعلم

●(ذكر عمارة شاذياخ نيسابور)●

كانت شاذياخ قد بناها عبد الله بن طاهر بن الحسين لما كان اميرا على خراسان للمأمون وسبب عمارتها انه رأى امرأة جميلة تقود فرسا تريد سقيه فسألها عن زوجها فاخبرته به فاحضره وقال له خدمة الخيل بالرجال اشبه فلم تقعد انت في دارك وترسل امرأتك مع فرسك فبكى الرجل وقال له ظلمك يحملنا على ذلك فقال وكيف قال لانك تنزل الجند معنا في دورنا فان خرجت انا وزوجتي بقي البيت فارغا فيأخذ الجندي ما لنا فيه وان سقيت انا الفرس فلا آمن على زوجتي من الجندي فرأيت ان اقيم في البيت وتخدم زوجتي الفرس فعظم الامر عليه وخرج من البلد لوقته ونزل في الخيام وامر الجند فخرجوا من دور الناس وبنى شاذياخ دارا له وللجند وسكنها وهم معه ثم انها دثرت بعد ذلك فلما كان ايام السلطان الب ارسلان ذكر له هذه القصة فامر بتجديدها ثم انها تشعثت بعد ذلك فلما كان الآن وخربت نيسابور ولم يعلمن حفظها والغز تطرق البلاد وتنهبها امر المؤيد حينئذ بعمل سورها وسد ثلمه وسكناه ففعل ذلك وسكنها هو والناس

تقدم وجلس بالصيوان وحرر السفر في المقدمة بوناباره الخازندار وأعطاه صناديق الأموال والكساوى ودفع معه طابد بن بك ومن بصحبهما وواظب على الخروج الى العرضى والرجوع تارة الى القلعة وتارة الى الازبكية والجيزة وقصر شبرا ويعمل الرماحة والميدان في يومى الخميس والاثنين والمصاف على طرائق حرب الافرنج وسافر بوناباره في اواخر شعبان واستقر العرضى منصوبا والطلب كذلك معلوما بأن العساكر واردة من بلادهم على طريق الاسكندرية ودميانا وبخرج الكثير الى العرضى ويستمرون على الدخول الى المدينة في الصباح لقضاء اشغالهم والرجوع آخر النهار ومع تعدى اذاهم للباعة والحمارة وغيرهم ولما غدر الباشا باحمد اغا لاظ وقتله في اواخر رمضان ولم يبق احد ممن يخشى سطوته وسافر عابدين بك في شوال وارتحل بعده بشهر مصطفى بك داني باشا وصحبته طائفة وافرة من العسكر ثم سافر ايضا يحيى اغا ومعه نحو الخمسمائة وهكذا كل قليل ترحل طائفة بعد اخرى والعرضى كما هو ميدان الرماحة كذلك ولما وصل بوناباره الى ينبع البر تخذواق تألف العربان واستمالهم وذهب اليهم ابن شديد الحويطى ومن معه وتقابلوا مع شيخ حرب ولم يزالوا بهم حتى اتفقوا وحضروا اليه الى بوناباره فاكرمهم وخلع عليهم الخلع وكذلك فعل من حضر من اكابر العربان قابلهم

معه

ابن محمد ابن ابي حرب العلوي والثالث ابو الحسن بن علي بن ابي طالب العلوي الفارسي فنزلوا كلهم ايضا الى المؤيد اي ابه فبين معهم من اشياعهم واتباعهم فاما خواجكي فانه اثبت عليه انه قتل زوجته ظلما وعدوانا فاخذ المؤيد فقتل بها وملك المؤيد شارستان وصفت له فنهبها عسكره الا انهم لم يقتلوا احدا ولا سبوا

(ذكر ملك الكرج مدينة انى)

في هذه السنة في شعبان اجتمعت الكرج مع ملكهم وساروا الى مدينة انى من بلاد اران وملكوها وقتلوا فيها خلقا كثيرا فانتدب لهم شاه ارمن بن ابراهيم بن سكمان صاحب خلاط وجمع العساكر واجتمع معه من المتطوعة خلق كثير وسار اليهم فلقوه وقاتلوه فانهزم المسلمون وقتل اكثرهم واسر كثير منهم وعاد شاه ارمن منهزما ولم يرجع معه غير اربعمائة فارس من عسكره

(ذكر ولاية عيسى مكة حرسها الله تعالى)

كان امير مكة هذه السنة قاسم بن فليتة بن قاسم بن ابي هاشم العلوي الحسني فلما سمع بقرب الحاج من مكة صادر المجاورين واعيان اهل مكة واخذ كثيرا من اموالهم وهرب من مكة خوفا من امير الحاج ارغش وكان قد حج هذه السنة زين الدين علي بن بكتكين صاحب جيش الموصل ومعه طائفة صالحة من العسكر فلما وصل امير الحاج الى مكة رتب مكان قاسم بن فليتة عمه عيسى بن قاسم بن ابي هاشم فبقي كذلك الى شهر رمضان ثم ان قاسم بن فليتة جمع جمعا كثيرا من العرب اطمعهم في مال له بمكة فاتبعوه فسار بهم اليها فلما سمع عمه عيسى فارقها ودخلها قاسم فاقام بها اميرا اياما ولم يكن له مال يوصله الى العرب ثم انه قتل قائدا كان معه حسن السيرة فتغيرت نيات اصحابه عليه وكاتبوا عمه عيسى فقدم عليهم فهرب وصعد جبل ابي قبيس فسقط عن فرسه فاخذه اصحاب عيسى وقتلوه فعظم عليه قتله فاخذه وغسله ودفنه بالمعلى عند ابيه فليتة واستقر الامر بعده لعيسى والله اعلم

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة سار عبد المؤمن بن علي الى جبل طارق وهو على ساحل الخليج مما يلي الاندلس فعبر المجاز اليه وبنى عليه مدينة حصينة واقام بها عليه عدة شهور وعاد الى مراكش وفيها في المحرم ورد نيسابور جمع كثير من تركمان بلاد فارس ومعهم اغنام كثيرة للتجارة فباعوها واخذوا الثمن ونزلوا على مرحلتين من طابس كيلكي وباتوا هناك فنزل اليهم الاسماعيلية وكبسوهم ليلا ووضعوا السيف فيهم فقتلوا اكثرهم ولم ينج منهم الا الشريد ثم الاسماعيلية جمعوا ما معهم من مال وعروض وعادوا الى قلاعهم وفيها كثرت الامطار في اكثر البلاد ولا سيما خراسان فان الامطار توالت فيها من العشرين من المحرم الى منتصف صفر لم تنقطع ولا رأى الناس فيها الشمس وفيها كان بين الكرج وبين الملك صلتق بن علي صاحب ارزن الروم قتال وحرب فانهزم فيه صلتق وعسكره

و الموج كثيرة بناحية بحري وبالاسكندرية ورشيد وبحدود الغربية المنوفية والبحيرة وسقطت دور ومات من ذلك أناس وبهائم والزروع البدرية وتلفت في وجه المياه ابتلاع موتى كثيرة فكان موج البحر يلقيه على الشطوط وغرق كثير من السفن من الرياح العواصف التي هبت في اول الشهر (وفي سابعه) يوم وصول البشارة احضر الباشا حسن افندي الروزنامجي وخلع عليه خلعة الابقاء على منصبه في الروزنامة وقرر عليه الفين وخمسمائة كيس وذلك انهم لما رافعوه في الحساب على الطريقة المذكورة ارسل اليه الباشا يطالب بخمسمائة كيس من اصل الحساب فضاق خناقه ولم يجد شافعا ولا ذا رحمة فارسل ولده الى محمود بك الدويدار يستجير فيه وليكون واسطة بينه وبين الباشا وهو رجل ظاهره خلاف باطنه فذهب معه الى الباشا فبش في وجهه ورحب به واجلسه محمود بك في ناحية من المجلس وتناجى هو مع الباشا ورجع اليه يقول له انه يقول ان الحساب لم يتم الى هذا الحين وانه ظهر على ايلك تاريخ اسس خمسة الاف كيس وزيادة وانا تكلمت معه وتشفعت عنده في ترك باقي الحساب والمسامحة في نصف المبلغ والكسور فيكون الباقي الفين وخمسمائة كيس تقوم بدفعها فقال ومن اين لنا هذا القدر العظيم وقد عزلنا من

الجملة باللوازم من الفرش والأواني وأزيار الماء والبارود لعمل الشنانك والحراقات

فكان آخر عهدي به وقال عمارة أيضا ومن عجيب الاتفاق أني أنشدت ابنه قصيدة أقول فيها

أبوك الذي تسطو الليالي بحده * وأنت يمين إن سطا وشمال
لرتبته العظمى وإن طال عمره * إليك مصير واجب ومآل
تخالسك اللحظ المصون ودونها * حجاب شريف لا انقضا وحجال

فانتقل الأمر إليه بعد ثلاثة أيام

(ذكر الحرب بين العرب وعسكر بغداد)

في هذه السنة في شهر رمضان اجتمعت خفاجة إلى الحلة والكوفة وطالبوا برسومهم من الطعام والتمر وغيره فلم يعطهم أمير الحاج أرغش وهو مقطع الكوفة وزاد فمنعهم منعه الأمير قيصر شحنة الحلة وهما من مماليك الخليفة فأفسدت خفاجة ونهبوا سواد الكوفة والحلة فأسرى إليهم الأمير قيصر شحنة الحلة في مائتين وخمسين فارسا وخرج إليه أرغش في عسكر وسلاح فانتزحت خفاجة من بين أيديهم وتبعهم العسكر إلى رحبة الشام فأرسل خفاجة يعتذرون ويقولون قد قنعنا بلبن الإبل وخبز الشعير وأنتم قد منعتمونا رسومنا وطلبوا الصلح فلم يجبهم أرغش وقيصر وكان قد اجتمع مع خفاجة كثير من العرب فتصافوا واقتتلوا وسلت العرب مائة إلى خيام العسكر ونهبها فحالوا بينهم وبينها وحمل العرب حملة منكرة فانهزم العسكر وقتل كثير منهم وقتل الأمير قيصر وأسرت جماعة أخرى وجرح أمير الحاج جراحة شديدة ودخل الرحبة فحماه شحنتها وأخذ له الأمان وسيره إلى بغداد ومن تخلف عات شاق في البر به وكان إماء العرب يخرجن بالماء يسقين الجرحى فإذا طلبه منهن أحد من العسكر أجهزن عليه وكثر النوح والبكاء ببغداد على القتلى وتجهز الوزير عون الدين بن هبيرة والعساكر معه فخرج في طلب خفاجة فدخلوا البرية وخرجوا إلى البصرة ولما دخلوا البر عاد الوزير إلى بغداد وأرسل بنو خفاجة يعتذرون ويقولون بغي علينا وفارقنا البلاد فتبعونا واضطررنا إلى القتال وسألوا العفو عنهم فأجيبوا إلى ذلك

(ذكر حصر المؤيد شارستان)

في هذه السنة حصر المؤيد أي أبه صاحب نيسابور شارستان قرب نيسابور وقاتله أهلها ونصب المجانيق والعرادات فصبر أهلها خوفا على أنفسهم من المؤيد وكان مع المؤيد جلال الدين الموفق الفقيه الشافعي فبينما هو راكب إذ وصل إليه حجر منجنيق فقتله خامس جمادى الآخرة من السنة وتعدى الحجر منه إلى شيخ من شيوخ بيهق فقتله فعظمت المصيبة بقتل جلال الدين على أهل العلم خصوصا أهل السنة وأئمتهم وكان في عنفوان شبابه رحمه الله لما قتل ودام الحصار إلى شعبان سنة تسع وخمسين وخمسمائة فتقدم خواجكي صاحبها بعدما كثر القتل ودام الحصر وكان لهذه القلعة ثلاثة وصلوهم أرباب النهي والأمر وهم الله بن حظلوه وقتلوا بعضا لأجل خواجكي هذا والثاني داعي

وفي كل يوم يعمل مزراح وشنك عظيم مهول بالمدافع والبنادق الرصاص المتواصلة من غير فاصل مثل الرعود والطبول من طلوع الشمس إلى قريب الظهر وفي أول يوم من أيام الرمي أصيب إبراهيم بك ابن الباشا برصاصة في كتفه أصابت شخصا من السواس ونفذت منه إليه وهي باردة فتعلل بسببها وخرج بعد يومين في عربة إلى المرضى ثم رجع ولما كان يوم الأحد وقت الزوال ركب الباشا وطلع إلى القلعة وقلعوا خيام الشنك وحملوا الجمال ودخلت طوائف العسكر وأذن للناس بقلع الزينة ونزول التعاليق وكان الناس قد عمروا القناديل وأشاعوا أنها سبعة أيام فلما حصل الإذن بالرفع فكأنما نشطوا من عقال وخلصوا من السجون لما قاسوه من البرد والسهر وتعطيل الأشغال وكساد الصنائع والتكاليف بما لا طاقة لهم به وخصوصا من لا يملك قوت عياله وتعمير سراجه يكلف مع ذلك هذه التكاليف وكتب الباشا بالبشائر إلى دار السلطنة وأرسلها صحبة أمين جاويش وكذلك إلى جميع النواحي والعمر بالمناصب على خواصه (وفي هذا الشهر) وردت أخبار بوقوع أمطار

ابن

العسكر الذي يحصرها وعادوا عنها وصفت تلك الولاية للفرنج

(ذكر اخذ ابن مردنيش غرناطة من عبد المؤمن وعودها اليه)

في هذه السنة أرسل اهل غرناطة من بلاد الاندلس وهي لعبد المؤمن الى الامير ابراهيم ابن همشك صهر ابن مردنيش فاستدعوه اليهم ليسلموا اليه البلد وكان قد وحد وصار من اصحاب عبد المؤمن وفي طاعته ثم عن يحرضه على قصد ابن مردنيش فلما وصل اليه رسل اهل غرناطة سار معهم اليها فدخلها وبها جمع من اصحاب عبد المؤمن فامتنعوا بحصنها فبلغ الخبر ابا سعيد عثمان بن عبد المؤمن وهو يومئذ بمالقة فجمع الجيش الذي كان عنده وتوجه الى غرناطة لنصرة من فيها من اصحابهم فعلم بذلك ابراهيم بن همشك فاستنجد ابن مردنيش ملك البلاد بشرق الاندلس فارسل اليه الفي فارس من انجاد اصحابه ومن الفرنج الذين جندهم معه فاجتمعوا بنواحي غرناطة فالتقوا هم ومن بغرناطة من عسكر عبد المؤمن قبل وصول ابي سعيد اليهم فاشتد القتال بينهم فانهزم عسكر عبد المؤمن وقدم ابو سعيد فاقتتلوا ايضا فانهزم كثير من اصحابه وثبت معه طائفة من الاعيان والفرسان المشهورين والرجالة والاجلاد حتى قتلوا عن آخرهم وانهزم حينئذ ابو سعيد ولحق بمالقة وسمع عبد المؤمن الخبر وكان قد سار الى مدينة سلا فسير في الحال ابنه ابا يعقوب يوسف في عشرين الف مقاتل فيهم جماعة من شيوخ الموحدين فجدوا السير فبلغ ذلك ابن مردنيش فسار بنفسه وجيشه الى غرناطة ليعين ابن همشك فاجتمع منهم بغرناطة جمع كثير فنزل ابن مردنيش في الشرقية بظاهرها ونزل العسكر الذي ارسله ابن همشك اولا وهم الفا فارس بظاهر القلعة الحمراء ونزل ابن همشك بباطن القلعة الحمراء فحين معه ووصل عسكر عبد المؤمن الى جبل قريب من غرناطة فاقاموا في سفحه اياما ثم سيروا امير بها اربعة آلاف فارس فبيتوا العسكر الذي بظاهر القلعة الحمراء وقاتلوهم من جهاتهم فما لحقوا يركبون فقتلوهم عن آخرهم واقبل عسكر عبد المؤمن بجملته فنزلوا بضواحي غرناطة فعلم ابن مردنيش وابن همشك انهم لا طاقة لهم بهم ففروا في الليلة الثانية ولحقوا ببلادهم واستولى الموحدون على غرناطة في باقي السنة المذكورة وعاد عبد المؤمن من مدينة سلا الى مراكش

(ذكر حصر نور الدين حارم)

في هذه السنة جمع نور الدين محمود بن زنكي بن آقسنقر صاحب الشام العساكر بحلب وسار الى قلعة حارم وهي للفرنج غربي حلب فحصرها وجد في قتالها فامتنعت عليه بحصانتها وكثرة من بها من فرسان الفرنج ورجالهم وشجعانهم فلما علم الفرنج ذلك جمعوا فارسهم وراجلهم من سائر البلاد وحشدوا واستعدوا وساروا نحوه ليرحلوه عنها فلما قاربوه طلب منهم المصاف فلم يجيبوه اليه وراسلوه وتلطفوا الحال معه فلما رأى انه لا يمكنه اخذ الحصن ولا يجيبونه الى المصاف عاد الى بلاده وممن كان معه في هذه الغزوة مؤيد الدولة اسامة بن مرشد بن منقذ الكناني وكان من الشجاعة في الغاية فلما عاد الى

قطعة وهي النصف اوقية والاوقية الى الرطل الذي يكون وزنه خمسة عشر رطلا من حديد ويدفع عشر مائة نصف فضة والنصف وطل خمسون وهكذا وهو باب يجمع منه اكياس كثيرة (وفيه) ايضا طلب الباشا من عرب الفوائد غرامة سبعين الف غرش فعصوا ورحلوا باقليم الجيزة واخذوا المواشي وقتلوا من صادفوه ودخ كاشف الجيزة عليهم فصادف منهم ابا معرجملة امتعة لهم وصحبتهم نساء واولاد فاخذهم ورجع بهم (وفيه) سافر ابراهيم بك ابن الباشا الى ناحية قبلي ووصلت الاخبار بوقوع الطاعون بالاسكندرية فاشتد خوف الباشا والعسكر مع قساوتهم وصلفهم وعدم رحمتهم

(واستهل شهر ربيع الاول يوم الخميس سنة ١٢٢٨)

(فيه) قلدوا شخصا يسمى حسين البرلي وهو الكتخدا عند كتخدا بك وجعلوه في منصب بيت المال وعزلوا رجب اغا وكان انسانا لا بأس به فلما تولى هذا المرسل مجميع مشايخ الخطط والحارات وقيد عليهم بانهم يخبرونه بكل من مات من ذكر او انثى ولو كان ذا اولاد او ورثة او غير ذلك وكذلك على حوانيت الاموات وارسل فرمانات الى البلاد الاريافية والبنادر بمعنى ذلك (وفي يوم الاحد رابعه) طلب الباشا حسن افندي الروزنامجي وطلب منه ما قرر عليه وكان

واسره وكانت اخته شاه بانوار قد تزوجها شاه ارمن بن سكمان بن ابراهيم بن سكمان صاحب خلاط فارسلت الى الملك الكرج هدية جليلة المقدار وطلبت منه ان يفاديها باخيها فاطلقه فعاد الى ملكه وفيها قصد صاحب صيدا من الفرنج نور الدين محمودا صاحب الشام ملتجئا اليه فامنه وسير معه عسكرا يمنعه من الفرنج ايضا فظهر عليهم في الطريق كمين للفرنج فقتلوا من المسلمين جماعة وانهزم الباقون وفيها ملك قرا ارسلان صاحب حصن كيفا قلعة شاتان وكانت لطائفة من الاكراد يقال لهم الجوزقية فلما ملكها اخربها واضاف ولايتها الى حصن طالب وفيها توفى الكمال حمزة بن على بن طلحة صاحب المخزن كان جليل القدر ايام المسترشد بالله وولى المقتفى وبنى مدرسة لاصحاب الشافعى بالقرب من داره ثم حج وعاد وقد لبس الفوط وزى الصوفية وترك الاعمال فقال بعض الشعراء فيه

يا عضد الاسلام يا من سمت ۞ الى العلا همته القاهره
كانت لك الدنيا فلم ترضها ۞ ملكا فاخلدت الى الآخره

وبقى منقطعا فى بيته عشرين سنة ولم يزل محترما يغشاه الناس كافة

۞(ثم دخلت سنة سبع وخمسين وخمسمائة)۞

۞(ذكر فتح المؤيد طوس وغيرها)۞

فى هذه السنة فى السابع والعشرين من صفر نازل المؤيد أى ابه ابا بكر جاندار بقلعة وسكرة وهى من طوس وكان قد تحصن بها وهى حصينة منيعة لازام ثقاته واعانه اهل طوس على ابى بكر لسوء سيرته كانت فيهم وظلمه فلما رأى ابو بكر ملازمة المؤيد ومواصلة القتال عليه خضع وذل ونزل من القلعة بالامان فى العشرين من ربيع الاول من السنة فلما نزل منها حبسه المؤيد وامر بتقييده ثم سار منها الى كرستان وصاحبها ابو بكر فاخر فنزل من قلعته وهى من امنع الحصون على رأس جبل عال وصار فى طاعة المؤيد ودان له ووافقه وسير جيشا فى جمادى الآخرة منها الى اسفراين فتحصن رئيسها عبد الرحمن بن محمد بن على الحاج بالقلعة وكان ابوه كريم خراسان على الاطلاق ولكن كان عبد الرحمن هذا بئس الخلف فلما تحصن احاط به العسكر المؤيدى واستنزلوه من الحصن وحملوه مقيدا الى شاذياخ وحبس بها وقتل فى ربيع الآخر سنة ثمان وخمسين وخمسمائة وملك المؤيد ايضا قهندز نيسابور واستدارت مملكة المؤيد حول نيسابور وعادت الى ما كانت عليه قبل الآن لكنها انتقلوا الى شاذياخ وخربت المدينة العتيقة وسير المؤيد جيشا الى خواف وبها عسكر مع بعض الامراء اسمه ارغش فسكن ارغش جماعة فى تلك المضايق والجبال وتقدم الى عسكر المؤيد فقاتلهم وطلع الكمين فانهزم عسكر المؤيد وقتل منهم جمع وعاد الباقون الى المؤيد بنيسابور وسير جيشا الى بوشنج هراة وهى فى طاعة الملك محمد بن الحسين الغورى فحصروها واشتد الحصار عليها ودام القتال والزحف فسير الملك محمد الغورى جيشا اليها ليرحلهم عنها فلما قاربوا هراة فارقوها

العسكر

المنصب ايضا حتى كنا نتقاتل ولا يامننا الناس اذا كان القدر دون هذا ايضا فرجع الى الباشا وعاد اليه يقول لهم لم يكن تضعيف القدر سوى ما صح عقبه واما المنصب فهو عليكم وفى غد يطلع والدك و يجدد عليه الابقاء ويشكمد الخصم وصل الله المسداد ونهض وقبل يده وتوجه فنزل الى دارهم واخبر والده بما حصل فزاد كربه ولم يسعه الا التسليم وركب فى صبحها وطلع الى الباشا فخلع عليه ونزل الى داره بقهره وشرع فى بيع تعلقاته وما يتصل به (وفى يوم الاثنين ثالث عشره) خلع الباشا على مصطفى افندى ونزل الى داره واتاه الناس يهنونه بالمنصب (وفى يوم الاربعاء ثالث عشرينه) وردت بشائر بتملكهم الطائف ودروب المضايق منه فعملوا شنكا وضربوا مدافع كثيرة من القلعة وغيرها ثلاثة ايام فى كل وقت اذان وشرع الباشا فى تشهيل ولده اسمعيل باشا بالبشارة ليسافر الى اسلامبول وتاريخ تملكها فى سادس عشرين المحرم (وفى هذه الايام) استدعوا قصر بن الموازين وحملوا الذين اتوا بالقلعة وامروا باحضار الموازين البالية واحضاره ما عندهم من الصنج فيزنون الصنجة فان كانت زائدة او ناقصة اخذوها وابقوها عندهم وان كانت عمرة الوزن ختموها ثم واخذوا على كل ختم صفية ثلاثة انصاف

يا البعلاوي غاب الله كبير وقتئذ فعالي وكيف نتحصل شيئا ولنا رجل ضعيف واخي عثمان عندكم في

فقاتلون ويأسرون ثلاثة أيام بلياليها وعاد المسلمون منصورين ظاهرين

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة وصل الحجاج الى منى ولم يتم الحج لاكثر الناس لصدهم عن دخول مكة والطواف والسعي فمن دخل يوم النحر مكة طاف وسعى وكمل ومن تأخر عن ذلك منع دخول مكة لفتنة جرت بين أمير الحاج وأمير مكة كان سببها ان جماعة من عبيد مكة افسدوا في الحاج بمنى فنفر عليهم بعض اصحاب أمير الحاج فقتلوا منهم جماعة ورجع من سلم الى مكة وجمعوا جمعا واغاروا على جمال الحاج واخذوا منها قريبا من الف جمل فنادى أمير الحاج في جنده فركبوا بسلاحهم ووقع القتال بينهم فقتل جماعة ونهب جماعة من الحاج واهل مكة فرجع أمير الحاج ولم يدخل مكة ولم يقم بالزاهر غير يوم واحد وعاد كثير من الناس رجالة لقلة الجمال ولقوا شدة وممن حج هذه السنة جدتنا ام أبينا فلما تم الطواف والسعي فاستفتى لها الشيخ الامام ابو القاسم بن البزري فقال تدوم على ما بقي عليها من احرامها وان احبت تفدي وتحل من احرامها الى قابل وتعود الى مكة فتطوف وتسعى فتكمل الحجة الاولى ثم تحرم احراما ثانيا وتعود الى عرفات فتقف وترمي الجمار وتطوف وتسعى فتصير لها حجة ثانية فبقيت على احرامها الى قابل وحجت وفعلت كما قال فتم حجها الاول والثاني وفيها نزل بخراسان برد كثير عظيم المقدار اواخر نيسان وكان اكثره بجوين ونيسابور وما والاهما فاهلك الغلات ثم جاء بعده مطر كثير دام عشرة أيام وفيها في جمادى الآخرة وقع الحريق ببغداد احترق سوق الطيوريين والدور التي تليه مقابلها الى سوق الصفرية الجديد والخان الذي في الرحبة ودكاكين البزوريين وغيرها وفيها توفي الكيا الصباحي صاحب الموت مقدم الاسماعيلية وقام ابنه مقامه فاظهر التوبة واعاد هو ومن معه الصلوات وصيام شهر رمضان وارسلوا الى قزوين يطلبون من يصلي بهم ويعلمهم حدود الاسلام فارسلوا اليهم وفيها في رمضان درس شرف الدين يوسف الدمشقي في المدرسة النظامية ببغداد وكان مدرسا بمدرسة أبي حنيفة وكان موته في ذي القعدة وفيها توفي صدقة بن وزير الواعظ وفيها في المحرم توفي الشيخ عدي بن مسافر الزاهد المقيم ببلد الهكارية من اعمال الموصل وهو من الشام من بلد بعلبك فانتقل الى الموصل وتبعه اهل السواد والجبال بتلك النواحي واطاعوه وحسنوا الظن فيه وهو مشهور جدا

(ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وخمسمائة)

(ذكر وزارة شاور للعاضد بمصر ثم وزارة الضرغام بعده)

في هذه السنة في صفر وزر شاور للعاضد لدين الله العلوي صاحب مصر وكان ابتداء أمره ووزارته انه كان يخدم الصالح بن رزيك ولازمه فاقبل عليه الصالح وولاه الصعيد وهو اكبر الاعمال بعد الوزارة فلما ولي الصعيد ظهرت منه كفاية عظيمة وتقدم وازداد واستمال الرعية والمقدمين من العرب وغيرهم فعظم امره على الصالح ولم يمكنه

الترسيم وهو الذي يعيني ويقضي اشغالي واختم دفاتري المتصقباحوالي جميع ما اختلقوه من الدفاتر فقام عنده ابراهيم اغا برهة ثم ركب الى الباشا وكلمه في ذلك فاطلقوا الدالغاه ليسعى في التحصيل (وفي حادي عشره) عدى الباشا الى بر الجيزة يقصد السفر الى بلاد الفيوم واخذ صحبته كتبة مباشرين مسلمين ونصارى واشاع ان سفره الى الصعيد ليكشف على الاراضي ورروكها وارتحل في ليلة الثلاثاء ثالث عشره بعد ان وجه ابنه اسمعيل الى الديار الرومية في تلك الليلة بالبشارة (وفي خامس عشرينه) حضر لطيف اغا راجعا من اسلامبول وكان قد توجه ببشارة فتح الحرمين واخبروا انه لما وصل الى قرب دار السلطنة خرج للاقاته الاعيان وعند دخوله الى البلدة عملوا له موكبا عظيما مشى فيه اعيان الدولة واكابرها وصحبته عدة مفاتيح زعموا انها مفاتيح مكة وجدة والمدينة وضعوها على صفائح الذهب والفضة وامامها البخورات في مجامر الذهب والفضة والعطر والطيب وخلفهم الطبول

 والزمور وعملوا لاف شنكا ومدافع وانعم عليه السلطان واعطاه خلعا وحذاء وكذلك

حلب ودخل الى مسجد تبريز وكان قد دخله في العام الماضي حاجا الى الحج فلما دخله الآن كتب على حائطه

لك الحمد يا مولاي كم لك منة ● علي وفضل لا يحيط به شكري
نزلت بهذا المسجد العام قافلا ● من الغزو موفورا النصيب من الأجر
ومنه رحلت العيس في عامي الذي ● مضى نحو بيت الله والركن والحجر
فأديت مفروضي واسقطت ثقل ما ● تحملت من وزر الشبيبة عن ظهري

●(ذكر ملك الخليفة قلعة الماهكي)●

في هذه السنة في رجب ملك الخليفة المستنجد بالله قلعة الماهكي وسبب ذلك ان سنقر الهمذاني صاحبها سلمها الى احد مماليكه ومضى الى همذان فضعف هذا المملوك عن مقاومة ما حولها من التركمان والاكراد فاشير عليه ببيعها من الخليفة فراسل في ذلك فاستقرت على خمسة عشر الف دينار وسلاح وغير ذلك من الامتعة وعدة من القرى فسلمها وتسلم ما استقر له واقام ببغداد وهذه القلعة لم تزل من ايام المقتدر بالله بايدي التركمان والاكراد الى الآن

●(ذكر الحرب بين المسلمين والكرج)●

في هذه السنة في شعبان اجتمعت الكرج في خلق كثير يبلغون ثلاثين الف مقاتل ودخلوا بلاد الاسلام وقصدوا مدينة دوين من اذربيجان فملكوها ونهبوها وقتلوا من اهلها وسوادها نحو عشرة آلاف قتيل واخذوا النساء سبايا واسروا كثيرا واعروا النساء وقادوهن حفاة عراة واحرقوا الجامع والمساجد فلما وصلوا الى بلادهم انكر نساء الكرج ما فعلوا بنساء المسلمين وقلن لهم قد احوجتم المسلمين الى ان يفعلوا بنا مثل ما فعلتم بنسائهم وكسونهن ولما بلغ الخبر الى شمس الدين ايلدكز صاحب اذربيجان والجبل واصفهان جمع عساكره وحشدها وانضاف اليه شاه ارمن بن سكمان القطبي صاحب خلاط وابن آقسنقر صاحب مراغة وغيرهما فاجتمعوا في عسكر كثير يزيدون على خمسين الف مقاتل وساروا الى بلاد الكرج في صفر سنة ثمان وخمسين ونهبوها وسبوا النساء والصبيان واسروا الرجال ولقيهم الكرج واقتتلوا اشد قتال صبر فيه الفريقان ودامت الحرب بينهم اكثر من شهر وكان الظفر للمسلمين فانهزم الكرج وقتل منهم كثير واسر كذلك وكان سبب الهزيمة ان بعض الكرج حضر عند ايلدكز فاسلم على يديه وقال له تعطيني عسكرا حتى اسير بهم في طريق اعرفها واجيء الى الكرج من ورائهم وهم لا يشعرون فاستوثق منه وسير معه عسكرا وواعده يوما يصل فيه الى الكرج فلما كان ذلك اليوم قاتل المسلمون الكرج فبينما هم في القتال وصل ذلك الكرجي الذي اسلم ومعه العسكر وكبروا وحملوا على الكرج من ورائهم فانهزموا وكثر القتل فيهم والاسر وغنم المسلمون من اموالهم ما لا يدخل تحت الاحصاء لكثرته فانهم كانوا متيقنين الظفر لكثرتهم فخيب الله ظنهم وتبعهم المسلمون

يقتلونه

فدباع حصصه واملاكه ودار سكنه فلم يف الا خمسمائة كيس فقال لهما الملتزم يف القدر المطلوب وطلب هذا التأخير وانا محتاج الى المال فقال لم يبق عندي شيء وقد بعت التزامي واملاكي وبيتي وتداينت من الربويين حتى وفيت خمسمائة كيس وها انا بين يديك فقال له هذا كلام لا يروج علي ولا ينفعك بل اخرج المال المدفون فقال لم يكن عندي مال مدفون واما الذي اخبرك عنه فيذهب فيخرجه من محله فحنق منه وسبه وقبض على لحيته واطلعه على وجهه ويرد السيف ليضربه فترجى فيه الكتخدا والحاضرون فامر بعدم قتله وامر القواسة الاتراك بضربه فضربوه بالعصي المفضضة التي بايديهم بعد ان ضربه هو بيده عدة عصي وشج جبهته حتى اغمي عليه ثم اقاموه والبسوه فروته وحملوه وهو مغشي عليه واركبوه حمارا واحاط به خدمه واتباعه حتى اوصلوه الى منزله وارسل معه جماعة من العسكر يلازمونه ولا يدعونه يدخل الى حريمه ولا يصل اليهم منه احد وركب في اثره محمود بك الدويدار بامر الباشا وختم داره ودار اخيه عثمان افندي المذكور واخذ صحبته الى القلعة وحبسوه واما ولده واخواه فانهم تغيبوا من وقت الطلب واختفوا ونزل اليه في اليوم الثاني ابراهيم اغا اغات الباب

مازندران اختلاف أدى الى الحرب فجمع كل منهما عسكره والتقوا أوائل ذي الحجة
في هذه السنة واقتتلوا فانهزم عسكر مازندران وأخذت أسلابهم وقتل منهم طائفة
كبيرة وغنموا ملك المؤيد بلاد قومس أرسل اليه السلطان ارسلان بن طغرل بن محمد بن
ملكشاه خلعا نفيسة والوية معقودة وهدية جليلة وامره ان يهتم بمصالح بلاد خراسان
ويتولى ذلك جميعه وان يخطب له فلبس المؤيد الخلع وخطب له في البلاد التي هي بيده
وكان السبب في هذا أتابك شمس الدين ايلدكز فانه كان هو الذي يحكم في مملكة
ارسلان وليس لارسلان غير الاسم وكان بين ايلدكز وبين المؤيد مودة ذكرناها
عند قتل المؤيد طغان فلما اطاع المؤيد السلطان ارسلان خطب له ببلاده وهي قومس
ونيسابور وطوس واعمال نيسابور جميعها ومن نسا الى طبس كيلكي وكان يخطب
لنفسه بعد ارسلان وكانت الخطبة في جرجان ودهستان لخوارزمشاه ايل ارسلان بن
اتسز وبعده للامير ايثاق وكانت الخطبة في مرو وبلخ وهراة وسرخس وهذه البلاد
بيد الغز الا هراة فانها بيد الامير ايتكين وهو مسالم للغز فكانوا يخطبون للسلطان
سنجر فيقولون اللهم اغفر للسلطان السعيد المبارك سنجر وبعده للامير الذي هو
الحاكم في تلك البلاد

(ذكر قتل الغز ملك الغور)

في هذه السنة في رجب قتل سيف الدين محمد بن الحسين الغوري ملك الغور قتله الغز
وسبب ذلك انه جمع عساكره وحشد فاكثر وسار من جبال الغور يريد الغز وهم ببلخ
واجتمعوا وتقدموا اليه فاتفق ان ملك الغور خرج من معسكره في جماعة من خاصته
جريدة فسمع به امراء الغز فساروا يطلبونه مجدين قبل ان يعود الى معسكره فلحقوه
فقاتلهم اشد قتال رآه الناس فقتل ومعه نفر ممن كان معه واسر طائفة وهربت طائفة
فلحقوا بعسكرهم وعادوا الى بلادهم منهزمين لا يقف الاب على ابيه ولا الاخ على
اخيه وتركوا كل ما معهم بحاله ونجوا بنفوسهم فكان عمر ملك الغور لما قتل نحو
عشرين سنة وكان عادلا حسن السيرة فمن عدله وحسن عقيدته انه لما حصر اهل هراة
فلما ملكها اراد عسكره ان ينهبوها فنزل على درب المدينة واحضر الاموال والثياب
فاعطى جميع عسكره منها وقال هذا خير من ان تنهبوا اموال المسلمين وتسخطوا الله
تعالى فان الملك يبقى على الكفر ولا يبقى على الظلم ولما قتل عاد الغز الى بلخ ومرو وقد
غنموا شيئا كثيرا من العسكر الغوري لان اهله تركوه ونجوا

(ذكر انهزام نور الدين محمود من الفرنج)

في هذه السنة انهزم نور الدين محمود بن زنكي من الفرنج تحت حصن الاكراد وهي
الوقعة المعروفة بالبقيعة تحت حصن الاكراد حاصره وعازما على قصد طرابلس
ومحاصرتها فبينما الناس يوما في خيامهم وسط النهار لم يرعهم الا ظهور صلبان الفرنج
من وراء الجبل الذي عليه حصن الاكراد وذلك ان الفرنج اجتمعوا واتفق رأيهم على

الذي هو قاضي العسكر
يحقق قولهم ويبني على
مذهبهم ورغبة الباشا في
الحياة الدنيا وكذلك أهل
دائرته وخوفهم من الموت
يصدقون قولهم حتى انه
اتفق انه مات بالمحكمة عند
القاضي شخص من اتباعه
فاحرق ثيابه وغسل المحل
الذي مات فيه وتبخيره
بالبخورات وكذلك غسل
الاواني التي كان يحملها
وبخروها وامروا أصحاب
الشرطة انهم يأمرون الناس
وأصحاب الاسواق بالكنس
والرش والتنظيف في كل
وقت وقشر الثياب واذا ورد
عليهم مكاتيب خرقوها
بالسكاكين ودخنوها
بالبخور قبل ورودها ولما عزم
الباشا على كورنتينة الجيزة
ارسل في ذلك اليوم بان
ينادوا بها على سكانها بان
من كان يملك قوته وقوت عياله
ستين يوما واحب الاقامة
فليمكث بالبلد والا فليخرج
منها ويذهب ويسكن حيث
اراد في غيرها وامهلوا
اربع ساعات فانزعج سكان
الجيزة وخرج من خرج واقام
من اقام وكان ذلك وقت
الحصاد ولهم مزارع واسباب
مع مجاوريهم من اهل القرى
ولا يخفى احتياجات النفس
لنفسه وعياله وبهائمه فمنعوا
جميع ذلك حتى سدوا فروج السور والابواب ومنعوا المعادي معطلوا وأقام الباشا ببيت الازبكية لا يجتمع

عزله فاستخدام استعماله لئلا يخرج عن طاعته فلما برح الصالح كان من جملة وصيته لولده العادل انه لا يغير على شاور فانى انا اقوى منك وقد ندمت على استعماله ولم يمكنى عزله فلا تغيروا امانه فيكون لكم منه ما تكرهون فلما توفى الصالح من جراحته وولى ابنه العادل الوزارة حسن له اهله عزل شاور واستعمال بعضهم مكانه وخوفوه منه ان اقره على عمله فارسل اليه بالعزل فجمع جموعا كثيرة وسار الى القاهرة بهم فهرب منه العادل بن الصالح بن رزيك فاخذ وقتل فكانت مدة وزارته ووزارة ابيه قبله تسع سنين وشهرا واياما وصار شاور وزيرا وتلقب بامير الجيوش واخذ اموال بنى رزيك وودائعهم وذخائرهم واخذ منه ايضا طى والكامل ابنا شاور شيئا كثيرا وتفرق كثير منها وجحدوا ظهرت عليهم عند انتقال الدولة عن شاور والمصريين الى الاتراك ثم ان الضرغام جمع جموعا كثيرة ونازع شاور فى الوزارة فى شهر رمضان وظهر امره وانهزم شاور منه الى الشام على ما نذكره سنة تسع وخمسين وخمسمائة وصار ضرغام وزيرا كان هذه السنة ثلاثة وزراء العادل بن رزيك وشاور وضرغام فلما تمكن ضرغام من الوزارة قتل كثيرا من الامراء المصريين لتخلو له البلاد من منازع فضعفت الدولة بهذا السبب حتى خرجت البلاد عن ايديهم

(ذكر وفاة عبد المؤمن وولاية ابنه يوسف)

فى هذه السنة فى العشرين من جمادى الآخرة توفى عبد المؤمن بن على صاحب بلاد المغرب وافريقية والاندلس وكان قد سار من مراكش الى سلا فمرض بها ومات ولما حضره الموت جمع شيوخ الموحدين من اصحابه وقال لهم قد جربت ابنى محمدا فلم اره يصلح لهذا الامر وانما يصلح له ابنى يوسف وهو اولى بها فقدموه ووصاهم به وبايعوه ودعى بامير المؤمنين وكتموا موت عبد المؤمن وحمل من سلا فى محفة بصورة مريض الى ان وصل الى مراكش وكان ابنه ابو حفص فى تلك المدة حاجبا لابيه فبقى مع اخيه على مثل حاله مع ابيه يخرج فيقول للناس امير المؤمنين امر بكذا ويوسف يقعد مقعد ابيه الى ان كملت المبايعة له فى جميع البلاد واستقرت قواعد الامور له ثم اظهر موت ابيه عبد المؤمن فكانت ولايته ثلاثا وثلاثين سنة وشهورا وكان عاقلا حازما سديد الرأى حسن السياسة للامور كثير البذل للاموال الا انه كان كثير السفك للدماء المسلمين على الذنب الصغير وكان يعظم امر الدين ويقويه ويلزم الناس فى سائر بلاده بالصلاة ومن رآه وقت الصلاة غير مصل قتل وجمع الناس بالمغرب على مذهب مالك فى الفروع وعلى مذهب ابى الحسن الاشعرى فى الاصول وكان الغالب على مجلسه اهل العلم والدين المرجع اليهم والكلام معهم ولهم

(ذكر ملك المؤيد اعمال قومس والخطبة للسلطان ارسلان بخراسان)

فى هذه السنة سار المؤيد اى ابه صاحب نيسابور الى بلاد قومس فملك بسطام ودامغان واستناب بقومس مملوكه تنكز فاقام تنكز بمدينة بسطام فجرى بين تنكز وبين شاه

ا كابر الدولة واتهم عليه المشكار بمائتين وخمسين وصار يقال له لطيف باشا (وفيه) وردت الاخبار بقدوم قهوجي باشا ومعه خلع والمواخ للباشا وصحبة المواخ ولايات لمن يختار تقليده فاحتفل الباشا به غاية وصاانه الخبارة وارسل الى امراء الثغور بالاسكندرية ودمياط بالاعتناء به لانه عند وروده على ثغرهما (وفيه) حضر خليل بك حاكم الاسكندرية الى مصر فرارا من الطاعون لانه قد فشا بها ومات اكثر عسكره واتباعه

(واستهل شهر ربيع الثانى بيوم الاحد سنة ١٢٢٨)

(فى ثامنه) حضر الباشا على حين غفلة من الفيوم الى الجيزة ولم يعلموا به الا لما وصل الى ناحية بنى سويف ركب بغلة سريعة العدو ومعه بعض خواصه على الهجن والبغال فوصل الى الفيوم فى اربع ساعات وانقطع اكثر المرافقين له ومات منهم بضعة عشر هجينا (وفى يوم الثلاثاء عاشره) عملوا مولد المشهد الحسينى المعتاد وتقيد لتنظيمه السيد المحروقى الذى تولى النظارة عليه وجلس بيت السادات المجاور للمشهد بمكان اخلوه له وفى ذلك اليوم امر الباشا بعمل كورنتينه بالجيزة ونوه باقامته بها وزاد به الخوف والوهم من الطاعون لحصول القليل منه بمصر ومات الحكيم الفرنساوى وبعض

مواقفته في التشيع وكان يرد من يتشيع فقد هو وابن معروف في قتل العجم والتضييق عليهم وصدمنا البكاء في المناقفات فسلموا حينئذ فقتل منهم أربعة آلاف فقبل ونودي فيمن بقي من وجد بعد ذا في المحلة المزيدية فقد حل دمه فتفرقوا في البلاد ولم يبق منهم بالعراق من يعرف وسلمت بطائحهم الى ابن معروف و بلادهم

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة وقع في بغداد حريق في باب درب قرا شاه الى مشرعة الصباغين من الجانبين وفيها في رجب توفي سديد الدولة أبو عبد الله بن عبد الكريم بن ابراهيم بن عبد الكريم المعروف بابن الانباري كاتب الانشاء بديوان الخلافة وكان فاضلا اديبا ذا تقدم كثير عند الخلفاء والسلاطين وخدم من سنة ثلاثين وخمسمائة الى الآن في ديوان الخلافة وعاش حتى قارب تسعين سنة وتوفي في رمضان هبة الله بن الفضل بن عبد العزيز بن محمد المتوثي وسمع الحديث وهو من الشعراء المشهورين الا انه كثير الهجو ومن شعره

يامن هجرت ولا تبالي ۞ هل ترجع دولة الوصال
هل اطمع يا عذاب قلبي ۞ ان ينعم في هواك بالي
الطرف كما عهدت باك ۞ والجسم كما ترين بالي
ما ضرك أن تعلليني ۞ في الوصل بموعد المحال
اهواك وأنت حظ غيري ۞ يا قاتلتي فما احتيالي

وهي اكثر من هذا

(ثم دخلت سنة تسع وخمسين وخمسمائة)

(ذكر مسير شيركوه وعساكر نور الدين الى ديار مصر وعودهم عنها)

في هذه السنة في جمادى الاولى سير نور الدين محمود بن زنكي عسكرا كثيرا الى مصر وجعل عليهم الامير اسد الدين شيركوه بن شاذي وهو مقدم عسكره وأكبر امراء دولته واشجعهم وسنذكر سنة اربع وستين سبب اتصاله بنور الدين وعلو شأنه عنده ان شاء الله تعالى وكان سبب ارسال هذا الجيش ان شاور وزير العاضد لدين الله العلوي صاحب مصر نازعه في الوزارة ضرغام وغلب عليها فهرب شاور منه الى الشام ملتجئا الى نور الدين ومستجيرا به فأكرم مثواه واحسن اليه وانعم عليه وكان وصوله في ربيع الاول من السنة وطلب منه ارسال العساكر معه الى مصر ليعود الى منصبه ويكون لنور الدين ثلث دخل البلاد بعد اقطاعات العساكر ويكون شيركوه مقيما بعساكره في مصر ويتصرف هو بأمر نور الدين واختياره فبقي نور الدين يقدم الى هذا الغرض رجلا ويؤخر اخرى فتارة يحمله رعاية قصد شاور بابه وطلب الزيادة في الملك والتقوي على الفرنج وتارة يمنعه خطر الطريق وان الفرنج فيه وتخوف ان شاور ان استقرت قاعدته ربما لا يفي ثم قوي عزمه على ارسال الجيوش فتقدم بتجهيزها وازاحة

الزيادة التي في شعرة الرطل منها اربع عشرة اوقية في جميع الادهان والخضراوات على العادة القديمة ونقص من اسعار اللحم وغيره ففرح الناس بذلك ولكن لم يستمر ذلك (وفي يوم الاربعاء حادي عشره) بين الظهر والعصر كانت السماء مصحية والشمس مضيئة صافية فما هو الا والسماء والجو غلب عليهم غيم وقتام وريح نكباء غربية جنوبية واظلم ضوء الشمس وارعدت رعدتين الثانية اعظم من الاولى وبرق ظاهر ضوؤه وامطرت مطرا متوسطا ثم سكن الريح وانجلت السماء وقت العصر وكان ذلك سابع بشنس القبطي وآخر يوم من نيسان الرومي فسبحان الملك الفعال مغير الشؤون والاحوال وحصل في تاليه يوم الجمعة مثل ذلك الوقت ايضا غيوم ورعود كثيرة ومطر أزيد من اليوم الاول

(واستهل شهر جمادى الثانية سنة ١٢٢٨)

(في ثاني عشره) وصل في النيل على طريق دمياط اغا من طرف الدولة يقال له قبوجي باشا السلطان فاعتنى الباشا بشأنه وحضر الى قصره بشبرا وأمر باحضار عدة من المدافع وآلات النفط وجعلوا أمام القصر بساحل النيل تعاليق وقناديل وقدات ونبيه على الدوائر بالاجتماع علا بسهم ونيتهم ووصل الاغا المذكور يوم الاحد نغمرج الافرات

كثرة المسلمين فرارا فانهم يكونون آمنين فركبوا من وقتهم ولم يتوقفوا واجدوا حتى صبحوا
عساكرهم وساروا مجدين فلم يشعر بذلك المسلمون الا وقد قربوا منهم فارادوا منعهم
فلم يطيقوا ذلك فارسلوا الى نور الدين يعرفونه الحال فرهقتهم الفرنج بالحملة فلم يثبت
المسلمون وعادوا يطلبون معسكر المسلمين والفرنج في ظهورهم فوصلوا معا الى العسكر
النوري فلم يتمكن المسلمون من ركوب الخيل واخذ السلاح الا وقد خالطوهم فاكثروا
القتل والاسر وكان اشدهم على المسلمين الدوقس الرومي فانه كان قد خرج من بلاده الى
الساحل في جمع كثير من الروم فقاتلوا محتسبين في زعمهم فلم يبقوا على احد وقصدوا
خيمة نور الدين وقد ركب فيها فرسه ونجا بنفسه ولسرعته ركب الفرس والشبحة في
رجله فنزل انسان كردي قطعها فنجا نور الدين وقتل الكردي فاحسن نور الدين الى
مخلفيه ووقف عليهم الوقوف ونزل نور الدين على بحيرة قدس بالقرب من حمص وبينه
وبين المعركة اربعة فراسخ وتلاحق به من سلم من العسكر وقال له بعضهم ليس من
الرأي ان تقيم ههنا فان الفرنج ربما حملهم الطمع على المجيء الينا فنؤخذ ونحن على
هذا الحال فوبخه واسكته وقال اذا كان معي الف فارس لقيتهم ولا ابالي بهم ووالله
لا استظل بسقف حتى آخذ بثاري وثار الاسلام ثم ارسل الى حلب ودمشق واحضر
الاموال والثياب والخيام والسلاح والخيل فاعطى الناس عوض ما اخذ منهم جميعه
بقولهم فعاد العسكر كأن لم تصبه هزيمة وكل من قتل اعطى اقطاعه لاولاده واما الفرنج
فانهم كانوا عازمين على قصد حمص بعد الهزيمة لانها اقرب البلاد اليهم فلما بلغهم نزول
نور الدين بينها وبينهم قالوا لم يفعل هذا الا وعنده قوة يمنعنا بها ولما رأى اصحاب نور
الدين كثرة خرجه قال له بعضهم ان لك في بلادك ادرارات وصدقات كثيرة على
الفقهاء والفقراء والصوفية والقراء فلو استعنت بها في هذا الوقت لكان اصلح فغضب
من ذلك وقال والله اني لا ارجو النصر الا باولئك فانما ترزقون وتنصرون بضعفائكم
كيف اقطع صلات قوم يقاتلون عني وانا نائم على فراشي بسهام لا تخطئ واصرفها الى
من لا يقاتل عني الا اذا رآني بسهام قد تصيب وقد تخطئ وهؤلاء القوم لهم نصيب في
بيت المال كيف يحل لي ان اعطيه غيرهم ثم ان الفرنج راسلوا نور الدين يطلبون منه
الصلح فلم يجبهم وتركوا عند حصن الاكراد من يحميه وعادوا الى بلادهم

(ذكر اجلاء بني اسد من العراق)

في هذه السنة امر الخليفة المستنجد بالله باهلاك بني اسد اهل الحلة المزيدية لما ظهر
من فسادهم ولما كان في نفس الخليفة منهم من مساعدتهم السلطان محمدا لما حصر
بغداد فامر يزدن بن قماج بقتالهم واجلائهم من البلاد وكانوا منبسطين في البطائح
والا يقدر عليهم فتوجه يزدن اليهم وجمع عساكر كثيرة من فارس وراجل
وارسل الى ابن معروف مقدم المنتفق وهو بارض البصرة فجاء في خلق كثير وحصرهم
وسكر عنهم الماء وصابرهم مدة فارسل الخليفة يعتب على يزدن وينسبه الى

بانفض من الناس الى يوم الجمعة فعدى في ذلك اليوم وقت الفجر وطلع الى قصر الجيزة واوقف مركبين الاولى
ببر الجيزة والاخرى في مقابلتها
ببر مصر القديمة فلما ارسل
الكتخدا اوامره الى اليه
راسلة ناولها المرسل القيد
بذلك في طرف زراق بعد
تخمير الورقة بالشمع واللبان
والكبريت وبقيا وضاءته
الآخر بزراق آخر على بعد
منهما وعاد راجعا فلما قرب
من البر ناولها المنتظر لها ايضا
بزراق وطرحها في النخل
وبخرها بالبخور المذكور ثم
وصلها لحضرة المشار اليه
بكيفية اخرى فما قام اياما
وسافر الى الفيوم ورجع كما
ذكر وارسل مماليكه ومن
يعز عليه ويخاف عليه من
الموت الى اسيوط (وفي يوم
السبت سابعه) نودي
بالاسواق بان السيد محمدا
المحروقي شاه بندر التجار بمصر
وله الحكم على جميع التجار
واهل الحرف والمتسببين في
قضاياهم وقوانينهم وله الامر
والنهي فيهم (وفيه) وصل
الى مصر عدة كبيرة من
العساكر الرومية على طريق
دمياط ونصبوا الخيام وطاقا
خارج باب النصر وحضر
فيهم نحو الخمسمائة نفر ارباب
صنائع بنائين ونجارين وخراطين
فانزلوهم بوكالة بخط الخليفة
(وفي يوم الاحد ثامنه)
تقلد الحسبة الخواجا محمود
حسن ولبس الخلعة وركب وشق المدينة وامامه الميزان فرسم بورود الموازين الى الارطال

تخاف ان يغدر بك هؤلاء المصريون والفرنج وقد احاطوا بك وباصحابك ولا يبقى لكم بقية فقال شيركوه يا ليتهم فعلوه حتى كنت ترى ما افعله كنت والله اضع السيف فلا يقتل منا رجل حتى يقتل منهم رجال وحينئذ يقصدهم الملك العادل نور الدين وقد ضعفوا وفني شجعانهم فنملك بلادهم ومن بقي منهم والله لو اطاعني هؤلاء لخرجت اليكم من اول يوم ولكنهم امتنعوا فصلب على وجهه وقال كنا نعجب من فرنج هذه البلاد وما ننسبهم في صفتك وخوفهم منك والآن فقد عذرناهم ثم رجع عنه وسار شيركوه الى الشام فوصل سالما وكان الفرنج قد وضعوا له على مضيق في الطريق رصدا ليأخذوه او ينالوا منه مظفرا فعلم بهم فعاد عن ذلك الطريق ففيه يقول عمارة

اخذتم من الافرنج كل ثنية * وقلتم لايدي الخيل مري على مري
لئن نصبوا في البرجسرا فانكم * عبرتم ببحر من حديد على الجسر

ولفظة مري في آخر البيت الاول اسم ملك الفرنج

(ذكر هزيمة الفرنج وفتح حارم)

في هذه السنة في شهر رمضان فتح نور الدين محمود بن زنكي قلعة حارم من الفرنج وسبب ذلك ان نور الدين لما عاد منهزما من البقيعة تحت حصن الاكراد كما ذكرناه قبل فرق الاموال والسلاح وغير ذلك من الآلات على ما تقدم فعاد العسكر كانهم لم يصابوا واخذ في الاستعداد للجهاد والاخذ بثأره واتفق ان بعض الفرنج سار مع ملكهم الى مصر كما ذكرناه فاراد ان يقصد بلادهم ليعودوا عن مصر فارسل الى اخيه قطب الدين مودود صاحب الموصل وديار الجزيرة والى فخر الدين قرا ارسلان صاحب حصن كيفا والى نجم الدين البي صاحب ماردين وغيرهم من اصحاب الاطراف يستنجدهم فاما قطب الدين فانه جمع عسكره وسار مجدا وفي مقدمته زين الدين علي امير جيشه واما فخر الدين صاحب الحصن فبلغني عنه انه قال له ندماؤه وخواصه على اي شيء عزمت فقال على القعود فان نور الدين قد تحشف من كثرة الصوم والصلاة وهو يلقي نفسه في المهالك فكلهم وافقه على هذا الراي فلما كان الغد امر بالتجهز للغزاة فقال له اولئك ما عدا عما بدا فارقناك امس على حالة فنراك اليوم على ضدها فقال ان نور الدين قد سلك معي طريقا ان لم انجده خرج اهل بلادي عن طاعتي واخرجوا البلاد عن يدي فانه قد كاتب زهادها وعبادها والمنقطعين عن الدنيا يذكر لهم ما لقي المسلمون من الفرنج وما نالهم من القتل والاسر ويستمد منهم الدعاء ويطلب ان يحثوا المسلمين على الغزاة فقد قعد كل واحد من اولئك ومعه اصحابه واتباعهم وهم يقرؤن كتب نور الدين ويبكون ويلعنوني ويدعون علي فلا بد من المسير اليه ثم تجهز وسار بنفسه واما نجم الدين فانه سير عسكرا فلما اجتمعت العساكر سار نحو حارم فحصرها ونصب عليها المجانيق وتابع الزحف اليها فاجتمع من بقي بالساحل من الفرنج فأتوا في حدهم وحديدهم وملوكهم وفرسانهم وقسوسهم ورهبانهم واقبلوا اليه من كل حدب ينسلون وكان المقدم عليهم البرنس بيمند صاحب انطاكية وقمص

الفرش ثم اخرجه وهلم وكذلك امر من معه من الرجال بالغطس في الماء وغسل ثيابهم كل ذلك خوفا من رائحة الطاعون وتطيرا وهروبا من الموت (وفي خامس عشرينه) سافر ابراهيم بك راجعا الى الصعيد (وفيه حضر) عرضي الباشا الذي كان سافر في ربيع الاول الى الجهة القبلية ومعه الكتبة ايضا المسلمون لتحرير حساب الاقباط ومساحة الاراضي (وفي اواخره) نودي على اهل الجيزة باحضار الكورنتينة شهري رجب وشعبان وان يعطوا المسلم فسحة للتبديين والباعة ثلاثة ايام وكذلك لمن يخرج او اذا دخل لا يخرج اذا كان عنده ما يكفيه ويكفي عياله في مدة الشهرين والثلاثة ايام الفسحة لهم فيها لقضاء اشغالهم واحتياجاتهم فخرج اهل البلدة بامرهم ولم يبق منهم الا القليل النادر القادر وايضا تفرقوا في البلاد وفي الكثير منهم حول البلدة وفي الغيطان حول بيادرهم واجرانهم وعملوا لهم اعشاشا تظلهم من حر الشمس ووهج الهجير وينادي المقيم بالبلدة بحاجته من اعلى السور الى رفيقه او صاحبه الذي هو خارج البلدة فيجيبه ويرد جوابه من مكان بعيد ولا يمكنونهم من تناول الاشياء واما العسكر فانهم يدخلون ويخرجون ويقضون حوائجهم ويشترون الخضراوات والبطيخ وغيره ويبيعونه على المقيم بالبلدة باغلى الاثمان واذا اراد احد من اهل البلدة الخروج منعوه

علاها وكان هوى أسد الدين في ذلك وعنده من الشجاعة وقوة النفس ما لا يبالي
بمخافة فتجهز وساروا جميعا وشاور في صحبتهم في جمادى الاولى من سنة تسع وخمسين
وتقدم نور الدين الى شيركوه ان يعيد شاور الى منصبه وينتقم له ممن نازعه فيه وسار نور
الدين الى طرف بلاد الفرنج مما يلي دمشق بعساكره ليمنع الفرنج من التعرض
لاسد الدين ومن معه فكان قصارى الفرنج حفظ بلادهم من نور الدين ووصل اسد الدين
والعساكر معه الى مدينة بلبيس فخرج اليهم ناصر الدين اخو ضرغام بعسكر المصريين
ولقيهم فانهزم وعاد الى القاهرة ووصل اسد الدين فنزل على القاهرة اواخر جمادى
الآخرة فخرج ضرغام من القاهرة سلخ الشهر فقتل عند مشهد السيدة نفيسة وبقي يومين
ثم حمل ودفن في القرافة وقتل اخوه فارس المسلمين وخلع على شاور مستهل رجب واعيد
الى الوزارة وتمكن منها واقام اسد الدين بظاهر القاهرة فغدر به شاور وعاد عما كان
قرره لنور الدين من البلاد المصرية ولاسد الدين ايضا وارسل اليه يأمره بالعود الى الشام
فاعاد الجواب بالامتناع وطلب ما كان قد استقر بينهم فلم يجبه شاور اليه فلما
رأى ذلك ارسل الى نوابه فتسلموا مدينة بلبيس وحكم على البلاد الشرقية فارسل شاور
الى الفرنج يستمدهم ويخوفهم من نور الدين ان ملك مصر وكان الفرنج قد ايقنوا
بالهلاك ان تم ملكه لها فلما ارسل شاور يطلب منهم ان يساعدوه على اخراج اسد الدين
من البلاد جاءهم فرج لم يحتسبوه وسارعوا الى تلبية دعوته ونصرته وطمعوا في تملك
الديار المصرية وكان قد بذل لهم مالا على المسير اليه وتجهزوا وساروا فلما بلغ نور الدين
ذلك سار بعساكره الى اطراف بلادهم ليمتنعوا عن المسير فلم يمنعهم ذلك لعلمهم ان
الخطر في مقامهم اذا ملك أسد الدين مصر أشد فتركوا في بلادهم من يحفظها وسار ملك
القدس في الباقين الى مصر وكان قد وصل الى الساحل جمع كثير من الفرنج في البحر
لزيارة البيت المقدس فاستعان بهم الفرنج الساحلية فاعانوهم فسار بعضهم معهم
واقام بعضهم في البلاد لحفظها فلما قارب الفرنج مصر فارقها أسد الدين وقصد مدينة
بلبيس فاقام بها هو وعسكره وجعلها له ظهرا يتحصن به فاجتمعت العساكر المصرية
والفرنج ونازلوا أسد الدين شيركوه بمدينة بلبيس وحصروه بها ثلاثة اشهر وقد امتنع
بها مع ان سورها قصير جدا وليس لها خندق ولا فصيل يحميها وهو يغاديهم القتال
ويراوحهم فلم يبلغوا منه غرضا ولا نالوا منه شيئا فبينما هم كذلك اذ أتاهم الخبر بهزيمة
الفرنج على حارم وملك نور الدين حارم ومسيره الى بانياس على ما نذكره ان شاء الله تعالى
فحينئذ سقط في أيديهم وارادوا العودة الى بلادهم ليحفظوها فراسلوا أسد الدين في
الصلح والعود الى الشام ومفارقة مصر وتسليم ما بيده منها الى المصريين فاجابهم الى
ذلك لانه لم يعلم ما فعله نور الدين بالشام بالفرنج ولان الاقوات والذخائر قلت عليه
وخرج من بلبيس في ذي الحجة فحدثني من رأى أسد الدين حين خرج من بلبيس قال
أخرج اصحابه بين يديه وبقي في آخرهم وبيده لت من حديد يحمي ساقتهم والمسلمون
والفرنج ينظرون اليه قال فاتاه فرنجي من الغرباء الذين خرجوا من البحر فقال له اما

والمغاربة والصقلية وهم لابسون القوا ويق ١٢٤ وجميع العساكر الخيالة البلايا طلعت الشمس حتى اجتمعوا الى
جهة شبرا وانتظموا في موكب
ودخلوا من باب النصر يقدمهم
طوائف الدلاة واكابرهم
ويتلوهم ارباب المناصب مثل
الاغا الوالي والمحتسب وبوائق
وجاقات المصرية ثم موكب
كتخدا بك وبعده موكب
الاغا الواصل وفي اثرهما وصل
معه من الخلع وهي اربع بقجج
وخنجران بجوهران وسيف
وثلاث شلنجات عليها ريش
بجوهرة وخلف ذلك العساكر
الخيالة والتفكجية وخلفهم
النوبة التركية فكان مدة
مرورهم نحو ساعتين وربع
ولبس تيمور بحالة مشاة سوى
الخدم وقليل عسكر مشاة واما
بقية العسكر فهم متفرقون
بالاسواق والازقة كالجراد
المنتشر خلاف من برسم في كل
وقت من الاجناس المختلفة
برا وبحرا لغير الخلع الواردة ما هو
مختص بالباشا وهو فروة وخنجر
ووريقة بشلنج واطواخ ولابنه
ابراهيم بك مثل ذلك
واستمر ذلك الاغا ورفيقه
واتباعهما بمنزل ابراهيم بك
ابن الباشا بالازبكية بقنطرة
الدكة وارسل باحضار وقف من
ناحية قبلي فحضر على الهجن
ولبس الخلعة بولايته على
الصعيد فنزل بالجيزة وعدى
الى مصر عند امه بقصر شبرا
ولبس الخلعة واقام عند ابيه
ثلاث ليال ثم عدى الى بر الجيزة وعندما وصل الى البر ابتدر في السفينة بعجم امن

يخاف

ووصالاوشامل الفرنج فى اعمال طبر بقوة وردوا الدصلى الاعمال التى لم يشاطرهم عليها مالا فى كل سنة ووصل خبر ملك حارم وحصن بانياس الى الفرنج فعصر ضالحواشير كوه وعادوا البلد وكوا بانياس ولم يصلوا الا وقد ملكها ولما عاد منها الى دمشق كان بيده خاتم بفص ياقوت من احسن الجوهر وكان يسمى الجبل لكبره وحسنه فسقط من يده فى شعراء بانياس وهى كثيرة الاشجار ملتفة الاغصان فلما ابعد عن المكان الذى ضاع فيه علم به فاعاد اصحابه فى طلبه ودلهم على المكان الذى كان آخر عهده به فيه وقال اظنه هناك سقط فعادوا اليه فوجدوه فقال بعض الشعراء الشاميين اظنه ابن منير يمدحه ويهنئه بهذه الغزاة ويذكر الجبل الياقوت

ان يمتر الشك فيك بانك المهدى مطلق جرة الحال

فلعودة الجبل الذى اضللته ● بالامس بين غياطل وجبال

لم يعطها الا سليمان وقد ● نبت الر باعو نك لا عجال

وبوجرمر بر ملكك انه ● كسر يوعن كل حد عالى

فلو البحار السبعة استهو بته ● داجرتهن فذفنه فى الحال

ولما فتح الحصن كان معه ولد معين الدين اتر الذى سلم بانياس الى الفرنج فقال له للمسلمين بهذا الفتح فرحة واحدة ولك فرحتان فقال كيف ذلك قال لان اليوم برد الله جلد والدك من نار جهنم

●(ذكر اخذ الاتراك غزنة من ملكشاه وعوده اليها)●

فى هذه السنة قصد بلاد غزنة الاتراك المعروفون بالغز ونهبوها وخربوها وقصدوا غزنة وبها صاحبها ملكشاه بن خسروشاه المحمودى فعلم انه لا طاقة له بهم ففارقها وسار الى مدينة لهاوور وملك الغز مدينة غزنة وكان المقيم بامرهم اميرا اسمه زنكى بن على بن خليفة الشيبانى ثم ان صاحبها ملكشاه جمع وعاد الى غزنة ففارقها زنكى وعاد ملكها ملكشاه بدخلها فى جمادى الآخرة سنة تسع وخمسين وخمسمائة وسكن فى دار ملكه

●(ذكر وفاة جمال الدين الوزير وشئ من سيرته)●

فى هذه السنة توفى جمال الدين ابو جعفر محمد بن على بن ابى منصور الاصفهانى وزير قطب الدين صاحب الموصل فى شعبان مقبوضا وكان قد قبض عليه سنة ثمان وخمسين فبقى فى الحبس نحو سنة حكى لى انسان صوفى يقال له ابو القاسم كان مختصا بخدمته فى الحبس قال لم يزل مشغولا فى حبسه بامر آخرته وكان يقول كنت اخشى ان انقل من الدست الى القبر فلما اتفق ان مرض قال لى فى بعض الايام يا ابا القاسم اذا جاء طائر ابيض الى الدار فعرفنى قال فقلت فى نفسى قد اختلط عقله فلما كان الغد اكثر السؤال عنه واذا طائر ابيض لم ار مثله قد سقط فقلت جاء الطائر فاستبشر ثم قال جاء الحق واقبل على الشهادة وذكر الله تعالى الى ان توفى فلما توفى طار ذلك الطائر فعلمت انه رأى شيئا

ذكر حضوره بالخلع والشالجات والخناجر بعدما اعطى خدمته مبلغا من الاكياس واصحب معه الباشا هدية عظيمة لصاحب الدولة واكابرها وقدره من الذهب العين اربعون الف دينار ومن التصفيات يعنى نصف الدينار ستون الفا ومن فروق البن خمسمائة فرق ومن السكر المكرر ثمانمائة قنطار ومن السكر درجة واحدة مائتى قنطار ومن الاحد صينى الذى يقال له اسكى معدن مملوءة بالمربيات وانواع الشربات المسك المطيب المختلف الانواع ومن الخيول خمسون جوادا مرختة بالجوهر والتمدكش (١) واللؤلؤ والمرجان وخمسون حصانا من غير رخوت واقمشة هندية كشميرى ومنصبات وشاهى ومهرتان فى عدة تعابى بقج ومحور وعود وعنبر واشياء اخرى (وفيه) ايضا حضر اغا يقال له حاتم افندى وصحبته مرسوم قرئ بالديوان فى يوم الاثنين مضمونه البشارة بمولود ولد للسلطان وسموه عثمان واجتمع لسماع ذلك المشايخ والاعيان وضربوا بعد قراءته مشتكا ومدافع واستمر ذلك سبعة ايام فى كل وقت من الاوقات الخمسة (وفى يوم الثلاثاء عشرينه) الموافق لثالث عشر مسرى القبطى اوفى النيل المبارك اذرعه ونودى بذلك فى الاسواق على العادة وكثر اجتماع غوغاء الناس للخروج الى الروضة وناحية السد والولائم فى البيوت المطلة على الخليج

صاحب طرابلس وابن جوسلين وهو من مشاهير الفرنج والدوك وهو مقدم
كبير من الروم وجمعوا الفارس والراجل فلما قاربوه رحل عن حارم الى ارتاح طمعا ان
يتبعوه فيتمكن منهم لبعدهم عن بلادهم اذا لقوه فساروا فنزلوا على عم ثم علموا عجزهم عن
لقائه فعادوا الى حارم فلما عادوا اتبعهم نور الدين في ابطال المسلمين على تعبئة الحرب فلما
تقاربوا اصطفوا للقتال فبدأ الفرنج بالحملة على ميمنة المسلمين وفيها عسكر حلب
وصاحب الحصن فانهزم المسلمون فيها وتبعهم الفرنج فقيل كانت تلك الهزيمة من الميمنة
على اتفاق ورأي دبروه وهو ان يتبعهم الفرنج فيبعدوا عن راجلهم فيميل عليهم من بقي
من المسلمين بالسيوف فاذا عاد فرسانهم لم يلقوا راجلا يلجؤن اليه ولا وزر يعتمدون
عليه ويعود المنهزمون في آثارهم فيأخذهم المسلمون من بين ايديهم ومن خلفهم
وعن ايمانهم وعن شمائلهم فكان الامر على ما دبروه فان الفرنج لما تبعوا المنهزمين
عطف عليهم زين الدين علي في عسكر الموصل على راجل الفرنج فافناهم قتلا واسرا
وعاد خيالتهم ولم يمعنوا في الطلب خوفا على راجلهم فعاد المنهزمون في آثارهم فلما
وصل الفرنج رأوا رجالهم قتلى واسرى فسقط في ايديهم ورأوا انهم قد هلكوا وبقوا
في الوسط قد احدق بهم المسلمون من كل جانب فاشتدت الحرب وقامت على ساق
وكثر القتل في الفرنج وتمت عليهم الهزيمة فعدل حينئذ المسلمون عن القتل الى الاسر
فاسروا ما لا يحد وفي جملة الاسرى صاحب انطاكية والقمص صاحب طرابلس
وكان شيطان الفرنج واشدهم شكيمة على المسلمين والدوك مقدم الروم وابن جوسلين
وكانت عدة القتلى تزيد على عشرة آلاف قتيل واشار المسلمون على نور الدين بالمسير الى
انطاكية وتملكها لخلوها من حام يحميها ومقاتل يذب عنها فلم يفعل وقال اما المدينة
فامرها سهل واما القلعة فمنيعة وربما سلموها الى ملك الروم لان صاحبها ابن اخته
ومجاورة بيمند احب الي من مجاورة صاحب قسطنطينية وبث السرايا في تلك الاعمال
فنهبوها واسروا اهلها وقتلوهم ثم انه فادى برنس بيمند صاحب انطاكية واشترى من
المسلمين خلقا كثيرا اطلقهم

(ذكر ملك نور الدين قلعة بانياس من الفرنج ايضا)

في ذي الحجة من هذه السنة فتح نور الدين محمود قلعة بانياس وهي بالقرب دمشق
وكانت بيد الفرنج من سنة ثلاث واربعين وخمسمائة ولما فتح حارم اذن لعسكر الموصل
وديار بكر بالعود الى بلادهم واظهر انه يريد طبرية فجعل من بقي من الفرنج همتهم حفظها
وتقويتها فسار نور الدين الى بانياس لعلمه بقلة من فيها من الحماة المانعين عنها ونازلها وضيق
عليها وقاتلها وكان في جملة عسكره اخوه نصرة الدين امير اميران فاصابه سهم فاذهب
احدى عينيه فلما رآه نور الدين قال له لو كشف لك عن الاجر الذي اعد لك لتمنيت ذهاب
الاخرى وجد في حصارها فسمع الفرنج فجمعوا فلم تتكامل عدتهم حتى فتحها على ان
الفرنج كانوا قد ضعفوا بقتل رجالهم بحارم واسرهم فملك القلعة وملأها ذخائر وعدة

من اخذ شيء من متاعه او يهينه او يشانه او حسده ولا يخرج الا بعد ابطاله (وفي اواخره) وصل من
الديار الرومية واصل وعلى يده
مرسوم فقرئ بالمحكمة في يوم
الاحد ثامن عشر شهر صفر
كتخدا بك والقاضي والمشايخ
واكابر الدولة والجم الغفير من
الناس ومضمونه الامر للخطباء
في المساجد يوم الجمعة على
المنابر بان يقولوا عند الدعاء
للسلطان فيقولوا السلطان ابن
السلطان بتكرير لفظ السلطان
ثلاث مرات محمود خان ابن
السلطان عبد الحميد خان
ابن السلطان احمد خان
الغازي خادم الحرمين
الشريفين لانه استحق ان
ينعت بهذه النعوت لكونه
عساكره افتتحت بلاد الحرمين
وطردت الخوارج واخرجتهم
منها لان المفتي افتاهم بانهم
كفار لتكفيرهم المسلمين
وجعلوهم مشركين وخروجهم
على السلطان وقتلهم الانفس
وان من قاتلهم يكون غازيا
ومجاهدا او شهيدا اذا قتل
ولما انقضى المجلس ضربوا
مدافع كثيرة من القلعة
وبولاق والجيزة وعملوا الشنكا
واستمر ضربهم المدافع عند كل
اذان عشرة ايام وذلك ونحوه
من الغرور

(واستهل شهر رجب سنة ١٢٢٨)

(في منتصفه) حضر بونابارته
الى القطار من الديار الحجازية على طريق القصير (وفي اواخره) سافر قهوجي باشا الذي تقدم

ورجالا

ورجالا وشاهد الفرنج في اعمال طبرية قوة ورجالا فصلى الاعمال التي لم يشاطرهم عليها مالا في كل سنة ووصل خبر ملك حارم وحصر بانياس الى الفرنج فصالحوا الحواشي كره وعادوا ليتداركوا بانياس فلم يصلوا الا وقد ملكها ولما عاد منها الى دمشق كان بيده خاتم بفص ياقوت من احسن الجوهر وكان يسمى الجبل لكبره وحسنه فسقط من يده في شعرا بانياس وهي كثيرة الاشجار ملتفة الاغصان فلما ابعد عن المكان الذي ضاع فيه علم به فاعاد اصحابه في طلبه ودلهم على المكان الذي كان آخر عهده به فيه وقال اظنه هناك سقط فعادوا اليه فوجدوه فقال بعض الشعراء الشاميين اظنه ابن منير يمدحه ويهنئه بهذه الغزاة ويذكر الجبل الياقوت

ان يمتر الشكاك فيك بانك المهدي مطفي جمرة الدجال

فلعودة الجبل الذي اضللته ● بالامس بين غياطل وجبال

لم يعطها الا سليمان وقد ● نبت الرياح به بلا اعمال

ومن يسر ملكك انه ● كسر يرد عن كل حد عالي

فلو البحار السبعة استهوينه ● وامرتهن قذفنه في الحال

ولما فتح الحصن كان معه ولد معين الدين انر الذي سلم بانياس الى الفرنج فقال له للمسلمين بهذا الفتح فرحة واحدة ولك فرحتان فقال كيف ذلك قال لان اليوم برد الله جلد والدك من نار جهنم

●(ذكر اخذ الاتراك غزنة من ملكشاه وعودها اليه)●

في هذه السنة قصد بلاد غزنة الاتراك المعروفون بالغز ونهبوها وخربوها وقصدوا غزنة وبها صاحبها ملكشاه بن خسرو شاه المحمودي فعلم انه لا طاقة له بهم ففارقها وسار الى مدينة لاهور وملك الغز مدينة غزنة وكان المقيم بامرهم اميرا اسمه زنكي بن علي بن خليفة الشيباني ثم ان صاحبها ملكشاه جمع وعاد الى غزنة ففارقها زنكي وعاد ملكها ملكشاه ودخلها في جمادى الآخرة سنة تسع وخمسين وخمسمائة وتمكن في دار ملكه

●(ذكر وفاة جمال الدين الوزير وشيء من سيرته)●

في هذه السنة توفي جمال الدين ابو جعفر محمد بن علي بن ابي منصور الاصفهاني وزير قطب الدين صاحب الموصل في شعبان مقبوضا وكان قد قبض عليه سنة ثمان وخمسين فبقي في الحبس نحو سنة حكى لي انسان صوفي يقال له ابو القاسم كان مختصا بخدمته في الحبس قال لم يزل مشغولا في محبسه بامر آخرته وكان يقول كنت اخشى ان انقل من الدست الى القبر فلما اتفق ان مرض قال لي في بعض الايام يا ابا القاسم اذا جاء طائر ابيض الى الدار فعرفني قال فقلت في نفسي قد اختلط عقله فلما كان الغد اكثر السؤال عنه واذا طائر ابيض لم ار مثله قد سقط فقلت جاء الطائر فاستبشر ثم قال جاء الحق واقبل على الشهادة وذكر الله تعالى الى ان توفي فلما توفي طار ذلك الطائر فعلمت انه رأى شيئا

ذكر حضوره بالخلع والشالنبات والخناجر بعدما اعطى خدمته مبلغا من الاكياس واصحب معه الباشا هدية مقدمة لصاحب الدولة واكابرها وقدره من الذهب العين اربعون الف دينار ومن المحبوبات يعني نصف الدينار ستون الفا ومن فروق البن خمسمائة فرق ومن السكر المكرر درتين مائة قنطار ومن السكر درة واحدة مائتي قنطار ومائة قدر صيني الذي يقال له اسكي معدن مملوءة بالمربيات وانواع الشربات المسك المطيب المختلف الانواع ومن الخيول خمسون جوادا مرختة بالجوهر والنمدكش (١) واللؤلؤ والمرجان وخمسون حصانا من غير حوش واقمشة هندية كشميري ومقصبات وشاهي ومهرخان في عدة ذمالي بقج وبخور وعود وعنبر واشياء اخرى (وفيه) ايضا حضر اغا يقال له جانم افندي وصحبته مرسوم قرئ بالديوان في يوم الاثنين مضمونه البشارة بمولود ولد للسلطان وسموه عثمان واجتمع لسماع ذلك المشايخ والاعيان وضربوا بعد قراءته شنكا ومدافع واستمر ذلك سبعة ايام في كل وقت من الاوقات الخمسة (وفي يوم الثلاثاء عشرينه) الموافق لثالث عشر مسرى القبطي اوفى النيل المبارك اذرعه ونودي بذلك في الاسواق على العادة وكثر اجتماع

غرفة الناس الخروج الى الروضة وناحية السد والولائم في البيوت المطلة على الخليج

صاحب طرابلس والبرنس صاحب انطاكية وابن جوسلين وهو من مشاهير الفرنج والدوك وهو مقدم كبير من الروم وجمعوا الفارس والراجل فلما قاربوه رحل عن حارم الى ارتاح طمعا ان يتبعوه فيتمكن منهم لبعدهم عن بلادهم اذا لقوه فساروا فنزلوا على عم ثم علموا عجزهم عن لقائه فعادوا الى حارم فلما عادوا تبعهم نور الدين في ابطال المسلمين على تعبئة الحرب فلما تقاربوا اصطفوا للقتال فبدأ الفرنج بالحملة على ميمنة المسلمين وفيها عسكر حلب وصاحب الحصن فانهزم المسلمون فيها وتبعهم الفرنج فقيل كانت تلك الهزيمة من الميمنة على اتفاق ورأي دبروه وهو ان يتبعهم الفرنج فيبعدوا عن راجلهم فيميل عليهم من بقي من المسلمين بالسيوف فاذا عاد فرسانهم لم يلقوا راجلا يلجئون اليه ولا وزرا يعتمدون عليه ويعود المنهزمون في آثارهم فيأخذهم المسلمون من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم فكان الامر على ما دبروه فان الفرنج لما تبعوا المنهزمين عطف عليهم زين الدين علي في عسكر الموصل على راجل الفرنج فافناهم قتلا واسرا وعادت خيالتهم ولم يمعنوا في الطلب خوفا على راجلهم فعاد المنهزمون في آثارهم فلما وصل الفرنج راوا رجالتهم قتلى واسرى فسقط في ايديهم وراوا انهم قد هلكوا وبقوا في الوسط قد احدق بهم المسلمون من كل جانب فاشتدت الحرب وقامت على ساق وكثر القتل في الفرنج وتمت عليهم الهزيمة فعدل حينئذ المسلمون عن القتل الى الاسر فاسروا ما لا يحد وفي جملة الاسرى صاحب انطاكية والقمص صاحب طرابلس وكان شيطان الفرنج واشدهم شكيمة على المسلمين والدوك مقدم الروم وابن جوسلين وكانت عدة القتلى تزيد على عشرة آلاف قتيل واشار المسلمون على نور الدين بالمسير الى انطاكية وتملكها لخلوها من حام يحميها ومقاتل يذب عنها فلم يفعل وقال اما المدينة فامرها سهل واما القلعة فمنيعة وربما سلموها الى ملك الروم لان صاحبها ابن اخيه ومجاورة بيمند احب الي من مجاورة صاحب قسطنطينية وبث السرايا في تلك الاعمال فنهبوها واسروا اهلها وقتلوهم ثم انه فادى برنس بيمند صاحب انطاكية بمال جزيل واسرى من المسلمين خلقا كثيرا اطلقهم

(ذكر ملك نور الدين قلعة بانياس من الفرنج ايضا)

في ذي الحجة من هذه السنة فتح نور الدين محمود قلعة بانياس وهي بالقرب دمشق وكانت بيد الفرنج من سنة ثلاث واربعين وخمسمائة ولما فتح حارم اذن لعسكر الموصل وديار بكر بالعود الى بلادهم واظهر انه يريد طبرية فجعل من بقي من الفرنج همتهم حفظها وتقويتها فسار نور الدين محمود الى بانياس لعلمه بقلة من فيها من الحماة المانعين عنها ونازلها وضيق عليها وقاتلها وكان في جملة عسكره اخوه نصرة الدين امير اميران فاصابه سهم فاذهب احدى عينيه فلما رآه نور الدين قال له لو كشف لك عن الاجر الذي اعد لك لتمنيت ذهاب الاخرى وجد في حصارها فسمع الفرنج فجمعوا فلم تتكامل عدتهم حتى فتحها على ان الفرنج كانوا قد ضعفوا بقتل رجالهم بحارم واسرهم فملك القلعة وملأها ذخائر وعدة

من اخذ شيء من متاعه او بيته او شانه اوحبسه ومن لا يخرج الا بجرد ابطوله (وفي اواخره) وصل من الديار الرومية تواصل وعلى يده مرسوم مقرئ بالمحكمة في يوم الاحد ثامن عشره بحضرة كتخدا بك والقاضي والمشايخ واكابر الدولة والجم الغفير من الناس ومضمونه الامر للخطباء في المساجد يوم الجمعة على المنابر بان يقولوا عند الدعاء للسلطان فيقولوا السلطان ابن السلطان بتكرير لفظ السلطان ثلاث مرات محمود خان ابن السلطان عبد الحميد خان ابن السلطان احمد خان الغازي خادم الحرمين الشريفين لانه اتفق ان ينعت بهذه النعوت لكون عساكره افتتحت بلاد الحرمين وطردت الخوارج واخرجتهم منها لان المفتي افتاهم بانهم كفار لتكفيرهم المسلمين وبحملهم منهم كثير وخروجهم على السلطان وقتالهم الانفس وان من قاتلهم يكون غازيا ومجاهدا وشهيدا اذا قتل ولما انقضى المجلس ضربوا مدافع كثيرة من القلعة وبولاق والجيزة وعملوا الشنكا واستمر ضربهم المدافع عند كل اذان عشرة ايام وذلك ونحوه من الخروج

(واستهل شهر رجب سنة ١٢٢٨)

(في منتصفه) حضر بونا بارته الخ اقتدار من الديار الحجازية على طريق القصير (وفي اواخره) سافر قبوجي باشا الذي تقدم

ومن الحلوى ويتركه فى خبز بين يديه فكنت انا ومن يراه نظن انه يحمله الى ام ولده
على ما اتفق انه فى بعض السنين جاء الى الخبز برسم قطب الدين وكنت اتولى ديوانها
وحمل جارية تمام ولده الى دارى لتدخل الحمام فبقيت فى الدار اياما فبينما انا عنده فى
الحمام وقد اكل الطعام فعل كما كان يفعل ثم تفرق الناس فقمت فقال اقعد فقعدت
فلما خلا المكان قال لى قد آثرتك اليوم على نفسى فانى فى الحمام معه كنتى ان افعل
ما كنت افعل فخذ هذا الخبز واحمله انت فى كمك فى هذا المنديل واترك الحماقة من
وامش وعد الى بيتك فاذا رايت فى طريقك فقيرا يقع فى نفسك انه مستحق فاعطه انت
بنفسك واطعمه هذا الطعام قال ففعلت ذلك وكان معى جمع كثير ففرقتهم فى الطريق
الا برفق اعمل ذلك وبقيت فى قلقى فرأيت فى موضع انسانا اعمى وعنده اولاده
وزوجته وهم من الفقر فى حال شديد فنزلت عن دابتى اليهم واخرجت الطعام واطعمتهم
اياه وقلت للرجل يجىء غدا باكر الى دار فلان اعنى دارى ولم اعرفه نفسى فانى آخذ لك
من صدقة جمال الدين شيئا ثم ركبت اليه العصر فلما رآنى قال ما الذى فعلت فى الذى
قلت لك فاخذت اذكر له شيئا بعد شىء فقال ليس عن هذا اسالك انما اسالك عن
الطعام الذى سلمته اليك فذكرت له الحال ففرح ثم قال يا بنى انك لو قلت للرجل يجىء
اليك هو واهله فتكسوهم وتعطيهم دنانير وتجرى لهم كل شهر دنانير قال فقلت له قد
قلت للرجل حتى يجىء الى فازداد فرحا وفعلت بالرجل ما قال ولم يزل يصل اليه رسمه
حتى قبض وله من هذا كثير فمن ذلك انه تصدق بثيابه من على بدنه فى بعض السنين
التى تعذرت الاقوات فيها

(ذكر اجلاء القارغلية من وراء النهر)

كان خان خانان الصينى ملك الخطا قد فوض ولاية سمرقند وبخارا الى الخان جغرى
خان بن حسن تكين واستعمله عليهما وهو من بيت الملك قديم الابوة فبقى فيهما مدبرا
لامورها فلما كان الآن ارسل اليه ملك الخطا باجلاء الاتراك القارغلية من اعمال
بخارا وسمرقند الى كاشغر وان يتركوا حمل السلاح ويشتغلوا بالزراعة وغيرها من
الاعمال فتقدم جغرى خان اليهم بذلك فامتنعوا فالزمهم والح عليهم بالانتقال فاجتمعوا
وصاروا كلهم واحدة فكثروا وساروا الى بخارا فارسل الفقيه محمد بن عمر بن برهان
الدين عبد العزيز بن مازة رئيس بخارى الى جغرى خان يعلمه ذلك ويحثه على الوصول
اليهم بعساكره قبل ان يعظم شرهم وينهبوا البلاد وارسل اليهم ابن مازة يقول لهم ان
الكفار بالامس لما طرقوا هذه البلاد امتنعوا عن النهب والقتل وانتم مسلمون غزاة
فيقبح بكم مد الايدى الى الاموال والدماء وانا ابذل لكم من الاموال ما ترضون به لتكفوا
عن النهب والغارة فترددت الرسل بينهم فى تقرير القاعدة وابن مازة يطاولهم ويمادى
الايام الى ان وصل جغرى خان فلم يشعر الاتراك القارغلية الا وقد دهمهم جغرى خان
فى جيوشه وجموعه بغتة ووضع السيف فيهم فانهزموا وتفرقوا وكثر القتل فيهم والنهب

فلم يرلمن ذكر (وفى ليلة الاربعاء سابع عشرينه) عمل الباشا جمعية ببيت الازبكية واحضر الاعيان والمشايخ والقضاة الثلاثة وهم بهجت افندى المنفصل عن قضاء مصر وصديق افندى المتوجه الى قضاء مكة المنفصل عن قضاء مصر العام الذى قبله والقاضى المتوجه الى المدينة فعقدوا عقد ابنه اسمعيل باشا على ابنة عارف بك التى حضرت بصحبته من الديار الرومية وعقدوا عقد اخته ابنة الباشا على محمد افندى الذى تقلد الدفتردارية ولما تم ذلك قدموا لهم تعابى بقج فى كل واحدة اربع قطع من الاقمشة الهندية وهى شال كشميرى وطاقة مقصبر وطاقة قطنى هندى وطاقة شاهى وفرقوا على الدون من الناس الحاضرين محارم ثم ان الباشا شرع فى الاهتمام الى سفر الحجاز وتشهيل المطاليب والادوات فمن جملة ذلك اربعون صندوقا من الصفيح المشبوح داخلها بالشمع والمصطكى والخشب من خارج وفوق الخشب جلود البقر المدبوغ ليودع بها ماء النيل المحلى لشربه وشرب خاصته ومثلها فى كل شهر يتعهد بحمل ذلك وغيره السيد المحروقى ويرسله فى كل شهر

(واستهل شهر شوال يوم الاحد سنة ١٢٢٨)

(فى سابعه يوم السبت) اداروا كسوة الكعبة وكانت مصنوعة من نحو خمس سنوات وموضوعة فى مكان بالمشهد

فى معنا ودفن بالموصل عند فتح الكرامى رحمة الله عليهما مدة سنة ثم نقل الى المدينة فدفن بالقرب من حرم النبى صلى الله عليه وسلم فى رباط بناه لنفسه وقال لابى القاسم بينى وبين أسد الدين شيركوه عهد من مات منا قبل صاحبه حمله الحى الى المدينة فدفنه بها فى التربة التى عملتها فاذا أنا مت فامض اليه وذكره فلما توفى سار أبو القاسم الى شيركوه فى المعنى فقال له شيركوه كم تريد فقال اريد اجرة جمل يحمله وجمل يحملنى وزادى فانتهره وقال مثل جمال الدين يحمل هكذا الى مكة واعطاه مالا صالحا ليحمل معه جماعة يحجون عن جمال الدين وجماعة يقرؤن عليه بين يدى تابوته اذا حمل واذا نزل عن الجمل واذا وصل الى مدينة يدخل اولئك القراء ينادون للصلاة عليه فيصلى عليه فى كل بلد يجتاز بها واعطاه ايضا مالا للصدقة عنه فصلى عليه فى تكريت وبغداد والحلة وفيد ومكة والمدينة وكان يجتمع له فى كل بلد من الخلق ما لا يحصى ولما أرادوا الصلاة عليه بالحلة صعد شاب على موضع مرتفع وأنشد بأعلى صوته

سرى نعشه فوق الرقاب وطالما ✽ سرى جوده فوق الركاب ونائله
يمر على الوادى فتثنى رماله ✽ عليه وبالنادى فتثنى أرامله

فلم ير باكيا أكثر من ذلك اليوم فطافوا به حول الكعبة وصلوا عليه بالحرم الشريف وبين قبره وقبر النبى صلى الله عليه وسلم خمسة عشر ذراعا وأما سيرته فكان رحمه الله اسخى الناس وأكثرهم بذلا لما فى يديه بالخلق متعطفا عليهم عادلا فيهم فمن اعماله الحسنة انه جدد بناء مسجد الخيف بمنى وغرم عليه أموالا كثيرة وبنى الحجر بجانب الكعبة وزخرف الكعبة وذهبها وعملها بالرخام ولما اراد ذلك ارسل الى المقتفى لامر الله هدية جليلة وطلب منه ذلك وارسل الى الامير عيسى امير مكة هدية كبيرة وخلعا سنية من جملتها عمامة مشتراها بثلثمائة دينار حتى مكنه من ذلك وعمر ايضا المسجد الذى على جبل عرفات والدرج التى يصعد فيها اليه وكان الناس يلقون شدة فى صعودهم وعمل بعرفات ايضا مصانع للماء واجرى الماء اليها من نعمان فى طرق معمولة تحت الارض خرج عليها مال كثير وكان يجرى الماء فى المصانع كل سنة أيام عرفات وبنى سورا على مدينة النبى صلى الله عليه وسلم وعلى فيد وبنى لها ايضا فصيلا وكان يخرج على باب داره كل يوم للصعاليك والفقراء مائة دينار اميرى هذا سوى الادرارات والتعهدات للائمة والصالحين وارباب البيوت ومن ابنيته العجيبة التى لم ير الناس مثلها الجسر الذى بناه على دجلة عند جزيرة ابن عمر بالحجر المنحوت والحديد والرصاص والكلس فقبض قبل ان يفرغ وبنى عندها ايضا جسرا كذلك على النهر المعروف بالارماد وبنى الربط وقصده الناس من اقطار الارض ويكفيه ان ابن الخجندى رئيس أصحاب الشافعى باصفهان قصده وابن الكافى قاضى همذان فاخرج عليهما مالا عظيما وكانت صدقاته وصلاته من اقاصى خراسان الى حدود اليمن وكان يشترى الاسرى كل سنة بعشرة آلاف دينار هذا من الشام حسب سوى ما يشترى من الكرج حكى لى والدى قال كثيرا ما كنت ارى جمال الدين اذا قدم اليه الطعام يأخذ منه

ومن

وما يحصل من اجتماع الاخلاط اما جرى الماء كما هو المعتاد فى كل سنة واما اذا نودى بالوفاء حصل ذلك الاجتماع فى تلك الليلة وكسروا السد فى صبحها عادة لا تختلف فيما اعلم فلما كان آخر النهار ورد الخبر بان الباشا امر بتاخير فتح الخليج الى يوم الخميس ثانيه فكان كذلك وخرج الباشا فى صبح يوم الخميس وكسر السد وجرى الماء فى الخليج وتكالف أرباب الدور المطلة على الخليج كافة ثانية اضيافهم

✽(واستهل شهر رمضان بيوم الجمعة سنة ١٢٢٨)✽

(وفى خامسه) يوم الثلاثاء حضر ابن الباشا المدعو باسمعيل من الديار الرومية ووصل الى ساحل النيل بشبرا وضربوا لوصوله مدافع من القلعة وبولاق وشبرا والجيزة وتقدم انه توجه ببشارة الحرمين واكرمته الدولة وأعطوه أطواخا (وفى عاشره) حضر قاصد من الديار الرومية ووصل الى ساحل النيل وصحبته بشارة بمولود ولدت لحضرة السلطان فعملوا الديوان بالقلعة واجتمع به المشايخ والاعيان واكابر الدولة وقرئ الفرمان الواصل فى شان ذلك وفى مضمونه الامر لكافة بالفرح والسرور وعمل الشنك وبعد الفراغ من ذلك ضربت المدافع من ابراج القلعة واستمر ضربها فى كل وقت أذان خمسة ايام وهذا لم يعهد فى الدول الماضية الا للاولاد الذكور واما الاناث

في هذه السنة أغار الامير محمد بن انز على بلد الاسماعيلية بخراسان واهلها غافلون فقتل منهم وغنم واسر وسبى واكثر وملأ اصحابه ايديهم من ذلك وفيها توفي ابو الفضل نصر ابن خلف ملك سجستان وعمره اكثر من مائة سنة ومدة ملكه ثمانون سنة وملك بعده ابنه شمس الدين ابو الفتح احمد بن نصر وكان ابو الفضل ملكا عادلا عفيفا عن رعيته وله آثار حسنة في نصرة السلطان سنجر في غير موقف وفيها خرج ملك الروم من القسطنطينية في عساكر لا تحصى وقصد بلاد الاسلام التي بيد قلج ارسلان وابن دانشمند فاجتمع التركمان في تلك البلاد في جمع كبير فكانوا يغيرون على اطراف عسكره ليلا فاذا اصبح لا يرى احدا وكثر القتل في الروم حتى بلغت عدة القتلى عشرات ألوف فعاد الى القسطنطينية ولما عاد ملك المسلمون منه عدة حصون وفيها توفي الامام عمر الخوارزمي خطيب بلخ ومفتيها والقاضي ابو بكر المحمودي صاحب التصانيف والاشعار وله مقامات بالفارسية على نمط مقامات الحريري بالعربية

(ثم دخلت سنة ستين وخمسمائة)

(ذكر وفاة شاه مازندران وملك ابنه بعده)

في هذه السنة ثامن ربيع الاول توفي شاه مازندران رستم بن علي بن شهريار بن قارن ولما توفي كتم ابنه علاء الدين الحسن موته اياما حتى استولى على سائر الحصون والبلاد ثم اظهره فلما ظهر خبر وفاته اظهر اينانج صاحب جرجان ودهستان المنازعة لولده في الملك ولم يرع حق ابيه عليه فانه لم يزل يذب عنه ويحميه اذا التجأ اليه وامكن الملك عظيم ولم يحصل من منازعته على شيء غير سوء السمعة وقبح الاحدوثة

(ذكر حصر المؤيد نسا ورحيلهم عنها)

كان المؤيد قد سير جيشا الى مدينة نسا فحصروها الى جمادى الاولى من هذه السنة فسير خوارزمشاه ايل ارسلان بن اتسز جيشا الى نسا فلما قاربوها رحل عنها عسكر المؤيد وعادوا الى نيسابور اواخر جمادى الاولى وسار عسكر المؤيد الى عسكر خوارزم لانهم توجهوا الى نيسابور فتقدم العسكر المؤيدي ليردوهم عنها فلما سمع العسكر الخوارزمي بهم عاد عنهم وصار صاحب نسا في طاعة خوارزمشاه والخطبة له فيها وسار عسكر خوارزم الى دهستان فالتجأ صاحبها الامير اينانج الى المؤيد صاحب نيسابور بعد تمكن الوحشة بينهما فقبله المؤيد احسن قبول وسير اليه جيشا كثيفا فاقاموا عنده حتى دفع الضرر عن نفسه وبلده من جهة طبرستان واما دهستان فان عسكر خوارزم غلبوا عليها وصار لهم فيها شحنة

(ذكر استيلاء المؤيد على هراة)

قد ذكرنا قتل صاحب هراة سنة سبع وخمسين فلما قتل تجهز الامراء الغزية وساروا الى هراة وحصروها وقد تولى امرها انسان يلقب اثير الدين وكان له ميل الى الغز وهو يجاريهم ظاهرا ويراسلهم باطنا فاتهمه لهذا السبب خلق كثير من اهل هراة فاجتمع

والمضايق وذا زوج اخت الشريف غالب ونزح عنه وانضم الى الوهابيين فكان اعظم اعوانهم وهو الذي كان يحاربهم ويقاتل ويجمع قبائل العربان ويدعوهم عدة سنين ويوجه السرايا على المخالفين وغاراته واشتهر له المآثر في الاقطار وهو الذي كان افتتح الطائف وحاربها وحاصرها وقتل الرجال وسبى النساء وهدم قبة ابن عباس الغريبة الشكل والوصف وكان هو المحارب للعسكر مع عربان حرب في العام الماضي بناحية الصفراء والجديدة وهزمهم وشتت شملهم ولما قبضوا عليه احضروه الى جدة واستمر في الترسيم عند الشريف لياخذ بذلك وجاهة عند الاتراك الذي هو على ملتهم ويتحقق لديهم نصحه لهم ومعاداته لاخصامهم وسيلقى قريبا منهم جزاء فعله ووبال امره كما سيتلى عليك بعضه بعد قليل

(واستهل شهر ذي القعدة بيوم الثلاثاء سنة ١٢٢٨) (وفي اوائله) وردت اخبار من الجهة الرومية بان عساكر العثمانيين استولوا على بلاد بلغارد من ايدي طائفة الصرب وكانوا استولوا عليها سابقا واربعين سنة واقاموا بعد ذلك (وفيه عزل) محمود حسن من الحسبة وتقلدها عثمان اغا المعروف بالورداني (وفي خامس عشره) وصل عثمان المضايق بصحبة المسفر بن معه الى الرابدانية آخر الليل واشيع ذلك فلما طلعت الشمس ضربوا المدافع من

واختفى طائفة منهم في الغياض والآجام ثم ظفر بهم أصحاب جغرى خان فقطعوا دابرهم ودفعوا عن بخارا ونواحيها ضررهم وخلت الأرض منهم

(ذكر استيلاء سنقر على الطالقان وغرشستان)

في هذه السنة استولى الأمير صلاح الدين سنقر وهو من مماليك السنجرية على بلاد الطالقان وأغار على حدود غرشستان وتابع الغارات عليها حتى ملكها فصار الولايتان له وتحكم فيهما وله نواح ومدن منيعة وقلاع حصينة وصالح الأتراك الغزية وحمل لهم الإتاوة كل سنة

(ذكر قتل صاحب هراة)

كان صاحب هراة ايتكين بينه وبين الغورية هادنة فلما توفي ملك الغور محمد طمع في بلادهم فغزاهم غير مرة ونهب وأغار فلما كان في شهر رمضان من هذه السنة جمع ايتكين جموعه وسار إلى بلاد الغور وساروا إلى باميان وإلى ولاية بست والرخج فقاتله صاحبها المظفر تتكين برتقش العلكي من قبل الغورية فظهروا إلى باميان واستولى على بست والرخج فسلمهما إلى بعض أولاد ملوك الغور وأما ايتكين فإنه توغل في بلاد الغور فأتاه أهلها وقاتلوه وصدوه وصدقوا القتال فانهزم عسكره وقتل هو في المعركة

(ذكر ملك شاه مازندران قومس وبسطام)

قد ذكرنا استيلاء المؤيد صاحب نيسابور على قومس وبسطام وملك البلاد وأنه استناب بها غلامه تنكز فلما كان هذه السنة جهز شاه مازندران جيشا واستعمل عليهم أميرا له يعرف بسابق الدين القزويني فسار إلى دامغان فملكها فجمع تنكز من عنده من العساكر وسار إليه إلى دامغان فخرج إليه القزويني فوصل إلى تنكز على غرة منه فلم يشعر هو وعسكره إلا وقد كبسهم القزويني ووضع السيف فيهم فتفرقوا وولوا منهزمين واستولى عسكر شاه مازندران على تلك البلاد وعاد تنكز إلى المؤيد صاحب نيسابور واشتغل بالغارة على بسطام وبلاد قومس

(ذكر عصيان غمارة بالمغرب)

لما تحقق الناس موت عبد المؤمن سنة تسع وخمسين ثارت قبائل غمارة مع مفتاح بن عمرو وكان مقدما كبيرا فيهم واتبعوه بأجمعهم وامتنعوا في جبالهم وهي معاقل مانعة وهم أمة عظيمة فجهز إليهم أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن ومعه أخواه عمرو وعثمان في جيش كبير من الموحدين والعرب وتقدموا إليهم فاقتتلوا سنة إحدى وستين وخمسمائة فانهزمت غمارة وقتل منهم كثير وفيمن قتل مفتاح بن عمرو مقدمهم وجماعة من أعيانهم ومقدميهم وملكوا بلادهم عنوة وكان هنالك قبائل كثيرة تريد الفتنة فانتظروا ما يكون من غمارة فلما قتلوا ذلت تلك القبائل وانقادوا للطاعة ولم يبق متحرك لفتنة ومعصية فسكنت الدهماء في جميع المغرب

(ذكر عدة حوادث)

الحسيني فاخرجوها في منزل الشهر وفقه ثم فتشت لعل المدينة الوجاد منصوبة وكان عليها اسم السلطان مصطفى فغيروه وكتبوا اسم السلطان محمود فاجتمع الناس للفرجة عليها وكان المباشر لها الرئيس حسن الطوروقي ثم ركب في موكبها (وفي ليلة السبت رابع عشره) خرج محمد علي باشا مسافرا إلى الحجاز وكان خروجه وقت طلوع الفجر من يوم السبت المذكور إلى بركة الحاج وخرج الأعيان والمشايخ لوداعه بعد طلوع النهار فأخذوا خاطره ورجعوا آخر النهار وركب هو متوجها إلى السويس بعد مضي ثمان ساعات وربع من النهار وبرزت الخيالة والمغاربة إلى خارج باب النصر ليذهبوا على طريق البر وقبل خروج الباشا بيومين قدمت هجانة مبشرون بالقبض على عثمان المضايفي بناحية الطائف وكان قد تجرد على الطائف فسير إليه الشريف غالب وصحبته عساكر الأتراك والعربان فحاربوه وحاربهم فأصيب جواده فسقط إلى الأرض واختلط بالعسكر فلم يعرفوه وخرج من بينهم ومشى وتباعد عنهم نحو أربع ساعات فصادفه جماعة من جند الشريف فقبضوا عليه وأصابته جراحة وعندما فقد من بين قومه ارتفع الحرب فيما بين الفريقين أخريات النهار وأحضروه إلى الشريف غالب فجعل في رقبته الجنزير

الى ان يكون هذا التنافس كان ايام الصالح فكتب الابيات ثم انشد الى الآن

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في صفر وقع في اصفهان فتنة عظيمة بين صدر الدين عبد اللطيف بن الخجندي وغيره من اصحاب المذاهب بسبب التعصب للمذاهب فدام القتال بين الطائفتين ثمانية ايام متتابعة قتل فيها خلق كثير واحترق وهدم كثير من الدور والاسواق ثم افترقوا على اقبح صورة وفيها ابتنى الاسماعيلية قلعة بالقرب من قزوين فقيل لشمس الدين ايلدكز فلم يكن له انكار لهذه الحال خوفا من شرهم وقتالهم فتقدموا بعد ذلك الى قزوين فحصروها وقاتلهم اهلها اشد قتال رآه الناس وحكى لي بعض اصدقائنا بل مشايخنا من الائمة الفضلاء قال كنت بقزوين اشتغل بالعلم وكان بها انسان يقود جمعا كبيرا وكان موصوفا بالشجاعة وله عصابة حمراء اذا قاتل عصب بها رأسه فقال فكنت اصاحبه واشتهي الجلوس معه قال فبينما انا عنده يوما واذا هو يقول كاني بالملاحدة وقد قصدوا البلد غدا فخرجنا اليهم وقاتلناهم فكنت اول الناس وانا متعصب بهذه العصابة فقاتلناهم فلم يقتل غيري ثم ترجع الملاحدة ويرجع اهل البلد قال فوالله لما كان الغد اذ قد وقع الصوت بوصول الملاحدة فخرج الناس قال فذكرت قول الرجل فخرجت والله واني لفي همة الا اني انظر هل يصح ما قال ام لا قال فلم يكن الا قليل حتى عاد الناس وهو محمول على ايديهم قتيلا بعصابته الحمراء وذكروا انه لم يقتل بينهم غيره فعجبت منه ومن قوله كيف صح ولم يتغير منه شيء ومن اين له هذا اليقين ولما حكى لي هذه الحكاية لم اساله عن تاريخها وانما كان في هذه المدة في تلك البلاد فلهذا اثبتها هذه السنة على الظن والتخمين وفيها قبض المؤيد اي ابه صاحب نيسابور على وزيره ضياء الملك محمد بن ابي طالب سعد بن ابي القاسم محمود الرازي وحبسه واستوزر بعده نصير الدين ابا بكر محمد بن ابي نصر محمد المستوفي وهو من اعيان الدولة السنجرية وفي هذه السنة وردت الاخبار ان الناس حجوا سنة تسع وخمسين ولقوا شدة وانقطع منهم خلق كثير في فيد والثعلبية وواقصة وغيرها وهلك كثير ولم يصل الحاج الى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الاسباب ولشدة الغلاء فيها وعدم ما يقتات ووقع الوباء في البادية وهلك منهم عالم لا يحصون وهلكت مواشيهم وكانت الاسعار بمكة غالية وفيها في صفر قبض المستنجد بالله على الامير توبة بن العقيلي وكان قد قرب منه قربا عظيما بحيث يخلو معه واحبه المستنجد محبة كثيرة فحسده الوزير ابن هبيرة فوضع كتبا من العجم مع قوم وامرهم ان يتعرضوا له ويأخذوا خطه ففعلوا ذلك واخذوا واحضروا عند الخليفة فاظهروا الكتب بعد الامتناع الشديد فلما وقف الخليفة عليها امر ان يخرج الى نهر الملك يتصيد وكانت حلل توبة على الفرات فحضر عنده فامر بالقبض عليه فقبض وادخل بغداد ليلا وحبس فكان آخر العهد به فلم يمتع الوزير بعده بالحياة بل مات بعد ثلاثة اشهر وكان توبة من اكمل العرب مروءة وعقلا ووفاء واجازة

فصادفوا ابن مضرف المناخية بجدة فقابلوا طوسون باشا والشريف غالب فخلع عليهم واخذهم الى ابيه فخاطبهم وسالهم عما وراءهم فقالوا الامير سعود الوهابي يطلب الافراج عن المضايق ويفتديه بمائة الف فرانسه وكذلك يريد اجراء الصلح بينه وبينكم وكف القتال فقال لهم فانه سافر الى الدولة واما الصلح فلا نأباه بشروط وهو ان يدفع لنا كل ما صرفناه على العساكر من اول ابتداء الحرب الى وقت تاريخه وان يأتي بكل ما اخذه واستهلكه من الجواهر والذخائر التي كانت بالحجرة الشريفة وكذلك ثمن ما استهلكه منها وان يأتي بعد ذلك ويتلاقى معي واتعاهد معه ويتم صلحنا بعد ذلك وان ابى ذلك ولم يأت فنحن ذاهبون اليه فقالوا له اكتب له جوابا فقال لا اكتب جوابا لانه لم يرسل معكم جوابا ولا كتابا وانما ارسلكم بمجرد الكلام فعودوا اليه كذلك فلما اصبح الصباح وقت انصرافهم امر باجتماع العساكر فاجتمعوا ونصبوا ميدان الحرب والرمي المتتابع من البنادق والمدافع ليشاهد الرسل ذلك ويروه ويخبروا مرسلهم

(واستهل شهر ذي الحجة الحرام بيوم الاربعاء سنة ١٢٢٨)

(في ليلة الاحد تاسع عشره) وقعت كائنة لطيف باشا وذلك ان المذكور مملوك الباشا اهداه له عارف بك وهو عارف افندي ابن خليل باشا المنفصل عن قضا مصر

اليه اهلها فقتلوه وقام مقامه ابو الفتوح بن علي بن فضل الله الطغرائي فارسل اهلها الى المؤيد اي ابه صاحب نيسابور بالطاعة والانقياد اليه فسير اليهم عسكرا له مع سيف الدين تنكز في جيش كبير جيشا ثم اغاروا على سرخس ومرو وطخستان وادواب الغز وعادوا سالمين فلما سمع الغز بذلك رحلوا من هراة الى مرو

ذكر الحرب بين قلج ارسلان وبين ابن الدانشمند

في هذه السنة كانت الفتنة بين الملك قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان صاحب قونية وما يجاورها من بلد الروم وبين ياغي ارسلان بن دانشمند صاحب ملطية وما يجاورها من بلد الروم وجرى بينهما حرب شديدة وسببها ان قلج ارسلان تزوج ابنة الملك صلتق بن علي بن ابي القاسم فسيرت الزوجة الى قلج ارسلان مع جهاز كثير لا يعلم قدره فاغار ياغي صاحب ملطية عليه واخذ العروس وما معها واراد ان يزوجها بابن اخيه ذي النون بن محمد بن دانشمند فامرها بالردة عن الاسلام فزوجها من ابن اخيه فجمع قلج ارسلان عسكره وسار الى ابن دانشمند فالتقيا واقتتلا فانهزم قلج ارسلان والتجأ الى ملك الروم واستنصره فارسل اليه جيشا كثيرا فمات ياغي ارسلان بن دانشمند في تلك الايام فملك قلج ارسلان بعض بلاده واصطلح هو والملك ابراهيم بن محمد ابن دانشمند لانه ملك البلاد بعد عمه ياغي ارسلان واستولى ذو النون بن محمد بن دانشمند على مدينة قيسارية وملك شاهنشاه بن مسعود اخو قلج ارسلان على مدينة انكورية واستقرت القواعد بينهم واتفقوا

ذكر الفتنة بين نور الدين وقلج ارسلان

في هذه السنة كانت وحشة متأكدة بين نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام وبين قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان صاحب الروم ادت الى الحرب والتضاغن فلما بلغ خبرها الى مصر كتب الصالح بن رزيك وزير صاحب مصر الى قلج ارسلان ينهاه عن ذلك ويأمره بموافقته وكتب فيه شعرا

تقول ولكن اين من يتفهم ۝ ويعلم وجه الرأي والرأي مبهم
وما كل من ذاق الامور وساسها ۝ يوفق للامر الذي هو احزم
وما احد في الملك يبقى مخلدا ۝ وما احد مما قضى الله يسلم
امن بعد ما ذاق العدا طعم حربكم ۝ بفيهم وكانت وهي صاب وعلقم
رجعتم الى حكم التنافس بينكم ۝ وفيكم من الشحناء نار تضرم
اما عندكم من يتقي الله وحده ۝ اما في رعاياكم من الناس مسلم
تعالوا لعل الله ينصر دينه ۝ اذا ما نصرنا الدين نحن وانتم
وننهض نحو الكافرين بعزمة ۝ بامثالها تحوى البلاد وتقسم

وهي اطول من هذا هكذا ذكر بعض العلماء هذه الحادثة وان الصالح ارسل بهذا الشعر فان كان الشعر للصالح فينبغي ان تكون الحادثة قبل هذا التاريخ ويحتمل ان

القلعة اعلاما بحضوره وبوصوله اسيرا وركب صالح بك السلحدار في عدة كثيرة وتوجهوا لملاقاته واحضاره فلما واجهه صالح بك نزع من عنقه الحديد واركبه هجينا ودخل به الى المدينة وامامه الجاويشية والقواسة الاتراك وبايديهم العصي المفضضة وخلفه صالح بك وطوائفه وطلعوا به الى القلعة وادخلوه الى مجلس كتخدا بك وصحبته حسن باشا وطاهر باشا وباقي اعيانهم ونجيب افندي قبي كتخدا الباشا ووكيل باب الدولة وكان متأخرا من السفر ينتظر قدوم المضايفي ليأخذه بصحبته الى دار السلطنة فلما دخل عليهم اجلسوه معهم وحدثوه ساعة وهو يجيبهم من نفس كلامهم باحسن خطاب وافصح جواب وفيه سكون وتؤدة في الخطاب وظاهر عليه آثار الامارة والحشمة والنجابة ومعرفة مواقع الكلام حتى قال الجماعة لبعضهم البعض يا اسفا على مثل هذا اذا ذهب الى اسلامبول يقتلونه ولم يزل يتحدث معهم حصة ثم احضروا الطعام فتغدوا كلهم ثم اخذه كتخدا بك الى منزله فاقام عنده يومين ثلاثا حتى تشهل نجيب افندي اشغاله فاركبوه وتوجهوا به الى بولاق وانزلوه في السفينة مع نجيب افندي ووضعوا في عنقه الحديد وانحدروا بهما الى الديار الرومية وذلك يوم الاثنين حادي عشرينه (وفي اواخره) اشيعت اخبار بان مسعود الوهابي ارسل

فلتوه باقياً ليفعلوا يعودون اليه وكل من رجع اخذه ابن شكلا فقتله او اسره

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة خرج التركمان في جمع كثير واغاروا على بلاد حتى بلغوا كنجة فقتلوا واسروا ونهبوا كثيراً ونهبوا الاموال الاحصى وفيها توفي الحسن بن العباس بن رستم ابو عبد الله الاصفهاني الرستمي الشيخ الصالح وهو مشهور ويروي عن احمد بن خلف وغيره وفيها في ربيع الآخر توفي الشيخ عبد القادر بن ابي صالح ابو محمد الجيلي المقيم ببغداد ومولده سنة سبعين واربعمائة وكان من الصلاح على حال وهو حنبلي المذهب ومدرسته ورباطه مشهوران ببغداد

(ثم دخلت سنة اثنتين وستين وخمسمائة)

(ذكر عود اسد الدين شيركوه الى مصر)

قد ذكرنا سنة تسع وخمسين وخمسمائة مسير اسد الدين شيركوه الى مصر وما كان منه وعوده الى الشام فلما وصل الى الشام اقام على حاله في خدمة نور الدين الى الآن وكان بعد عوده منها لا يزال يتحدث بها وبقصدها وكان عنده من الحرص على ذلك كثير فلما كان هذه السنة تجهز وسار في ربيع الآخر في جيش قوي وسير معه نور الدين جماعة من الامراء فبلغت عدتهم الفي فارس وكان كارهاً لذلك ولكن لما رأى جد اسد الدين في المسير لم يمكنه الا ان يسير معه جماعة خوفاً من حادث يتجدد عليهم فيضعف الاسلام فلما اجتمع معه عسكره سار الى مصر على البر وترك بلاد الفرنج على يمينه فوصل الديار المصرية فقصد اطفيح وعبر النيل عندها الى الجانب الغربي ونزل بالجيزة مقابل مصر وتصرف في البلاد الغربية وحكم عليها واقام نيفاً وخمسين يوماً وكان شاور لما بلغه مجيء اسد الدين اليهم قد ارسل الى الفرنج يستنجدهم فاتوه على الصعب والذلول طمعاً في ملكها وخوفاً ان يملكها اسد الدين فلا يبقى لهم في بلادهم مقام معه ومع نور الدين فالرجاء يقودهم والخوف يسوقهم فلما وصلوا الى مصر عبروا الى الجانب الغربي وكان اسد الدين وعساكره قد ساروا الى الصعيد فبلغ مكاناً يعرف بالبابين وسارت العساكر المصرية والفرنج وراءه فادركوه بها في الخامس والعشرين من جمادى الآخرة وكان ارسل الى المصريين والفرنج جواسيس فعادوا اليه واخبروه بكثرة عددهم وعددهم وجدهم في طلبه فعزم على قتالهم الا انه خاف من اصحابه ان تضعف نفوسهم عن القتال في هذا المقام الخطر الذي عطبهم فيه اقرب من سلامتهم لقلة عددهم وبعدهم عن اوطانهم وبلادهم وخطر الطريق فاستشارهم فكلهم اشاروا عليه بعبور النيل الى الجانب الشرقي والعود الى الشام وقالوا ان نحن انهزمنا وهو الذي يغلب على الظن فالى اين نلتجئ وبمن نحتمي وكل من في هذه الديار من جندي وعامي وفلاح عدو لنا فقام امير من مماليك نور الدين يقال له شرف الدين برغش صاحب شقيف وكان شجاعاً وقال من يخاف القتل والاسر فلا يخدم الملوك بل يكون في بيته مع امرأته والله لئن عدنا الى نور

ومنها انه يهتم اليه اجتماعه من المماليك الطالبين ليكونوا تحت زمرته ويفترون به بحيث ان الباشا فوض اليه الامر ان ظهر منه شيء في ما يريده من امر الباشا في اثر ذلك واستمر لطيف باشا مع الجماعة في صلف وهم يحدقون عليه ويرصدون حركاته ويتوقعون ما يوجب الايقاع به وهو في غفلة وتيه لا يظن بهم سوءاً فطلب من الكتخدا الزيادة في رواتبه وعلائفه اسمه واثر نمو كثرة حواشيه ومصاريفه فقال له الكتخدا الثالث صاحب الامر وقد كان هناك لم يرد له شيئاً فراسله وكاتبه فان امر بشيء فانا الاغا الف مامور به وترايد هو والحاضرون في الكلام والمنافحة ففارقهم على غير حالة ونزل الى داره وارسل في العشية الى عاليك الباشا يحضر واليه في الصباح ليعمل معهم ميدان رماحة على العادة وامر اليهم ان يصحبوا ما خف من متاعهم واسلحتهم فلما اصبحوا استعدوا كما اشار اليهم وشدوا خيولهم ووصل خبرهم الى الكتخدا فطلب كبيرهم وساله فاخبره ان لطيف باشا طلبهم ليعمل معهم رماحة فقال ان هذا اليوم ليس هو موعد الرماحة ومنعهم من الركوب وفي الحال احضر حسن باشا وطاهر باشا واحمد اغا السلحدار بونابارته الخازندار

وصالح بك السلحدار وابراهيم اغا اغات الباب وعمر بك وخلافهم ويوسف اوتشلي

واجتمع فيه من خلال الكمال ما تفرق في الناس وفيها في ربيع الاول توفي الشهاب
محمود بن عبد العزيز الحامدي الهروي وزير السلطان ارسلان ووزير اتابك شمس
الدين ايلدكز وفيها توفي عون الدين الوزير ابن هبيرة واسمه يحيى بن محمد بن المظفر وزير
الخليفة وكان موته في جمادى الاولى ومولده سنة تسعين واربعمائة ودفن بالمدرسة
التي بناها للحنابلة بباب البصرة وكان حنبلي المذهب دينا خيرا عالما يسمع حديث
النبي صلى الله عليه وسلم وله فيه التصانيف الحسنة وكان ذا رأي سديد وانفق على
المقتفي نفاقا عظيما حتى ان المقتفي كان يقول لم يزر لبني العباس مثله ولما مات قبض
على اولاده واهله وتوفي هذه السنة محمد بن سعيد البغدادي بالموصل وله شعر حسن
فمن قوله

افدي الذي وكلني حبه ۞ بطول اعلالي وامراضي
ولست ادري بعد ذا كله ۞ اساخط مولاي ام راضي

وفيها توفي الشيخ الامام ابو القاسم عمر بن عكرمة بن البزري الشافعي تفقه على الفقيه
الكيا الهراسي وكان واحد عصره في الفقه تاتيه الفتاوى من العراق وخراسان وسائر
البلاد وهو من جزيرة ابن عمر

۞(ثم دخلت سنة احدى وستين وخمسمائة)۞

۞(ذكر فتح المنيطرة من الفرنج)۞

في هذه السنة فتح نور الدين محمود بن زنكي حصن المنيطرة من الشام وكان بيد الفرنج
ولم يحشد له ولا جمع عساكره وانما سار اليه جريدة على غرة منهم وعلم انه ان جمع
العساكر حذروا فسار اليه جريدة وانتهز الفرصة وحصره وجد في قتاله فاخذه عنوة
وقهرا وقتل من بها وسبى وغنم غنيمة كثيرة فان الذين به كانوا آمنين فاخذهم خيل
الله بغتة وهم لا يشعرون ولم يجتمع الفرنج لدفعه الا وقد ملكه ولو علموا انه جريدة في
قلة من العساكر لاسرعوا اليه وانما ظنوه انه في جمع كثير فلما ملكه تفرقوا وايسوا
من رده

۞(ذكر قتل خطلوبرس مقطع واسط)۞

في هذه السنة قتل خطلوبرس مقطع واسط قتله ابن اخي شملة صاحب خوزستان
وسبب ذلك ان ابن شنكا وهو ابن اخي شملة كان قد صاهر منكبرس مقطع البصرة
فاتفق ان المستنجد بالله قتل منكبرس سنة تسع وخمسين وخمسمائة فلما قتل قصد
ابن شنكا البصرة ونهب قراها فارسل من بغداد الى كمشتكين صاحب البصرة
يحاربه ابن شنكا فقال انا عامل لست بصاحب جيش يعني انه ضامن لا يقدر على
اقامة عسكر فصعد ابن شنكا واصعد الى واسط ونهب سوادها فجمع خطلوبرس
مقطعها جمعا وخرج الى قتاله وكاتب ابن شنكا الامراء الذين مع خطلوبرس فاستمالهم
ثم قاتلهم فانهزم عسكره فقتل واخذ ابن شنكا خطلوبرس فقتله فلما رآه اصحابه

نحو خمس سنوات واختص به الباشا واحبه ورقاه في الخدم والمناصب الى ان جعله مختار اغاسي اي صاحب
المفتاح وصار له حرمة زائدة
وكلمة في باب الباشا وشهرة فلما
حصلت النصرة للعساكر
واستولوا على المدينة واتوا
بمفاتيح زعموا انها مفاتيح المدينة
كان هو المتعين بها للسفر
للديار الرومية بالبشارة
للدولة وارسلوا صحبته مضيان
الذي كان متامرا بالمدينة ولما
وصل الى دار السلطنة ووصلت
اخباره احتفل اهل الدولة
بشانه احتفالا زائدا ونزلوا
لملاقاته في المراكب في مسافة
بعيدة ودخلوا الى اسلامبول
في موكب جليل وابهة عظيمة
الى القلعة ومشت اعيان
الدولة وعظماؤها بين يديه
مشاة وركبانا وكان يوم دخوله
يوما مشهودا وقتلوا مضيان
المذكور في ذلك اليوم وعلقوه
على باب السراية وعملوا شنلك
ومدافع وافراحا ولما تمموا انعم
السلطان على لطيف المذكور
واعطاه اطواخا وارسل اليه
اعيان الدولة الهدايا والتحف
ورجع الى مصر في ابهة زائدة
وداخله الغرور وتعاظم في
نفسه ولم يحتفل الباشا بامره
وكذلك اهل دولته لكونه
من جنس المماليك وايضا
قد تاسست عداوتهم في
نفوسهم وكراهتهم له اشد من
كراهتهم للباشا وخصوصا
كتخدا بك فانه اشد الناس
عداوة وبغضا في جنس المماليك ومنه تقوى الذي قدومه مما يغير خاطره عليه

شجاع بن شاور قد ارسل الى نور الدين مع بعض الامراء ينهى محبته وولاءه ويسأله الدخول فى طاعته وضمن على نفسه انه يفعل هذا ويبذل مالا يحمله كل سنة فاجابه الى ذلك وحمل اليه مالا جزيلا فبقى الامر على ذلك الى ان قصد الفرنج مصر سنة اربع وستين وخمسمائة فكان ما نذكره هناك ان شاء الله تعالى

(ذكر ملك نور الدين صافيثا وعريمة)

فى هذه السنة جمع نور الدين العساكر فسار اليه اخوه قطب الدين من الموصل وغيره فاجتمعوا على حمص فدخل نور الدين بالعساكر بلاد الفرنج فاجتازوا على حصن الاكراد فاغاروا ونهبوا وقصدوا عرقة فنازلوها وحصروها وحصروا حلبة واخذوها وخربوها وسارت عساكر المسلمين فى بلادهم يمينا وشمالا تغير وتخرب البلاد وفتحوا العريمة وصافيثا وعادوا الى حمص فصاموا بها رمضان ثم ساروا الى بانياس وقصدوا حصن هونين وهو للفرنج ايضا من امنع حصونهم ومعاقلهم فانهزم الفرنج عنه واحرقوه فوصل نور الدين من الغد فهدم سوره جميعه واراد الدخول الى بيروت فتجدد فى العسكر خلف اوجب التفرق فعاد قطب الدين الى الموصل واعطاه نور الدين مدينة الرقة على الفرات وكانت له فاخذها فى طريقه وعاد الى الموصل

(ذكر قصد ابن سنكا البصرة)

فى هذه السنة عاود ابن سنكا فقصد البصرة ونهب بلدها وخربه من الجهة الشرقية وسار الى مطارا فخرج اليه كمشتكين صاحب البصرة وواقعه فاجتمع بشرف الدين ابى جعفر بن البلدى الناظر فيها وهو بها فقطعه ما ارغش واتصلت الاخبار بان ابن سنكا واصل الى واسط فخاف الناس منه خوفا شديدا فلم يصل اليها

(ذكر قصد شملة العراق)

فى هذه السنة وصل شملة صاحب خوزستان الى قلعة الماهكى من اعمال بغداد وارسل الى الخليفة المستنجد بالله يطلب شيئا من البلاد ويشتط فى الطلب فسير الخليفة اكثر عساكره اليه ليمنعوه وارسل اليه يوسف الدمشقى يلومه ويحذره عاقبة فعله فاعتذر بان ايلدكز والسلطان ارسلان شاه اقطعا الملك الذى عنده وهو ولد ملكشاه البصرة وواسط وعرض التوقيع بذلك وقال انا اقنع بثلث ذلك فعاد الدمشقى بذلك فامر الخليفة بلعنه واته من الخوارج وجمعت العساكر وسيرت الى ارغش المسترشدى وكان بالنعمانية وهو وشرف الدين ابو جعفر بن البلدى ناظر واسط مقابل شملة ثم ان شملة ارسل قلج ابن اخيه فى طائفة من العسكر لقتال طائفة من الاكراد فركب ارغش فى بعض العسكر الذى عنده وسار الى قلج فظفر به فاسر قلج وبعض اصحابه وسيرهم الى بغداد وبلغ شملة وطلب الصلح فلم تقع الاجابة اليه ثم ان ارغش سقط عن فرسه بعد الوقعة فمات وبقى شملة مقيما مقابل عسكر الخليفة فلما علم انه لا قدرة له عليهم رحل وعاد الى بلاده وكانت مدة سفره اربعة اشهر

ثم يصعدوه فيبرا جميع ما فى الدار ولم يتركوا بها شيئا وسبوا الحريم والجوارى والمماليك والعبيد وكذلك ما حوله وما جاوره من دور الناس ودور حواشيهم وهم نيف وعشرون دارا حتى حوانيت الباعة وغيرهم التى بالخطة ودار على كتخدا صالح الفلاح هذا ما جرى بتلك الناحية وباقى نواحى المدينة لا يدرون بشئ من ذلك الا انهم لما طلع نهار يوم الاحد وخرج الناس الى الاسواق والشوارع وجدوا العساكر مانعين وابواب البلد مغلقة وحول العساكر لا يجتمعون ومنهم من يعدو ومعه شئ من المنهوبات فامتنع الناس من فتح الحوانيت والقهاوى التى من عادتهم التبكير بفتحها وطوائفنا واستمر لطيف باشا بالمخبأ الى الليل واشتد به الخوف وتيقن ان العبد الطواشى سينم عليه ويعرفهم بمكانه فلما اظلم الليل وفرغوا من النهب والتفتيش وخلا المكان خرج من المخبأ بمفرده ونط من الاسطحة حتى خلص الى دار خازنداره وصحبته كبير عسكره وآخر يسمى يوسف كاشف دياب من بقايا الاجناد المصرية وباتوا بقية تلك الليلة ويوم الاثنين والكتخدا واهل دولته يدأبون فى الفحص والتفتيش عليه ويتهمون كثيرا من الناس بعمرة مكانه ونحو ذلك داره بالقرب من داره وقف انجيا صاما من عسكر دخل الاسطحة ابلا ونهبا والرصده وكان المذكور له ابنة قاعدة فى شخص يسمى حسن افندى البلبلي

الدين من غير غلبة ولا بلاء نعذر فيه ايأخذون ما لنا من اقطاع وجامكية وليعودن علينا بجميع ما أخذناه منذ خدمنا الى يومنا هذا ويقول تأخذون اموال المسلمين وتفرون عن عدوهم وتسلمون مثل مصر الى الكفار والحق بيده فقال اسد الدين هذا الرأي وبه اعمل وقال ابن اخيه صلاح الدين مثله وكثر الموافقون لهم واجتمعت الكلمة على القتال فأقام بمكانه حتى أدركه المصريون والفرنج وهو على تعبية وجعل الاثقال في القلب يتكثر بها ولانه لم يمكنه ان يتركها بمكان آخر فينهبها اهل البلاد وجعل صلاح الدين في القلب وقال له ولمن معه ان المصريين والفرنج يجعلون حملتهم على القلب ظنا منهم اني فيه فاذا حملوا عليكم فلا تصدقوهم القتال ولا تهلكوا نفوسكم واندفعوا امامهم بين ايديهم فاذا عادوا عنكم فارجعوا في أعقابهم واختار هو من شجعان عسكره جمعا يثق بهم ويعرف صبرهم في الحرب ووقف بهم في الميمنة فلما تقاتل الطائفتان فعل الفرنج ما ذكره وحملوا على القلب فقاتلهم من به قتالا يسيرا وانهزموا بين ايديهم غير متفرقين وتبعهم الفرنج فحمل حينئذ أسد الدين فيمن معه على من تخلف من الذين حملوا من المسلمين والفرنج الفارس والراجل فهزمهم ووضع السيف فيهم فأثخن وأكثر القتل والاسر فلما عاد الفرنج من اثر المنهزمين رأوا عسكرهم مهزوما والارض منهم قفرا فانهزموا ايضا وكان هذا من أعجب ما يؤرخ ان الفي فارس تهزم عساكر مصر وفرنج الساحل

(ذكر ملك أسد الدين الاسكندرية وعوده الى الشام)

لما انهزم المصريون والفرنج من أسد الدين بالبابين سار الى ثغر الاسكندرية وجبى ما في القرى على طريقه من الاموال ووصل الى الاسكندرية فتسلمها بمساعدة من أهلها سلموها اليه فاستناب بها صلاح الدين ابن أخيه وعاد الى الصعيد فملكه وجبى أمواله واقام به حتى صام رمضان واما المصريون والفرنج فانهم عادوا واجتمعوا على القاهرة واصلحوا حال عساكرهم وجمعوا وساروا الى الاسكندرية فحصروا صلاح الدين بها واشتد الحصار وقل الطعام على من بها فصبر أهلها على ذلك وسار أسد الدين من الصعيد اليهم وكان شاور قد افسد بعض من معه من التركمان فوصل رسل الفرنج والمصريين يطلبون الصلح وبذلوا له خمسين ألف دينار سوى ما اخذه من البلاد فاجاب الى ذلك وشرط على الفرنج ان لا يقيموا بالبلاد ولا يتملكوا منها قرية واحدة فاجابوا الى ذلك واصطلحوا وعادوا الى الشام وتسلم المصريون الاسكندرية في نصف شوال ووصل شيركوه الى دمشق ثامن عشر ذي القعدة واما الفرنج فانهم استقر بينهم وبين المصريين ان يكون لهم بالقاهرة شحنة وتكون ابوابها بيد فرسانهم ليمتنع نور الدين من انفاذ عسكر اليهم ويكون لهم من دخل مصر كل سنة مائة الف دينار هذا كله استقر مع شاور فان العاضد لم يكن له معه حكم لانه قد حجر عليه وحجبه عن الامور كلها وعاد الفرنج الى بلادهم بالساحل الشامي وتركوا بمصر جماعة من مشاهير فرسانهم وكان الكامل

شجاع

واسمعيل باشا ابن الباشا ومحمود بك الدويدار وتوافق الجميع على الايقاع به واصطفوا يوم السبت مجتمعين وقد بلغه الخبر واخذوا عليه الطرق وارسلوا يطلبونه للحضور في مجلسهم فامتنع وقال ما المراد من حضوري فنزل اليه ديوس اوغلي وخدعه فلم يقبل فركب وعاد اليه ثانيا يأمره بالخروج من مصر ان لم يحضر مجلسهم فقال اما الحضور فلا يكون واما الخروج فلا اخالف فيه بشرط ان يكون بكفالة حسن باشا أو طاهر باشا فاني لا آمن ان يتبعوني ويقتلوني خصوصا وقد اوقفوا بجميع الطرق ففارقه ديوس اوغلي فتحير في امره وامر بشد الخيول واراد الركوب فلم يتسع له ذلك ولم يزل في نقض وابرام الى الليل ثم تركوا الجهات وابواب المدينة ايضا بالعساكر وكثر جمعهم بالقلعة وابوابها وفي تاسع ساعة من الليل نزل حسن باشا ومحمد علي ونحو الالفين من العسكر واحتاطوا بداره بسويقة العزى وقد اغلق داره فصاروا يضربون عليه بالبنادق والقرابين الى آخر الليل فلما اعياهم ذلك هجموا على دور الناس التي حوله وتسلقوا عليه من الاسطحة ونزلوا الى سطح داره وقتلوا من صادفوه من عسكره واتباعه واختفى هو في مخبأة اسفل [illegible] ومعه ستة اشخاص من الجواري ومملوك واحد وعلم بمكانهم اغات الحريم فداروا بالدار يفتشون عليه

غير ذلك وبذل مالا يحمله اذا اجيب الى ما التمسه فاجيب بتطييب قلبه وبلغ الخبر الملكشاه صاحب البلاد فساءه ذلك وجهز عسكرا كثيفا وجعل المقدم عليهم ابنه البهلوان وسيرهم الى آقسنقر فوقعت بينهم حرب اجلت عن هزيمة آقسنقر وتحصنه بمراغة ونازله البهلوان وحصره وضيق عليه ثم ترددت الرسل بينهم فاصطلحوا وعاد البهلوان الى ابيه بهمذان

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة استوزر الخليفة المستنجد بالله شرف الدين ابا جعفر احمد بن محمد بن سعيد المعروف بابن البلدى وكان ناظرا بواسط ابان فى ولايته عن كفاية عظيمة فاحضره الخليفة واستوزره وكان عضد الدين ابو الفرج بن رئيس الرؤساء قد تحكم تحكما عظيما فتقدم الخليفة الى ابن البلدى بكف يده وايدى اهله واصحابه ففعل ذلك ووكل بتاج الدين اخى استاذ الدار وطالبه بحساب نهر الملك لانه كان يتولاه من ايام المقتفى وكذلك فعل بغيره فحصل بذلك اموال جمة وخاف استاذ الدار على نفسه فحمل مالا كثيرا وفى هذه السنة توفى عبد الكريم بن محمد بن منصور ابو سعيد بن ابى المظفر السمعانى المروزى الفقيه الشافعى وكان مكثرا من سماع الحديث سافر فى طلبه وسمع ما لم يسمعه غيره ورحل الى ما وراء النهر وخراسان دفعات ودخل الى بلد الجبل واصفهان والعراق والموصل والجزيرة والشام وغير ذلك من البلاد وله التصانيف المشهورة منها ذيل تاريخ بغداد وتاريخ مدينة مرو وكتاب النسب وغير ذلك احسن فيها اماناء وقد جمع مشيخته فزادت عدتهم على اربعة آلاف شيخ وقد ذكره ابو الفرج بن الجوزى فقطعه فمن جملة قوله فيه انه كان يأخذ الشيخ ببغداد ويعبر به الى فوق نهر عيسى فيقول حدثنى فلان بما وراء النهر وهذا بارد جدا فان الرجل سافر الى ما وراء النهر حقا وسمع فى عامة بلاده من عامة شيوخه فاى حاجة به الى هذا التدليس البارد وانما ذنبه عند ابن الجوزى انه شافعى وله اسوة بغيره فان ابن الجوزى لم يبق على احد الا مكاسرى الحنابلة وفيها توفى قاضى القضاة ابو البركات جعفر بن عبد الواحد الثقفى فى جمادى الآخرة وفيها توفى يوسف الدمشقى مدرس النظامية بخوزستان وكان قد سار رسولا الى شملة وفيها توفى الشيخ ابو النجيب السهروردى الصوفى الفقيه وكان من الصالحين المشهورين ودفن ببغداد

(ثم دخلت سنة اربع وخمسين وخمسمائة)

(ذكر ملك نور الدين قلعة جعبر)

فى هذه السنة ملك نور الدين محمود بن زنكى قلعة جعبر اخذها من صاحبها شهاب الدين مالك بن على بن مالك العقيلى وكانت بيده وبيد آبائه من قبله من ايام السلطان ملكشاه وقد تقدم ذكر ذلك وهى من امنع القلاع واحصنها مطلة على الفرات من الجانب الشرقى واما سبب ملكها فان صاحبها نزل منها يتصيد فاخذه بنو كلاب وحملوه

ثم ان الكيخيا اشار الى اعوانه فاخذوه وتركوا به واركبوه على حماره وذهبوا به الى بولاق فانزلوه فى مركب وانحدروا به الى شلقان وشلحوه من ثيابه واغرقوه فى البحر (وفى ذلك اليوم) حضر اغوات حريم لطيف باشا بمدان هددوه وقرروه عن محل استاذه واخبرهم انه فى الخبابة واراهم المكان فتفقدوه فوجدوا به الجوارى الستة والمملوك ولم يجدوه معهم فسألوهم عنه فقالوا انه كان معنا وخرج فى ليلة امس ولم نعلم اين ذهب فاخرجوهم واخذوا ما وجدوه فى الخبابة من متاع ومصروج ومصاغ ونقود وغير ذلك فلما كان بعد الغروب من ليلة الثلاثاء اشتد بلطيف باشا الخوف والقلق فاراد ان ينتقل من بيت الخازندار الى مكان آخر فطلع الى السطح وصعد على حائط يريد النزول منها هو ورفيقه البيوكاتى ليخلص الى حوش مجاور لتلك الدار فنظرهما شخص من العسكر المرصدين على سطح دار محمود بك الدويدار فصاح على القرينين منه ليتنبهوا له فعندما صاح ضربه لطيف باشا رصاصة فاصابته وتنبهت المرصدون بالنواحى فعند سماع الصيحة وبندقة الرصاص توتسا وصوا اليهم من كل ناحية وقبضوا عليه وعلى رفيقه واتوا بهما الى

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة عصى غازي بن حسان المنبجي على نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام وكان نور الدين قد اقطعه مدينة منبج فامتنع عليه فيها فسير اليه عسكرا فحصروه واخذوها منه واقطعها نور الدين اخاه قطب الدين ينال بن حسان وكان عادلا خيرا محسنا الى الرعية جميل السيرة فبقي فيها الى ان اخذها منه صلاح الدين يوسف بن ايوب سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة وفيها توفي فخر الدين قرا ارسلان بن داود بن سقمان بن ارتق صاحب حصن كيفا وآمد وديار بكر ولما اشتد مرضه ارسل الى نور الدين محمود صاحب الشام يقول له بيننا صحبة في جهاد الكفار واريد ان ترعى ولدي ثم توفي وملك بعده ولده محمد فقام نور الدين الشامي بنصرته والذب عنه بحيث ان اخاه قطب الدين مودودا صاحب الموصل اراد قصد بلاده فارسل اليه اخوه نور الدين يمنعه ويقول له ان قصدته او تعرضت الى بلاده منعتك قهرا فامتنع من قصده وفيها توفي ابو المعالي محمد ابن الحسين بن حمدون الكاتب ببغداد وكان على ديوان الزمام فقبض عليه ومات محبوسا وفيها توفي قماج المسترشدي ولد الامير يزدن وهو من اكابر الامراء ببغداد

ثم دخلت سنة ثلاث وستين وخمسمائة

ذكر فراق زين الدين الموصل وتحكم قطب الدين في البلاد

في هذه السنة فارق زين الدين علي بن بكتكين النائب عن قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل خدمة صاحبه بالموصل وسار الى اربل وكان هو الحاكم في الدولة واكثر البلاد بيده منها اربل وفيه بيته واولاده وخزائنه ومنها شهرزور وجميع القلاع التي معها وجميع بلد الهكارية وقلاعه منها العمادية وغيرها وبلد الحميدية وتكريت وسنجار وحران وقلعة الموصل هو بها وكان قد اصابه طرش وعمي ايضا فلما عزم على مفارقة الموصل الى بيته باربل سلم جميع ما كان بيده من البلاد الى قطب الدين مودود وبقي معه اربل حسب وكان شجاعا عاقلا حسن السيرة سليم القلب ميمون النقيبة لم ينهزم من حرب قط وكان كريما كثير العطاء للجند وغيرهم مدحه الحيص بيص بقصيدة فلما اراد ان ينشد قال انا لا اعرف ما يقول ولكني اعلم انه يريد شيئا فامر له بخمسمائة دينار وفرس وخلعة مجموع ذلك الف دينار ولم يزل باربل الى ان مات بها بهذه السنة ولما فارق زين الدين قلعة الموصل سلمها قطب الدين الى فخر الدين عبد المسيح وحكمه في البلاد فعمر القلعة وكانت خرابا لان زين الدين كان قليل الالتفات الى العمارة وسار عبد المسيح سيرة شديدة وسياسة عظيمة وهو خصي ابيض من مماليك زنكي اتابك عماد الدين

ذكر الحرب بين البهلوان وصاحب مراغة

في هذه السنة ارسل آقسنقر الاحمديلي صاحب مراغة الى بغداد يسأل ان يخطب للملك الذي هو عنده وهو ولد السلطان محمد شاه ويبذل انه لا يطأ ارض العراق ولا يطلب شيئا

ويلبس الفاتركي على المجلس الجوهر الى المقر ومرشار حسن افندي هذا الرجل درويش يدخل الى
بيوت الاعيان والاكابر من
الناس الاتراك وغيرهم وفي
جيوبه من ذلك الحمص فيفرق
على اهل المجلس منه
ويلاطفهم ويضاحكهم
ويمازحهم ويعرف باللغة
التركية ويجالس الفريقين
من اعطاه شيئا اخذه ومن لم
يعطه لم يطلب منه شيئا
وبعضهم يقول له انقر ضميري
او فالي فيعد على سبحته ازواجا
وافرادا ثم يقول ضميرك
كذا وكذا فيضحكون منه
فوشى حسن افندي هذا الى
كتخدا بك وباقي الجماعة بانه
كان يقول لطيف باشا انه
يلي سيادة مصر واحكامها
ويقول له هذا وقت انتهاز
الفرصة في غيبة الباشا ونحو
ذلك وسمعوا الدعوى وانه
كان يعتقده كلامه ويزوره
في داره ورتب له ترتيبا
واشاعوا انه اراد ان يضم
اليه اجناس المماليك
والخاملين من العساكر
وغيرهم ويعطيهم نفقات
ويريد اثارة فتنة ويقتال
الكتخدا بك ومحمد باشا
واشباههما على حين غفلة
ويقتل الشامية والبلفوان
الجلبي يغرر به على ذلك وكل
وقت يقول له جاء وقتك ونحو
ذلك من الكلام الذي المولى
يعلم جلاله اعلم بحقيقته
فارسل كتخدا بك الى الجلبي فحضر بين يديه في يوم الاثنين فسأله عنه فقال لا ادري فقال

على الامتناع فحفظوا البلد وقاتلوا دونه وبذلوا جهدهم في حفظه فلو ان الفرنج احسنوا السيرة في بلبيس لملكوا مصر والقاهرة ولكن الله تعالى حسن لهم ذلك اى ما فعلوا ليقضى الله امرا كان مفعولا وامر شاور باحراق مدينة مصر تاسع صفر وامر اهلها بالانتقال منها الى القاهرة وان ينهب البلد فانتقلوا وبقوا على الطرق ونهبت المدينة وافتقر اهلها وذهبت اموالهم ونعمتهم قبل نزول الفرنج عليهم بيوم خوفا ان يملكها الفرنج فبقيت النار تحرقها اربعة وخمسين يوما وارسل الخليفة العاضد الى نور الدين يستغيث به ويعرفه ضعف المسلمين عن دفع الفرنج وارسل في الكتب شعور النساء وقال هذه شعور نسائى من قصرى يستغثن بك لتنقذهن من الفرنج فشرع فى تسيير الجيوش واما الفرنج فانهم اشتدوا فى حصار القاهرة وضيقوا على اهلها وشاور هو المتولى للامر والعساكر والقتال فضاق به الامر وضعف عن ردهم فاخلد الى اعمال الحيلة فارسل الى ملك الفرنج يذكر له مودته ومحبته له قديما وان هواه معه لخوفه من نور الدين والعاضد وانما المسلمون لا يوافقونه على التسليم اليه ويشير بالصلح واخذ مال لئلا يتسلم البلاد نور الدين فاجابه الى ذلك على ان يعطوه الف الف دينار مصرية يعجل البعض ويمهل بالبعض فاستقرت القاعدة على ذلك ورأى الفرنج ان البلاد قد امتنعت عليهم وربما سلمت الى نور الدين فاجابوا كارهين وقالوا ناخذ المال فنتقوى به ونعاود البلاد بقوة لا نبالى معها بنور الدين ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين فعجل لهم شاور مائة الف دينار وسألهم الرحيل عنه ليجمع لهم المال فرحلوا قريبا وجعل شاور يجمع لهم المال من اهل القاهرة ومصر فلم يتحصل له الا قدر لا يبلغ خمسة آلاف دينار وسببه ان اهل مصر كانوا قد احترقت دورهم وما فيها وما سلم نهب وهم لا يقدرون على الاقوات فضلا عن الاخراج واما اهل القاهرة فالاغلب على اهلها الجند وغلمانهم فلهذا تعذرت عليهم الاموال وهم فى خلال هذا يراسلون نور الدين بما الناس فيه وبذلوا له ثلث بلاد مصر وان يكون اسد الدين مقيما عندهم فى عسكر واقطاعهم من البلاد المصرية ايضا خارجا عن الثلث الذى لهم وكان نور الدين لما وصله كتب العاضد بحلب ارسل الى اسد الدين يستدعيه فخرج القاصد فى طلبه فلقيه على باب حلب وقد قدمها من حمص وكانت اقطاعه وكان سبب وصوله ان كتب المصريين وصلته ايضا فى المعنى فسار ايضا الى نور الدين واجتمع به وعجب نور الدين من حضوره فى الحال وسره ذلك وتفاءل به وامر بالتجهيز الى مصر واعطاه مائتى الف دينار سوى الثياب والدواب والاسلحة وغير ذلك وحكمه فى العسكر والخزائن واختار من العسكر الفى فارس واخذ المال وجمع ستة آلاف فارس وسار هو ونور الدين الى باب دمشق فوصلها سلخ صفر ورحل الى رأس الماء واعطى نور الدين كل فارس ممن مع اسد الدين عشرين دينارا معونة غير محسوبة من جامكيته واضاف الى اسد الدين جماعة اخرى من الامراء منهم مملوكه عز الدين جرديك وغرس الدين قلج وشرف الدين برغش وعين الدولة الياروقى وقطب الدين ينال بن

الذين لم يحصل لهم كسب من نهب او حادث واقع ادركوه ولولا انهم اوقفوا اصحابه عند الابواب منعتهم من العبور لحصل منهم غاية الضرر (وانقضت السنة) وحوادثها التى ربما استمرت الى ما شاء الله بدوامها وانقضائها (فمنها) ان الباشا لما فرغ من امر الجهة القبلية بعدما ولى ابنه ابراهيم باشا عليها وحرر اراضى الصعيد وقاس جملة اراضيه وفدنه وضبطها بجمعه ولم يترك منه الا ما قل وضبط لديوانه جميع الاراضى المرزقة والاقطاعات التى كانت للملتزمين من الامراء والهوارة وذوى البيوت القديمة والرزق الاحباسية والسواقى والمناظرات والمرصد على الاهالى والخيرات وعلى البر والصدقة وغير ذلك مثل مصارف الولاية التى رتبها اهالى الخير المتقدمون لارباعها رغبة منهم فى الخير وتوسعة على الفقراء المحتاجين وذوى البيوت والدواوير المفتوحة المعدة لاطعام الطعام للضيفان والواردين والقاصدين وابناء السبيل والمسافرين فمن ذلك ان بناحية سهاج دار الشيخ عارف وهو رجل مشهور كاسلافه ومعتقد بتلك الناحية وغيرها ومنزله محط الرحال الوافدين والقاصدين من الاكابر والاصاغر والفقراء والمحتاجين فيقرى الكل بما يليق بهم ويرتب لهم الرواتب والاحتياجات وهذا نصر لهم بعد قضاء اشغالهم يزودهم ويهاديهم بالغلال والسمن والعسل

الى نور الدين في رجب سنة ثلاث وستين فاعتقله واحسن اليه ورغبه في الاقطاع والمال ليسلم اليه القلعة فلم يفعل فعدل الى الشدة والعنف وتهدده فلم يفعل فسير اليها نور الدين عسكرا مقدمه الامير فخر الدين مسعود بن على الزعفرانى فحصرها مدة فلم يظفر منها بشئ فامدهم بعسكر آخر وجعل على الجميع الامير مجد الدين ابا بكر المعروف بابن الداية وهو رضيع نور الدين واكبر امرائه فحصرها ايضا فرأى فيها مضيقا وسلك مع صاحبها طريق اللين واشار عليه ان يأخذ من نور الدين العوض ولا يخاطر في حفظها بنفسه فقبل قوله وسلمها واخذ عوضا عنها سروج واعمالها والملاحة التي بين بلد حلب وباب بزاعة وعشرين الف دينار معجلة وهذا اقطاع عظيم جدا الا انه لا حصن فيه وهذا آخر امر بني مالك بالقلعة ولكل امر أمد ولكل ولاية نهاية بلغني انه قيل لصاحبها ايما احب اليك واحسن مقاما سروج والشام ام القلعة فقال هذه اكثر مالا واما العز ففارقناه بالقلعة

﴿ذكر ملك اسد الدين مصر وقتل شاور﴾

في هذه السنة في ربيع الاول سار اسد الدين شيركوه بن شاذي الى ديار مصر فملكها ومعه العساكر النورية وسبب ذلك تمكن الفرنج من البلاد المصرية وانهم جعلوا لهم في القاهرة شحنة وتسلموا ابوابها وجعلوا لهم فيها جماعة من شجعانهم واعيان فرسانهم وحكموا على المسلمين حكما جائرا وركبوهم بالاذى العظيم فلما رأوا ذلك وان البلاد ليس فيها من يردهم ارسلوا الى ملك الفرنج بالشام وهو مرى ولم يكن للفرنج مذ ظهروا بالشام مثله شجاعة ومكرا ودهاء يستدعونه ليملكها واعلموه خلوها من موانع وهونوا امرها عليه فلم يجبهم فاجتمع اليه فرسان الفرنج وذوو الرأي منهم واشاروا عليه بقصدها وتملكها فقال لهم الرأي عندي اننا لا نقصدها ولا طمعة لنا فيها واموالها تساق الينا نتقوى بها على نور الدين وان نحن قصدناها لنملكها فان صاحبها وعساكره وعامة بلاده وفلاحيها لا يسلمونها الينا ويقاتلونا دونها ويحملهم الخوف منا على تسليمها الى نور الدين ولئن صار له فيها مثل اسد الدين فهو هلاك الفرنج واجلاؤهم من ارض الشام فلم يقبلوا قوله وقالوا انها لا مانع فيها ولا حامي والى ان يتجهز عسكر نور الدين ويسير اليها نكون نحن قد ملكناها وفرغنا من امرها وحينئذ يتمنى نور الدين منا السلامة فسار معهم على كره وشرعوا يتجهزون ويظهرون انهم يريدون قصد مدينة حمص فلما سمع نور الدين شرع ايضا يجمع عساكره وامرهم بالقدوم عليه وجد الفرنج في السير الى مصر فقدموها ونازلوا مدينة بلبيس وملكوها قهرا مستهل صفر ونهبوها وقتلوا فيها واسروا وكان جماعة من اعيان المصريين قد كاتبوا الفرنج ووعدوهم النصرة عداوة منهم لشاور ومنهم ابن الخياط وابن فرجلة فقوي جنان الفرنج وساروا من بلبيس الى مصر فنزلوا على القاهرة عاشر صفر وحصروها فخاف الناس منهم ان يفعلوا بهم كما فعلوا باهل بلبيس فحملهم الخوف منهم

محمود بك ضربات عنده وبعث المبشرون الى بيوت الاعيان يبشرونهم بالقبض عليه ويأخذون على ذلك البقاشيش فلما طلع نهار يوم الثلاثاء طلع به محمود بك الى القلعة وقد اجتمع اكابرهم بديوان الكتخدا واتفقوا على قتله ووافقهم على ذلك اسمعيل ابن الباشا بما عقوه عليه لانه في الاصل مملوك صهره طاهر بك فعندما وصل الى الدرج قبض عليه الاعوان وحوضجانب محمود بك فقبض بيده على علاقة سيفه وهو يقول له بالتركي مرطندايم يعني انا في عرضك ومانت يده على قيطان السيف فاخرج بعضهم سكينا وقطع القيطان وجذبوه الى اسفل سلم الركوبة واخذوا عمامته وضربه المشاعلي بالسيف ضربات ووقع الى الارض ولم ينقطع عنقه فكملوا ذبحه مثل الشاة وقطعوا رأسه وفعلوا برفيقه كذلك وعلقوا رؤسهما تجاه باب زويلة طول النهار (وفي ثاني يوم وهو يوم الاربعاء ثاني عشرينه) احضروا ايضا يوسف كاشف دياب وقتلوه ايضا تجاه باب زويلة وانقضى امرهم والله اعلم بحقيقة الحال وفتح اهل الاسواق حوانيتهم بعد ما تخيل الناس بانهم اسكون فتحققوا ان العسكر ينهبون المدينة وخصوصا المكاشون بالعرضي خارج باب النصر فانهم جياع ويردانون وظالمهم مفلس لان معظمهم من الجند الواردين

قلعته ولاية الصعيد فالاعلاق على بط الشوان اخو ط ب ابنه اجابهم بعد الفاجعة بما تقدم ذكره وفوض الشوان اذا
قيل له هذا محل مسجد يقول
كشفت على المساجد فوجدتها
خرابا والنظار عليها كانوا
الامراء والخزينة أوقفتها
ويكفيهم الى أسباحهم فيها
كانوا في السنين الماضية
والذي وجدته عامرا اطلقت
له ما يكفيه وزيادة والذي وجدت
لبعض المساجد اطيانا
واسعة وهي خراب ومعطلة
والمسجد يكفيه مؤذن واحد
واجرته نصفان وامام مثل ذلك
واما فرشه واسراجه فاني
أرتب له راتبا من الديوان في
كل سنة فاذا تكرر عليه
الرجاء احال الامر على أبيه
ولا يمكن العود اليه لحركاته
وتنقلاته وكثرة اشغاله
وزوغانه وما زال الحال بكثرة
المشتكين والواردين و برح
الباشا للسفر بل وسافر
بالفعل فلم يمكث بعده ابنه
الا اياما قليلة يبيت بالجيزة
ليلة وعند اخيه ببولاق ليلة
اخرى ثم سافر راجعا الى
الصعيد فتمم ما بقي عليه لاهله
من العذاب الشديد فانه
فعل بهم فعل التتار عندما
جالوا بالاقطار واذل اعزة
اهله واساء اسوأ السوء معهم
في فعله فسلب نعمهم واموالهم
واخذ ذات افقارهم واغنامهم
وحاسبهم على ما كان في تصرفهم
وانتم لتكره او بموجب عليهم
بلا ذنب لم يقترفوه ثم فرض عليهم المغارم الفادحة والمغادر من الاموال التي ليست بايديهم

نازع واستعمل على الاعمال من يثق اليه من اصحابه واقطع البلاد لعساكره واما
الكامل بن شاور فانه لما قتل ابوه دخل القصر هو واخوته معتصمين به فكان آخر
العهد بهم فكان شيركوه يتاسف عليه كيف عدم لانه بلغه ما كان منه مع ابيه في منعه
من قتل شيركوه وكان يقول وددت انه بقي لاحسن اليه جزاء لصنيعه

ذكر وفاة اسد الدين شيركوه

لما ثبت قدم اسد الدين وظن انه لم يبق له منازع اتاه اجله حتى اذا فرحوا بما أوتوا
اخذناهم بغتة فتوفي يوم السبت الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة اربع
وستين وخمسمائة وكانت ولايته شهرين وخمسة ايام واما ابتداء امره وسبب اتصاله
بنور الدين فانه كان هو واخوه نجم الدين ايوب ابنا شاذي من بلد دوين من اذربيجان
واصلهما من الاكراد الروادية وهذا القبيل هم اشرف الاكراد فقدما العراق وخدما
مجاهد الدين بهروز شحنة بغداد فرأى من نجم الدين عقلا وافرا وحسن سيرة وكان
اكبر من شيركوه فجعله مستحفظا لقلعة تكريت وهي له فسارا اليها ومعه اخوه
شيركوه فلما انهزم الاتابك الشهيد زنكي بن آقسنقر بالعراق من قراجا الساقي على
ما ذكرناه سنة ست وعشرين وخمسمائة وصل منهزما الى تكريت فخدمه نجم الدين
واقام له السفن فعبر دجلة هناك وتبعه اصحابه فاحسن ايوب صحبتهم وسيرهم ثم ان
شيركوه قتل انسانا بتكريت لملاحاة بينهما فاخرجهما بهروز من القلعة فسارا
الى الشهيد زنكي فاحسن اليهما وعرف لهما خدمتهما واقطعهما اقطاعا حسنا
فلما ملك قلعة بعلبك جعل ايوب مستحفظا بها فلما قتل الشهيد حصر عسكر دمشق
بعلبك وهو بها فضاق عليه الامر وكان سيف الدين غازي بن زنكي مشغولا عنه
باصلاح البلاد فاضطر الى تسليمها اليهم فسلمها على اقطاع ذكره فاجيب الى ذلك
وصار من اكبر الامراء بدمشق واتصل اخوه اسد الدين شيركوه بنور الدين محمود بعد
قتل زنكي وكان يخدمه في ايام والده فقربه وقدمه ورأى منه شجاعة يعجز غيره عنها
فزاده حتى صار له حمص والرحبة وغيرهما وجعله مقدم عسكره فلما اراد نور الدين
ملك دمشق امره فراسل اخاه ايوب وهو بها وطلب منه المساعدة على فتحها فاجاب
الى ذلك على ما اراده منه على اقطاع ذكره له ولاخيه وقرى يتملكانها فاعطاهما ما طلبا
وفتح دمشق على ما ذكرناه ووفى لهما وصارا اعظم امرائه فلما اراد ان يرسل
العساكر الى مصر لم ير لهذا الامر العظيم والمقام الخطر غيره فارسله ففعل ما ذكرناه اولا
وآخرا والله اعلم

ذكر ملك صلاح الدين مصر

لما توفي اسد الدين شيركوه كان معه صلاح الدين يوسف ابن اخيه ايوب بن شاذي
قد سار معه على كره منه للمسير حكى لي عنه بعض اصدقائنا ممن كان قريبا اليه خصيصا به
قال لما وردت كتب العاضد على نور الدين يستغيث به من الفرنج ويطلب ارسال

والتمر والاغنام وهذا وابعيدا بعد ابلاده من قبله على الدوام والاستمرار وورقته المرصدة التي يرد بها وينفق

حسان المنبجي وصلاح الدين يوسف بن ايوب اخي شيركوه على كره منه وعسى ان
تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم احب نور الدين مسير صلاح
الدين وفيه ذهاب بيته وكره صلاح الدين المسير وفيه سعادته وملكه وسيرد ذلك عند
موت شيركوه ان شاء الله تعالى وسار اسد الدين شيركوه من راس الماء منتصف
ربيع الاول فلما قارب مصر رحل الفرنج الى بلادهم خائبين مما املوا وسمع
نور الدين بعودهم فسره ذلك وامر بضرب البشائر في البلاد وبث رسله في الآفاق
مبشرين بذلك فانه كان فتحا جديدا لمصر وحفظا لبلاد الشام وغيرها فاما اسد الدين فانه
وصل الى القاهرة سابع جمادى الآخرة ودخل اليها واجتمع بالعاضد لدين الله وخلع
عليه وعاد الى خيامه بالخلعة العاضدية وفرح به اهل مصر واجريت عليه وعلى عسكره
الجرايات الكثيرة والاقامات الوافرة ولم يمكن شاور المنع عن ذلك لانه راى العساكر
كثيرة مع شيركوه وهوى العاضد معهم فلم يتجاسر على اظهار ما في نفسه وشرع يماطل
اسد الدين في تقرير ما كان بذل لنور الدين من المال واقطاع الجند وافراد ثلث البلاد
لنور الدين وهو يركب كل يوم الى اسد الدين ويسير معه ويعده ويمنيه وما يعدهم
الشيطان الا غرورا ثم انه عزم على ان يعمل دعوة يدعو اليها اسد الدين والامراء الذين
معه ويقبض عليهم ويستخدم من معهم من الجند فيمنع بهم البلاد من الفرنج فنهاه ابنه
الكامل وقال له والله لئن عزمت على هذا الامر لاعرفن شيركوه فقال له ابوه والله لئن لم
نفعل هذا لنقتلن جميعا فقال صدقت ولان نقتل ونحن مسلمون والبلاد اسلامية خير
من ان نقتل وقد ملكها الفرنج فانه ليس بينك وبين عود الفرنج الا ان يسمعوا
بالقبض على شيركوه وحينئذ لو مشى العاضد الى نور الدين لم يرسل معه فارسا واحدا
ويملكون البلاد فترك ما كان عزم عليه ولما راى العسكر النوري مطل شاور خافوا شره
فاتفق صلاح الدين يوسف بن ايوب وعز الدين جرديك وغيرهم على قتل شاور فنهاهم
اسد الدين فسكتوا وهم على ذلك العزم من قتله فاتفق ان شاور قصد عسكر اسد الدين
على عادته فلم يجده في الخيام كان قد مضى يزور قبر الشافعي رضي الله تعالى عنه فلقيه
صلاح الدين يوسف وجرديك في جمع من العسكر وخدموه واعلموه بان شيركوه في زيارة
قبر الامام الشافعي فقال نمضي اليه فساروا جميعا فساير صلاح الدين وجرديك والقوه
الى الارض عن فرسه فهرب اصحابه عنه فاخذ اسيرا فلم يمكنهم قتله بغير امر اسد الدين
فتوكلوا بحفظه وسيروا اعلموا اسد الدين فحضر ولم يمكنه الا اتمام ما عملوه وسمع الخليفة
العاضد صاحب مصر الخبر فارسل الى اسد الدين يطلب منه راس شاور وتابع الرسل
بذلك فقتل وارسل راسه الى العاضد في السابع عشر من ربيع الآخر ودخل اسد
الدين القاهرة فراى من اجتماع الخلق ما خافهم على نفسه فقال لهم امير المؤمنين يعني
العاضد يامركم بنهب دار شاور فتفرق الناس عنه اليها فنهبوها وقصد هو قصر العاضد
فخلع عليه خلع الوزارة ولقب الملك المنصور امير الجيوش وسار بالخلع الى دار الوزارة وهي
التي كان فيها شاور فلم ير فيها ما يقعد عليه واستقر في الامر وغلب عليه ولم يبق له مانع ولا

منها استماية الف ذلك ضبطوها
ولم يسمحوا الحد منها الا بمائة
الف بعد التوسط والترجي
والتشفع وامثال ذلك بحرجا
واسيوط ومنفلوط وغيرها
وغيرها واذا قال المتشفع
والمترجي للباشا ينبغي مراعاة
مثل هذا ومساعدته لانه
يطعم الطعام وتنزل بداره
الضيفان فيقول ومن كلفه
بذلك فيقال له وكيف يفعل
اذا نزلت به الضيوف على
حسب ما اعتادوه فيقول
يشترون ما ياكلون
بدراهمهم من اكياسهم او
يغلقون ابوابهم ويستقلون
بانفسهم وعيالهم ويقتصدون
في معايشهم فيعتادون ذلك
وهذا الذي يفعلونه تبذير
واسراف ونحو ذلك على حسب
حالهم وشانهم في بلادهم
ويقول الديوان احق بهذا
فان عليه مصاريف ونفقات
ومهمات ومحاربات الاعداء
وخصوصا افتتاح بلاد الحجاز
ولما حضر ابراهيم باشا الى
مصر وكان ابوه على اهبة
السفر الى الحجاز حضر الكثير
من اهالي الصعيد يشكون
ما نزل بهم ويستغيثون
ويتشفعون بوجهاء المشايخ
وغيرهم فاذا خوطب الباشا
في شيء من ذلك يعتذر بانه
مشغول البال واهتمامه
بالسفر وانه اناط امر الجهة القبلية واحكامها وتعلقاتها بابنه ابراهيم باشا وان الدولة

منازع

في ترجمته ما يغني عن الاعادة فعرض شديد للجميع ... باه ومن مصر عليه مفارقة وتشعبري قطينة

الملك من اعقابه الى بني مروان من بني عمه ثم من بعدهم السفاح اول من ملك من بني
العباس انتقل الملك من اعقابه الى اخيه المنصور ثم السامانية اول من استبد منهم
نصر بن احمد فانتقل الملك عنه الى اخيه اسمعيل بن احمد واعقابه ثم يعقوب الصفار
وهو اول من ملك من اهل بيته فانتقل الملك الى أخيه عمرو واعقابه ثم عماد الدولة
ابن بويه أول من ملك من أهله انتقل الملك عنه الى اخويه ركن الدولة ومعز الدولة ثم
خلص في أعقاب ركن الدولة ومعز الدولة ثم خلص في اعقاب ركن الدولة ثم الدولة
السلجوقية أول من ملك منهم طغرلبك انتقل الملك الى أولاد أخيه داود ثم هذا
شيركوه كما ذكرناه انتقل الملك الى اعقاب أخيه أيوب ثم ان صلاح الدين لما انشأ
الدولة وعظمها وصار كانه أول لها انتقل الملك الى اعقاب اخيه العادل ولم يبق بيد اعقابه
غير حلب وهذه أعظم الدول الاسلامية ولولا خوف التطويل لذكرنا أكثر من هذا والذي
اظنه السبب في ذلك ان الذي يكون أول دولة يكثر ويأخذ الملك وقلوب من كان فيه
متعلقة به فلهذا يحرمه الله اعقابه ومن يفعل ذلك من اجلهم عقوبة له

(ذكر وقعة السودان بمصر)

في هذه السنة في اوائل ذي القعدة قتل مؤتمن الخلافة وهو خصي كان بقصر العاضد
اليه الحكم فيه والتقدم على جميع من يحويه فاتفق هو وجماعة من المصريين على
مكاتبة الفرنج واستدعائهم الى البلاد والتقوي بهم على صلاح الدين ومن معه وسيروا
الكتاب مع انسان يثقون اليه واقاموا ينتظرون جوابه وسار ذلك القاصد الى البئر
البيضاء فلقيه انسان تركماني فرأى معه نعلين جديدين فاخذهما منه وقال في نفسه
لو كانا مما يلبسه هذا الرجل لكانا خلقين فانه رث الهيئة وارتاب به وبهما فاتى بهما
صلاح الدين ففتقهما فرأى الكتاب فيهما فقرأه وسكت عليه وكان مقصود مؤتمن
الخلافة ان يتحرك الفرنج الى الديار المصرية فاذا وصلوا اليها خرج صلاح الدين
في العساكر الى قتالهم فيثور مؤتمن الخلافة بمن معه من المصريين على متخلفيهم
فيقتلونهم ثم يخرجون باجمعهم يتبعون صلاح الدين فياتونه من ورائه والفرنج
من بين يديه فلا يبقى لهم باقية فلما قرأ الكتاب سأل عن كاتبه فقيل رجل يهودي
فاحضر فامر بضربه وتقريره فابتدأ واسلم واخبره الخبر واخفى صلاح الدين الحال
وان مؤتمن الخلافة استشعر فلازم القصر ولم يخرج منه خوفا واذا خرج لم يبعد من
صلاح الدين وصلاح الدين لا يظهر له شيئا من الطلب لئلا ينكر ذلك فلما طال الامر
خرج من القصر الى قرية له تعرف بالخرقانية للتنزه فلما علم به صلاح الدين ارسل اليه
جماعة فاخذوه وقتلوه واتوا برأسه وعزل جميع الخدم الذين يتولون امر قصر الخلافة
واستعمل على الجميع بهاء الدين قراقوش وهو خصي ابيض وكان لا يجري في القصر
صغير ولا كبير الا بامره فغضب السودان لقتل مؤتمن الخلافة حمية ولانه كان
يتعصب لهم فحشدوا وجمعوا فزادت عدتهم على خمسين الفا وقصدوا حرب الاجناد

ما جرى على غيره وسارق حواد
المزارعين وقد رأيت بعض
بني همام وقد حضروا الى
مصر ليعرضوا حالهم على
الباشا الظاهر فتى بجمع باعهم
في بعض ما ضبطه ابنه من
تعلقاتهم يتعيشون بهم
اولاد عبد الكريم وشاهين
ولدي همام الكبير ومعهم
حريمهم وجواريهم وزوجة
عبد الكريم ويقولون لها
الست الكبيرة وهي ام
اولاده فلما وصلوا الى ساحل
مصر القديمة تعرض ارباب ديوان
المكس الجواري وعدتهن
ثلاثمجر وهن وطالبوهم
بكمركهن فقالوا انهن لسن جواريا
للخدمة وابتدوا يعملوهن
للبيع ... وقبضوا
منهم ما قبضوه ثم انهم لم
يتمكنوا من الباشا وكان
اذ ذاك قد توجه الى الفيوم
وعاد الى المرض مسافرا الى
الحجاز فاستقروا بمصر حتى
نفدت نفقاتهم ورأيتهم مرة
مارين بالشارع وهم يتلقون
وفيهم صغير مراهق واتفق
انهم تقاتلوا مع ابن عمهم وهو
... وشكوه الى مصطفى بك
... الباشا بانه ... عليهم في
اشياء من ... دعوى
مفلس على مفلس فاحضره
وحبسه مدة وما ادري ما حصل
لهم بعد ذلك وهكذا
تنقص العالي وتعلي من سفل اللهم انا نعوذ بك من زوال النعم ونزول النقم

(واما من مات في هذه السنة)

العساكر احضرني واعلمني الحال وقال نمضي الى عمك اسد الدين بحمص مع رسولي اليه ليحضر وتحثه انت على الاسراع فما يحتمل الامر التأخير ففعلت وخرجنا من حلب فما كنا على ميل من حلب حتى لقيناه قادما في هذا المعنى فامره نور الدين بالمسير فلما قال له نور الدين ذلك التفت عمي الي فقال لي تجهز يا يوسف فقلت والله لو اعطيت ملك مصر ما سرت اليها فلقد قاسيت بالاسكندرية وغيرها ما لا انساه ابدا فقال لنور الدين لابد من مسيره معي فتأمر به فامرني نور الدين وانا استقيل وانقضى المجلس وتجهز اسد الدين ولم يبق غير المسير قال لي نور الدين لابد من مسيرك مع عمك فشكوت اليه الضائقة وعدم البرك فاعطاني ما تجهزت به فكانما اساق الى الموت فسرت معه وملكها ثم توفي فملكني الله تعالى ما لا كنت اطمع في بعضه واما كيفية ولايته فان جماعة من الامراء النورية الذين كانوا بمصر طلبوا التقدم على العساكر وولاية الوزارة العاضدية بعده منهم عين الدولة الياروقي وقطب الدين ينال وسيف الدين المشطوب الهكاري وشهاب الدين محمود الحارمي وهو خال صلاح الدين وكل واحد من هؤلاء يخطبها وقد جمع اصحابه ليغالب عليها فارسل العاضد الى صلاح الدين احضره عنده وخلع عليه وولاه الوزارة بعد عمه وكان الذي حمله على ذلك ان اصحابه قالوا له ليس في الجماعة اضعف ولا اصغر سنا من يوسف والرأي ان يولى فانه لا يخرج من تحت حكمنا ثم نضع على العساكر من يستميلهم الينا فيصير عندنا من الجنود من نمنع بهم البلاد ثم نأخذ يوسف او نخرجه فلما خلع عليه لقب الملك الناصر ولم يطعه احد من اولئك الامراء الذين يريدون الامر لانفسهم ولا خدموه وكان الفقيه عيسى الهكاري معه فسعى مع المشطوب حتى اماله اليه وقال له ان هذا الامر لا يصل اليك مع عين الدولة والحارمي وغيرهما ثم قصد الحارمي وقال هذا صلاح الدين هو ابن اختك وعزه وملكه لك وقد استقام له الامر فلا تكن اول من يسعى في اخراجه عنه ولا يصل اليك فمال اليه ايضا ثم فعل مثل هذا بالباقين وكلهم اطاع غير عين الدولة الياروقي فانه قال انا لا اخدم يوسف وعاد الى نور الدين بالشام ومعه غيره من الامراء وثبت قدم صلاح الدين ومع هذا فهو نائب عن نور الدين وكان نور الدين يكاتبه بالامير الاسفهسلار ويكتب علامته على رأس الكتاب تعظيما عن ان يكتب اسمه وكان لا يفرده بكتاب بل يكتب الامير الاسفهسلار صلاح الدين وكافة الامراء بالديار المصرية يفعلون كذا واستمال صلاح الدين قلوب الناس وبذل الاموال فمالوا اليه واحبوه وضعف امر العاضد ثم ارسل صلاح الدين يطلب من نور الدين ان يرسل اليه اخوته واهله فارسلهم اليه وشرط عليهم طاعته والقيام بامره ومساعدته وكلهم فعل ذلك واخذ اقطاعات الامراء المصريين فاعطاها اهله والامراء الذين معه وزادهم فازدادوا له حبا وطاعة قد اعتبرت التواريخ فرأيت كثيرا من التواريخ الاسلامية التي يمكن ضبطها ورأيت كثيرا ممن يبتدئ الملك تنتقل الدولة عن صلبه الى بعض اهله واقاربه منهم في اول الاسلام معاوية بن ابي سفيان اول من ملك من اهل بيته فتنتقل

الهاطالة ويلزمونهم بتحصيلها ٥٤ وغلاتها وتحصيلها فتعجز ايديهم عن الاغنام فتعذب فيجري عليهم انواع الآلام من الضرب والتعليق والكي بالنار والتحريق فانه بلغني والعهدة على الناقل انه ربط الرجل ممدودا على خشبة طويلة وامسك بطرفيها الرجال وجعلوا يقلبونه على النار المضرمة مثل الكباب وليس ذلك ببعيد على شاب جاهل سنه دون العشرين عاما وحضر من بلده ولم ير غير ما هو فيه لم يؤدبه مؤدب ولا يعرف شريعة ولا مأمورات ولا منهيات وسمعت ان قائلا قال له وحق من اعطاك قال ومن هو الذي اعطاني قال له ربك قال له انه لم يعطني شيئا والذي اعطاني ابي فلو كان الذي قلت فانه كان يعطيني وانا ببلدي وقد جئت وعلى رأسي قبع مزفت مثل المقلاة فهذا لم تبلغه دعوى ولم يتخلق الا بالاخلاق التي درج عليها والده وهي تحصيل المال باي وجه كان فانزل باهل الصعيد الذل والهوان فلقد كان بعض المقادم والموارثة كل منهم يستحي الرئيس من مكالمته والنظر اليه بالملابس الفاخرة ولا كرائك السروج والخيول المسومة والانعام والاتباع والخدم والعبيد والاكم الواسعة والمضايف والانعامات والاغداقات والتصدقات وخصوصا اكابرهم الملتزمون وهمام وما ادراك ما همام وقد تقدم

صلح يقبض بها ويحمل الى الديوان بالصنج العصبية وقيل غير ذلك وحمل الى البيمارستان فمات به وكان شاعرا فمن شعره وهو به يومئذ هذه الابيات

سلام على أهلي وصحبي وجلاسي • ومن في فؤادي ذكرهم راسب راسي
أحاج قلبكم كل همولا أرى • لدا همومي غير روح منكم آسي
لقد عاينت الايام لي كل شدة • تشيب لها الاكباد فضلا عن الراس
فيا ابنه عبد الله صبرا على الذي • لقيت فهذا الحكم من مالك الناس
فلو ابصرت عيناك ذلي بكيت لي • بدمع سوى بالمدامع رجاس
أقول لقلبي والهموم تنوشه • وقد حدثته النفس بالفقر والياس
فلو حم طيف من خيالي بزوركم • لمانعه دون المغالق حراس
وما حذري الاصل النقر لاعلى • سواها لا في حلف فقر وافلاس

وفيها توفي المعمر بن عبد الواحد بن رجاء أبو احمد الاصفهاني الحافظ روى عن أصحاب أبي نعيم وكان موته بالبادية ذاهبا الى الحج في ذى القعدة وفي رجب منها توفي الشيخ أبو محمد الفارقي المتكلم على الناس وكان أحد الزهاد له كرامات كثيرة وكان يتكلم على الخاطر وكلامه مجموع مشهور وفيها مات جعفر الرقاص من ندماء دار الخلافة وفي شوال منها توفي القاضي أبو الحسن علي بن يحيى القرشي الدمشقي وفي ذى الحجة توفي نجم الدين بن محمد بن علي بن القاسم الشهرزوري قاضي الموصل وولي ابنه حجة الدين عبد القاهر القضاء

•(ثم دخلت سنة خمس وستين وخمسمائة)•

•(ذكر حصر الفرنج دمياط)•

في هذه السنة في صفر نزل الفرنج على مدينة دمياط من الديار المصرية وحصروها وكان الفرنج بالشام لما ملك أسد الدين شيركوه مصر قد خافوه وأيقنوا بالهلاك وكاتبوا الفرنج الذين بصقلية والاندلس وغيرها يستمدونهم ويعرفونهم ما تجدد من ملك الاتراك مصر وانهم خائفون على البيت المقدس منهم فأرسلوا جماعة من القسوس والرهبان يحرضونهم على الحركة فامدوهم بالاموال والرجال والسلاح واتعدوا النزول على دمياط ظنا منهم انهم يملكونها ويتخذونها ظهرا يملكون به الديار المصرية فرد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا فلما ان دخلوا كان أسد الدين قد مات وملك صلاح الدين فاجتمعوا عليها وحصروها وضيقوا على من بها فأرسل اليها صلاح الدين العساكر في النيل وحشر فيها كل من عنده وأمدهم بالاموال والسلاح والذخائر وأرسل الى نور الدين يشكو ما هم فيه من المخافة ويقول اني ان تأخرت عن دمياط ملكها الفرنج وان سرت اليها خلفني المصريون في أهلها بالشر وخرجوا عن طاعتي وساروا في أثري والفرنج امامي فلا يبقى لنا باقية فسير نور الدين العساكر اليه أرسالا يتلو بعضها بعضا ثم سار هو بنفسه الى بلاد الفرنج الشامية فنهبها وأغار عليها واستباحوا

وشرح العصام على السمرقندية والفاكهي على القطر ومتن التوضيح والاشموني على ١٥٧ الخلاصة ورسالة الوضع والملوي وحضر دروس شيخ الشيوخ الشيخ أحمد الجوهري الملوي في صحيح البخاري والشيخ عبد السلام على الجوهرة وأجازه عن وبانه ومؤلفاته الاجازة العامة وكذلك أجازه الشيخ احمد الجوهري الشافعي اجازة عامة واجازة خاصة بطريقة مولاي عبد الله الشريف ولازم وقرأ وشارك ولده الشيخ محمد الجوهري الصغير وحضر ايضا دروس الاستاذ الحفني في شرح التلخيص للسعد التفتازاني وشرح التحرير لشيخ الاسلام وشرح الالفية لابن عقيل والاشموني وحضر دروس الشيخ عمر الطحلاوي المالكي في شرح الآجرومية للشيخ خالد وشيئا من شرح الهمزية للعلامة ابن حجر وشيئا من تفسير الجلالين والبيضاوي وحضر الشيخ مصطفى السندوبي الشافعي في شرح ابن القاسم الغزي على أبي شجاع وعلى السيد البليدي في شرح التهذيب للخبيصي وعلى الشيخ عطية الاجهوري الشافعي في شرح الخطيب على أبي شجاع وشرح التحرير لشيخ الاسلام وتفسير الجلالين وعلى الشيخ محمد التاري شرح السلم لمصنفه وشرح التحرير وعلى الشيخ أحمد القوصي شرح الورقات الكبير لابن قاسم العبادي وسمع المسلسل بالاولية من عالم أهل المغرب وفقيهه الشيخ محمد بن سودة التاودي الفاسي المالكي في

الصلاحية فاجتمع العسكر أيضا وقاتلوهم بين القصرين وكثر القتل في الفريقين فأرسل صلاح الدين إلى محلتهم المعروفة بالمنصورة فأحرقها على أموالهم وأولادهم فلما أتاهم الخبر بذلك ولوا منهزمين فركبهم السيف وأخذت عليهم أفواه السكك فطلبوا الأمان بعد أن كثر فيهم القتل فأجيبوا إلى ذلك فأخرجوا من مصر إلى الجيزة فعبر إليهم شمس الدولة أخو صلاح الدين الأكبر في طائفة من العسكر فأبادهم بالسيف ولم يبق منهم إلا القليل الشريد وكفى الله تعالى شرهم والله أعلم

(ذكر ملك شملة فارس وإخراجه عنها)

في هذه السنة ملك شملة صاحب خوزستان بلاد فارس وأخرج عنها وسبب ذلك أن زنكي بن دكلا صاحبها أساء السيرة مع عسكره فأرسلوا إلى شملة بخوزستان وحسنوا له قصد فارس فجمع عساكره وتجهز وسار إليها فخرج إليه زنكي بن دكلا ووقعت بينهم حرب ظفر فيها أصحاب زنكي عليه فانهزم في نفر قليل من عسكره ونجا بنفسه وقصد الأكراد الشوانكار والتجأ إليهم فأجاره صاحبها وأحسن ضيافته ونزل شملة ببلاد فارس فملكها فأساء السيرة إلى أهلها ونهب ابن أخيه ابن شنكا البلاد فتغيرت بواطن أهلها عليه وأرسلوا إلى زنكي بعض العسكر الذين خامروا عليه لما رأوا من سوء سيرة شملة واستعاد زنكي بلاده ورجع إلى ملكه وعاد شملة إلى بلاد خوزستان

(ذكر ملك إيلدكز الري)

في هذه السنة ملك إيلدكز مدينة الري والبلاد التي كانت بيد إينانج وسبب ذلك أن إيلدكز كان قد استقر الأمر بينه وبين إينانج على مال يؤديه إلى إيلدكز فنقض ثم أرسل إيلدكز يطلب المال فاعتذر بكثرة نفقاته وحاشيته فتجهز إيلدكز وقصد الري فالتقاه إينانج وجرى بينهما حرب انهزم إينانج ومضى منهزما فاحتمى بقلعة طبرك فحصره إيلدكز فيها وراسل مماليكه وأطمعهم في الإقطاعات والأموال والإحسان العظيم ليقتلوا إينانج فقتلوه وكانوا جماعة كثيرة وسلموا البلد إلى إيلدكز فرتب فيه عمر بن علي يارغ وعاد إلى همذان ولم يف للغلمان الذين قتلوا إينانج وسلموا البلد إليه بما وعدهم وقال مثل هؤلاء ينبغي أن لا يستخدموا وأبعدهم عنه وتفرقوا في البلاد وسار بعضهم وهو الذي تولى قتله إلى خوارزمشاه فصلبه خوارزمشاه نكالا لما فعل بصاحبه

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة رؤي في دار الخليفة رجل غريب في الطريق التي يركب فيه وفي يده سكين صغيرة وفي يده الأخرى سكين كبيرة فأخذوه وقرروه فقال أنا من حلب نفذني وعوقب البواب ولم يعلم من أين دخل وفيها قبض ابن البلدي وزير الخليفة على الحسن بن محمد المعروف بابن السيني وعلى أخيه الأصغر وكانا ابني عم عضد الدين أستاذ الدار وكان الأصغر عامل البيمارستان فقطع يده ورجله قيل كان عنده

خاتمة الأساتذة الشهير والجهبذ النحرير ١٥٦ الرئيس المفضل والفريد المبجل نادرة عصره ووحيد دهره الشيخ شمس الدين محمد أبو الأنوار بن عبد الرحمن المعروف بابن عارفين سبط بني الوفاء وخليفة السادات الحنفاء وشيخ سجادتها ومحط رحال سيادتها وشهرته غنية عن مزيد الإفصاح ومناقبه أظهر من البيان والإيضاح وأمه السيدة صفية بنت الأستاذ جمال الدين يوسف أبي الإرشاد بن وفا تزوج بها الخواجا عبد الرحمن المعروف بعارفين فأولدها المترجم وأخاه الشيخ يوسف وكان أسن منه فتربى مع أخيه في حجر السيادة والصيانة والخشية وقرأ القرآن وتولع بطلب العلم وحضر دروس أشياخ الوقت وتلقى طريقة أسلافه وأورادهم وأحزابهم عن خاله الأستاذ شمس الدين محمد أبي الإشراق ابن وفا عن عمه الشيخ عبد الخالق عن أبيه الشيخ يوسف أبي الإرشاد عن والده أبي التخصيص عبد الوهاب إلى آخر السند المنتهي إلى الأستاذ أبي الحسن الشاذلي ولازم العلامة القدوة الشيخ موسى البحيري وحضر عليه كما ذكر في برنامج شيوخه أم البراهين وشرح المصنف عليها والآجرومية وشرحها للشيخ خالد وشرح الستين مسئلة للجلال المحلي وحواشي أشياخه ثم لازم الشيخ خليلا المغربي فحضر عليه شرح إيساغوجي لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري

وعمت اكثر البلاد من الشام والجزيرة والموصل والعراق وغيرها من البلاد واشدها كان بالشام فخربت كثيرا من دمشق وبعلبك وحمص وحماة وشيزر وبعرين وحلب وغيرها وتهدمت اسوارها وقلاعها وسقطت الدور على اهلها وهلك منهم ما يخرج عن الحد فلما اتاه الخبر سار الى بعلبك ليعمر ما انهدم من سورها وقلعتها فلما وصلها اتاه خبر باقي البلاد وخراب اسوارها وقلاعها وخلوها من اهلها فجعل ببعلبك من يعمرها ويحفظها وسار الى حمص ففعل مثل ذلك ثم الى حماة ثم الى بعرين وكان شديد الحذر على سائر البلاد من الفرنج ثم اتى مدينة حلب فرأى فيها من آثار الزلزلة ما ليس بغيرها من البلاد فانها كانت قد اتت عليها وبلغ الرعب ممن نجا كل مبلغ وكانوا لا يقدرون يأوون الى مساكنهم خوفا من الزلزلة فاقام بظاهرها وباشر عمارتها بنفسه فلم يزل كذلك حتى احكم اسوار البلاد وجوامعها واما بلاد الفرنج فان الزلازل ايضا عملت بها كذلك فاشتغلوا بعمارة بلادهم خوفا من نور الدين عليها فاشتغل كل منهم بعمارة بلاده خوفا من الآخر

(ذكر وفاة قطب الدين مودود بن زنكي وملك ابنه سيف الدين غازي)

في هذه السنة في ذي الحجة مات قطب الدين مودود بن زنكي بن آقسنقر صاحب الموصل بالموصل وكان مرضه حمى حادة ولما اشتد مرضه وصى بالملك بعده لابنه الاكبر عماد الدين زنكي وعدل عنه الى ابنه الآخر سيف الدين غازي وانما صرف الملك عن ابنه الاكبر عماد الدين زنكي بن مودود لان القيم بامور دولته والمقدم فيها كان خادمه يقال له فخر الدين عبد المسيح وكان يكره عماد الدين لانه كان طوع عمه نور الدين لكثرة مقامه عنده ولانه زوج ابنته وكان نور الدين يبغض عبد المسيح فاتفق فخر الدين وخاتون ابنة حسام الدين تمرتاش بن ايلغازي وهي والدة سيف الدين على صرف الملك عن عماد الدين الى سيف الدين فدخل عماد الدين الى عمه نور الدين مستنصرا به ليعينه على اخذ الملك لنفسه وتوفي قطب الدين وعمره نحو اربعين سنة وكان ملكه احدى وعشرين سنة وخمسة اشهر ونصفا وكان فخر الدين هو المدبر للامور والحاكم في الدولة وكان قطب الدين من احسن الملوك سيرة واعفهم عن اموال رعيته محسنا اليهم كثير الانعام عليهم محبوبا الى كبيرهم وصغيرهم عطوفا على شريفهم ووضيعهم كريم الاخلاق حسن الصحبة لهم فكأن القائل اراده بقوله

خلق كأنه المزن طيب مذاقه • والروضة الغناء طيب نسيم
كالسيف لكن فيه حلم واسع • عمن جنى والسيف غير حليم
كالغيث الا ان وابل جوده • ابدا وجود الغيث غير مقيم
كالدهر الا انه ذو رحمة • والدهر قاسي القلب غير رحيم

وكان سريع الانفعال للخير بطيئا عن الشر جم المناقب قليل المعايب رحمه الله ورضي عنه وعن جميع المسلمين بمنه وكرمه انه جواد كريم

وللابس الفاخر وكثرة الاتباع والخدم والحشم خصوصا ان آخرين بخلاف شيء من المزايا المتعلقة بفن بذل الاحسان واكرام الضيفان فعند ذلك يصير به قطب الزمان وفريد العصر والاوان ولو فرضنا ان شخصا اجتمعت فيه اوصاف الكمالات المعنوية والمعارف اللدنية وخلا عما ذكر وكان صعلوكا قليل المال كثير العيال فلا يعد في الرجال ولا يلتفت اليه بحال حكم الحبة واحكام ربانية فلما تقلدها سيدي احمد المذكور دون المترجم بقي متطلعا يعلل نفسه بالاماني ثم قصد الحج في سنة تسع وسبعين كما ذكر فلما عاد من الحج تزوج بوالدة الشيخ محمد ابي هادي واسكنها بمنزل ملاصق لدار الخلافة توصلا وتقربا لما هو له ولم تطل مدة الشيخ ابي الامداد وتوفي سنة اثنتين وثمانين كما ذكرناه في ترجمته وعند ذلك لم يبق للمترجم معارض وقد مهد احواله وكتم امره مع من يخشى صولته ومعارضته من الاشياخ وغيرهم ووفق السيد احمد وركب المترجم في صحبتها مع اشياخ الوقت والشيخ احمد البكري وجماعة الحزب ونقباتهم الى الرباط بالخرنفش ودخل الى خلوة جدهم فلبس جماعة وقرأ ارباب الحزب وطبقتهم ثم ركب مع المشايخ الى امير البلدة وكان اذلالا على بل ثقلا عليه وركبوا الى دارهم وعمل ضيافتهم المعهودة وتواضع متقلدا الخلافة اسلافهم ومشيخة سجادتهم فكان لما

ثم وصلت الغارات الى ما لم تسكن تبلغه قبل فخلوا البلاد من مانع فلما رأى الفرنج تتابع العساكر الى مصر ودخول نور الدين الى بلادهم ونهبها وتخريبها رجعوا خائبين لم يظفروا بشئ ووجدوا بلادهم خرابا وأهلها بين قتيل وأسير فكانوا موضع المثل خرجت النعامة تطلب قرنين رجعت بلا اذنين وكان مدة مقامهم على دمياط خمسين يوما أخرج فيها صلاح الدين اموالا لا تحصى حتى انه قال ما رأيت اكرم من العاضد ارسل الى مدة مقام الفرنج على دمياط الف الف دينار مصرية سوى الثياب وغيرها

(ذكر حصر نور الدين الكرك)

في هذه السنة في جمادى الآخرة سار نور الدين الى بلد الفرنج فحصر الكرك وهو من امنع المعاقل على طرف البر وكان سبب ذلك ان صلاح الدين ارسل الى نور الدين يطلب ان يرسل اليه والده نجم الدين ايوب فجهزه نور الدين وسيره وسير معه عسكرا واجتمع معه من التجار خلق كثير وانضاف اليهم من كان له مع صلاح الدين انس وصحبة فخاف نور الدين عليهم من الفرنج فسار في عساكره الى الكرك فحصره وضيق عليه ونصب عليه المجانيق فاتاه الخبر ان الفرنج قد جمعوا له وساروا اليه وقد جعلوا في مقدمتهم ابن هنفري وفيليب بن الرفيق وهما فارسا الفرنج في وقتهما فرحل نور الدين نحو هذين المقدمين ليلقاهما ومن معهما قبل ان يلتحق بهما باقي الفرنج فلما قاربهما رجعا القهقرى واجتمعا بباقي الفرنج وسلك نور الدين وسط بلادهم ينهب ويحرق ما على طريقه من القرى الى ان وصل الى بلاد الاسلام فنزل على عشترا واقام ينتظر حركة الفرنج ليلقاهم فلم يبرحوا من مكانهم فاقام هو حتى اتاهم خبر الزلزلة الحادثة ثم رحل واما نجم الدين ايوب فانه وصل الى مصر سالما هو ومن معه وخرج العاضد الخليفة فتلقاه اكراما له

(ذكر غزوة السرية نورية)

كان شهاب الدين الياس بن ايلغازي بن ارتق صاحب قلعة البيرة قد سار في عسكره وهم في مائتي فارس الى نور الدين وهو بعشترا فلما وصل الى قرية اللبوة وهي من عمل بعلبك ركب متصيدا فصادف ثلثمائة فارس من الفرنج قد ساروا للاغارة على بلاد الاسلام سابع عشر شوال فوقع بعضهم على بعض واقتتلوا واشتد القتال وصبر الفريقان لا سيما المسلمون فان الف فارس لا يصبرون لحملة ثلثمائة فارس افرنجية وكثر القتلى بين الطائفتين فانهزم الفرنج وعمهم القتل والاسر فلم يفلت منهم الا من لا يعتد به وسار شهاب الدين برؤس القتلى وبالاسرى الى نور الدين فركب نور الدين والعسكر فلقوهم فرأى نور الدين في الرؤس رأس مقدم الاسبتار صاحب حصن الاكراد وكان من الشجاعة بمحل كبير وكان شجا في حلوق المسلمين

(ذكر الزلزلة وما فعلته بالشام)

في هذه السنة ايضا ثاني عشر شوال كانت زلازل عظيمة متتابعة هائلة لم ير الناس مثلها

وجهت

ضدور وده مصر في سنة اثنتين وثمانين ومائة والف بقصد الحج وكتب له اجازة بجميع سنده واجازه ايضا بدلائل الخيرات والاحزاب الشاذلي وكذلك تلقى الاجازة من الاستاذ المسلك عبد الوهاب بن عبد السلام العفيفي المرزوقي وتلقى ايضا من امام الحرم المكي الشيخ ابراهيم ابن الرئيس محمد الزمزمي الاجازة بالمسبعات واستجازه ايضا بالاملاء له من الاحزاب وكذا باقي الفوز وذلك في سنة تسع وسبعين ومائة والف بمكة سنة حجة المترجم

(وصل) ولما مات السيد محمد ابو هادي وانقرضت بموته سلالة اولاد الظهور وذلك في سنة ست وسبعين ومائة والف تاقت نفس المترجم لخلافتهم وتهيأ لذلك ولبس التاج ايضا والعصابة التي يجعلونها عليه فلم يتم له ذلك وعورض بسيدي احمد بن اسمعيل بك المعروف بالدالي المكي بالي الامداد لانه في طبقته في النسب وامه السيدة ام الهنا ابنة الشيخ عبد الخالق باتفاق ارباب الحل والعقد لكونه من بيت الامارة وقد صار منزله كمنازل الامراء في الاتساع والتأنق والمجالس المزخرفة والبستان والقصور وفي ضمنه البستان بالنخيل والاشجار وما يجتنى منها من الفواكه والى الآن معظم الوجاهة والسيادة في هذه الازمان بالمساكن الانيقة

الى كرمان فملكها واقام بها بغير منازع

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة كثرت الاذية من عبد الملك بن محمد بن عطاء وتطرق الى بلاد حلوان ونهب وافسد واخذ من الحجاج فانفذ اليه من بغداد عسكر فنازلوه في قلعته وضايقوه ونهبوا امواله واموال اهله حتى اذعن بالطاعة ولا يعاود اذى الحجاج ولا غيرهم فعاد عنهم العسكر وفيها توفي مجد الدين ابو بكر بن الداية وهو رضيع نور الدين وكان اعظم الامراء منزلة عنده وله في اقطاعه حلب وحارم وقلعة جعبر فلما توفي رد نور الدين ما كان له الى اخيه شمس الدين علي بن الداية وفيها في شعبان توفي احمد بن صالح بن شافع ابو الفضل الجيلي وهو من مشهوري المحدثين (الجيلي) بالجيم والياء تحتها نقطتان

(ثم دخلت سنة ست وستين وخمسمائة)

(ذكر وفاة المستنجد بالله)

في هذه السنة تاسع ربيع الآخر توفي المستنجد بالله ابو المظفر يوسف بن المقتفي لامر الله ابي عبد الله محمد بن المستظهر بالله وقد تقدم باقي النسب في غير موضع وامه ام ولد اسمها طاوس وقيل نرجس رومية ومولده مستهل ربيع الآخر سنة عشر وخمسمائة وكان اسمر تام القامة طويل اللحية وكان سبب موته انه مرض واشتد مرضه وكان قد خافه استاذ الدار عضد الدين ابو الفرج بن رئيس الرؤساء وقطب الدين قايماز المقتفوي وهو حينئذ اكبر امير ببغداد فلما اشتد مرض الخليفة اتفقا ووضعا الطبيب على ان يصف له ما يؤذيه فوصف له دخول الحمام فامتنع لضعفه ثم انه دخل واغلق عليه بابه فمات وهكذا سمعت غير واحد ممن يعلم الحال وقيل ان الخليفة كتب الى وزيره مع طبيبه ابن صفية يأمره بالقبض على استاذ الدار وقطب الدين وصلبهما فاجتمع ابن صفية باستاذ الدار واعطاه خط الخليفة فقال له تعود وتقول انني اوصلت الخط الى الوزير ففعل ذلك وحضر استاذ الدار قطب الدين و يزدن واخاه تنامش وعرض الخط عليهم فاتفقوا على قتل الخليفة فدخل اليه يزدن وقايماز الحميدي فحملاه الى الحمام وهو يستغيث والقياه واغلقا الباب عليه وهو يصيح الى ان مات رحمه الله وكان وزيره ابا جعفر بن البلدي وبينه وبين استاذ الدار وبين قطب الدين عداوة مستحكمة لان المستنجد بالله كان يأمره باشياء تتعلق بهما فيفعلها فكانا يظنان انه هو الذي يسعى بهما فلما مرض المستنجد وارجف بموته ركب الوزير ومعه الامراء والاجناد وغيرهما بالعدد فلم يتحقق عنده خبر موته فارسل اليه عضد الدين يقول ان امير المؤمنين قد خف ما به من المرض واقبلت العافية فخاف الوزير ان يدخل دار الخلافة بالجند فربما انكر عليه ذلك فعاد الى داره وتفرق الناس عنه وكان عضد الدين وقطب الدين قد استعدا للهرب لما ركب الوزير خوفا منه ان دخل الدار ان يأخذهما فلما عاد اغلق استاذ الدار ابواب الدار واظهر وفاة المستنجد واحضر هو وقطب الدين ابنه ابا محمد الحسن

كان يهابهم ويخضع لهم ويتأدب معهم وكانوا على طرائق الاقدمين في العفة والاعراض عن اهل الجهل بتعظيم العلم واهله والتباعد عن حب الدنيا الا بقدر الضرورة وخلف من بعدهم من هم على خلاف ذلك وهم اعاظم مدرسي الوقت فاحسد توابه وا كثروا من التردد عليه وعلى مواكبه وبالغوا في تعظيمه وتقبيل يده ومدحوه بالقصائد البليغة طمعا في صلاته وجوائزه الجليلة وحصول الشهرة لهم وزوال الخمول والتعارف بمن يتردد الى داره من الامراء والاكابر وزادهم ايضا وجوها ووجاهة بمجالستهم ولا يريهم فضلا بسعيهم اليه و يزداد كبرا وتيها وبلغ به انه لا يقوم لاكثرهم اذا دخل عليه ومنهم من يدخل بغاية الادب فيضم ثيابه و يقول عند مشاهدته يا مولاي يا واحد ويجيبه هو بقوله يا مولاي يا دائم يا عدل يا حكيم فاذا حصل بالقرب منه بقعود راكعا من حواشي ركبتيه ومنقلبه لتقبيل يده او طرف ثوبه واما الادون فلا يقبل الا طرف ثوبه وكذلك اتباعه وخدمه الخواص واذا كان من اهل الذمة او كبار المباشرين وقبلوا يده وخاطبهم في اشغاله وهم قيام وانصرفوا طلب الطشت والابريق وغسل يده بالصابون لازالة اثر

اقوالهم ولا يجيب في ردا فعيه الا بقول خير ولا يقطع غالب اوقاته مع مجالسيه وخاصته

ذكر حالة ينبغي للملوك ان يحترزوا من مثلها

حدثني والدي رحمه الله قال كنت أتولى جزيرة ابن عمر لقطب الدين رحمه الله فلما كان قبل موته بيسير أتانا كتاب من الديوان بالموصل يأمرون بمساحة جميع بساتين العقيمة وهذه العقيمة هي قرية تحاذي الجزيرة بينهما دجلة ولها بساتين كثيرة بعضها يؤخذ منه على كل جريب شيء معلوم وبعضها عليه خراج وبعضها مطلق من الجميع قال وكان لي فيها ملك كثير فكنت أقول ان المصلحة ان لا يغير على الناس شيء وما أقول هذا لأجل ملكي فانني انا أسمح بملكي وانما أريد ان يدوم الدعاء من الناس للدولة فأتى كتاب النائب ثانية ولا بد من المساحة قال فأظهرت الامر وكان بها قوم صالحون لي بهم انس وبيننا مودة فأتاني الناس كلهم وأولئك معهم يطلبون المراجعة فأعلمتهم اني راجعت وما أجبت الى ذلك فبقي منهم رجلان أعرف صلاحهما وطلبا مني المعاودة ومخاطبة ثانية ففعلت فأصروا على المساحة فعرفتهما الحال قال فما مضى الا عدة ايام واذ قد جاءني الرجلان فلما رأيتهما ظننت انهما جاءا يطلبان المعاودة فضجرت منهما وأخذت اعتذر اليهما فقالا ما جئنا اليك في هذا وانما جئنا نعرفك ان حاجتنا قضيت قال فظننت انهما قد أرسلا الى الموصل الى من يشفع فيهما فقلت من الذي خاطب في هذا بالموصل فقالا ان حاجتنا قد قضيت من السماء ولكافة أهل العقيمة قال فظننت ان هذا مما قد حدثا به نفوسهما ثم قاما عني فلم يمض غير عشرة ايام واذ قد جاءنا كتاب من الموصل يأمرون باطلاق المساحين والعفو عن المكوس ويأمرون بالصدقة ويقال ان السلطان يعني قطب الدين مريض على حالة شديدة ثم بعد يومين او ثلاثة جاءنا الكتاب بوفاته فعجبت من قولهما واعتقدته كرامة لهما فصار والدي بعد ذلك يكثر اكرامهما واحترامهما ويزورهما

ذكر الحرب بين عساكر ابن عبد المؤمن وابن مردنيش

كان محمد بن سعد بن مردنيش ملك شرق الاندلس قد اتفق هو والفرنج وامتنع على عبد المؤمن وابنه بعده فاستفحل امره لا سيما بعد وفاة عبد المؤمن فلما كان هذه السنة جهز اليه يوسف بن عبد المؤمن عساكره فساروا الى بلاده ونهبوها واخذوا مدينتين من بلاده واخافوا عساكره وجنوده واقاموا ببلاده مدة يتنقلون فيها ويجبون اموالها

ذكر وفاة صاحب كرمان والخلف بين اولاده

في هذه السنة توفي الملك طغرل بن قاورت صاحب كرمان واختلف اولاده بهرام شاه وارسلان شاه وهو الاكبر وجرى بينهما قتال انهزم فيه بهرام شاه الى خراسان فدخل على المؤيد صاحب نيسابور واستنجده فانجده بعسكر وسار بهم الى كرمان فجرى بين الاخوين حرب ظفر فيها بهرام شاه وهرب ارسلان شاه فقصد اصفهان مستجيرا بايلدكز فانفذ معه عسكرا فاستنقذوا البلاد من بهرام شاه وسلموها الى اخيه ارسلان شاه فعاد بهرام شاه الى نيسابور مستجيرا بالمؤيد صاحبها فاقام عنده فاتفق ان اخاه ارسلان شاه مات فسار

الى

اخلاقاً وعقلاً وتقدم على اخيه الشيخ يوسف مع كونه اسن منه لما فيه من زيادة الفضيلة ولما تبطنه من عادته
والاقتصاد رأيه وحسن
عشرته فيهما تنتظم امره واحسن
سلوكه بثبات وامانة وسجية ورآسة
وتؤدة وادب مع الاشياخ
والاقران وتحبب الى ارباب
المظاهر والاكابر واستجلاب
الخواطر وسلوك الطرائق
الحميدة والتباعد عن الامور
المخلة بالمروءة والاخذ بالحزم
والرفق مع الاشتغال في بعض
الاحيان بالمطالعة والمذاكرة
في المسائل الدينية والادبية
ومعاشرة الفضلاء ومجالستهم
والمنافسة معهم في النكات
واقتناء الكتب من كل فن
كل ذلك مع الجد والتحصيل
للاسباب الدنيوية وما
يتوصل به الى كثرة الايراد
بحسن تداخل وجميل طريقة
مع مدة ما يحل بالمقدار بحيث
يقضي مرامه من العظيم
وجميل الفضل له ويراسل
ويكاتب ويشافع على اهل
شيء ويصاحب ولا يدفع لارباب
الاقلام عوائدهم المقررة في
الدفاتر بل يرون ان اخذها
منه من المكابرة وكذلك
دواوين المكوس المبني على
الاجحاف فكل ما نسب له
فيها فهو معاف وكلما طال
الامد زاد المدد وخصوصا اذا
تقلبت الدول وارتفعت
السفل كان الاسبق القديم
في اعينهم هو الجليل العظيم
وهم لديه صغار لا ينظر اليهم الا بعين الاحتقار ولما انقرضت بقايا الشيوخ الذين

والرى وتلك الاعمال بمستنجدة على عمه نور الدين فارسل اليه لكثر رسولا الى نور الدين يتهاه عن التعرض الى الموصل ويقول له ان هذه البلاد للسلطان فلا تقصدها فلم يلتفت اليه وقال للرسول قل لصاحبك انا اصلح لاولاد اخى منك فلم تدخل نفسك بيننا وعند الفراغ من اصلاح بلادهم يكون الحديث معك على باب همذان فانك قد ملكت هذه المملكة العظيمة واهملت الثغور حتى غلب الكرج عليها وقد بليت انا وحدى مثل ربع بلادك بالفرنج وهم اشجع العالم فاخذت معظم بلادهم واسرت ملوكهم ولا يحل لى السكوت عنك فانه يجب علينا القيام بحفظ ما اهملت وازالة الظلم عن المسلمين فاقام نور الدين على الموصل فعزم من بها من الامراء على مجاهرة فخر الدين عبد المسيح بالعصيان وتسليم البلد الى نور الدين فعلم ذلك فارسل الى نور الدين فى تسليم البلد اليه على ان يقره بيد سيف الدين ويطلب لنفسه الامان ولماله فاجابه الى ذلك وشرط ان فخر الدين يأخذه معه الى الشام ويعطيه عنده اقطاعا يرضيه فتسلم البلد ثالث عشر جمادى الاولى من هذه السنة ودخل القلعة من باب السر لانه لما بلغه عصيان عبد المسيح عليه حلف ان لا يدخلها الا من احصن موضع فيها ولما ملكها اطلق ما بها من المكوس وغيرها من ابواب المظالم وكذلك فعل بنصيبين وسنجار والخابور وهكذا كان جميع بلاده من الشام ومصر ووصله وهو على الموصل خاصرها خلعة من الخليفة المستضئ بامر الله فلبسها ولما ملك الموصل خلعها على سيف الدين ابن اخيه وامر وهو بالموصل بعمارة الجامع النورى وركب هو بنفسه الى موضعه فرآه وصعد منارة مسجد ابى حاضر فاشرف منها على موضع الجامع فامر أن يضاف الى الارض التى شاهدها ما يجاورها من الدور والحوانيت وان لا يؤخذ منها شئ بغير اختيار اصحابه وولى الشيخ محمد الملا عمارته وكان من الصالحين الاخيار فاشترى الاملاك من اصحابها باوفر الاثمان وعمره فخرج عليه اموال كثيرة وفرغ من عمارته سنة ثمان وستين وخمسمائة واما نور الدين فانه عاد الى الشام واستناب فى قلعة الموصل خصيا كان له اسمه كمشتكين ولقبه سعد الدين وامر سيف الدين ان لا ينفرد عنه بقليل من الامور ولا بكثير وحكمه واقطع مدينة سنجار لعماد الدين ابن اخيه قطب الدين فلما فعل ذلك قال كمال الدين ابن الشهرزورى هذا طريق الى اذى يحصل لبيت اتابك لان عماد الدين كبير لا يرى طاعة سيف الدين وسيف الدين هو الملك لا يرى الاغضاء لعماد الدين فيحصل الخلف ويطمع الاعداء فكان كذلك على ما نذكره سنة سبعين وخمسمائة وكان مقام نور الدين بالموصل اربعة وعشرين يوما واستصحب معه فخر الدين عبد المسيح وغير اسمه فسماه عبد الله واقطعه اقطاعا كبيرا

(ذكر غزو صلاح الدين بلاد الفرنج وفتح ايلة)

وفى هذه السنة سار صلاح الدين ايضا عن مصر الى بلاد الفرنج فاغار على اعمال

والنهى ان ذلك القدر لا يكفى وان العساكر لم تكمل والاحمال والاغنام فاما قوله نحن كما اخبرى واقعها على هذا الوضع الذى هو طلبه الآن وانا احولها كما كان وتخادع ووسع القصر الاصلى لما اختص به تجلوسه ومواضع الحريم ايام الموالد ثم ارسل فى اثر ذلك كتخداه ووزيره الشيخ ابراهيم السندوفى الى دار السلطنة بمكاتبات وعرض لرجال الدولة والتمس رفع ما على قرية زفتا وغيرها مما فى حوزه من الالتزام من المال الميرى الذى يدفع الى الديوان فى كل سنة وكان ابراهيم المذكور غاية فى الدهاء والحيل الساسانية والتصنعات الشيطانية والتلبيسات الوهمية وتقلبات الملامتية فتمم مرامه بما يبديه من الطرقة والايهامات الملفقة ولم يدفع ما جرت به العادة من العوائد بل اجتلب خلاف ذلك عوائد ولما حضر حسن باشا الجزايرلى الى مصر على راس القرن وخرج الامراء المصريون الى الجهة القبلية واستباح اموالهم وقبض على نسائهم واولادهم وامر بانزالهم فى المزاد وبيعهم زاعما انهم ارقاء لبيت المال وفعل ذلك فاجتمع الاشياخ وذهبوا اليه فكان المخاطب له المترجم فقال له انت اتيت الى هذه البلدة وارسلك السلطان الى اقامة العدل ورفع الظلم كما تقول او لبيع الاحرار وامهات الاولاد وهتك الحريم فقال هؤلاء ارقاء

ويايعه اهل الخلافة ونقباء المستضيء بامر الله وشرط عليه شروطا ان يكون عضد الدين وزيرا
وابنه كمال الدين استاذ الدار وقطب الدين امير العسكر فاجابهم الى ذلك ولم يتول الخلافة
من اسمه الحسن الا الحسن بن علي بن ابي طالب والمستضيء بامر الله واتفقا في الكنية
والكرم فبايعه اهل بيته البيعة الخاصة يوم توفي ابوه وبايعه الناس من الغد في التاج
بيعة عامة واظهر من العدل اضعاف ما عمل ابوه وفرق اموالا جليلة المقدار وعلم
الوزير ابن البلدي فسقط في يده وقرع سنه ندما على ما فرط في عوده حيث لا ينفعه
واتاه من يستدعيه لحضور العزاء والبيعة للمستضيء فمضى الى دار الخلافة فلما دخلها
صرف الى موضع وقتل وقطع قطعا والقي في دجلة رحمه الله واخذ جميع ما في داره فرايا
فيها خطوط المستنجد بالله بامره فيها بالقبض عليهما وخط الوزير قد راجعه في ذلك
وصرفه عنه فلما وقفا عليها عرفا براءته مما كانا يظنان فيه فندما حيث فرطا في قتله
وكان المستنجد بالله من احسن الخلفاء سيرة مع الرعية عادلا فيهم كثير الرفق بهم واطلق
كثيرا من المكوس ولم يترك بالعراق منها شيئا وكان شديدا على اهل العيث والفساد
والسعاية بالناس (بلغني) انه قبض على انسان كان يسعى بالناس فاطال حبسه فشفع
فيه بعض اصحابه المختصين بخدمته وبذل عنه عشرة آلاف دينار فقال انا اعطيك عشرة
آلاف دينار وتحضر لي انسانا آخر مثله لاكف شره عن الناس ولم يطلقه ورد كثيرا من
الاموال على اصحابها ايضا وقبض على القاضي ابن المرخم واخذ منه مالا كثيرا فاعاده
على اصحابه ايضا وكان ابن المرخم ظالما جائرا في احكامه

(ذكر ملك نور الدين الموصل واقرار سيف الدين عليها)

لما بلغ نور الدين محمود وفاة اخيه قطب الدين مودود صاحب الموصل وملك ولده سيف
الدين غازي الموصل والبلاد التي كانت لابيه بعد وفاته وقام فخر الدين عبد المسيح
بالامر معه وتحكمه عليه وكان يبغض فخر الدين لما يبلغه عنه من خشونة سياسته فقال
انا اولى بتدبير اولاد اخي وملكهم وسار عند انقضاء العزاء جريدة في قلة من العسكر
وعبر الفرات عند قلعة جعبر مستهل المحرم من هذه السنة وقصد الرقة فحصرها واخذها ثم
سار الى الخابور فملكه جميعه وملك نصيبين واقام بها يجمع العساكر فاتاه بها نور الدين
محمد بن قرا ارسلان بن داود صاحب حصن كيفا وكثر جمعه وكان قد ترك اكثر عساكره
بالشام لحفظ ثغوره فلما اجتمعت العساكر سار الى سنجار فحصرها ونصب عليها
المجانيق وملكها وسلمها الى عماد الدين ابن اخيه قطب الدين وكان قد جاءته كتب
الامراء الذين بالموصل سرا يبذلون له الطاعة ويحثونه على الوصول اليهم فسار الى
الموصل فاتى مدينة بلد وعبر دجلة عندها مخاضة الى الجانب الشرقي وسار فنزل شرقي
الموصل على حصن نينوى ودجلة بينه وبين الموصل ومن العجب انه يوم نزوله سقط من
سور الموصل بدنة كبيرة وكان سيف الدين غازي قد سير عز الدين مسعود بن قطب الدين
الى اتابك شمس الدين ايلدكز صاحب همذان وبلد الجبل واذربيجان واصفهان

ومشاربه الا بانتقاد اهل مصره وغيبة قالب اهل مصره وتنبسط نفسه له والبعيد يصغى لكلام الانسان
ليعلق وفي سنة تسعين ومائة
والف ورد الى مصر عبد الرزاق
افندي رئيس الكتاب ومن
اكابر اهل الدولة فتداخل
معه واصطحب به واهدى
اليه هدايا واستدعاه واضافه
وحضر في ذلك العام محمد باشا
المعروف بالعزتي واليا على
مصر فانهى اليه بمعونة الرئيس
المذكور احتياج زاوية
اسلافه للعمارة ودعا الباشا
لزيارة قبورهم في يوم المولد
المعتاد السنوي وذكر له
المقصود واشهر له بعض
الخلل وزين له ذلك الفعل
وانه من تمام الشعائر الاسلامية
والمشاهد التي يجب الاعتناء
بشانها والسعي والطواف
بحرمها وكان المعين والمقيم
والمساعد في ذلك ايضا شيخنا
محدث العصر السيد محمد
مرتضى وهو عند العثمانيين
مقبول القول وكان عبد
الرزاق الرئيس يتلقى عنه
المسلسلات والاجازات وقرا
عليه مقامات الحريري فاجاب
الباشا ووعد باتمام ذلك
وكاتب الدولة وورد الامر
باطلاق خمسين كيسا لمصرف
العمارة من جزينة مصر
فشرع في هدم حوائطها
ووسعها عن وضعها الاصلي
واندرس في جدرانها قبور
ومدافن وجعلوها وزخرفها بالنقوش وانواع الرخام الملون والمموه بالذهب والاعمدة الرخام ثم كاتب الدولة

العاضد بقوة واقامة الخطبة المستضيئية فامتنع صلاح الدين واعتذر بالخوف من قيام
اهل الديار المصرية عليهم لميلهم الى العلويين وكان صلاح الدين يكره قطع الخطبة
لهم و يريد بقاءهم خوفا من نور الدين فانه كان يخافه ان يدخل الى الديار المصرية
يأخذها منه فكان يريد ان يكون العاضد معه حتى ان قصده نور الدين امتنع به وباهل
مصر عليه فلما اعتذر الى نور الدين بذلك لم يقبل عذره والح عليه بقطع خطبته والزمه
الزاما لا فسحة له في مخالفته وكان على الحقيقة نائب نور الدين واتفق ان العاضد
مرض هذا الوقت مرضا شديدا فلما عزم صلاح الدين على قطع خطبته استشار
امراءه فمنهم من اشار به ولم يفكر في المصريين ومنهم من خافهم الا انه ما يمكنه الا امتثال
امر نور الدين وكان قد دخل الى مصر انسان اعجمي يعرف بالامير العالم رأيته انا بالموصل
فلما رأى ما هم فيه من الاحجام وان احدا لا يتجاسر يخطب للعباسي قال انا ابتدئ
بالخطبة له فلما كان اول جمعة من المحرم صعد المنبر قبل الخطيب ودعا للمستضيء ففعلوا
ذلك فلم ينتطح فيها عنزان وكتب بذلك الى سائر بلاد مصر ففعلوا وكان العاضد
قد اشتد مرضه فلم يعلمه احد من اهله واصحابه بقطع الخطبة وقالوا ان عوفي فهو يعلم
وان توفي فلا ينبغي ان نفجعه بمثل هذه الحادثة قبل موته فتوفي يوم عاشوراء ولم يعلم
بقطع الخطبة ولما توفي جلس صلاح الدين للعزاء واستولى على قصر الخلافة وعلى
جميع ما فيه فحفظه بهاء الدين قراقوش الذي كان قد رتبه قبل موت العاضد فحمل
الجميع الى صلاح الدين وكان من كثرته يخرج عن الاحصاء وفيه من الاعلاق
النفيسة والاشياء الغريبة ما تخلو الدنيا عن مثله ومن الجواهر التي لم توجد عند
غيرهم فمنه الحبل الياقوت وزنه سبعة عشر درهما او سبعة عشر مثقالا انا لا اشك فانني
رأيته ووزنته واللؤلؤ الذي لم يوجد مثله ومنه النصاب الزمرد الذي طوله اربع اصابع
في عرض عقد كبير ووجد فيه طبل كان بالقرب من موضع العاضد وقد احتاطوا
بالحفظ فلما رأوه ظنوه عمل لاجل اللعب فيه فسخروا من العاضد فاخذه انسان فضرب
به فضرط فتضاحكوا منه ثم آخر كذلك وكان كل من ضرب به ضرط فالقاه احدهم
فكسره فاذا الطبل لاجل القولنج فندموا على كسره لما قيل لهم ذلك وكان فيه من
الكتب النفيسة المعدومة المثل ما لا يعد فباع جميع ما فيه ونقل اهل العاضد الى
موضع من القصر ووكل بهم من يحفظهم واخرج جميع من فيه من امة وعبد فباع
البعض واعتق البعض ووهب البعض وخلا القصر من سكانه كأن لم يغن بالامس
فسبحان الحي الدائم الذي لا يزول ملكه ولا تغيره الدهور ولا يقرب النقص حماه
ولما اشتد مرض العاضد ارسل الى صلاح الدين يستدعيه فظن ذلك خديعة فلم
يمض اليه فلما توفي علم صدقه فندم على تخلفه عنه وكان يصفه كثيرا بالكرم ولين
الجانب وغلبة الخير على طبعه وانقياده وكان في نسبه ممن خطب لهم بالخلافة وهم
الحافظ والمستنصر والظاهر والحاكم والعزيز والمعز والمنصور والقائم والمهدي ومنهم
من لم يخطب له بالخلافة ابوه يوسف بن الحافظ وجد ابيه وهو الامير ابو القاسم محمد بن

وكانت منه هفوة ولابد للجواد من كبوة ومن لم ينظر في العواقب فليس
له الدهر صاحب حتى قيل انه
هو الذي عرف حسن باشا
عن ذلك لينال به زيادة في
الحظوة عنده ويترك منها
حصة لنفسه بقرينة ما ظهر
عليه في عقب ذلك من التوسع
وقد غلب على ظنه بل وظن
غالب الناس انقراض
المصريين وغفلوا عن تقلبات
الدهر في كل حين واما المترجم
فانه لما اخذ بالحزم سلم ورد
الامانة الى صاحبها حين قدم
وحسنت فيهم سيرته وزادت
عندهم محبته وفي عقب ذلك نزل
السيد محمد افندي البكري
المذكور عن وظيفة نظر
المشهد الحسيني للمترجم وارسل
اليه صندوق دفاتر الوقف
وكان نظر المشهد بينهم مدة
طويلة ووعده المترجم بان
يبدله عنه وظيفة النظر على
وقف الشافعي فلما حصل
الفراغ واحتوى على الدفاتر
نكث وطمع في الوظيفتين
بل وعديه الى غيرهما لعدم
من يعارضه ولا يدافعه من
الامراء وغيرهم مثل نظر
المشهد النفيسي والزينبي
وباقي الاضرحة الكثيرة
الايراد التي يصاد بها الدنيا
من كل ناد وتأتيها الخلائق
بالقربانات وانواع النذورات
واخذ يحاسب المباشرين
وخدمة الاضرحة المذكورة
على الايرادات والنذورات
ويحاققهم على الدراهم ويسبهم ويشتمهم ويضربهم ويأمر بالحبس على ارجلهم وفعل ذلك بالسيد بدوي

عسقلان والرملة وهجم على ربض غزة فنهبه وأتاه ملك الفرنج في قلة من العسكر مسرعين ليردوه عن البلاد فقاتلهم وهزمهم وأفلت ملك الفرنج بعد أن أشرف أن يؤخذ أسيرا وعاد الى مصر وعمل مراكب مفصلة وحملها قطعا على الجمال في البر وقصد أيلة فجمع قطع المراكب وألقاها في البحر وحصر أيلة برا وبحرا وفتحها في العشر الاول من ربيع الآخر واستباح أهلها وما فيها وعاد الى مصر

(ذكر ما اعتمده صلاح الدين بمصر هذه السنة)

كان بمصر دار الشحنة تسمى دار المعونة يحبس فيها من يريد حبسه فهدمها صلاح الدين وبناها مدرسة للشافعية وأزال ما كان فيها من الظلم وبنى دار العدل مدرسة للشافعية أيضا وعزل قضاة المصريين وكانوا شيعة وأقام قاضيا شافعيا في مصر فاستناب القضاة الشافعية في جميع البلاد في العشرين من جمادى الآخرة

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة اشترى تقي الدين عمر ابن أخي صلاح الدين منازل العز بمصر وبناها مدرسة للشافعية وفيها أغار شمس الدولة توران شاه أخو صلاح الدين على الأعراب الذين بالصعيد وكانوا قد أفسدوا في البلاد ومدوا أيديهم فكفوا عما كانوا يفعلونه وفيها مات القاضي ابن الخلال من أعيان الكتاب المصريين وفضلائهم وكان صاحب ديوان الانشاء بها وفيها وقع حريق ببغداد في درب المطبخ وفي خرابة ابن جردة وفيها توفي الامير نصر بن المستظهر بالله عم المستنجد بالله وجده وهو آخر من مات من أولاد المستظهر بالله وكان موته في ذي القعدة ودفن في الترب بالرصافة وفيها جعل ظهير الدين أبو بكر نصر بن العطار صاحب المخزن ببغداد ولقب ظهير الدين وفيها حج بالناس الامير طاشتكين المستنجدي وكان نعم الامير رحمه الله

(ثم دخلت سنة سبع وستين وخمسمائة)

(ذكر اقامة الخطبة العباسية بمصر وانقراض الدولة العلوية)

في هذه السنة في ثاني جمعة من المحرم قطعت خطبة العاضد لدين الله أبي محمد الامام عبد الله بن يوسف بن الحافظ لدين الله أبي الميمون عبد المجيد بن أبي القاسم محمد بن المستنصر بالله أبي تميم معد بن الظاهر لاعزاز دين الله أبي الحسن علي بن الحاكم بأمر الله أبي علي المنصور بن العزيز بالله أبي منصور بن نزار بن المعز لدين الله أبي تميم معد بن المنصور بالله أبي الطاهر اسمعيل بن القائم بأمر الله أبي القاسم محمد بن المهدي بالله أبي محمد عبيد الله وهو أول العلويين من هذا البيت الذين خطب لهم بالخلافة وخوطبوا بامرة المؤمنين وكان سبب الخطبة العباسية بمصر أن صلاح الدين يوسف بن أيوب لما ثبت قدمه بمصر وأزال المخالفين له وضعف أمر الخليفة بها العاضد وصار قصره يحكم فيه صلاح الدين ونائبه قراقوش وهو خصي كان من أعيان الامراء الاسدية كلهم يرجعون اليه فكتب اليه نور الدين محمود بن زنكي يأمره بقطع الخطبة

لبيت المال فقال له هذا الاخير وزوا يقل بها حذقات فاغتاظ غيظا شديدا وطلب كاتب ديوانه وقال له اكتب أسماء هؤلاء واخبر السلطان بمعارضتهم لاوامره فقال له السيد محمد البكري اكتب ما تريد بل نحن نكتب أسماء المخطئين منهم ونكف من اهتمام قصده وأيضا تتبع أموالهم وودائعهم وكان ابراهيم بك الكبير قد أودع عند المترجم وديعة وكذلك مراد بك أودع عند محمد افندي البكري وديعة وعلم ذلك حسن باشا فأرسل عسكرا الى السيد البكري فلم تسعه المخالفة وسلم ما عنده وأرسل كذلك يطلب من المترجم وديعة ابراهيم بك فامتنع من دفعها وقال الآن صاحبها لم يمت وقد كتبت على نفسي وثيقة فلا أسلم ذلك ما دام صاحبها في قيد الحياة فاشتد غيظ الباشا منه وقصد البطش به فمنعه بركة الانتصار للحق فكان يقول لم أرق جميع الممالك التي وجدتها من أجل هذا الفقي مثل هذا الرجل فانه أحرق قلبي ولما ارتحل من مصر ورجع المصريون الى دولتهم حصل من مراد بك في حق السيد البكري ما حصل وغرمه مبلغا عظيما باع فيه اقطاعه في نظير تقريره في وديعته واحتج عليه بامتناع نظيره وحصل له قهر عرض بسببه وتسلسل به المرض حتى مات فقال ان مراد بك أوصل اليه الحكيم ودس له السم في العلاج ثم مات رحمه الله

ذلك فجمع صلاح الدين الجماعة منهم اهله وفيهم ابوه نجم الدين ايوب وخاله شهاب الدين الحارمي ومعهم سائر الامراء واعلمهم ما بلغه من عزم نور الدين وحركته اليه واستشارهم فلم يجبه احد بكلمة واحدة فقام تقي الدين عمر ابن اخي صلاح الدين فقال اذا جاء قاتلناه ومنعناه عن البلاد ووافقه غيره من اهله فشتمهم نجم الدين ايوب وانكر ذلك واستعظمه وشتم تقي الدين واقعده وقال لصلاح الدين انا ابوك وهذا خالك شهاب الدين ونحن اكثر محبة لك من جميع من ترى والله لو رأيت انا وهذا خالك نور الدين لم يمكنا الا ان نقبل بين يديه ولو امرنا ان نضرب عنقك بالسيف لفعلنا فاذا كنا نحن هكذا فما ظنك بغيرنا وكل من تراه عندك من الامراء لو رأى نور الدين وحده لم يتجاسروا على الثبات على سروجهم وهذه البلاد له ونحن مماليكه ونوابه فيها فان أراد عزلك سمعنا واطعنا والرأي ان تكتب كتابا مع نجاب تقول فيه بلغني ان الملك تريد الحركة لاجل البلاد فاي حاجة الى هذا يرسل المولى نجابا يضع في رقبتي منديلا ويأخذني اليك وما ههنا من يمتنع وقام الامراء وغيرهم وتفرقوا على هذا فلما خلا به ايوب قال له بأي عقل فعلت هذا اما تعلم ان نور الدين اذا سمع عزمنا على منعه ومحاربته جعلنا اهم الوجوه اليه وحينئذ لا نقوى عليه واما الآن اذا بلغه ما جرى وطاعتنا له تركنا واشتغل بغيرنا والاقدار تعمل عملها والله لو اراد نور الدين قصبة من قصب السكر لقاتلته انا عليها حتى امنعه او اقتل ففعل صلاح الدين ما اشار به فترك نور الدين قصده واشتغل بغيره فكان الامر كما ظنه ايوب فتوفي نور الدين ولم يقصده وملك صلاح الدين البلاد وكان هذا من احسن الآراء واجودها

(ذكر غزوة الى الفرنج بالشام)

وفي هذه السنة خرج مركبان من مصر الى الشام فارسا بمدينة لاذقية فاخذهما الفرنج وهما مملوآن من الامتعة والتجارة وكان بينهم وبين نور الدين هدنة فنكثوا وغدروا فارسل نور الدين اليهم في المعنى واعادة ما اخذوه من اموال التجار فغالطوه واحتجوا بامور منها ان المركبين كانا قد انكسرا ودخلهما الماء وكان الشرط ان كل مركب ينكسر ويدخله الماء يأخذونه فلم يقبل مغالطتهم وجمع العساكر وبث السرايا في بلادهم بعضها نحو انطاكية وبعضها نحو طرابلس وحصر هو حصن عرقة وخرب ربضه وارسل طائفة من العسكر الى حصن صافيتا وعريمة فاخذهما عنوة ونهب وخرب وغنم المسلمون غنائم كثيرة وعادوا اليه وهو بعرقة فسار في العساكر جميعها الى ان قارب طرابلس ينهب ويخرب ويحرق ويقتل واما الذين ساروا الى انطاكية ففعلوا في ولايتها مثل ما فعل في ولاية طرابلس فراسله الفرنج وبذلوا اعادة جميع ما اخذوه من المركبين وتجديد الهدنة معهم فاجابهم الى ذلك واعادوا ما اخذوا وهم صاغرون وقد خربت بلادهم وغنمت اموالهم

(ذكر وفاة ابن مردنيش وملك يوسف بن عبد المؤمن بلاده)

يزول بعد انقراض مستحقيه الفريخ من الاضرحة التي تحت نظره اخصهم ذلك الكاتب

او وضعوا لعنه ولزعما ضربه وادعى ذلك المكاتبة وعاقاه من قبل القاضي او صالحوه على تنفيذ ذلك مع انها لا تؤول الى تلك الجهة الا بعد سنين واعوام متطاولة وقد نص علماء الشرع على ان الوقف والنذر للقبور والاضرحة باطل فان قيل بصرفه على الفقراء قلنا ان سدنة هذه الاضرحة ليسوا بفقراء بل هم الآن اغنى الناس والفقراء حقيقة خلافهم من اولاد الناس الذين لا كسب لهم والكثير من اهل العلم الخاملين والذين يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف ولما استولى المترجم على وظيفة نظر المشهد الحسيني قهر السيد بدوي المباشر المذكور واخذ دار سكنه بشرق المشهد واخرجه منها وهدمها وانشاها دار النفيسة ينزل بها ايام المولد المعتاد ويأتي اليها في كل جمعة او جمعتين ولما تم بناؤها ونظامها وقرب وقت ايام المولد انتقل اليها بحريمه وسريه وتقدم الى حكام الشرطة بامر الناس والشادات على اهل الاسواق والحوانيت بالسهر بالليل ووقود السرج والقناديل خمس عشرة ليلة المولد وكان في السابق ليلة واحدة واحدثوا في تلك الليالي عيارات وجمعيات وطبولا وزمورا ومناور ومشاعل وجمع خلائق من اوباش العالم الذين ينتسبون الى الطرائق كالاحمدية

المستنصر وبقي من خطب له بالخلافة وليس من آبائه المستعلي والآمر والظافر والفائز وجميع من خطب له منهم بالخلافة أربعة عشر خليفة منهم بافريقية المهدي والقائم والمنصور والمعز الى ان سار الى مصر ومنهم بمصر المعز المذكور وهو أول من خرج اليها من افريقية والعزيز والحاكم والظاهر والمستنصر والمستعلي والآمر والحافظ والظافر والفائز والعاضد وجميع مدة ملكهم من حين ظهر المهدي بسجلماسة في ذي الحجة من سنة تسع وتسعين ومائتين الى ان توفي العاضد مائتان واثنتان وسبعون سنة وشهر تقريبا وهذا دأب الدنيا لم تعط الا واستردت ولم تحل الا وتمررت ولم تصف الا وتكدرت بل صفوها لا يخلو من الكدر وكدرها قد يخلو من الصفو نسأل الله تعالى ان يقبل بقلوبنا اليه ويرينا الدنيا حقيقة ويزهدنا فيها ويرغبنا في الآخرة انه سميع الدعاء قريب من الاجابة ولما وصلت البشارة الى بغداد بذلك ضربت البشائر بها عدة أيام وزينت بغداد وظهر من الفرح والجذل ما لا حد عليه وسيرت الخلع مع عماد الدين صندل وهو من خواص الخدم المقتفوية والمقدمين في الدولة لنور الدين وصلاح الدين فسار صندل الى نور الدين وألبسه الخلعة وسير الخلعة التي لصلاح الدين والخطباء بالديار المصرية والاعلام السود ثم ان هذا صندلا صار استاذ دار الخليفة المستضيء بأمر الله ببغداد وكان يدري الفقه على مذهب الشافعي وسمع الحديث ورواه ويعرف أشياء حسنة وفيه دين وله معروف كثير وهو من محاسن بغداد

(ذكر الوحشة بين نور الدين وصلاح الدين باطنا)

في هذه السنة جرت امور اوجبت ان تأثر نور الدين من صلاح الدين ولم يظهر ذلك وكان سببه ان صلاح الدين يوسف بن ايوب سار عن مصر في صفر من هذه السنة الى بلاد الفرنج غازيا ونازل حصن الشوبك وبينه وبين الكرك يوم وحصره وضيق على من به من الفرنج وأدام القتال وطلبوا الامان واستمهلوه عشرة أيام فأجابهم الى ذلك فلما سمع نور الدين بما فعله صلاح الدين سار عن دمشق قاصدا بلاد الفرنج ايضا ليدخل اليها من جهة اخرى فقيل لصلاح الدين ان دخل نور الدين بلاد الفرنج وهم على هذه الحال انت من جانب ونور الدين من جانب ملكها ومتى زال الفرنج عن الطريق واخذ ملكهم لم يبق بديار مصر مقام مع نور الدين وان جاء نور الدين اليك وانت ههنا فلا بد لك من الاجتماع به وحينئذ يكون هو المتحكم فيك بما شاء ان شاء تركك وان شاء عزلك فقد لا تقدر على الامتناع عليه والمصلحة الرجوع الى مصر فرحل عن الشوبك عائدا الى مصر ولم يأخذه من الفرنج وكتب الى نور الدين يعتذر باختلال البلاد المصرية لامور بلغته عن بعض شيعة العلويين وانهم عازمون على الوثوب بها وانه يخاف عليها مع البعد عنها ان يقوم اهلها على من تخلف بها فيخرجوه ويعودوا متغلبين وأطال الاعتذار فلم يقبلها نور الدين منه وتغير عليه وعزم على قصد مصر واخراجه عنها وظهر

ذلك

مباشر المشهد الحسيني وهو من وجهاء الناس الذين يختشى جانبهم ومشهور ومذكور في المصر وغيره وكان معظم انقباض السيد البكري ونزوله عن نظر المشهد ضيق صدره من المذكور ومنا كدته له واستيلائه على الغلال وحصول الوقف والتقصير في مصارفه اللازمة ونسب التقصير للناظر وكان رحمه الله عظيم الهمة يغلب عليه الحياء والمسامحة ويرى خلاف ذلك من سفاسف الامور فتنصل من ذلك وترك فعله لغيره فلما اوقع المترجم بالسيد بدوي وباقي عظماء البلدة ما اوقع انقمع الباقون وذلوا وخافوه اشد الخوف ووشوا على بعضهم البعض وطفق يطالبهم بالنذور والشموع والاغنام والعجول وما يتحصل من صندوق الضريح من المال وكانوا يختصون بذلك كله واقاموا في رفاهية من العيش وجمع المال مع السفالة والشحاذة حتى من الفقير المعدم المفلس والمكسرة الناشغة وكان اذا اراد الايقاع بشخص اوهاته وخشي عاقبة ذلك او لوما يلحقه ممن ينتصر له مهد له الطريق من قبل الايقاع به فانه لما اراد ضرب السيد بدوي طاف على الشيخ العروسي وامثاله وامرهم باقي نفسه وامتدت يده ايضا الى شهود بيت القاضي فكان اذا بلغه ان احدهم كتب حجة ابتياع دار او اجارة بمكان مدة طويلة لناظر او مستحق وكان ذلك المكان

في الأموال وذخائر خوارزم فسير معه جيشا كثيفا مقدمهم قرما فساروا حتى قاربوا
خوارزم فعرف سلطانشاه وأمه الى المؤيد وأهدى له هدية جليلة المقدار ووعده أموال
خوارزم وذخائرها فاغتر بقوله وجمع جيوشه وسار معه حتى بلغ سوبرلي بلدة على
عشرين فرسخا من خوارزم وكان تكش قد عسكر بالقرب منها فتقدم اليهم فلما تراءى
الجمعان انهزم عسكر المؤيد وكسر المؤيد وأخذ أسيرا وجيء به الى خوارزمشاه تكش فأمر
بقتله فقتل بين يديه صبرا وهرب سلطانشاه وأخذ الى دهستان فقصده خوارزمشاه تكش
وافتتح المدينة عنوة فهرب سلطانشاه وأخذت أمه فقتلها تكش وعاد الى خوارزم ولما عاد
المنهزمون الى نيسابور ملكوا طغانشاه ابا بكر بن المؤيد واتصل به سلطانشاه ثم سار
من هناك الى غياث الدين ملك الغورية فأكرمه وعظمه وأحسن ضيافته وأما علاء
الدين تكش فانه لما ثبت قدمه بخوارزم اتصلت به رسل الخطا بالاقتراحات والتحكم
كعادتهم فأخذته حمية الملك والدين وقتل أحد أقارب الملك وكان قد ورد اليه ومعه
جماعة أرسله ملكهم في مطالبة خوارزمشاه بالمال فأمر خوارزمشاه أعيان خوارزم
فقتل كل واحد منهم رجلا من الخطا فلم يسلم منهم أحد ونبذوا الى ملك الخطا عهده
وبلغ ذلك سلطانشاه فسار الى ملك الخطا واغتنم الفرصة بهذه الحال واستنجده على أخيه
علاء الدين تكش وزعم له أن أهل خوارزم معه يريدونه ويختارون ملكه عليهم ولو
رأوه لسلموا البلد اليه فسير معه جيشا كثيرا من الخطا مع قرما أيضا فوصلوا الى خوارزم
فحصروها فأمر خوارزمشاه علاء الدين باجراء ماء جيحون عليهم فكادوا يغرقون
ثم رحلوا ولم يبلغوا منها غرضا ولحقهم الندم حيث لم ينفعهم ولا سلطانشاه وعنفوه
فقال لقرما لو أرسلت معي جيشا الى مرو لأخلصتها من يد دينار الغزي وكان قد استولى
عليها من حين كانت فتنة الغز الى الآن فسير معه جيشا فنزل على سرخس على غرة
من أهلها وهجم على الغز فقتل مقتلة عظيمة فلم يكد أن يسلم أحد منهم وأما دينار
ملكهم فرمى نفسه في خندق القلعة فأخرج منه ودخل القلعة وتحصن بها وسار سلطانشاه الى
مرو فملكها وعاد الخطا الى ما وراء النهر وجعل سلطانشاه دأبه قتال الغز والقتل فيهم
والنهب منهم فلما عجز دينار عن مقاومته أرسل الى نيسابور الى طغانشاه بن المؤيد
يقول له ليرسل اليه من يسلم اليه قلعة سرخس فأرسل اليه جيشا مع أمير اسمه قراقوش
فسلم اليه دينار القلعة ومضى الى طغانشاه فقصد سلطانشاه سرخس وحصر قلعتها وبلغ
ذلك طغانشاه فجمع جيوشه وقصد سرخس فلما التقى هو وسلطانشاه انهزم طغان
شاه الى نيسابور وفي سنة ست وسبعين وخمسمائة فارق قراقوش قلعة سرخس
ولحق بصاحبه وملكها سلطانشاه ثم أخذ طوس والزام وضيق الأمر على طغان
شاه بعلو همته وقلة قراره وحرصه على طلب الملك وكان طغانشاه يحب الدعة ومعاقرة
الخمر فلم يزل الحال كذلك الى أن مات طغانشاه سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة في المحرم
وملك ابنه سنجرشاه فتغلب عليه مملوك جده المؤيد اسمه منكلي تكين فتفرق الأمراء
أنفة من تحكمه وانتهى أكثرهم الى سلطانشاه وسار الملك دينار الى كرمان ومعه الغز

من أثر الدخان الخليلي والتجار وشعثوا القاعة وطلوا ترميمها (؟) حلة وأغلقوا الباب وأبطلوا ثلث الميضاة ومنعوا
من تحرقنا (؟) وساعدهم
المتصوفون من أجناسهم
فانكشف بال المترجم لتلك
ولم يمكنه تنفيذ فعله وأعاد
الميضاة القديمة كما كانت
وجعل المسجد مرتفعا للحصير
يستقل أجرته بعد أن أزال
تلك الميضاة وبقي أثر ذلك
وكان بناء هذه الزيادة سنة
ست بعد المائتين ثم زاد في
منزل سكنهم بأدنى من ناحية
البركة المعروفة ببركة الفيل
خلف البستان أحدق تلك
الزيادة مقدارا كبيرا من
أرض البركة وانشاء مجلسا
ثم بساتين مطلا على البركة
من جهتيه وبوسطه عامود
من الرخام وبلط دور قاعته
بالرخام وجعل به مخدعا
وخارجه فسحة كبيرة
وشبابيكها مطلة على البركة
وصارت القاعة القديمة
المعروفة بالغزال الملتفت
بابها في ضمن الفسحة وبها
باب القيطون وهي هذه
المنشية الاسعدية وبتلك
الفسحة باب يدخل منه الى
منافع ومراقق ثم عن له التغيير
والتبديل لأوضاع البيت
من ناحية أخرى فهدم
الساتر على القاعة الكبيرة
وجددها وهي التي يسمونها
بام الافراح وهي من انشاء
الشيخ أبي القصيص (؟) وهي
اعظم المجالس التي بدارهم مزخرفة بالنقوش الذهب والتبنا في الصيني

في هذه السنة توفي الامير محمد بن سعد بن مردنيش صاحب البلاد بشرق الاندلس وهي مرسية وبلنسية وغيرهما ووصى اولاده ان يقصدوا بعد موته الامير ابا يعقوب وكان قد اجتاز الى الاندلس في مائة الف مقاتل قبل موت ابن مردنيش فلما اتاه يوسف فرح بهم وسر بقدومهم عليه وتسلم بلادهم وتزوج اختهم واكرمهم وعظم امرهم ووصلهم بالاموال الجزيلة واقاموا معه

ذكر عبور الخطا جيحون والحرب بينهم وبين خوارزمشاه

في هذه السنة عبر الخطا نهر جيحون يريدون خوارزم فسمع صاحبها خوارزمشاه ايل ارسلان بن اتسز فجمع عساكره وسار الى امويه ليقاتلهم ويصدهم فمرض واقام بها وسير بعض جيشه مع امير كبير اليهم فلقيهم فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم الخوارزميون واسر مقدمهم ورجع به الخطا الى ماوراء النهر وعاد خوارزمشاه الى خوارزم مريضا

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة اتخذ نور الدين بالشام الحمام الهوادي وهي التي يقال لها المناسيب وهي تطير من البلاد البعيدة الى اوكارها وجعلها في جميع بلاده وسبب ذلك انه لما اتسعت بلاده وطالت مملكته وعرضت كنائنها وتباعدت اوائلها عن اواخرها ثم انها جاورت بلاد الفرنج وكانوا ربما نازلوا حصنا من ثغوره فالى ان يصل الخبر ويصل اليهم قد بلغوا غرضهم منه امر بالحمام ليصل الخبر اليه في يومه واجرى الجرايات على المرتبين لحفظها واقامتها فحصل منها الراحة العظيمة والنفع الكبير للمسلمين وفيها عزل الخليفة المستضيء بامر الله وزيره عضد الدين ابا الفرج بن رئيس الرؤساء لان قطب الدين قايماز الزمه بعزله فالزم الخليفة بعزله فعزله وفيها مات ابو محمد عبد الله بن احمد الخشاب اللغوي وكان عالما بالعربية وسمع الحديث وفيها مات اليوري الفقيه الشافعي تفقه على محمد بن يحيى وقدم بغداد ووعظ وكان يذم الحنابلة وكثرت اتباعه فاصابه اسهال فمات هو وجماعة من اصحابه فقيل ان الحنابلة اهدوا له حلواء فاكل منها فمات وكل من اكل منها وفيها مات القرطبي ابو بكر يحيى بن سعدون بن تمام الازدي الاندلسي وكان اماما في القراآت والنحو وغيره من العلوم زاهدا عابدا انتفع به الناس في كثير من البلاد ولاسيما اهل الموصل فانه اقام بها وفيها توفي رحمه الله

ثم دخلت سنة ثمان وستين وخمسمائة

ذكر وفاة خوارزمشاه ايل ارسلان وملك ولده سلطان شاه وبعده ولده الآخر تكش وقتل المؤيد وملك ابنه

في هذه السنة توفي خوارزمشاه ايل ارسلان بن اتسز بن محمد بن انوشتكين وقد عاد من قتال الخطا مريضا فتوفي وملك بعده سلطان شاه محمود ولده ودبرت والدته المملكة والعساكر وكان ابنه الاكبر علاء الدين تكش مقيما في الجند قد اقطعه ابوه اياها فلما بلغه موت ابيه وتولية اخيه الصغير انف من ذلك وقصد ملك الخطا واستمده على اخيه واطمعه

والسلطنة والشعيبية وغيرها ويوقف وضع الطبول بالقائها مصحوبة ينادون بها وامثالهم طرقهم بكلمات وعبارات تعجز عنها الطباع وامرهم بان يمروا من تحت شباكه ودعا امراء البلد في ظرف تلك الايام متفرقين ودعا عابدين باشا يوم المولد ولما سكن بتلك الدار وهي قبالة الميضاة والمراحيض فكان يتضرر من الرائحة قصد ابطالها من تلك الجهة فاشترى دارا قبلي المسجد وهي بجانب حائط المسجد الجنوبية الفاصلة بينها وبين المسجد وادخل منها جانبا في المسجد وزاد فيه مقدارا كبيرا وجعلها مرتفعة عن ارض المسجد درجة لتمتاز من البناء القديم وجعل به محرابا ومن خلفه خلوة بتلك الليوان من باب بصدر الليوان المذكور الى دهليز لطيفة امام الخلوة وبالخلوة شباك مطل على الليوان الصغير الذي بقبة الضريح وانشأ فيما بقي من الدار ميضأة ومراحيض وفتح لها بابا من داخل المسجد من آخره بجانب باب السبيل وابطل الميضاة القديمة لانحراف مزاجه وتأذيه من الفضلات وتحول جمهور الناس من داخل وخارج الى هذه الجديدة واتت عليها عدة ايام ففاحت الروائح على المصلين ومن بالمسجد وما اضاف الى ذلك ايضا من البلل والتقذير من اجل الاوباش لقربها من المسجد فضاق الناس ومن يحضر في اوقات الصلاة

اليهما فاعاد الجواب اننا مماليكك وبحسب ما تفعله لا يمكننا مخالفتك فبينما الناس
مجتمعون في تدبير الامر اذ قد اقبل مجد الدين العلوي الهروي اليهم وكان خصيصا
بغياث الدين بحيث يفعل في ملكه ما يختار فلا يخالف فجاء العلوي وبيده في يد
الب غازي ابن اخت غياث الدين وقد كتبوا الكتاب وقد احضر غياث الدين اخاه
شهاب الدين وبهاء الدين سام ملك باميان ان جاء العلوي كانه بادر غياث الدين
ووقف في وسط الحلقة وقال للرسول يا فلان تقول للسلطان شاه قد تم لك الصلح من
جانب السلطان الاعظم ومن شهاب الدين وبهاء الدين ويقول لك العلوي خصمك
انا ومولانا الب غازي بيننا وبينك السيف ثم صرخ صرخة ومزق ثيابه وحثى التراب
على راسه واقبل على غياث الدين وقال له هذا واحد طرده اخوه واخرجه فريدا وحيدا
لم تترك له ما ملكناه بما صار فينا من الغز والاتراك والشعر به فاذا سمع هذا عنا يجيء
اخوه يطلب منازعتنا الهند وجميع ما بيدك فحرك غياث الدين راسه ولم يجبه بكلمة
فقال ملك سجستان للعلوي اترك الامر يصلح فلما لم يتكلم غياث الدين بمنع العلوي
قال شهاب الدين لجاووشيته نادوا في العسكر بالتجهز للحرب والتقدم الى مرو الروذ فقام
وانشد العلوي بيتا من الشعر عجميا معناه ان الموت تحت السيوف اولى من الرضا
بالدنية ثم رجع الرسول الى سلطان شاه واعلمه الحال فرتب عساكره للمصاف
والتقى الفريقان واقتتلوا واصبروا له ثم انهزم سلطان شاه وعسكره واخذ كثير
من اصحابه اسارى فاطلقهم غياث الدين ودخل سلطان شاه مرو في عشرين فارسا ولحق به
من اصحابه نحو الف وخمسمائة فارس ولما سمع خوارزم شاه تكش بما جرى لاخيه
سار من خوارزم في الفي فارس وارسل الى جيحون ثلاثة آلاف فارس يقطعون
الطريق على اخيه ان اراد الخطا وهو في السير ليقبض على اخيه قبل ان يقوى فاتت
الاخبار سلطان شاه بذلك فلم يقدر على عبور جيحون الى الخطا فسار الى غياث الدين
وكتب اليه يعلمه قصده اليه فكتب الى هراة وغيرها من بلاده باكرامه واحترامه
وحمل الاقامات اليه ففعل به ذلك وقدم على غياث الدين والتقاه واكرمه وانزله معه
في داره وانزل اصحاب سلطان شاه كل انسان منهم عند من هو في طبقته فانزل الوزير
عند وزيره والعارض عند عارضه وكذلك غيره واقام عنده حتى انسلخ الشتاء
فارسل علاء الدين تكش خوارزم شاه الى غياث الدين يذكر ما صنعه اخوه سلطان شاه
من تخريب بلاده وجمع العساكر عليه ويشير بالقبض عليه ورده اليه فانزل الرسول
واذا قد اتى كتاب نائب هراة يخبره ان كتاب خوارزم شاه جاءه يتهدده فاجابه
انه لا يظهر لخوارزم شاه انه اعلمه بالحال واحضر الرسول وقال له يقول لعلاء الدين
اما قولك ان سلطان شاه اخرب البلاد واراد ملكها فلعمري انه ملك وابن ملك وله
همة عالية واذا اراد الملك فمثله اراده وهو اهل للامر ومدبر بوصلها الى مستحقها وقد التجأ الى
وينبغي ان تنزاح عن بلاده وتعطيه نصيبه مما خلفه ابوه ومن الاملاك التي خلف
والاموال وانا احلف لكما وبينكما تتصل المودة والمصافاة وتخطب لي بخوارزم وتزوج اخي

ايما اعجبه حتى انه ترفع على لبس التاج وحضور العبا بالازهر ليلة المعراج وكذا الحضور في مجلس وزدهم
الذي هو محل عزهم وفخرهم
وصار يلبس طرطورا بعمامة
خضراء تشبها باكابر الامراء
ويبعد عن التشبه بالمعممين
والفقهاء والمقربين ولما طالت
ايامه وماتت اقرانه والذين
كان يخشى منهم ومن ابائهم
وتقلبت عليه الدول
واندرجت اكابر الامراء وتامر
اتباعهم ومماليكهم الذين
كانوا يقومون على اقدامهم
بين يدي مخاديمهم واسيادهم
جلوس بالادب مع المترجم
لاجرم كانت هيبته في قلوبهم
اعظم من اسلافهم واستصغاره
هو لهم كذلك فكان يصدعهم
بالكلام وينتقاره فيهم
ويذكر الامير الكبير بقوله
ولدنا الامير فلان وحوائجه
عندهم مقضية وكلامه
لديهم مسموع وشفاعته مقبولة
واوامره نافذة فيهم وفي
حواشيهم ورعاياتهم واتفق
ان بعض اعاظم المباشرين
من الاقباط توقف معه في امر
فاحضره ولعنه وسبه وكشف
راسه وضربه على دماغه بزربون
من الجلد ولم يراع حرمة اميره
وهو اذ ذاك امير البلقطوانا
شكا الى مخدومه ما فعل به
قال له وما تريد ان اصنع بشيخ
عظيم ضرب نصرانيا رحم
الله عظامهم واتفق ايضا
ان جماعة من اولاد البلد
ووجوهها اجتمعوا اليه وتنزل ببعض اصحابهم وتباسطوا واخذ بعضهم من بعض وقتلوا بعض اصحاب الظاهر خوشي

فملكها واما منكلى تكين فانه اساء السيرة في الرعية واخذ اموالهم وقتل بعض الامراء
فسمع خوارزمشاه بذلك فسار اليه فحصره بنيسابور في ربيع الاول سنة اثنتين وثمانين
وخمسمائة فحصرها شهرين فلم يظفر بها وعاد الى خوارزم ثم رجع سنة ثلاث وثمانين
الى نيسابور فحصرها وطلبوا منه الامان فامنهم فسلموا البلد اليه فقتل منكلى تكين
واخذ سنجر شاه واكرمه وانزله بخوارزم واحسن اليه فارسل الى نيسابور يستميل اهلها
ليعودوا اليه فسمع به خوارزمشاه فاخذ سنجر شاه فسمله وكان قد تزوج بامه وزوجه
بابنته فماتت فزوجه باخته وبقي عنده الى ان مات سنة خمس وتسعين وخمسمائة ذكر
هذا ابو الحسن بن ابي القاسم البيهقي في كتاب مشارب التجارب وقد ذكر غيره من
العلماء بالتواريخ هذه الحوادث مخالفة لهذا في بعض الامور مع تقديم وتأخير ونحن
نوردها فقال ان تكش خوارزمشاه بن ارسلان اخرج اخاه سلطان شاه من خوارزم
وكان قد ملكها بعد موت ابيه فقصد الى مرو فملكها وازاح الغز عنها فخرجوا اياما ثم
عادوا عليه فاخرجوه منها وانتهبوا خزائنه وقتلوا اكثر رجاله فعبر الى الخطا فاستنجدهم
وضمن لهم مالا وجاء بجيش عظيم فاخرج الغز عن مرو وسرخس ونسا وابيورد وملكها
ورد الخطا فلما ابعدوا كاتب غياث الدين الغوري يطلب منه ان يتنزل عن هراة وبوشنج
وبادغيس وما والاها ويتوعده ان هو لم يتنزل عن ذلك فاجابه غياث الدين يطلب منه
اقامة الخطبة له بمرو وسرخس وما ملكه من بلاد خراسان فلما سمع الرسالة سار عن
مرو وشن الغارات على بادغيس وبيوار وما والاها وحصر بوشنج ونهب الرساتيق
وصادر الرعايا فلما سمع غياث الدين ذلك لم يرض لنفسه ان يسير هو بل سير ملك
سجستان وكاتب ابن اخته بهاء الله بن سام صاحب باميان باللحاق به لان اخاه
شهاب الدين كان بالهند والزمان شتاء فاتاه بهاء الدين ابن اخت غياث الدين وملك
سجستان ومن معهما من العساكر ووافق ذلك وصول سلطان شاه الى هراة فلما علم
بوصولهم عاد الى مرو من غير ان يقاتلها واحرق كل ما مر به من البلاد ونهب واقام بمرو
الى الربيع واعاد مراسلة غياث الدين في المعنى فارسل الى اخيه شهاب الدين يعرفه
الحال فنادى في عساكره بالرحيل لساعته وعاد الى خراسان واجتمع هو واخوه
غياث الدين وملك سجستان وغيرهم من العساكر وقصدوا سلطان شاه فلما علم ذلك
جمع عساكره واجتمع عليه من الغز والمفسدين وقطاع الطريق ومن عنده طمع
خلق كثير فنزل غياث الدين ومن معه في الطالقان ونزل سلطان شاه بمرو الروذ وتقدم عسكر
الغورية اليه وتواعدوا المصاف ودام ذلك شهرين والرسل تتردد بين غياث الدين
وبين سلطان شاه وشهاب الدين يطلب من اخيه غياث الدين الاذن في الحرب فلا يتركه
وتقرر الامر على ان يسلم غياث الدين الى سلطان شاه بوشنج وبادغيس وقلاع بيوار وكره
ذلك شهاب الدين وبهاء الدين صاحب باميان الا انهما لم يخالفا غياث الدين وفي آخر
الامر حضر رسول سلطان شاه عند غياث الدين وحضر الامراء ليكتب العهد فقال الرسول
ان سلطان شاه يطلب ان يحضر شهاب الدين وبهاء الدين هذا الامر فارسل غياث الدين

بجميع حيطانها والرخام الملون وبها الفستقية والسلسبيل والقمريات الملونة فكشف ما لطها وادخل
صحنها في رحبة الحوش
وهدم القاعة الاخرى التي
كان يصعد اليها بسلم من
القصبة الاخرى وابطل
المواصل التي اسفلها
وساواها بالارض وعمل بها فسقية
بالرخام ومرافقها من داخلها
وبها باب يتوصل منه الى
الحريم ومساكنها الانوارية
تبة لسكنيته وامامها فسحة
عظيمة دوان بدكك وكراسي
يجانب البستان وبها الطرقة
والمعلم الممتد بوسط البستان
للوصل الى القاعة المسماة
بالغزال والاصعدية وهدم
المقعد القديم الذي به العامود
وشاطره وما كان بظاهر
الحاصل المحي بحاصل السحابة
من الحواصل السفلية وجعله
مسجدا يصلي فيه الجمعة
ونصب فيه منبر الخطبة
وذلك لبعد المساجد الجامعة
عن داره وتعاظمه عن المشي
الكثير والاختلاط بالعامة
واخذ قطعة وافرة من حوش
كشف الجاوشية وضمها
البستان وغرس بها الاشجار
والرياحين والغنا وافنى
غالب عمره في تحصيل الدنيا
وتنظيم المعاش والرفاهية
واقتناء كل مرغوب للنفس
وشراء الجواري والمماليك
والعبيد والحبوش والخصيان
والتانق في الماكل والمشارب
والملابس واستخراج الادهان والمعطرات والمركبات المفرحة والمنعشة للقوة وتعاظم في نفسه وتعالى على
اليهما

وقاتلها فقتل سلطان شاه واخذ ... جميع ما اخذه وحمله معه الى خوارزم وملك نيسابور وما
كان لسلطان شاه وقوى امره هذا الذي ذكر في هذه الرواية مخالف لما تقدم ولو امكن
الجمع بين الروايتين لفعلت فان احدهما قد قدم ما أخره الآخر فلهذا اوردنا جميع
ما قالاه ولبعد البلاد عنا لم نعلم اي القولين اصح لنذكره ونترك الآخر وانما اوردناها
في موضع واحد لان ايام سلطان شاه لم تطل ولا اعتنا به حتى تتفرق على السنين فلهذا
اوردناها متتابعة

ذكر غارة الفرنج على بلد حوران وغارة المسلمين على بلد الفرنج

في هذه السنة في ربيع الاول اجتمعت الفرنج وساروا الى بلد حوران من اعمال دمشق للغارة عليه وبلغ الخبر الى نور الدين وكان قد برز ونزل هو وعسكره بالكسوة فسار اليهم مجدا وقدم عسكره بين يديه عليهم فلما علموا بقربه منهم دخلوا الى السواد وهو من اعمال دمشق ايضا ولحقهم المسلمون فقتلوا من ساقتهم وقالوا امنهم وسار نور الدين فنزل في عشترا وسير منها سرية الى اعمال طبرية فشنوا الغارات عليها فنهبوا وسبوا واحرقوا وخربوا فسمع الفرنج ذلك فرحلوا اليهم ليمنعوا عن بلادهم فلما وصلوا كان قد فرغ المسلمون من نهبهم وغنيمتهم وعادوا وعبروا النهر وادركهم الفرنج فوقف مقابلهم شجعان المسلمين وحماتهم فقاتلوهم فاشتد القتال وصبر الفريقان الفرنج يرومون ان يلحقوا الغنيمة فيردوها والمسلمون يريدون ان يمنعوهم عنها ليبعدوا بها من قد سار معها فلما طال القتال بينهم وابعدت الغنيمة وصل من مع المسلمين عاد الفرنج ولم يقدروا ان يستردوا منها شيئا

ذكر مسير شمس الدولة الى بلد النوبة

في هذه السنة في جمادى الاولى سار شمس الدولة توران شاه بن ايوب اخو صلاح الدين الاكبر من مصر الى بلد النوبة فوصل الى اول بلادهم ليتغلب عليه ويملكه وكان سبب ذلك ان صلاح الدين واهله كانوا يعلمون ان نور الدين كان على عزم الدخول الى مصر فاستقر الراي بينهم انهم يتملكون اما بلاد النوبة او بلاد اليمن حتى اذا وصل اليهم نور الدين لقوه وصدوه عن البلاد فان قووا على منعه أقاموا بمصر وان عجزوا عن منعه ركبوا البحر ولحقوا بالبلاد التي قد افتتحوها فجهز شمس الدولة وسار الى اسوان ومنها الى بلد النوبة فنازل قلعة اسمها ابريم فحصرها وقاتله اهلها فلم يكن لهم بقتال العسكر الاسلامي قوة لانهم ليس لهم جنة تقيهم السهام وغيرها من آلة الحرب فسلموها فملكها واقام بها ولم ير البلاد دخلا يرغب فيه ولا يحتمل المشقة لاجله وقوتهم الذرة فلما راى عدم الحاصل وقشف العيش مع مباشرة الحروب ومعاناة التعب والمشقة تركها وعاد الى مصر بما غنم وكان عامة غنيمتهم العبيد والجواري

ذكر ظفر مليح بن ليون بالروم

في هذه السنة في جمادى الاولى هزم مليح بن ليون الارمني صاحب بلاد الدروب المجاورة

في اوائل سنة ثلاث عشرة ومائتين والف لم يتعرضوا لهم في شيء وراعوا جانبهم واخرجوا من تعلقاتهم وقبلوا شفاعاتهم وتردد اليه كبيرهم واخلطهم وعمل لهم ولائم وكنت اصاحبه في الذهاب اليهم لنتفرج على صنائعهم ونقوشهم وتصاويرهم وغرائبهم الى ان حضر ركب العثمانيين في سنة خمس عشرة وحصلت بينهم المصالحة على انتقال الفرنساوية من ارض مصر ورجوعهم الى بلادهم على شروط اشترطوها بينهم وبين وزير الدولة العثمانية (ومنها) حسابات تدفع اليهم واخرى تخصم عليهم ولمن الترجيم وخلافه اقتضى الامر والارتحال لاعمالة فمن ذلك تخصيبه الطمع قد كر مصلحة دفعها الكاتب جيشهم في قلم الافراج عن تعلقاته واوصل يطلبها من بوسليك مدبر الجمهور وكذلك ما قبضه ترجمانه فقال هذه وانا لابد منها ودخلت في حساب الجمهور وتقيد بخاطرهم منه وكانت منغصة ترتب عليها بينهم وبينه الجفوة ولما انتقض الصلح وحصلت المقاتلة ووقعت المحاربة في داخل المدينة وتترست العساكر الاسلامية واهل البلد في النواحي والجهات والقطع بالحالب عن اهل البلد مدة ستة وثلاثين يوما والزم اغنياء الناس واصحاب المتاجر

المترجم مجلسهم واتهم ادرجوا في مطاويهم فتسامعهم واحضرهم واحدا بعد واحد وعززهم بالضرب والاهانة

شهاب الدين باخذك فلما سمع خوارزمشاه الرسالة امتعض لذلك وكتب الى غياث
الدين كتابا يتهدده بقصد بلاده فجهز غياث الدين العساكر مع ابن اخت الب غازي
وصاحب سجستان وسيرهما مع سلطان شاه الى خوارزم وكتب الى المؤيد صاحب
نيسابور يستنجده وكان قد صار بينهما مصاهرة زوج المؤيد ابنه طغان شاه بابنة
غياث الدين فجمع المؤيد عساكره واقام بظاهر نيسابور على طريق خوارزم وكان
خوارزمشاه قد سار عن خوارزم الى لقاء عسكر الغورية الذين مع اخيه سلطان شاه
وقد نزلوا بطرف الرمل فبينما هو في مسيره اتاه خبر المؤيد بانه قد جمع عساكره وانه
على قصد خوارزم اذا فارقها فوقع في قلبه وعاد الى خوارزم فاخذ امواله وذخائره وعبر
جيحون الى الخطا واخلى خوارزم فوقع بها خبط عظيم فحضر جماعة من اعيانها
عند الب غازي وسالوه ارسال امير معهم يضبط البلد فخاف ان تكون مكيدة فلم
يفعل فبينما هم على ذلك توفي سلطان شاه سلخ رمضان سنة تسع وثمانين وخمسمائة
فكتب الب غازي الى غياث الدين يعلمه الخبر فكتب اليه يامره بالعود اليه فرجع
ومعه اصحاب سلطان شاه فاكرمهم غياث الدين بان تقدم واقطع الاجناد الاقطاعات
الجيدة وكلهم قابل احسانه بكفران وسنذكر باقي اخبارهم ولما سمع خوارزمشاه
تكش بوفاة اخيه عاد الى خوارزم وارسل الى سرخس ومرو وشحنتهما فجهز اليهم امير
داد عمر المرغني جيشا فاخرجوهم وقال حتى نستاذن السلطان غياث الدين وارسل
خوارزمشاه رسولا الى غياث الدين يطلب الصلح والمصاهرة وسير مع رسوله جماعة
من فقهاء خراسان والعلويين ومعهم وجيه الدين محمود بن محمود وهو الذي جعل
غياث الدين شافعيا وكان له عنده منزلة كبيرة فوعظوه وخوفوه الله تعالى واعلموه ان
خوارزمشاه مراسلهم يتهددهم بانه يجيء بالاتراك والخطا ويستبيح حريمهم واموالهم
وقالوا له اما ان تحضر انت بنفسك وتجعل مرو دار ملكك حتى ينقطع طمع
الكافرين ويامن اهلها واما ان تصالح خوارزمشاه فاجاب الى الصلح وترك معارضة
البلاد فلما سمع من بخراسان من الغز بذلك ساعوا في البلاد فسادوا والنهب والاحراق
والتخريب فجمع خوارزمشاه عساكره وقصد خراسان ودخل مرو وسرخس
ونسا وابيورد وغيرها واصلح البلاد وتطرق الى طوس وهي للمؤيد صاحب نيسابور فجمع
المؤيد جيوشه وسار اليه فلما سمع خوارزمشاه بمسيره اليه عاد الى خوارزم فلما وصل
الى الرمل اقام بطرفه فلما سمع المؤيد بعود خوارزمشاه طمع فيه وتبعه فلما سمع
خوارزمشاه بذلك ارسل الى المناهل التي في البرية فالقى فيها الجيف والتراب بحيث لم
يمكن الانتفاع بها فلما توسط المؤيد البر بطلب الماء فلم يجد فقدم خوارزمشاه اليه
وهو على تلك الحال ومعه الماء على الجمال فاحاط به فاما عسكره فسلموا باسرهم
وجيء بالمؤيد اسيرا الى خوارزمشاه فامر بضرب عنقه فقال له يا مخنث هذا فعال الناس
لم يلتفت اليه وقتله وحمل راسه الى خوارزم فلما قتل ملك نيسابور ملك ما كان له ابنه
طغان شاه لما كان من قابل جمع خوارزمشاه عساكره وسار الى نيسابور فحاصرها

فكان كل قليل يقع في بيته
الضرب والاهانة لافراد من
الناس وكذلك فلاحو
الحصص التي حازها والتزم
بها فانه زاد في خراجهم عن
تركاته ويفرض عليهم
زيادات ويحبسهم عليها
شهورا ويضربهم بالكرابيج
وبالجملة فقد قلب الموضوع
وغير الرسم المطبوع بعد ان
كان منزلهم محل سلوك ورشاد
وولاية واعتقاد فصار كبيت
حاكم الشرطة يخافه من غلط
ادنى غلطة وتحاماه الناس
من جميع الاجناس وعلماؤه
وراقفوه لا يعارضونه في شيء
بل يوافقونه ولا يتكلمون
معه الا بميزان وملاحظة
الاركان ويتادبون معه في رد
الجواب وحذف كاف الخطاب
ونقل الضمائر عن وضعها
في غالب الالفاظ بل كلها
حتى في الآثار المروية
والاحاديث النبوية وغير
ذلك من المبالغات وتحسين
العبارات والوصف بالمناقب
الجليلة والاوصاف الجميلة
حتى ان السيد حسنا
الغزلاوي الخطيب كان ينشئ
خطبا يخطب بها يوم الجمعة
التي يكون المترجم حاضرا
فيها بالمشهد الحسيني وبزاويتهم
ايام طلوعه ويدرج فيها الاطراء
المتناهي في المترجم والتوسل
به في كشف المهمات وتفريج الكروب وغفران الذنوب حتى اني سمعته لا يقول بعد الصلاة الهي يقيني على

وقائلها

كثير فحكم على تلك البلاد بمساعدة العرب بما جنات عليه من التخريب والنهب والافساد بقطع الاشجار والثمار وغير ذلك فحكم بها امورا عظيمة وجعلها بمدينة قابس وقويت نفسه وحدثته بالاستيلاء على جميع افريقية لبعد ابى يعقوب بن عبد المؤمن صاحبها عنها وكان ما سنذكره ان شاء الله

(ذكر غزو ابن عبد المؤمن الفرنج بالاندلس)

في هذه السنة جمع ابو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن عساكره وسار من اشبيلية الى الغزو فقصد بلاد الفرنج ونزل على مدينة وبذى وهي بالقرب من طليطلة شرقا منها وحصرها فاجتمعت الفرنج على ابن الفنش ملك طليطلة في جمع كثير فلم يقدموا على لقاء المسلمين فاتفق ان الغلاء اشتد على المسلمين وعدمت الاقوات عندهم وهم في جمع كثير فاضطروا الى مفارقة بلاد الفرنج فعادوا الى اشبيلية واقام ابو يعقوب بها الى سنة احدى وسبعين وخمسمائة وهو على ذلك يجهز العساكر ويسيرها الى غزو بلاد الفرنج في كل وقت فكان له فيها عدة وقائع وغزوات ظهر فيها العرب من الشجاعة ما لا يوصف وصار الفارس من العرب يبرز بين الصفين ويطلب مبارزة الفارس المشهور من الفرنج فلا يبرز اليه احد ثم عاد ابو يعقوب الى مراكش

(ذكر نهب نهاوند)

في هذه السنة نهب عسكر شملة نهاوند وسبب ذلك ان شملة كان ايام ايلدكز لا يزال يطلب منه نهاوند لكونها مجاورة بلاده وهو يبذل فيها الاموال فلا يجيبه الى ذلك فلما مات ايلدكز وملك بعده ولده محمد البهلوان وسار الى اذربيجان لاصلاح احوالها انفذ شملة ابن اخيه ابن شنكا لاخذ نهاوند وبلغ اهل البلد الخبر فحصنوا وحصرهم وقاتلهم وقاتلوه واكثروا سبه فلما رأى انه لا طاقة له بهم رجع الى تستر وهي قريب منها وارسل اهل نهاوند الى البهلوان يطلبون منه نجدة فتاخرت عنهم فلما اطمانوا خرج ابن شنكا من تستر في خمسمائة فارس وسار يوما وليلة فقطع اربعين فرسخا حتى وصل الى نهاوند وضرب البوق واظهر انه من اصحاب البهلوان لانجادهم من ناحيته ففتح اهل البلد له الابواب فدخله فلما توسط قبض على القاضي والرؤساء وصلبهم ونهب البلد وقطع انف الوالي واطلقه وتوجه نحو ماسبذان قاصدا العراق

(ذكر قصد نور الدين بلاد قلج ارسلان)

في هذه السنة سار نور الدين محمود بن زنكي الى مملكة عز الدين قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان وهي ملطية وسيواس واقصرا وغيرها عازما على حربه واخذ بلاده منه وكان سبب ذلك ان ذا النون بن الدانشمند صاحب ملطية وسيواس قصده قلج ارسلان واخذ بلاده واخرجه عنها طريدا فريدا فسار الى نور الدين مستجيرا به وملتجئا اليه فاكرم نزله واحسن اليه وحمل له ما يليق ان يحمل الى الملوك ووعده النصرة والسعي في رد ملكه اليه ثم انه ارسل الى قلج ارسلان يشفع في اعادة ملكه فلم يجبه الى ذلك فسار

فقتله بالبلدة ونالت ولده الذي كان سماه محمد انور الله وهو معوق وعمره ٧ ٥ فاذنوا له في حضوره جنازة ولده فنزل وصحبته نحو عشرين منهم فلازمه حتى واراه وعاد به الحرس الى القلعة وكان هذا الولد راهقا من العمر اثنتا عشرة سنة كان في امله ان يكون هو الخليفة في بيتهم من بعده ويابى الله الا ما يريد ولما انفصل الامر وارتحل الفرنساوية عن ارض مصر ودخل اليها يوسف باشا الوزير ومن معه تقدم المترجم يشكو اليه حاله وما اصابه وادعى الفقر والاملاق مع ان الفرنساوية لم يعجزوا عنه شيئا من تعلقاته وايراده وجعل شكواه وما حصل له سلما للافراج عن جميع تعلقاته وايراده من غير حلوان كغيره من الناس وزاد على ذلك اشياء ومطالب ومساعدات ودعا الوزير الى داره وافراد رجال الدولة الذين بيدهم مقاليد الامور وعاد الى حالته في التعاظم والكبرياء وارتحل الوزير بعد استقرار محمد باشا خسرو على ولاية مصر وكان معوجا وكذلك شريف افندي الدفتردار فرتع في غفلتهما واستكثر من التحصيل والايراد الى ان تقلبت الاحوال وعادت المصريين في سنة ثمان عشرة ثم خروجهم وما وقع من الحوادث التي تقدم ذكرها واستقر محمد على باشا وتمكنت قدمه ونزلة الامارة والسيد عمر مكرم معه بمملكة مصر وشرع في تمهيد مقاصده فكان السيد عمر

لغلب عسكر الروم من القسطنطينية وسبب ذلك ان نور الدين كان قد استخدم مليحا المذكور واقطعه اقطاعا سنيا وكان يلازم الخدمة لنور الدين ويشاهد حروبه مع الفرنج ومباشرة الملوك وكان هذا من جيد الراى وصائبه فان نور الدين لما قيل له في معنى استخدامه واعطائه الاقطاع في بلاد الشام قال استعين به على قتال اهل ملته واريح طائفة من عسكرى تكون بازائه تمنعه من الغارة على البلاد المجاورة له وكان مليح ايضا يتقوى بنور الدين على من يجاوره من الارمن والروم وكانت مدينة اذنة والمصيصة وطرسوس بيد ملك الروم صاحب القسطنطينية فاخذها مليح منهم لانها تجاور بلاده فسير اليه ملك الروم جيشا كثيفا وجعل عليهم بعض اعيان البطارقة من اقاربه فلقيهم مليح ومعه طائفة من عسكر نور الدين فقاتلهم وصدقهم القتال وصابرهم فانهزمت الروم وكثر فيهم القتل والاسر وقويت شوكة مليح وانقطع امل الروم من تلك البلاد وارسل مليح الى نور الدين كثيرا من غنائمهم ومن الاسرى ثلاثين رجلا من مشهوريهم واعيانهم فسير نور الدين بعض ذلك الى الخليفة المستضىء بامر الله وكتب يعتد بهذا الفتح لان بعض جنده فعلوه

(ذكر وفاة ايلدكز)

في هذه السنة توفى اتابك شمس الدين ايلدكز بهمذان وملك بعده ابنه محمد البهلوان ولم يختلف عليه احد وكان ايلدكز هذا مملوكا للكمال السميرمى وزير السلطان محمود فلما قتل الكمال كما ذكرناه صار ايلدكز الى السلطان محمود فلما ولى السلطان مسعود السلطنة ولاه اران فمضى اليها ولم يعد يحضر عند السلطان مسعود ولا غيره ثم ملك اكثر اذربيجان وبلاد الجبل وهمذان وغيرها واصفهان والرى وما والاهما من البلاد وخطب بالسلطنة لابن امرأته ارسلانشاه بن طغرل وكان عسكره خمسين الف فارس سوى الاتباع واتسع ملكه من باب تفليس الى مكران ولم يكن للسلطان ارسلان معه حكم انما كان له جراية تصل اليه وبلغ من تحكمه عليه انه شرب ليلة فوهب ما في خزانته وكان كثيرا فلما سمع ايلدكز بذلك استعاده جميعا وقال له متى اخرجت المال في غير وجهه اخذته ايضا من غير وجهه وظلمت الرعية وكان ايلدكز عاقلا حسن السيرة يجلس بنفسه للرعية ويسمع شكاويهم وينصف بعضهم من بعض

(ذكر وصول الترك الى افريقية وملكهم طرابلس وغيرها)

في هذه السنة سار طائفة من الترك من ديار مصر مع قراقوش مملوك تقى الدين عمر بن اخى صلاح الدين يوسف بن ايوب الى جبال نفوسة واجتمع به مسعود بن زمام المعروف بمسعود البلاط وهو من اعيان الامراء هناك وكان خارجا عن طاعة عبد المؤمن فاتفقا وكثر جمعهما ونزلا على طرابلس الغرب فحاصراها وضيقا على اهلها ثم فتحت فاستولى عليها قراقوش واسكن اهله قصرها وملك كثيرا من بلاد افريقية ما خلا المهدية وسفاقس وقفصة وتونس وما والاها من القرى والمواضع وصار مع قراقوش عسكر

كثير

الاطعام والانفاق على العساكر والقباطين في جهتهم ونوابهم والتزم المترجم كثيرا الانفاق على من حوله فلما انقضت ايام المحاربة وانحصر الفرنساوية ورجع الوزير ومن معه الى جهة الشام من زمن قصد ذلك انتقم الفرنساوية من المباشرين لهم باخذ المال بدلا عن الارواح وقبضوا على المترجم وحبسوه واهانوه ايضا وفرضوا عليه قدرا عظيما من المال فلم يدفعه كما ذكرنا ذلك مفصلا في محله وقيل ان الذى نادى الفرنساوية اغراهم مراد بك حين اصطلح معهم وعمل لهم ضيافة بالجيزة رحمه الله لما دهمت الفرنساوية وطلعوا الاسكندرية ووصل الخبر الى مصر اجتمع الامراء بالمحاكم وطلبوا المشايخ ليتشاوروا في هذا الحادث فتكلم المترجم وخاطبهم بالتوبيخ وقال كل هذا سوء فعالكم وظلمكم وآخر امرنا معكم ملكتمونا الافرنج ونافع مراد بك وخصوصا بافعالك وتعديك انت وامرائك على متاجرهم واخذ بضائعهم واهانتهم وحقدها عليه وكتمها في نفسه حتى اصطلح مع الفرنساوية والقى اليهم ذلك فعملوا بما ذكر وذلك في ثانى يوم الضيافة فلما رجع العثمانية في السنة الثانية الى مصر صحبة الانكليز وصاروا بالقرب من المدينة سبوا المترجم مع من حبس بالقلعة من ارباب المظاهر خوفا من احداثهم

وماتت في السابع والعشرين من ذي الحجة وكانت خيرا كثيرة الاحسان حسنة السيرة كريمة جوادا كثيرة الاحسان الى الفقراء والصوفية واهل العلم وقد تقدم من ذكرها وابتداء امرها وامر اخيها شيركوه ما لا حاجة الى اعادته

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة زادت دجلة زيادة كثيرة اشرفت بها بغداد على الغرق في شعبان وسدوا ابواب الدروب ووصل الماء الى قبة احمد بن حنبل ووصل الى النظامية ورباط شيخ الشيوخ واشتغل الناس بالعمل في القورج ثم نقص وكفى الناس شره ووقعت النار ببغداد من درب بهروز الى باب جامع القصر ومن الجانب الآخر من نهر الصاص الى دار ام الخليفة وفيها اغار بنو خزن من خفاجة على سواد العراق وسبب ذلك ان الحماية كانت لهم بسواد العراق فلما تمكن يزدن من البلاد وقطع الحلة اخذها منهم وجعلها لبني كعب من خفاجة واغار بنو خزن على السواد فسار يزدن في عسكر ومعه الغضبان الخفاجي وهو من بني كعب لقتال بني خزن فبينما هم سائرون ليلا رمى بعض الجند الغضبان بسهم فقتله لفساده وكان في السواد فلما قتل عاد العسكر الى بغداد واعيدت خفارة السواد الى بني خزن وفيها اجتمع الايوائي في جمع من التركمان كان في حياة ايلدكز وتطرق اعمال همذان ونهب الدينور واستباح الحريم وسمع ايلدكز الخبر وهو بنقجوان فسار مجدا اليه فخاف منه ايلدكز وقصده فهرب ورجع الى ان قارب بغداد وتبعه ايلدكز فظن الخليفة انها حيلة ليصل الى بغداد بغتة فشرع في جمع العساكر وعمل السور فارسل الى ايلدكز الخلع والالقاب الكبيرة فاعتذر انه لم يقصد الا كف الامير يزدن وهو من اكابر امراء بغداد وكان يتشيع فوقع بسببه فتنة بين السنية والشيعة بواسط لان الشيعة جلسوا له للعزاء واظهر السنية الشماتة به فآل الامر الى القتال فقتل بينهم جماعة ولما مات اقطع اخوه تنامش ما كان لاخيه وهي مدينة واسط ولقب علاء الدين وفيها ارسل نور الدين محمود بن زنكي رسولا الى الخليفة وكان الرسول القاضي كمال الدين ابا الفضل محمد بن عبد الله الشهرزوري قاضي بلاده جميعها مع الوقوف والديوان وحمله رسالة مضمونها الخدمة للديوان وما هو عليه من جهاد الكفار وفتح بلادهم ويطلب تقليدا بما بيده من البلاد مصر والشام والجزيرة والموصل وبما في طاعته كديار بكر وما يجاور ذلك كخلاط وبلاد قلج ارسلان وان يعطى من الاقطاع بسواد العراق ما كان لابيه زنكي وهو صريفين ودرب هرون والتمس ارضا على شاطئ دجلة يبني عليها مدرسة للشافعية ويوقف عليها صريفين ودرب هرون فاكرم كمال الدين اكراما لم يكرمه رسول قبله واجيب الى ما التمسه فمات نور الدين قبل الشروع في بناء المدرسة رحمه الله

ثم دخلت سنة سبع وستين وخمسمائة

ذكر ارسال شمس الدولة توران شاه الى بلاد اليمن

النقابة كما كان وانفصل عنها السيد خليل البكري وارتفع شأن السيد عمر وزاد امره بمباشرة الوقائع وولاية محمد علي باشا وصار بيده الحل والعقد والامر والنهي والمرجع في الامور الكلية والجزئية والمرجع معتقد عليه في الباطن ويظهره خلافه وهو الآخر كذلك كقول الشاعر

اصادقه كرها واظهر انه
صديقي كرها والعداوة تشتد
ولست بمعتذل بصداقه
كانه مني بها النفس يعتد
وذا للاف عالم وهو عالم
نعلي منه اني مثله ضد
ولكنني اخشاه وهو يخافني
نفاق وبيننا البغض والود

فلما انزعج الباشا السيد عمر وتقلد المرسوم الثناء بغو بلغ ما مواه عند ذلك اظهر الكامن في نفسه وصرح بالمكر وفي حق السيد عمر ومن ينتمي اليه او يواليه وسطر فيه عرضا محضرا الى الدولة نسب اليه فيه انواعا من الموبقات التي منها انه ادخل جماعة من الاقباط في دفتر الاشراف وقطع اناسا من الشرفاء المستحقين وصرف راتبهم للاقباط المدخلين ومنها انه تسبب في خراب الاقليم وامارة الفتن ومولاة البغاة المصريين وتطمعهم في المملكة حتى انه وعدهم بالهجوم على البلدة يوم قطع الخليج في غفلة الباشا والتدريس والعيا ... وانه هو الذي اغرى المصريين على قتل علي باشا رجل

نور الدين اليه فانفذ اليه كيسون وبهسنى ومرعش ومرزبان فملكها وما بينها وكان بملكه
مرعش اوائل ذى القعدة والباقى بعدها فلما ملكها سير طائفة من عسكره الى سيواس
فملكوها وكان قلج ارسلان لما سار نور الدين الى بلاده قد سار من طرفها التى تلى الشام
الى وسطها وراسل نور الدين يستعطفه ويسأله الصلح فتوقف نور الدين عن قصده رجاء
ان ينصلح الامر بغير حرب فاتاه عن الفرنج ما ازعجه فاجابه الى الصلح وشرط عليه ان
ينجده بعسكر الى الغزاة وقال له انت تجاور الروم ولا تغزوهم وبلادك قطعة كبيرة من
بلاد الاسلام ولا بد من الغزاة معى فاجابه الى ذلك وبقى سيواس على حالها بيد نواب
نور الدين ومع ذى النون فبقى العسكر فى خدمة ذى النون الى ان مات نور الدين فلما
مات رحل عسكره عنها وعاد قلج ارسلان وملكها وهى بيد اولاده الى الآن سنة ست
وعشرين وستمائة ولما كان نور الدين فى هذه السفرة جاءه رسول كمال الدين ابى الفضل
محمد بن عبد الله بن الشهرزورى من بغداد ومعه منشور من الخليفة بالموصل والجزيرة
وباربل وخلاط والشام وبلاد قلج ارسلان وديار مصر

(ذكر رحيل صلاح الدين من مصر الى الكرك وعوده عنها)

فى هذه السنة فى شوال رحل صلاح الدين يوسف بن ايوب من مصر بعساكرها جميعها
الى بلاد الفرنج يريد حصر الكرك والاجتماع مع نور الدين عليه والاتفاق على قصد
بلاد الفرنج من جهتين كل واحد منهما فى جهة بعسكره وسبب ذلك ان نور الدين لما انكر
على صلاح الدين عوده من بلاد الفرنج فى العام الماضى واراد نور الدين قصد مصر
واخذها منه ارسل يعتذر ويعد من نفسه بالحركة على ما يقرره نور الدين فاستقرت
القاعدة بينهما ان صلاح الدين يخرج من مصر ويسير نور الدين من دمشق فايهما سبق
صاحبه يقيم الى ان يصل الآخر اليه وتواعدا الى يوم معلوم يكون وصولهما فيه فسار
صلاح الدين عن مصر لان طريقه ابعد واشق ووصل الى الكرك وحصره واما نور الدين
فانه لما وصل اليه كتاب صلاح الدين برحيله من مصر فرق الاموال وحصل الازواد
وما يحتاج اليه وسار الى الكرك فوصل الى الرقيم وبينه وبين الكرك مرحلتان فلما
سمع صلاح الدين بقربه خافه هو وجميع اهله واتفق رايهم على العود الى مصر وترك
الاجتماع بنور الدين لانهم علموا انهما ان اجتمعا كان عزله على نور الدين سهلا فلما عاد
ارسل الفقيه عيسى الى نور الدين يعتذر عن رحيله بانه كان قد استخلف اباه نجم الدين
ايوب على ديار مصر وانه مريض شديد المرض ويخاف ان يحدث حادث الموت فتخرج
البلاد عن ايديهم وارسل معه من التحف والهدايا ما يجل عن الوصف فجاء الرسول الى
نور الدين واعلمه ذلك فعظم عليه وعلم المراد من العود الا انه لم يظهر للرسول تأثرا بل قال
له حفظ مصر اهم عندنا من غيرها وسار صلاح الدين الى مصر فوجد اباه قد قضى نحبه
ولحق بربه وكلمة تقول لقائلها دعنى وكان سبب موت نجم الدين انه ركب يوما وسار
بمصر فنفر به الفرس نفرة كبيرة شديدة فسقط عنه فحمل الى قصره وبقى اياما

بما نعمه الدر على اخراجهم من مصر وجمع المشايخ واحضر المترجم وخلع عليه وقلده النقابة واخرج السيد عمر
من مصر منفيا الى دمياط
وذلك فى سنة اربع وعشرين
كما تقدم ووافق ذلك غرض
المترجم بل وربما كان بمعونته
لحقده الباطنى على السيد
عمر وتشوفه الى النقابة
وادعائه انها كانت بيتهم
لكون الشيخ ابى هادى
تولاها اياما ثم تولاها بعده ابو
الامداد ثم نزل عنها لمحمد افندى
البكرى الكبير فلم يزل فى نفس
المترجم التطلع لنقابة الاشراف
ويصرح بقوله انها من
وظائفنا القديمة واحضر بها
مرسوما من دار السلطنة
واخفاه ولم يظهره مدة حياة
محمد افندى البكرى الكبير
فلما مات وتقلدها ولده محمد
افندى ادعاها واظهر المرسوم
وشاع خبر ذلك فاجتمع الجم
الغفير من الاشراف بالمشهد
الحسينى ممانعين وقالوا لا
نرضاه نقيبا ولا حاكما علينا
فلم يتم له مراده فلما توفى محمد
افندى الصغير ظن انه لم يبق
له فيها منازع فلا يشعر الا وقد
تقلدها السيد عمر بمعونة
مراد بك وابراهيم بك لعصبيته
معهما ومرافقته لهما فى
الفرنساوية حين كان المصريون
بالصعيد فمكث على ضغن
وغيظ يخفيه تارة ويظهره
اخرى وخصوصا وهو يرى
ان السيد عمر فوقه وهو دون ذلك بكثير فلما اخرج الفرنساوية ودخل الوزير الى مصر وصحبته السيد عمر مكرما ازداد

وحاك

الحصون ذلك قلعة تعز وهي من احصن القلاع وبها تكون خزائن صاحب زبيد وملك ايضا قلعة التعكر والجند وغيرها من المعاقل والحصون واستناب بعدن عز الدين عثمان بن الزنجبيلي وبزبيد سيف الدولة مبارك بن منقذ وجعل في كل قلعة نائبا من اصحابه والتي ملكوها بالبن جران ودام واحسن شمس الدولة الى اهل البلاد واستعاد طاعتهم بالعدل والاحسان وعادت زبيد الى احسن احوالها من العمارة والامن بعد خرابها

(ذكر قتل جماعة من المصريين ارادوا الوثوب بصلاح الدين)

في هذه السنة ثاني رمضان صلب صلاح الدين يوسف بن ايوب جماعة ممن اراد الوثوب به بمصر من اصحاب الخلفاء العلويين وسبب ذلك ان جماعة من الشيعة منهم عمارة بن ابي الحسن اليمني الشاعر وعبد الصمد الكاتب والقاضي العويرس وداعي الدعاة وغيرهم من جند المصريين ورجالتهم السودان وحاشية القصر ووافقهم جماعة من امراء صلاح الدين وجنده واتفق رايهم على استدعاء الفرنج من صقلية ومن ساحل الشام الى ديار مصر على شئ يبذلونه لهم من المال والبلاد فاذا قصدوا البلاد فان خرج صلاح الدين بنفسه اليهم ثاروا هم في القاهرة ومصر واعادوا الدولة العلوية وعاد من معه من العسكر الذين وافقوهم عنه فلا يبقى له مقام مقابل الفرنج وان كان صلاح الدين يقيم ويرسل العساكر اليهم ثاروا به واخذوه اخذا باليد لعدم الناصر له وقال لهم عمارة وانا قد ابعدت اخاه الى اليمن خوفا ان يسد مسده وتجتمع الكلمة عليه بعده وارسلوا الى الفرنج بصقلية والساحل في ذلك وتقررت القاعدة بينهم ولم يبق الا رحيل الفرنج وكان من لطف الله بالمسلمين ان الجماعة المصريين ادخلوا معهم زين الدين علي بن نجا الواعظ والقاضي المعروف بابن نجية ورتبوا الخليفة والوزير والحاجب والداعي والقضاة الا ان بني رزيك قالوا يكون الوزير منا وبني شاور قالوا يكون الوزير منا فلما علم ابن نجا الحال حضر عند صلاح الدين واعلمه حقيقة الامر فامره بملازمتهم ومخالطتهم ومواطاتهم على ما يريدون يفعلونه وتعريفه ما يتجدد اولا باول ففعل ذلك وصار يطالعه بكل ما عزموا عليه ثم وصل رسول من ملك الفرنج بالساحل بهدية ورسالة وهو في الظاهر اليه وفي الباطن الى اولئك الجماعة وكان يرسل اليهم بعض النصارى وتاتيه رسلهم فاتى الخبر الى صلاح الدين من بلاد الفرنج بجلية الحال فوضع صلاح الدين على الرسول بعض من يثق اليه من النصارى وداخله فاخبره الرسول بالخبر على حقيقته فقبض حينئذ على المقدمين في هذه الحادثة منهم عمارة وعبد الصمد الكاتب والعويرس وغيرهم وصلبهم وقيل في كشف امرهم ان عبد الصمد المذكور كان اذا لقي القاضي الفاضل الصلاحي يخدمه ويتقرب اليه بجهده وطاقته فلقيه يوما فلم يلتفت اليه فقال القاضي الفاضل ما هذا الا لسبب وخاف ان يكون قد صار له باطن مع صلاح الدين فاحضر علي بن نجا الواعظ واخبره الحال وقال اريد تكشف لي

الحقيقية بين هو ومو والحاطه والامر طاطاينه وبين دار المذكور وضمها واواخر ١٢٠٩ وسدت الحائط شبابيك ذلك القصر والشمسية ولم يزل كاملا طال عمره وزاد كبره وقل بره وتعدى شره ولما ضعفت قواه تقاعد من القيام لاعاظم الناس اذا دخل عليه معتذرا بالاعياء والضعف ولازم استعمال المنعشات والمركبات المفرحة ولا يصلح العطار ما افسد الدهر (وفي شهر شوال) من السنة التي توفي فيها احضر ابن اخيه سيدي احمد الذي تولى المشيخة بعده والبسه خلعة وتاجا وجعله وكيلا عنه في نقابة الاشراف واركبه فرسا بعباءة وارسله الى الباشا صحبة سيدي محمد المعروف بابي دفية وامامه جاويشية النقابة على العادة فلما دخلا الى الباشا وعرفه المرسول بان عمه اقامه وكيلا عنه فقال مبارك فاشار اليه ان يلبسه خلعة فقال ان مركبه البسه ولم يتقلدها بالاصالة ولو كنت قلدته لما كنت اخلع عليه والبسه فقام ونزل الى داره التي اسكنه بها عمه وهي الدار التي عند المشهد الحسيني وحضر اليه الناس للسلام والتهنئة وفي هذه السنة ايضا عن المترجم ان يزيد في المسجد الحسيني زيادة مضافة الى الزيادة الاولى التي كان زادها في سنة ست ومائتين والف فهدم الحائط التي كان بناها الكتخدا ... و ادخل القطعة التي كان جعل بها الميضاة و زادها لية اخرى وصفها لمسجد وصارت

قد ذكرنا قبل ان صلاح الدين يوسف بن ايوب صاحب مصر واهله كانوا خائفين من
نور الدين محمود ان يدخل الى مصر فياخذها منهم فشرعوا فى تحصيل مملكة يقصدونها
و يتملكونها تكون عدة لهم ان اخرجهم نور الدين من مصر ساروا اليها واقاموا بها
فسيروا لشمس الدولة توران شاه بن ايوب وهو اخو صلاح الدين الاكبر الى بلد النوبة فكان
ما ذكرناه فلما عاد الى مصر استاذنوا نور الدين فى ان يسير الى اليمن لقصد عبد النبى
صاحب زبيد لاجل قطع الخطبة العباسية فاذن فى ذلك وكان بمصر شاعر اسمه عمارة من
اهل اليمن فكان يحسن لشمس الدولة قصد اليمن ويصف البلاد ويعظم ذلك فى عينه
فزاده قوله رغبة فيها فشرع يتجهز ويعد الازواد والروايا والسلاح وغيره من الآلات
وجند الاجناد فجمع وحشد وسار عن مصر مستهل رجب فوصل الى مكة اعزها الله
تعالى ومنها الى زبيد وفيها صاحبها المتغلب عليها المعروف بعبد النبى فلما قرب منها رآه
اهلها فاستقل من معه فقال لهم عبد النبى كانكم بهؤلاء وقد حمى عليهم الحر فهلكوا
الا كاقرام فخرج اليهم بعسكره فقاتلهم شمس الدولة ومن معه فلم يثبت اهل زبيد
وانهزموا ووصل المصريون الى سور زبيد فلم يجدوا عليه من يمنعهم فنصبوا السلالم
وصعدوا السور فملكوا البلد عنوة ونهبوه واكثروا النهب واخذوا عبد النبى اسيرا
وزوجته المدعوة بالحرة وكانت امرأة صالحة كثيرة الصدقة لاسيما اذا حج فان
فقراء الحجاج كانوا يجدون عندها صدقة دارة وخيرا كثيرا ومعروفا فلما اسر
شمس الدولة عبد النبى وسلم شمس الدولة عبد النبى الى بعض امرائه يقال له سيف
الدولة مبارك بن كامل من بنى منقذ اصحاب شيزر وامره ان يستخرج منه الاموال
فاعطاه منها شيئا كثيرا ثم انه دلهم على قبر كان قد صنعه لوالده وبنى عليه بنية عظيمة
وله هناك دفائن كثيرة فاعلمهم بها فاستخرجت الاموال من هناك وكانت جليلة
المقدار واما الحرة فانها ايضا كانت تدلهم على ودائع لها فاخذ منها مالا كثيرا ولما ملكوا
زبيد واستقر الامر لهم بها ودانت اهلها واقيمت فيها الخطبة العباسية اصلحوا حالها
وساروا الى عدن وهى على البحر ولها مرسى عظيم وهى فرضة الهند والزنج والحبشة
وعمان وكرمان وكيش وفارس وغير ذلك وهى من جهة البر من امنع البلاد واحصنها
وصاحبها انسان اسمه ياسر فلو اقام بها ولم يخرج عنها لعادوا خائبين وانما حمله جهله
وانقضاء مدته على الخروج اليهم ومباشرة قتالهم فسار اليهم وقاتلهم فانهزم ياسر
ومن معه وسبقهم بعض عسكر شمس الدولة فدخلوا البلد قبل اهله فملكوه
واخذوا صاحبها ياسرا اسيرا وارادوا نهب البلد فمنعهم شمس الدولة وقال ما جئنا
لنخرب البلاد وانما جئنا لنملكها ونعمرها وننتفع بدخلها فلم ينهب احد منها شيئا
فبقيت على حالها وثبت ملكه واستقر امره ولما مضى الى عدن كان معه عبد النبى
صاحب زبيد ماسورا فلما دخل الى عدن قال سبحان الله كنت قد علمت انى ادخل
الى عدن فى موكب كبير فانا انتظر ذلك واسر به ولم اكن اعلم انى ادخلها على هذه
الحال ولما فرغ شمس الدولة من امر عدن عاد الى زبيد وحصر ما فى الجبال من
الحصون

الطرابلسى حين قدم واليا على مصر وهو الذى كاتب الانكليز وطمعهم فى البلاد مع الالفى حين حضر والى
اسكندرية وملكوها ونصر الله
عليهم العساكر الاسلامية
وغير ذلك من عبارات
عكس القضية وتحقيق
الاغراض النفسانية وكتب
الاشياخ عليه خطوطهم
وطبعوا ختومهم ما عدا
الطهطاوى الحنفى فانه نفى
عن الشرور وامتنع من شهادة
الزور فاوسعوه بغضا ومقتا
وعزلوه من الافتا وقد تقدم
خبر ذلك فى حوادث سنة
اربع وعشرين وانما المعنى
باعادة ذلك هنا تتمة لترجمة
المشار اليه وحذرا من نقصها
مع النسيان لا لترجيحها فلو
سلمت الفكرة من النسيان
لما قصرته كان وكان وفى
سنة ست وعشرين انشا دارا
عظيمة بجانب المنزل وصرف
جملا من المال وانشا بها
مجالس وقاعات ورواشن
ومنافع ومرافق وسواقى
وانشا فيها بستانا غرس فيه
انواع الاشجار المثمرة وادخل
به ما جاوره من دور الامراء
المقربة وكان السيد خليل
البكرى اشترى دارا بدرب
الفرن وذلك بعد خروج
الفرنساوية وتحول امره
وعزله من مشيخة البكرية
والنقابة وانشا بها بستانا انيقا
وانشا قصرا مرتفعا وجعله مطلا
على البستان فلما توفى السيد
خليل تعدى على ولده سيدى احمد وقهره واخذ منه ذلك البستان باقصى الاغوات وخلافه ببستان الدار

بما ناله وكان قد شرع يتجهز للدخول الى مصر لاخذها من صلاح الدين يوسف بن ايوب فانه راى منه فتورا فى غزو الفرنج من ناحيته وكان يعلم انه انما يمنع صلاح الدين من الغزو الخوف منه ومن الاجتماع به فانه يؤثر كون الفرنج فى الطريق ليمتنع بهم على نور الدين فارسل الى الموصل وديار الجزيرة وديار بكر يطلب العساكر للغزاة وكان عزمه ان يتركها مع ابن اخيه سيف الدين غازى صاحب الموصل والشام ويسير هو بعساكره الى مصر فبينما هو يتجهز لذلك اتاه امر الله الذى لا مرد له حكى لى طبيب كان يخدم نور الدين وهو من حذاق الاطباء قال استدعانى نور الدين فى مرضه الذى توفى فيه مع غيرى من الاطباء فدخلنا اليه وهو فى بيت صغير بقلعة دمشق وقد تمكنت الخوانيق منه وقارب الهلاك فلا يكاد يسمع صوته وكان يخلو فيه للتعبد فابتدا به المرض فلم ينتقل عنه فلما دخلنا ورايناما به قلت له كان ينبغى ان لا تؤخروا احضارنا الى ان يشتد بك المرض الآن وينبغى ان تعجل الانتقال من هذا الموضع الى مكان فسيح مضىء فله اثر فى هذا المرض وشرعنا فى علاجه واشرنا بالفصد فقال ابن ستين لا يفتصد وامتنع منه فعالجناه بغيره فلم ينجع فيه الدواء وعظم الداء ومات رحمه الله ورضى عنه وكان اسمر طويل القامة ليس له لحية الا فى حنكه وكان واسع الجبهة حسن الصورة حلو العينين وكان قد اتسع ملكه جدا وخطب له بالحرمين الشريفين وباليمن لما دخلها شمس الدولة بن ايوب وملكها وكان مولده سنة احدى عشرة وخمسمائة وطبق ذكره الارض بحسن سيرته وعدله وقد طالعت سير الملوك المتقدمين فلم ار فيها بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز احسن من سيرته ولا اكثر تحريا منه للعدل وقد اتينا على كثير من ذلك فى كتاب الباهر من اخبار دولتهم ولنذكر ههنا نبذة لعل يقف عليها من له حكم فيقتدى به فمن ذلك زهده وعبادته وعلمه فانه كان لا ياكل ولا يلبس ولا يتصرف الا فى الذى يخصه من ملك كان له قد اشتراه من سهمه من الغنيمة ومن الاموال المرصدة لمصالح المسلمين ولقد شكت اليه زوجته من الضائقة فاعطاها ثلاث دكاكين فى حمص كانت له يحصل له منها فى السنة نحو العشرين دينارا فلما استقلتها قال ليس لى الا هذا وجميع ما بيدى انا فيه خازن للمسلمين لا اخونهم فيه ولا اخوض نار جهنم لاجلك وكان يصلى كثيرا بالليل وله فيه اوراد حسنة وكان كما قيل

جمع الشجاعة والخشوع لربه ❊ ما احسن المحراب فى المحراب

وكان عارفا بالفقه على مذهب ابى حنيفة ليس عنده فيه تعصب وسمع الحديث واسمعه طلبا للاجر واما عدله فانه لم يترك فى بلاده على سعتها مكسا ولا عشرا بل اطلقها جميعها فى مصر والشام والجزيرة والموصل وكان يعظم الشريعة ويقف عند احكامها واحضره انسان الى مجلس الحكم فمضى معه اليه وارسل الى القاضى كمال الدين بن الشهرزورى يقول قد جئت محاكما فاسلك معى ما تسلكه مع الخصوم وظهر الحق له فوهبه للخصم الذى احضره وقال اردت ان اترك له ما يدعيه انما خفت ان يكون الباعث لى على ذلك الكبر والانفة من الحضور الى مجلس الشريعة فحضرت ثم وهبته ما يدعيه وبنى

له واوصى ان لا يغسل الا على حرير المندى الذى كان ينام عليه فى حياته ليكون خفا القاالعالم (؟) فى حالة الموت فلما كان يوم الاحد ثامن عشر ربيع الاول من السنة انقضى نحبه وتوفى الى رحمة الله تعالى وقت العصر وبات بالمنزل ميتا فلما اصبح يوم الاثنين غسل وكفن كما اوصى على السرير وخرجوا بجنازته من المنزل ووصلوا بها الى الازهر وصلى عليه بعد ما انشد المنشد مرثية من انشاء العلامة الشيخ حسن العطار وجعل براءة استهلالها الاشارة الى ما كان عليه المترجم من التعاظم والتفاخر فقال ❊
سلام على الدنيا فقد ذهب الفخر
ثم حمل الى المشهد الملاصق بالقرافة ودفن فى التربة التى اعدها لنفسه بجانب مقام جدهم وتقلد مشيخة سجادتهم فى ذلك اليوم السيد احمد ابن الشيخ يوسف وهو ابن عمه وعصبته وكنيته ابو الاقبال باجماع من الخاص والعام وجلس هو واخوه سيدى يحيى لتلقى العزاء وفى الصباح حضر الى الرباط بالخضر نفش وكان بزاوية الرباط المذكور خلوة جدهم اقام بها اربعين حضر من الشرب الى مصر وعادتهم الخالية ان من يخص منهم المشيخة لابد ان ياتى فى الصباح ويدخل الخلوة فيجلس بها حصة لطيفة ثم يخرج ويتقلد الولاية فلما كان المترجم تقدم ما تقدم ذلك الخلوة زاعما انه خليفة اولياء الله وانه لم يات من صلح للمشيخة بعد وكانه اخذها

الامر فبقي في كشفه جزء يراه من جانب صلاح الدين فشاهد ذلك الجانب الآخر فكشف الحال وحضر عند القاضي الفاضل واعلمه فقال تحضر الساعة عند صلاح الدين وتنهى الحال اليه فحضر عند صلاح الدين وهو في الجامع فذكر له الحال فقام واخذ الجماعة وقررهم فاقروا فامر بصلبهم وكان عمارة بينه وبين الفاضل عداوة من أيام العاضد وقبلها فلما أراد صلبه قام القاضي الفاضل وخاطب صلاح الدين في اطلاقه وظن عمارة انه يحرض على هلاكه فقال لصلاح الدين يا مولانا لا تسمع منه في حقي فغضب الفاضل وخرج وقال صلاح الدين لعمارة انه كان يشفع فيك فندم ثم اخرج عمارة ليصلب فطلب ان يمر به على مجلس الفاضل فاجتازوا به عليه فاغلق بابه ولم يجتمع به فقال عمارة

عبد الرحيم قد احتجب • ان الخلاص هو العجب

ثم صلب هو والجماعة ونودي في أجناد المصريين بالرحيل من ديار مصر ومفارقتها الى اقاصي الصعيد واحتيط على من بالقصر من سلالة العاضد وغيره من أهله واما الذين تآمروا على صلاح الدين من جنده فلم يعرض لهم ولا أعلمهم انه علم بحالهم واما الفرنج فان فرنج صقلية قصدوا الاسكندرية على ما نذكره ان شاء الله تعالى لانهم لم يتصل بهم ظهور الخبر عند صلاح الدين واما فرنج الساحل الشامي فانهم لم يتحركوا لعلمهم بحقيقة الحال وكان عمارة شاعرا مفلقا فمن شعره

لو ان قلبي يوم كاظمة معي • لملكته وكففت فيض الادمع
قلب كفاك من الصبابة انه • لبى نداء الظاعنين وما دعي
ما القلب أول غادر فألومه • هي شيمة الايام منذ نشأت معي
ومن الظنون الفاسدات توهمي • بعد اليقين بقاءه في اضلعي

وله أيضا

لي في هوى الرشأ العذري اعذار • لم يبق لي مذ اقر الدمع انكار
لي في القدود وفي لثم الخدود وفي • ضم النهود لبانات واوطار
هذا اختياري فوافق ان رضيت به • او لا فدعني وما اهوى واختار

وله ديوان شعر مشهور في غاية الحسن والرقة والملاحة

(ذكر وفاة نور الدين محمود بن زنكي رحمه الله)

في هذه السنة توفي نور الدين محمود بن زنكي بن آقسنقر صاحب الشام وديار الجزيرة ومصر يوم الاربعاء حادي عشر شوال بعلة الخوانيق ودفن بقلعة دمشق ونقل منها الى المدرسة التي انشأها بدمشق عند سوق الخواصين ومن عجيب الاتفاق انه ركب ثاني شوال والى جانبه بعض الامراء الاخيار فقال له الامير سبحان من يعلم هل نجتمع هنا في العام المقبل ام لا فقال نور الدين لا تقل هكذا بل سبحان من يعلم هل نجتمع بعد شهر ام لا فمات نور الدين رحمه الله بعد احد عشر يوما ومات الامير قبل الحول فاخذ كل منهما

مع القديمة لبوابة واحدا وشرع في بناء دار ٨٠ عظيمة لينزل فيها وقت مجيئه هنا الى ايام المولد وغيره عوضا عن الدار التي نزل عندها ابن اخيه فتكون هذه بعيدة عن روائح الميضاة القديمة وتكون بالشارع وقريبا من تحتهما مواكب الاشاير ولا يحتاجون الى تقديمهم المسجد ودخولهم من طريق باب القبة وجعل بالحائط الفاصل بين الزيادة والدار المستجدة شبابيك مطلة على المسجد ينظر منها الناس والوقودات من يكون بالدار من الحريم وغيرهم ساهرا الاوقد قرب اتمام ذلك الا وقد زاد به الاعياء والمرض وانقطع عن النزول من الحريم وبعث الزيادة ولم يبق الا اتمام الدار فيستعجل ويشتم الشد والمهندس ويسب العجم العمال استعجالات العمال ويقول قد قرب المولد ولم تكمل الدار فاين نجلس ايام المولد هذا وكل يوم يزيد مرضه وتورمت قدماه وضعف من الحركة وهو يقول لذلك ويؤمل الحياة فلما زاد به الحال وتحقق الرحيل الى مغفرة المولى الجليل اوصى لاتباعه عبد الرحمن الذي اقام الذي كان كتخدا الالفي والآن في حوالة بستان الباشا الذي بشبرا بخمسمائة ريال لتكون زوجته مستولدة جركسية وحمام من جواري اسمعيل بك الكبير وليكون معينا لهما ومساعدا في مهماتهما وللسيدى محمد ابن دبية مثلها في نظير خدمته وتقيده وملازمته

والقيام بخدمته مرض بحمص وكان هو واخوه بحلب وامرهما اليهم وعساكرهما معهم فى حياة نور الدين و بعده ولما عجز عن الحركة أرسل الى الملك الصالح يدعوه الى حلب ليمنعه البلاد الجزرية من سيف الدين ابن عمه قطب الدين فلم يمكنه الامراء الذين معه من الانتقال الى حلب لما ذكرناه

(ذكر ملك سيف الدين البلاد الجزرية)

كان نور الدين قبل ان يمرض قد ارسل الى البلاد الشرقية الموصل وديار الجزيرة وغيرها يستدعى العساكر منها للغزاة والمراد غيرها وقد تقدم ذكره فسار سيف الدين غازى بن قطب الدين مودود بن زنكى صاحب الموصل فى عساكره وعلى مقدمته الخادم سعد الدين كمشتكين الذى كان قد جعله نور الدين بقلعة الموصل مع سيف الدين فلما كانوا ببعض الطريق وصلت الاخبار بوفاة نور الدين فاما سعد الدين فانه كان فى المقدمة فهرب بجريدة واما سيف الدين فاخذ كل ما كان له من برك وغيره وعاد الى نصيبين فملكها وارسل الشحن الى الخابور فاستولوا عليه واقطعه وسار هو الى حران فحصرها عدة ايام وبها مملوك لنور الدين يقال له قايماز الحرانى فامتنع بها واطاع بعد ذلك على ان تكون حران له ونزل الى خدمة سيف الدين فقبض عليه واخذ حران منه وسار الى الرها فحصرها وملكها وكان بها خادم خصى اسود لنور الدين فسلمها وطلب عوضها قلعة الزعفران من اعمال الجزيرة ابن عمر فاعطيها ثم اخذت منه ثم صار الى ان استعطى ما يقوم به ويقوته وسير سيف الدين الى الرقة فملكها وكذلك سروج واستكمل جميع بلاد الجزيرة سوى قلعة جعبر فانها كانت منيعة وسوى راس عين فانها كانت لقطب الدين صاحب ماردين وهو ابن خال سيف الدين فلم يتعرض اليها وكان شمس الدين على بن الداية وهو اكبر الامراء النورية بحلب مع عساكرها فلم يقدر على العبور الى سيف الدين ليمنعه من اخذ البلاد لفالج كان به فارسل الى دمشق يطلب الملك الصالح فلم يرسل اليه لما ذكرناه ولما ملك سيف الدين الجزيرة قال له فخر الدين عبد المسيح وكان قد وصل اليه من سيواس بعد موت نور الدين وهو الذى اقر له الملك بعد ابيه فظن ان سيف الدين يرعى له ذلك فلم يجن ثمرة ما غرس وكان عنده كبعض الامراء قال له الرأى ان تعبر الى الشام فليس به مانع فقال له اكبر امرائه وهو امير يقال له عز الدين محمود المعروف بزلفندار قد ملكت اكثر مما كان لابيك والمصلحة ان تعود فرجع الى قوله وعاد الى الموصل ليقضى الله امرا كان مفعولا

(ذكر حصر الفرنج بانياس وعودهم عنها)

لما مات نور الدين محمود صاحب الشام اجتمعت الفرنج وساروا الى قلعة بانياس من اعمال دمشق فحصروها فجمع شمس الدين محمد بن عبد الملك بن المقدم العسكر عنده بدمشق وخرج عنها وارسل اليهم ولاطفهم ثم اغلظ لهم فى القول وقال لهم ان انتم صالحتمونا وعدتم عن بانياس فنحن على ما كنا عليه والا فنرسل الى سيف الدين صاحب

المتوجهين موه ومات منهم سبعة عشر هجينا ورجع الساعى بعد ثلاثة ايام بجواب الرسالة ومضمونها عدم التعرض لورثة المتوفى حتى يقدم الباشا من غيبته فبقى الامر على السكوت اربعة عشر يوما وحضر الباشا ليلة الاحد ثامن ربيع الا آخر فبمجرد وصوله الى الجيزة ارسل بالختم على منزلهم فما يشعرون الا وحسين كتخدا الكتخدا بيك وبيت المال واصل اليهم ومعه آخرون فختموا على المجالس التى بالحريم ومجلس الجلوس الرجالى ختموا على خزائنه وقبضوا على الكاتب القبطى المسمى عبد القدوس والفراش وحبسوهما وعدى الباشا من ليلته الى بر مصر وطلع الى القلعة فركب اليه فى صبحها المشايخ وصحبتهم ابن اخى المتوفى وهو الذى تولى المشيخة فخاطبوه وقالوا والله كلامنا معناه ان بيوت الاشياخ مكرمة ولم تجر العادة بالختم على اماكنهم وخصوصا ان هذا المتوفى كان عظيما فى بابه وانتم اخبر به وكان لكم به مزيد عناية ومراعاة فقال نعم انى لا اريد اهانتهم ولا اطمع فى شئ مما يتعلق بشيئهم ولا ومنا نعهم القضية ولا يخفاكم ان المتوفى كان ملتاعا وجامعا للاموال وطالت مدته وحاز التزامات واقطاعات وكان لا يحب قرابته ولا يخصهم من شئ بل ... تسبيها حاوه ار وبجته وهى جارية ثمنها القماقرش او اقل او اكثر ولم يكتب لاولاد اخيه

دار العدل فى بلاده وكان يجلس هو والقاضى فيها ينصف المظلوم ولو انه يهودى من الظالم ولو انه ولده او اكبر امير عنده وامّا شجاعته فاليها النهاية وكان فى الحرب يأخذ قوسين وتركشين ليقاتل بهما فقال له القطب النساوى الفقيه بالله عليك لا تخاطر بنفسك وبالاسلام فان اصبت فى معركة لا يبقى من المسلمين احد الا اخذه السيف فقال له نور الدين ومن محمود حتى يقال له هذا من قبل من حفظ البلاد والاسلام ذلك الله الذى لا اله الا هو وأما ما فعله من المصالح فانه بنى اسوار مدن الشام جميعها وقلاعها منها دمشق وحمص وحماة وحلب وشيزر وبعلبك وغيرها وبنى المدارس الكثيرة للحنفية والشافعية وبنى الجامع النورى بالموصل وبنى البيمارستانات والخانات فى الطرق وبنى الخانكاهات فى جميع البلاد ووقف على الجميع الوقوف الكثيرة وسمعت ان حاصل وقفه كل شهر تسعة آلاف دينار صورى وكان يكرم العلماء واهل الدين ويعظمهم ويقوم اليهم ويجالسهم ويتبسط معهم لا يرد لهم قولا ويكاتبهم بخط يده وكان وقورا مهيبا مع تواضعه وبالجملة فحسناته كثيرة ومناقبه غزيرة لا يحتملها هذا الكتاب

(ذكر ملك ولده الملك الصالح)

لما توفى نور الدين قام ابنه الملك الصالح اسمعيل بالملك بعده وكان عمره احدى عشرة سنة وحلف له الامراء والمقدمون بدمشق واقام بها واطاعه الناس بالشام وصلاح الدين بمصر وخطب له بها وضرب السكة باسمه وتولى تربيته الامير شمس الدين محمد بن عبد الملك المعروف بابن المقدم وصار مدبر دولته فقال له كمال الدين صاحب مصر هو من اصحاب نور الدين والمصلحة ان نشاوره فى الذى نفعله ولا نخرجه من بيننا فيخرج عن طاعتنا ويجعل ذلك حجة علينا وهو اقوى منا لانه قد انفرد اليوم بملك مصر فلم يوافق هذا القول اغراضهم وخافوا ان يدخل صلاح الدين ويخرجهم فلم يمض غير قليل حتى وردت كتب صلاح الدين الى الملك الصالح يعزيه ويهنئه بالملك وارسل دنانير مصرية عليها اسمه ويعرفه ان الخطبة والطاعة له كما كانت لابيه فلما سار سيف الدين غازى صاحب الموصل وملك البلاد الجزرية على ما نذكره فارسل صلاح الدين ايضا الى الملك الصالح يعتبه حيث لم يعلمه قصد سيف الدين بلاده واخذها ليحضر فى خدمته ويكف سيف الدين وكتب الى كمال الدين والامراء يقول لو ان نور الدين يعلم ان فيكم من يقوم مقامى او يثق اليه مثل ثقته الى لسلم اليه مصر التى هى اعظم ممالكه وولاياته ولو لم يعجل عليه الموت لم يعهد الى احد بتربية ولده والقيام بخدمته غيرى واراكم قد تفردتم بمولاى وابن مولاى دونى وسوف اصل الى خدمته واجازى انعام والده بخدمة يظهر اثرها واجازى كلا منكم على سوء صنيعه فى ترك الذب عن بلاده وعمل ابن المقدم وجماعة الامراء بالملك الصالح ولم يرسلوه الى حلب خوفا ان يغلب عليهم شمس الدين على بن الداية فانه كان اكبر الامراء النورية وانما منعهم من الاتصال به

بذلك جهدا ووسعا ولم يعلم ان دولة ... وان الولاية ليست بقول العبد ولا بالسعى والقصد قال تعالى فى محكم آياته الله أعلم حيث يجعل رسالاته وقال سبحانه الا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون وان اولياؤه الا المتقون نسأله التوفيق والهداية والحفظ من اسباب الغواية ولما كان ذلك واحيوا اجراء العادة القديمة حضر المتولى وصحبته اشياخ الوقت والسيد محمد المحروقى وجماعة الحزب وغيرهم من المتفرجين وقد حملوا على محل الخلوة ساترا بدل الحائط المهدوم ودخل المتولى خلفه وقرا جماعة الحزب شيئا من القرآن ثم قام النقيب مع الشيخ البكرى فتلقوا الشيخ فخرج على الحاضرين متطيلسا وصافحهم وركب بصحبتهم الى القلعة فخلع عليه كعادة خلعة سمور وخلعوا ونزلوا الى زاويتهم بالقراءة وامامهم جماعة الحزب وطاويشية النقابة بطبولهم واصحة وفرقوا اجزاءهم ثم ركب ورجع الى المنزل وجلس مع اخيه لعمل المأتم وقراءة الجمعية على العادة وارسل الهدايا ساعيا بصحبته الى الباشا بالفيوم لانه لما سافر الى جهة قبلى ووصل الى ناحية بنى سويف ركب بغلة سريعة العدو وركب خلفه خواصه بالهجن والبغال فوصلها فى اربع ساعات وانقطع اكثر والقيام

التاج ومعه غلام له اسمه نجاح فالقى نفسه بعده وصار ابن الخليفة ونجاح قيل لنجاح لم القيت نفسك فقال ما كنت اريد البقاء بعد مولاى فرعى له الامير ابو العباس ذلك فلما صار خليفة جعله شرابيا وصارت الدولة جميعها بحكمه ولقبه الملك الرحيم عز الدين وبالغ في الاحسان اليه والتقديم له وخدمه جميع الامراء بالعراق والوزراء وغيرهم وفيها في رمضان وقع ببغداد برد كبار لم ير الناس مثله فهدم الدور وقتل جماعة من الناس وكثيرا من المواشي فوزنت بردة منه فكانت سبعة ارطال وكان عامته كالنارنج يكسر الاغصان هكذا ذكره ابو الفرج بن الجوزي في تاريخه والعهدة عليه وفيها كانت وقعة عظيمة بين المؤيد صاحب نيسابور وبين شاه مازندران قتل فيها كثير من الطائفتين فانهزم شاه مازندران ودخل المؤيد بلاد الديلم وخربها وقتل باهلها وعاد عنها وفيها وقعت وقعة كبيرة بين اهل باب البصرة واهل باب الكرخ وسببها ان الماء لما زاد سكر اهل باب الكرخ سكرا رد الماء عنهم فغرق مسجد فيه شجرة فانقلعت فصاح اهل الكرخ انقلعت الشجرة لعن الله العشرة فقامت الفتنة فتقدم الخليفة الى علاء الدين تنامش فمال على اهل باب البصرة لانه كان شيعيا واراد دخول المحلة فمنعه اهلها واغلقوا الابواب ووقفوا على السور واراد احراق الابواب فبلغ ذلك الخليفة فانكره اشد انكار وامر باعادة تنامش فعاد ودامت الفتنة اسبوعا ثم انفصل الحال من غير توسط سلطان وفيها عبر ملك الروم خليج القسطنطينية وقصد بلاد قلج ارسلان فجرى بينهما حرب استظهر فيها المسلمون فلما رأى ملك الروم عجزه عاد الى بلده وقد قتل من عسكره واسر جماعة كثيرة وفيها في جمادى الاولى مات احمد بن علي بن المعمر بن محمد بن عبد الله ابو عبد الله العلوي الحسيني نقيب العلويين ببغداد وكان يلقب الطاهر وسمع الحديث الكثير ورواه وكان حسنة اهل بغداد وفيها توفي الحافظ ابو العلاء الحسن بن احمد بن محمد العطار الهمذاني سافر الكثير في طلب الحديث وقراءة القرآن والفقه وكان من اعيان المحدثين وكان له قبول عظيم ببلده عند العامة والخاصة

(ثم دخلت سنة سبعين وخمسمائة)

(ذكر وصول اسطول صقلية الى مدينة الاسكندرية وانهزامهم عنها)

في هذه السنة ظفر اهل الاسكندرية وعسكر مصر باسطول الفرنج من صقلية وكان سبب ذلك ما ذكرناه من ارسال اهل مصر الى ملك الفرنج بساحل الشام والى صاحب صقلية ليقصدوا ديار مصر ليثوروا بصلاح الدين ويخرجوه من مصر فجهز صاحب صقلية اسطولا كثيرا عدته مائتا شيني تحمل الرجالة وستة وثلاثون طريدة تحمل الخيل وست مراكب كبار تحمل آلة الحرب واربعين مركبا تحمل الازواد وفيها من الراجل خمسون الفا ومن الفرسان الف وخمسمائة منهم خمسمائة تركبلي وكان المقدم عليهم ابن عم صاحب صقلية وسيره الى الاسكندرية من ديار مصر فوصلوا

بطلوسه وقضوا براءة انه لو جعلوا بها نقودا فقدوها وهو وحده وهي ابتلعت مائة وسبعة وعشرين كيسا فاخذوها ثم سعى السيد محمد المحروقي في مصالحة الباشا حتى قرر عليهم الف كيس وخمسين كيسا وخمسة اكياس برانى لبيت المال وخصموا منها الذي وجدوه بالخزانة وطولبوا بالباقي وذلك بعد التشديد والتهديد على الزوجة وتوعدوها بالتغريق في البحر ان لم تظهر المال وامر الكاتب بحساب ايراده ومصرفه في كل سنة وما صرفه في الابنية ونظر ما يتبقى بعد ذلك في مدة سنين ماضية فلم يزل السيد محمد المحروقي يدافع ويسعى حتى تقرر القدر المذكور والتزم هو بدفعه وحولت عليه الحوالات وضبط الباشا حصص الالتزام التي كتبت باسم الزوجة ومنها قطعة تعرف بالقليوبية وسواقي ونحوها بالجهة القبلية وغير ذلك وبعد انقضاء عدة الزوجة استأذن السيد المحروقي الباشا في عقد نكاحها على ابن اخي المتوفى الذي هو السيد احمد ابو الاقبال الذي تولى خلافة بيتهم فاذن بذلك فعقد في المجال واجرى العقد بعد ان حكمت عليه بطلاق التي في عصمته وهي جاريتها زوجته بها في حياة عمه ورزق منها اولادا واستقر المشار اليه في المنزل خليفة وشيخا على معتادهم ويعمل ميعادهم وسكن معه اخوه سيدي يحيى زادهم الله توفيقا وخيرا

الموصل وتعلمه وتصالحه وتستنجده وترسل الى صلاح الدين بعذره فتستنجده وتقصد
بلادكم من جهتها كلها ولا تقومون لنا وانتم تعلمون ان صلاح الدين كان يخاف ان
يجتمع بنور الدين والآن فقد زال ذلك الخوف واذا طلبناه الى بلادكم فلا يمتنع فعلموا
صدقه فصالحوه على شئ من المال اخذوه واسرى اطلقوهم كانوا اعتقلوا المسلمين
وتقررت الهدنة فلما سمع صلاح الدين بذلك انكره ولم يمكنه نقضه وكتب الى الملك
الصالح والامراء الذين معه يقبح لهم ما فعلوه ويبذل من نفسه قصد بلاد الفرنج ومقارعتهم
وازعاجهم عن قصد شئ من بلاد الملك الصالح وكان قصده ان يصير له طريق الى بلاد
الشام ليتملك البلاد والامراء الشاميون انما صالحوا الفرنج خوفا منه ومن سيف
الدين غازي صاحب الموصل فانه كان قد اخذ بلاد الجزيرة وخافوا منه ان يعبر الى
الشام فرأوا صلح الفرنج اصلح من ان يجيء هذا من الغرب وهذا من الشرق وهم
مشغولون عن ردهم

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في المحرم وقع الحريق ليلا ببغداد فاحترق اكثر الظفرية ومواضع غيرها
ودام الحريق الى بكرة وطفئت النار وفيها في شعبان بنى ابن سنكا وهو ابن اخي شملة
صاحب خوزستان قلعة بالقرب من الماهكي ليتقوى بها على الاستيلاء على تلك
الاعمال فسير اليه الخليفة العساكر من بغداد لمنعه فالتقوا فحمل بنفسه على الميمنة
فهزمها واقتتل الناس قتالا عظيما واسر ابن اخي شملة وحمل رأسه الى بغداد فعلق
بباب النوبي وهدمت القلعة وفيها في رمضان وكان الزمان ربيعا توالت الامطار في
ديار بكر والجزيرة والموصل فدامت اربعين يوما ما رأينا الشمس فيها غير مرتين كل مرة
مقدار لحظة وخربت المساكن وغيرها وكثر الهدم ومات تحته كثير من الناس وزادت
دجلة زيادة عظيمة وكانت اكثرها ببغداد فانها زادت على كل زيادة تقدمت منذ بنيت
بغداد بذراع وكسر وخاف الناس الغرق وفارقوا البلد واقاموا على شاطئ دجلة خوفا
من انفتاح القورج وغيره وكانوا كلما انفتح موضع بادروا بسده ونبع الماء في البلاليع
وخرب كثيرا من الدور ودخل الماء الى البيمارستان العضدي ودخلت السفن من
الشبابيك التي له فانها كانت قد تقلعت فمن الله تعالى على الناس بنقص الماء بعد ان
اشرفوا على الغرق وفيها في جمادى الاولى كانت الفتنة ببغداد بين قطب الدين قايماز
والخليفة وسببها ان الخليفة اراد اعادة عضد الدين بن رئيس الرؤساء الى الوزارة فمنعه
قطب الدين واغلق باب النوبي وباب العامة وبقيت دار الخليفة كالمحاصرة فاجاب
الخليفة الى ترك وزارته فقال قطب الدين لا اقنع الا باخراج عضد الدين من بغداد فامر
بالخروج منها فالتجأ الى صدر الدين شيخ الشيوخ عبد الرحيم بن اسمعيل فاخذه الى رباطه
واجاره ونقله الى دار الوزير بقطفتا فاقام بها ثم عاد الى بيته في جمادى الآخرة وفيها
مات الامير ابو العباس احمد ابن الخليفة وهو الذي صار خليفة من قبة عالية الى الارض

شيئا فلا يصح ان اختص بذلك كله والخزينة اولى به لاحتياجات مصاريف العساكر وعمارة الخوارج
واستخلاص الحرمين وختم بيته
السلطان وانا ارفع الختم رعاية
لخواطركم فدعوا له وقاموا
الى مجلس الكتخدا وخلع
على الشيخ المتولي فروة سمور
اخرى وقلد السيد محمدا
العواضي نقابة الاشراف
وخلع عليه فروة سمور وهذا
من سيدي احمد الى الاقبال
المتولي على خلافة السادات
فانفصل من النقابة ونزلت
الجاويشية ولوازم النقابة
مثل باش جاويش والكاتب
امام العواضي وخلفه وقلد
السيد المروق نظارة المشهد
الحسيني عوضا عن المتوفى
وكان فرغ بها لابن اخيه فلم
ينفذ اليه اذ ذاك وفي ثاني يوم
حضر الاعوان الى بيت
السادات وفكوا الختوم
وطلبوا مفتاح الحريم فاخذوه
منهم واوجعوه بالضرب
واحضروا البناء وسألوهما
عن محل الخبايا ثم رجعوا
الى المنزل فنقضوا خباية مسدودة
بالبناء فوجدوا بها قوالب
سائد قطيفة شبه علوة
ووجدوا نحاسا او قشا واواني
صيني فتركوا ذلك وذهبوا
واتوا بالدار وعدة من العسكر
فباتوا بها ثم رجعوا في ثالث
يوم ونقضوا خباية اخرى
فوجدوا بها كاسا مربوطة
دفنوا بداخلها المال فنقضوها
فوجدوا بها قهوة وغيرها صابون وشمع عسل وانجد وامتعة من المال فتركوا الاشياء ونزلوا الى قاعة

السويس واخبروا ايضا في المكاتبة انه لما قبض عليهم احضر يحيى ابن الشريف سرور وقلده الامارة عوضا عن

الى الهيجاء السمين فقتله المكر ومعظم قتله على يديه وهو من اكبر الامراء واشجعهم فسار الى قتال الكنز وسير معه صلاح الدين جماعة من الامراء وكثيرا من العسكر ووصلوا الى مدينة طود فتحصنت عليهم فقاتلوا من بها وظفروا بهم وقتلوا منهم كثيرا وذلوا بعد العز وقهروا واستكانوا ثم سار العسكر بعد فراغهم من طود الى الكنز وهو في طغيانه يعمه فقاتلوه فقتل هو ومن معه من الاعراب وغيرهم وامنت بعده البلاد واطمان اهلها •

(ذكر ملك صلاح الدين دمشق)

في هذه السنة سلخ ربيع الاول ملك صلاح الدين يوسف بن ايوب مدينة دمشق وسبب ذلك ان نور الدين لما مات وملك ابنه الملك الصالح بعده كان بدمشق وكان سعد الدين كمشتكين قد هرب من سيف الدين غازي الى حلب كما ذكرناه فاقام بها عند شمس الدين علي بن الداية فلما استولى سيف الدين على البلاد الجزرية خاف ابن الداية ان يعبر الى حلب فيملكها فارسل سعد الدين الى دمشق ليحضر الملك الصالح ومعه العساكر الى حلب فلما قارب دمشق سير اليه شمس الدين محمد بن المقدم عسكرا فنهبوه وعاد منهزما الى حلب فاخلف عليه ابن الداية عوض ما اخذ منه ثم ان الامراء الذين بدمشق نظروا في المصلحة فعلموا ان مسيره الى حلب اصلح للدولة من مقامه بدمشق فارسلوا الى ابن الداية يطلبون ارسال سعد الدين ليأخذ الملك الصالح فجهزه وسيره • وعلى نفسها براقش تجني • فسار الى دمشق في المحرم من هذه السنة واخذ الملك الصالح وعاد الى حلب فلما وصلوا اليها قبض سعد الدين على شمس الدين بن الداية واخوته وعلى رئيس بن الخشاب رئيس حلب ومقدم الاحداث بها ولولا مرض شمس الدين بن الداية لم يتمكن من ذلك واستبد سعد الدين بتربية الملك الصالح فخاف ابن المقدم وغيره من الامراء الذين بدمشق وقالوا ان استقر امر حلب اخذ الملك الصالح وسار به الينا وفعل مثل ما فعل بحلب وكاتبوا سيف الدين غازي صاحب الموصل ليعبر الفرات اليهم ليسلموا اليه دمشق فلم يفعل وخاف ان تكون مكيدة عليه ليعبر الفرات ويسير الى دمشق فيمنع منها ويقصده ابن عمه من حلب من وراء ظهره فيهلك فاشار عليه بهذا زلفندار وعز الدين والجبان يقدر انه بعيد من الشر قريبا ويرى الجبن حزما كما قال

يرى الجبناء ان الجبن حزم • وتلك طبيعة الرجل الجبان

فلما اشار عليه بهذا الراى زلفندار قبله وامتنع من قصد دمشق وراسل سعد الدين والملك الصالح وصالحهما على ما اخذه من البلاد فلما امتنع من العبور الى دمشق عظم خوفهم وقالوا حيث صالحهم سيف الدين لم يبق له مانع عن المسير الينا فكاتبوا حينئذ صلاح الدين يوسف بن ايوب صاحب مصر واستدعوه ليملكوه عليهم وكان كبيرهم في ذلك شمس الدين بن المقدم ومن اشبه اباه فما ظلم وقد ذكرنا مخامرة ابيه في تسليم سنجار سنة اربع واربعين وخمسمائة فلما وصلت الرسل الى صلاح الدين بذلك لم يلبث وسار جريدة في سبعمائة فارس والفرنج في طريقه فلم يبال بهم فلما وصل

عوضا عن غالب وقبضوا ايضا على وزيره القاضي جدة واحضروه معهم وقالوا في المكاتبة ان شخصا من الاتراك يسمى على الوجاقلي فلما وصل الجبان بهذه المكاتبة الى السيد محمد المحروقي ليلا ركب من وقته الى كتخدا بك في بيته واطلعه على المكاتبات فلما طلع النهار نهار يوم الجمعة ضربوا عدة مدافع من القلعة اعلاما وسرورا بذلك (وفيه) احتفل كتخدا بك بعمل مهم ايضا لزواج اسمعيل باشا ابن محمد علي باشا ومحمد دبلك الدفتردار على ابنة الباشا واسمعيل باشا على ابنة عارف بك ابن خليل باشا التي احضرها صحبته من اسلامبول وقد تقدم ذكر العقد عليهما في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان من السنة الماضية قبل توجه الباشا الى الحجاز فالزم كتخدا بك السيد محمد المحروقي بتنظيم الفرح والاحتياجات واللوازم واتفقوا على ان يكون نصبة الفرح ببركة الازبكية تجاه بيت حريم الباشا وطاهر باشا وتعدل الولائم واجتماع المدعوين ببيت طاهر باشا والمطبخ يحضرا ثب بيت الصابونجي وارسلوا اوراق التناديه للمدعوين على طبقات الناس بالترتيب ونصبوا بوسط البركة عدة صواري لاجل الوقدات والقناديل التي تعمل عليها التصاوير من القناديل فترى من البعد

اليها في السادس والعشرين من ذي الحجة سنة تسع وستين على حين غفلة من أهلها وطمأنينة فخرج أهل الاسكندرية بسلاحهم وعدتهم ليمنعوهم من النزول وابعدوا عن البلد فمنعهم الوالي عليهم من ذلك وأمرهم بملازمة السور ونزل الفرنج الى البر مما يلي البحر والمنارة وتقدموا الى المدينة ونصبوا عليها الدبابات والمنجنيقات وقاتلوا أشد قتال وصبر لهم أهل البلد ولم يكن عندهم من العسكر الا القليل ورأى الفرنج من شجاعة أهل الاسكندرية وحسن سلاحهم ما راعهم وسيرت الكتب بالحال الى صلاح الدين يستنجدونه لدفع العدو عنهم ودام القتال أول يوم الى آخر النهار ثم عاودوا الفرنج القتال اليوم الثاني وجدوا ولازموا الزحف حتى وصلت الدبابات الى قريب السور ووصل ذلك اليوم من العساكر الاسلامية كل من كان في اقطاعه وهو قريب من الاسكندرية فقوي بهم نفوس أهلها وأحسنوا القتال والصبر فلما كان اليوم الثالث فتح المسلمون باب البلد وخرجوا منه على الفرنج من كل جانب وهم غارون وكثر الصياح من كل الجهات فارتاع الفرنج واشتد القتال فوصل المسلمون الى الدبابات فأحرقوها وصبروا للقتال فأنزل الله نصره عليهم وظهرت امارات ولم يزل القتال الى آخر النهار ودخل أهل البلد اليه وهم فرحون مستبشرون بما رأوا من تباشير الظفر وقوتهم وفشل الفرنج وفتور حربهم وكثرة القتل والجراح في رجالهم وأما صلاح الدين فانه لما وصله الخبر سار بعساكره وسير مملوكا له ومعه ثلاثة جنائب ليجد السير عليها الى الاسكندرية يبشر بوصوله وسير طائفة من العسكر الى دمياط خوفا عليها واحتياطا لها فسار ذلك المملوك فوصل الاسكندرية من يومه وقت العصر والناس قد رجعوا من القتال فنادى في البلد بمجيء صلاح الدين والعساكر مسرعين فلما سمع الناس ذلك عادوا الى القتال وقد زال ما بهم من تعب وألم الجراح وكل منهم يظن ان صلاح الدين معه فهو يقاتل قتال من يريد ان يشاهد قتاله وسمع الفرنج بقرب صلاح الدين في عساكره فسقط في أيديهم وازدادوا تعبا وفتورا فهاجمهم المسلمون عند اختلاط الظلام ووصلوا الى خيامهم فغنموها بما فيها من الاسلحة الكثيرة والتجملات العظيمة وكثر القتل في رجالة الفرنج فهرب كثير منهم الى البحر وقربوا شوانيهم الى الساحل ليركبوا فيها فسلم بعضهم وركب وغرق بعضهم وغاص بعض المسلمين في الماء وخرق بعض شواني الفرنج فغرقت فخاف الباقون من ذلك فولوا هاربين واحتمى ثلثمائة من فرسان الفرنج على رأس تل فقاتلهم المسلمون الى بكرة ودام القتال الى ان اضحى النهار فغلبهم أهل البلد وقهروهم فصاروا بين قتيل وأسير وكفى الله المسلمين شرهم

(ذكر خلاف الكنز بصعيد مصر)

وفي أول هذه السنة خالف الكنز بصعيد مصر واجتمع اليه من رعية البلاد والسودان والعرب وغيرهم خلق كثير وكان هناك أمير من الصلاحية في اقطاعه وهو أخو الامير

وانغلقا واشرق نجم المتصدر على في المهد يشملني من سعادة جده اتوا الخطابة واضح البرهان ان الهلال اذا رأيت نموه ايقنت ان سيصير بدرا كاملا

(ومات) الشيخ الناسك محمد بن عبد الرحمن البوسي المغربي ورد الى مصر وحج ورجع ونزل بدار الحاج مصطفى العين العطار منجمعا عن مخالطة الناس والتسبب على طريقة حميدة وهذا كرة حسنة ويأتي اليه الناس يزورونه ويتبركون به ويسألونه الدعاء ويستفهمون منه مسائل فيجيب كل انسان بما يتيسر منه بتواضع وانكسار وتزهيد في الدنيا وعرض ستينا وتوفي يوم الثلاثاء ثامن عشر بن المحرم وصلي عليه بالازهر في مشهد حافل ودفن بجانب الخطيب الشربيني بتربة المجاورين وهي القرافة الكبرى

(ثم دخلت سنة تسع وعشرين ومائتين وألف)

(استهل المحرم بيوم الجمعة) فيه في ليلة الجمعة ثامنه وردت مكاتيبات من الديار الحجازية وفيها الاخبار بان الباشا قبض على الشريف غالب أمير مكة وقبض على أولاده الثلاثة وارسلهم صحبة طوانسية من عبيده وارسلهم الى جدة وانزلهم في مركب من مراكبه وهي واصلة بهم والذي وصل بالخبر وصل في مركب صغيرة تسمى السنبحان سبقتهم في الحضور الى

فلما ظفر أخوه بملك سلم القلعة الى صلاح الدين فملكها

(ذكر حصر صلاح الدين حلب وعوده عنها وملكه قلعة حمص وبعلبك)

لما ملك صلاح الدين حماة سار الى حلب فحصرها ثالث جمادى الآخرة فقاتله اهلها وركب الملك الصالح وهو صبي عمره اثنتا عشرة سنة وجمع أهل حلب وقال لهم قد عرفتم احسان ابي اليكم ومحبته لكم وسيرته فيكم وانا يتيمكم وقد جاء هذا الظالم الجاحد احسان والدي اليه يأخذ بلدي ولا يراقب الله تعالى ولا الخلق وقال من هذا كثيرا وبكى فأبكى الناس فبذلوا له الاموال والانفس واتفقوا على القتال دونه والمنع عن بلده وجدوا في القتال وفيهم شجاعة قد ألفوا الحرب واعتادوها حيث كان الفرنج بالقرب منهم فكانوا يخرجون ويقاتلون صلاح الدين عند جبل جوشن فلا يقدر على القرب من البلد وأرسل سعد الدين الى سنان مقدم الاسماعيلية وبذل له اموالا كثيرة ليقتلوا صلاح الدين فأرسلوا جماعة منهم الى عسكره فلما وصلوا رآهم امير اسمه خمارتكين صاحب قلعة بوقبيس فعرفهم لانه جارهم في البلاد كثير الاجتماع بهم والقتال لهم فلما رآهم قال لهم ما الذي اقدمكم وفي اي شيء جئتم فجرحوه جراحات مثخنة وحمل احدهم على صلاح الدين ليقتله فقتل دونه وقاتل الباقون من الاسماعيلية فقتلوا جماعة ثم قتلوا وبقي صلاح الدين محاصرا لحلب الى سلخ جمادى الآخرة ورحل عنها مستهل رجب وسبب رحيله ان القمص الصنجيلي صاحب طرابلس كان قد اسره نور الدين على حارم سنة تسع وخمسين وخمسمائة وبقي في الحبس الى هذه السنة فأطلقه سعد الدين بمائة ألف وخمسين ألف دينار صورية وألف أسير فلما وصل الى بلده اجتمع الفرنج عليه يهنئونه بالسلامة وكان عظيما فيهم من اعيان شياطينهم فاتفق ان مري ملك الفرنج لعنه الله مات اول هذه السنة وكان اعظم ملوكهم شجاعة واجودهم رأيا ومكرا ومكيدة فلما توفي خلف ابنا مجذوما عاجزا عن تدبير الملك فملكه الفرنج صورة لا معنى تحتها وتولى القمص ريمند تدبير الملك والحل والعقد عن امره يصدرون فأرسلوا اليه من حلب يطلبون منه ان يقصد بعض البلاد التي بيد صلاح الدين ليرحل عنهم فسار الى حمص ونازلها سابع رجب فلما سمع صلاح الدين الخبر رحل عن حلب فوصل الى حماة ثامن رجب بعد نزول الفرنج على حمص بيوم ثم رحل الى الرستن فلما سمع الفرنج بقربه رحلوا عن حمص ووصل صلاح الدين اليها فحصر القلعة الى ان ملكها في الحادي والعشرين من شعبان من السنة فصار اكثر الشام بيده ولما ملك حمص سار منها الى بعلبك وبها خادم اسمه يمن وهو وال عليها من ايام نور الدين فحصرها صلاح الدين فأرسل يمن يطلب الامان له ولمن عنده فأمنهم صلاح الدين وتسلم القلعة رابع عشر رمضان من السنة المذكورة

(ذكر حصر سيف الدين اخاه عماد الدين بسنجار)

لما ملك صلاح الدين دمشق وحمص وحماة كتب الملك الصالح اسمعيل بن نور الدين

في الليل ولعبت أرباب الملاعيب والبهلوانات على الحبال وكذلك احتفل النصارى وعملوا قدّاسات وحراقات تجاه دارهم ومنا كنهم وصادف ذلك عيد الميلاد وعملوا المراجيح وملاعيب (وفي اثناء ذلك) وقع التنبيه على أصحاب الحرف والصنائع بعمل عربات مشكلة وعليها حرفهم وصنائعهم ليمشوا بها في زفة العروس فاعتنى أهل كل حرفة وصناعة بتنميق وتزيين شكله وتباهوا وتناظروا وتفاخروا وأعلى بعضهم البعض فكان كل من سولت له نفسه وحدثه الشيطان باحداث شيء فعله وذهب الى المتعين لذلك فيعطيه ورقة لان ذلك لم يكن لأناس مخصوصة او عدد مقدر بل بتشكيلهم والزام بعضهم البعض فيفرض رئيس الحرفة على أشخاص أهلها قرانيص ودراهم يجمعونها منهم وينفقونها على العربة وما يلزمها من أخشاب وحبال وحمير او خيل او رجال يجرونها او ما يكترونه او يستعيرونه لزينتها من المزركشات والمقصبات والقلعيات وادوات الصنعة التي تتميز بها عن غيرها المتصير في الشكل كأنها حانوت والبائع جالس فيها كالحلواني وامامه الأواني فيها انواع الحلاوات والسكري وحوله أواني المدبر والقماع السكر معلقة حوله والنثر باشتو الشربتلي والعطار والحريري والعقاد البلدي والرومي والزيات

ارض الشام قصد بصرى وكان بها حينئذ صاحبها وهو من جملة من كاتبه بطرح واتبعه فلما رأى قلة من معه خاف على نفسه واجتمع بالقاضي الفاضل وقال ما أرى معكم عسكرا وهذا بلد عظيم لا يقصد بمثل هذا العسكر ولو منعكم من به ساعة من النهار أخذكم أهل السواد فان كان معكم مال سهل الامر فقالوا معنا مال كثير يكون خمسين ألف دينار فضرب صاحب بصرى على رأسه وقال هلكتم واهلكتمونا وجميع ما كان معهم عشرة آلاف دينار ثم سار صلاح الدين الى دمشق فخرج كل من بها من العسكر اليه فلقوه وخدموه ودخل البلد ونزل في دار والده المعروفة بدار العقيقي وكانت القلعة بيد خادم اسمه ريحان فاحضر صلاح الدين كمال الدين بن الشهرزوري وهو قاضي البلد والحاكم في جميع اموره من الديوان والوقف وغير ذلك وارسله الى ريحان ليسلم القلعة اليه وقال انا مملوك الملك الصالح وما جئت الا لانصره واخدمه واعيد البلاد التي اخذت منه اليه وكان يخطب له في بلاده كلها فصعد كمال الدين الى ريحان ولم يزل معه حتى سلم القلعة فصعد صلاح الدين اليها واخذ ما فيها من الاموال واخرجها واتسع بها وثبت قدمه وقويت نفسه وهو مع هذا يظهر طاعة الملك الصالح ويخاطبه بالمملوك والخطبة والسكة باسمه

ذكر ملك صلاح الدين مدينتي حمص وحماة

لما استقر ملك صلاح الدين لدمشق وقرر امرها استخلف بها اخاه سيف الاسلام طغدكين بن ايوب وسار الى مدينة حمص مستهل جمادى الاولى وكانت حمص وحماة وقلعة بعرين وسلمية وتل خالد والرها من بلد الجزيرة في اقطاع الامير فخر الدين مسعود الزعفراني فلما مات نور الدين لم يمكنه المقام بها لسوء سيرته في اهلها ولم يكن له في قلاع هذه البلاد حكم انما فيها ولاة لنور الدين وكان بقلعة حمص وال يحفظها فلما نزل صلاح الدين على حمص حادي عشر الشهر المذكور راسل من فيها بالتسليم فامتنعوا فقاتلهم من الغد فملك البلد وامن اهله وامتنعت عليه القلعة وبقيت ممتنعة الى ان عاد من حلب على ما نذكره ان شاء الله وترك بمدينة حمص من يحفظها ويمنع من بالقلعة من التصرف وان يصعد اليهم ميرة وسار الى مدينة حماة وهو في جميع احواله لا يظهر الا طاعة الملك الصالح بن نور الدين وانه انما خرج لحفظ بلاده عليه من الفرنج واستعادة ما اخذه سيف الدين غازي صاحب الموصل من البلاد الجزرية فلما وصل الى حماة ملك المدينة مستهل جمادى الآخرة وكان بقلعتها الامير عز الدين جورديك وهو من المماليك النورية فامتنع من التسليم الى صلاح الدين فارسل اليه صلاح الدين يعرفه ما هو عليه من طاعة الملك الصالح وانما يريد حفظ بلاده عليه فاستحلفه جورديك على ذلك وسيره الى حلب في اجتماع الكلمة على طاعة الملك الصالح وفي اطلاق شمس الدين علي وحسن وعثمان اولاد الداية من السجن فسار جورديك الى حلب واستخلف بقلعة حماة اخاه ليحفظها فلما وصل جورديك الى حلب قبض عليه كمشتكين وسجنه

صورة مركب او سبع من متقابلات او (٧٨) صورة او محل على جمل او كتابة مثل ماشاء الله ونحوها بالشموع وفي اوسطها البركة عدة من الاوصية من متقابلات ونصب بهلوان الحبل حبله اوله من تجاه بيت الباشا وآخره برأس المنارة التي بجهة حارة الفوالة خلف رصيف الخشاب حيث الابنية المتقدم ذكرها في الحوادث الماضية بالقرب من القنطرة وعمارات محمد باشا خسرو والتي لم تكمل وبهلوان آخر شامي بالناحية الاخرى وانتقل السيد محمد المحروقي من داره الى بيت الترابي تجاه جامع ازبك لاجل مباشرة المهمات فلما اصبح يوم السبت وهو يوم الابتداء ودعوة الاشياخ رتبوهم فرقتين فرقة تأتي ضحوة النهار واخرى بعد العصر واجتمع بالازبكية اصناف ارباب الملاعب والمتزلكين والجنبازية والحبيظية والحواة والقرداتية والرقاصين والبرامكة وغير ذلك اصناف واشكال فاحتفلت واقبل من كل ناحية اصناف الناس رجال ونساء واقارب واباعد واكابر واصاغر وعساكر وفلاحون ويهود ونصارى وارو وام لاجل التفرج حتى ازدحمت الطرق الموصلة الى الازبكية من جميع النواحي باصناف الناس الذاهبين والراجعين والمترددين واستمر ضرب المدافع من ليلة السبت المذكور الى ليلة الجمعة التالية الاخرى ليلا ونهارا والحراقات والنفوط والسواريخ

فلما

ذكر ملك صلاح الدين قلعة بعرين

في هذه السنة في العشر الاخر من شوال، ملك صلاح الدين قلعة بعرين من الشام وكان صاحبها فخر الدين مسعود بن الزعفراني وهو من اكابر الامراء النورية فلما رأى قوة صلاح الدين نزل منها واتصل بصلاح الدين وظن ان صلاح الدين يكرمه ويشاركه في ملكه ولا ينفرد عنه بامر مثل ما كان مع نور الدين فلم ير من ذلك شيئا ففارقه ولم يكن بقي له من اقطاعه التي كانت له في الايام النورية غير بعرين ونائبه بها فلما صالح صلاح الدين الملك الصالح بحلب عاد الى حماة وسار منها الى بعرين وهي قريبة منها فحصرها ونصب عليها المجانيق وأدام قتالها فسلمها واليها بالامان فلما ملكها عاد الى حماة فاقطعها خاله شهاب الدين محمود بن تكش الحارمي وأقطع حمص ناصر الدين ابن عمه شيركوه وسار منها الى دمشق فدخلها أواخر شوال من السنة

ذكر ملك البهلوان مدينة تبريز

في هذه السنة ملك البهلوان بن ايلدكز مدينة تبريز وهي من جملة بلاد آقسنقر الاحمديلي وسبب ذلك ان البهلوان سار الى مراغة وحصرها وكان ابن آقسنقر الاحمديلي قد مات ووصى بالملك لابنه فلك الدين فقصده البهلوان ونزل على قلعة روئين دز وحصرها فامتنعت عليه فتركها وحصر مراغة وسير أخاه قزل ارسلان في جيش الى مدينة تبريز فحصرها ايضا وكان البهلوان قد اتى أهل مراغة فظفروا بطائفة من عسكره فخلع عليهم صدر الدين قاضي مراغة واطلقهم فحسن ذلك عند البهلوان وشرع القاضي في الصلح على ان يسلم تبريز الى البهلوان فاجيب الى ذلك واستقرت القاعدة عليه وحلف كل واحد منهما لصاحبه وتسلم البهلوان تبريز واعطاها اخاه قزل ارسلان ورحل عن مراغة بعسكره

ذكر وفاة شملة

في هذه السنة مات شملة التركماني صاحب خوزستان وكان قد كثرت ولايته وعظم شأنه وبنى عدة حصون وبقي كذلك زيادة على عشرين سنة وكان سبب موته انه قصد بعض التركمان فعلموا بذلك فاستغاثوا بشمس الدين البهلوان بن ايلدكز صاحب عراق العجم فسير اليهم جيشا فاقتتلوا فاصاب شملة سهم ثم اخذ اسيرا وولده وابن اخيه وتوفي بعد يومين وهو من التركمان الافشرية ولما مات ملك ابنه بعده

ذكر هرب قطب الدين قايماز من بغداد

في هذه السنة في شوال صبر علاء الدين تنامش وهو من اكابر الامراء ببغداد وكان قطب الدين قايماز زوج اخته صبر الى العراق فنهبوا اهله وبالقوافل اذا هم بقافلة منهم جماعة الى بغداد واستغاثوا فلم يغاثوا لضعف الخليفة مع قايماز وتنامش وتحكمهما عليه فقصدوا جامع القصر واستغاثوا فيه ومنعوا الخطيب وفاتت الصلاة اكثر الناس فانكر الخليفة ما جرى فلم يلتفت قطب الدين وتنامش الى ما فعل واحتقروه فلا جرم لم يمهلهم

وتبواترو والزفة وهن الترتيبها انقضاما ونهم السيد محمد درب الشمسى وهو كبير المتظمين وكان خروجها من بيت الحريم وهو الذي كان سكن الشيخ خليل البكري وذهبوا وانجروا على طريق الموسكي على تحت الربع الى باب زويلة الى الغورية الى بين القصرين الى سوق مرجوش الى باب الحديد الى بولاق الى سراية اسمعيل باشا التي جددوها قبلي بولاق قريبا من الشون فلم تصل الى منزلها الا عند الغروب وكان في اول الزفة طائفة من العسكر الدلاة ثم والى الشرطة ثم المحتسب ثم موكب اغات الينكجرية وبعدهم المشاير والنقاقير وعدتها عشرة نقاقير وعلى كل نقارة تفصيلة ثم العربات المذكورة وفيها ايضا تجار الغورية وطائفة تجار خان الخليلي في موكب حفل وتجار الجمزاوي من نصارى الشوام وغيرهم وكان يوما مشهودا اجتمعت فيه الخلائق للفرجة في طرقها حتى طريق بولاق واكترى الناس الاماكن المطلة على الشوارع والحوانيت باغلى الاثمان ولما وصلت العروس الى قصر خاضر بواعدة مدافع من بولاق والازبكية والجيزة وكان العزم على عمل الهم الثاني والابتداء فيه من يوم السبت الذي بعد الجمعة فرسم وابتداؤه الى الجمعة الاخرى لتاخرام العرس ومن يصحبها من النساء وان يبيتوا ببولاق تلك الجمعة واستمرت

الى ابن عمه سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود يستنجده على صلاح الدين ويطلب ان يعبر اليه ليقصدوا صلاح الدين ويأخذوا البلاد منه فجمع سيف الدين عساكره وكاتب اخاه عماد الدين زنكي صاحب سنجار يأمره ان ينزل اليه بعساكره ليجتمعوا على المسير الى الشام فامتنع من ذلك وكان صلاح الدين قد كاتب عماد الدين واطمعه في الملك لانه هو الكبير فحمله الطمع في الامتناع على اخيه فلما رأى سيف الدين امتناعه جهز اخاه عز الدين مسعودا في عسكر كثير هو معظم عسكره وسيره الى الشام وجعل المقدم على العسكر اكبر امير معه يقال له عز الدين محمود ويلقب ايضا زلفندار وجعله المدبر للامر وسار سيف الدين الى سنجار فحصرها في شهر رمضان وقاتلها وجد في القتال وامتنع عماد الدين بها وجد في حفظها والذب عنها فدام الحصار عليها فبينما هو يحاصرها اتاه الخبر بانهزام عسكره الذي مع اخيه عز الدين مسعود من صلاح الدين فراسل حينئذ اخاه عماد الدين وصالحه على ما بيده ورحل الى الموصل وثبت قدم صلاح الدين بعد هذه الهزيمة وخافه الناس وترددت الرسل بينه وبين سيف الدين غازي في الصلح فلم يستقر حال

﴿ذكر انهزام سيف الدين من صلاح الدين وحصره مدينة حلب﴾

في هذه السنة سار عسكر سيف الدين مع اخيه عز الدين وعز الدين زلفندار الى حلب واجتمع معهم عساكر حلب وساروا كلهم الى صلاح الدين ليحاربوه فارسل صلاح الدين الى سيف الدين يبذل تسليم حمص وحماة وان يقر بيده مدينة دمشق وهو فيها نائب الملك الصالح فلم يجب الى ذلك وقال لا بد من تسليم جميع ما اخذه من بلاد الشام والعود الى مصر وكان صلاح الدين يجمع عساكره ويتجهز للحرب فلما امتنع سيف الدين من اجابته الى ما بذل سار في عساكره الى عز الدين مسعود وزلفندار فالتقوا تاسع عشر رمضان بالقرب من مدينة حماة بموضع يقال له قرون حماة وكان زلفندار جاهلا بالحرب والقتال غير عالم بتدبيرها مع جبن فيه الا انه قد رزق سعادة وقبولا من سيف الدين فلما التقى الجمعان لم يثبت العسكر السيفي وانهزموا والايلوي أخ على اخيه وثبت عز الدين اخو سيف الدين بعد انهزام اصحابه فلما رأى صلاح الدين ثباته قال اما ان هذا اشجع الناس او انه لا يعرف الحرب وامر اصحابه بالحملة عليه فحملوا فازالوه عن موقفه وتمت الهزيمة وتبعهم صلاح الدين وعسكره حتى جازوا معسكرهم وغنموا منهم غنائم كثيرة وآلة وسلاحا عظيما ودواب فارهة وعادوا بعد طول البيكار مستريحين وعاد المنهزمون الى حلب وتبعهم صلاح الدين فنازلهم بها محاصرا لها ومقاتلا وقطع حينئذ خطبة الملك الصالح بن نور الدين وازال اسمه عن السكة في بلاده ودام محاصرا لهم فلما طال الامر عليهم راسلوه في الصلح على ان يكون له ما بيده من بلاد الشام ولهم ما بايديهم منها فاجابهم الى ذلك وانتظم الصلح ورحل عن حلب في العشر الاول من شوال ووصل الى حماة ووصلت اليه بها خلع الخليفة مع رسوله

ذكر

والحدادين والنجار والخياط والقزاز والحبالك والنشار وهو نشر الخشب بجذشاره والمغلق والعلجان والقران ومعه
القرن وهو يشير فيعمو القطاطري
والجزار وحوله لحم الغنم
ومثله جزار الجاموس والكبابجي
والنيفاوي وقلاء الحمص
والسمك والجبارين
والجباسين بالجبس والنورة
يدور به وهو ماش بالعربة
والبناء والمبلط والمبيض
النحاس والقشاء والسمكري
فقده احدى وثمون عربة
وفيهم حتى المسرا كبي في
قبة كبيرة كامل العدة
والقلوع تمشي على الارض
على العجل خلاف اربع
عربيات المختصة بالعروس
فلما كان يوم الاربعاء صبوا
تلك العربيات والجسر وا
جوا كبهم وطبولهم وزمورهم
وامام كل عربية اهل حرفتها
وصناعها مشاة خلف الطبول
والزمور وهم مزينون بالملابس
وملابسهم الفاخرة واكثرها
مستعارة فكانوا يمرون الى
البركة من ناحية باب الهواء
ويمرون من تحت بيت الباشا
الى ناحية رصيف الخشاب
وباقي كبير الحرفة بورقته
الى المتعينين لاقامتهم فينعم
عليه بخلعة وبدراهم فيعطى
البعض شال كشميري
والغير فضة والبعض طاقة
بخصلة قطني او اربعة
اذرع جوخ على قدر مقام
الصنعة واهلها واستمر
مرورهم من اول النهار الى بعد الغروب واصطفوا باسرهم عند رصيف الخشاب ولما اصبح يوم الخميس

عطف الزمان عليهما فمحاهما ● من كان عصر قابغير براج
فتبدلوا بعد القصور وملكها ● وتجمعها بعبادته وتقاج
فليحذر الباقون من امثالها ● نكبات دهر خائن مزعاج

وكان قطب الدين كريما حليما حسن الاخلاق محبا للعدل والاحسان كثير البذل للمال والذى كان جرى منه انما كان يحمله عليه فخر الدين ولم يكن بارادته

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة مات زعيم الدين صاحب المخزن واسمه يحيى بن عبد الله بن محمد بن المعمر ابن جعفر ابو الفضل وحج بالناس عدة سنين واليه الحكم فى الطريق وناب عن الوزارة وتنقل فى هذه الاعمال اكثر من عشرين سنة وكان يحفظ القرآن

(ثم دخلت سنة احدى وسبعين وخمسمائة)

(ذكر انهزام سيف الدين من صلاح الدين)

فى هذه السنة عاشر شوال كان المصاف بين سيف الدين غازى بن مودود وبين صلاح الدين يوسف بن ايوب بتل السلطان على مرحلة من حلب على طريق حماة وانهزم سيف الدين وسبب ذلك انه لما انهزم اخوه عز الدين مسعود من صلاح الدين فى العام الماضى وصالح سيف الدين اخاه عماد الدين صاحب سنجار عاد الى الموصل وجمع عساكره وفرق فيهم الاموال واستنجد صاحب حصن كيفا وصاحب ماردين وغيرهما فاجتمعت معه عساكر كثيرة بلغت عدتهم ستة آلاف فارس فسار الى نصيبين فى ربيع الاول من هذه السنة واقام بها فاطال المقام حتى انقضى الشتاء وهو مقيم فضجر العسكر ونفدت نفقاتهم وضاروا العود الى بيوتهم مع الهزيمة احب اليهم من الظفر لما يتوقعونه ان ظفروا من طول المقام بالشام بعد هذه المدة ثم سار الى حلب فنزل اليه سعد الدين كمشتكين الخادم مدبر دولة الملك الصالح ومعه عساكر حلب وكان صلاح الدين فى قلة من العساكر لانه كان صالح الفرنج فى المحرم من هذه السنة على ما نذكره ان شاء الله وقد سير عساكره الى مصر فارسل يستدعيها فجاءه فلما بلغه واخر ضهم منه لكنهم تربصوا وتأخروا عنه جاء في عساكره فسار من دمشق الى ناحية حلب ليلقى سيف الدين فالتقى العسكران بتل السلطان وكان سيف الدين قد سبقه فلما وصل صلاح الدين كان وصوله العصر وقد تعب هو واصحابه وعطشوا فالقوا انفسهم الى الارض ليس فيهم حركة فاشار على سيف الدين جماعة بقتالهم وهم على هذا الحال فقال زلفندار ما بنا هذه الحاجة الى قتال هذا الخارجى فى هذه الساعة غدا بكرة نأخذهم كلهم فترك القتال الى الغد فلما اصبحوا اصطفوا للقتال فجعل زلفندار وهو المدبر للعسكر الميمنة اعلامهم فى وهدة من الارض لا يراها الا من هو بالقرب منها فلما لم يرها الناس ظنوا ان السلطان قد انهزم فلم يثبتوا وانهزموا ولم يلو اخ على اخيه ولم يقتل بين الفريقين مع كثرتهم غير رجل واحد ووصل سيف الدين الى حلب وترك بها اخاه عز الدين مسعودا فى جمع من

افندى باشتغاله باحوال الدولة واستحثه فى الذهاب الى ديوان مصر فعاد اخاه ٩٣ وينوب عنه فى الخدمة ولوازمه فقبل عذره وقام من مصر فاعرضوا فى الجماعة ما عدا السيد محمد المحروقى ومحمود بك فان الكتخدا امرهما بالتخلف عنده ساعة ثم انصرفا مع جماعته وتعهد باصحبته ومعه اولاده الثلاثة وحبيبه ثم انصرفا الى منزلهما ولم ياذن الكتخدا لاحد من الاشياخ او غيرهم من التجار بالسلام عليه والاجتماع به والذى بلغنا فى كيفية القبض عليه انه لما ذهب الباشا الى مكة واستمر هو وابنه طوسون باشا بالحرم الشريف غاب على المصادقة والمسالمة والمصافاة ووجد عمه العهود والايمان فى جوف الكعبة بان لا يخون احد صاحبه وكان الباشا يذهب اليه فى قلة وهو الآخر يأتى اليه والى ابنه كذلك واستمروا على ذلك نحو خمسة عشر يوما من ذى القعدة ذهب طوسون باشا اليه فاتى اليه كعادته فى قلة فوجد بالدار عساكر كثيرة فعند ما استقر به المجلس وصل عابدين بك فى عدة وافرة وطلع الى المجلس فدنا منه واخذ الجنبية من حزامه وقال له انت مطلوب للدولة فقال سمعا وطاعة ولكن حتى انقضى اشغالى فى ظرف ثلاثة ايام واتوجه فقال لا سبيل الى ذلك والسفينة حاضرة فى انتظارك فحصل فى ساعته الشريف وعبيده ضجة وصعدوا على ابراج سرايته واداروا الحرب فارسل اليهم الباشا يقول لهم ان

الله تعالى لاحتقارهم له جاه وازدرائهم أهله فلما كان خامس ذى القعدة قصد
قطب الدين قايماز أذى ظهير الدين بن العطار وكان صاحب المخزن وهو خاص الخليفة
وله به عناية تامة فراع الخليفة في صاحبه فارسل اليه يتهدده فحضر عنده
فهرب فاحرق قطب الدين داره وحالف الامراء على المساعدة والمظاهرة له وجمعهم
وقصد دار الخليفة فعلم ان ابن العطار فيها فلما علم الخليفة ذلك ورأى القضية
صعد الى سطح داره وظهر للعامة وامر خادما فصاح واستغاث وقال للعامة مال
قطب الدين لكم ودمه لي فقصد الخلق كافة دار قطب الدين للنهب فلم يمكنه المقام
لضيق الشوارع وغلبة العامة فهرب من داره من باب فتحه في ظهرها لكثرة الخلق
على بابها وخرج من بغداد ونهبت داره واخذ منها من الاموال ما لا يحد ولا يحصى فروى
فيها من التنعم ما ليس لاحد مثله فمن جملة ذلك ان بيت الطهارة الذى كان له فيه سلسلة
ذهب من السقف الى محاذى وجه القاعد على الخلاء وفي اسفلها كرة كبيرة ذهب
مخرمة محشوة بالمسك والعنبر ليشمها اذا قعد فتشت الناس وقطعوها وحصل بعض
الصعاليك فاخذ عدة اكياس مملوءة دنانير وكان الاقوياء قد وقفوا على الباب يأخذون
ما يخرج به الناس فلما اخذ ذلك الصعلوك الاكياس قصد المطبخ واخذ منه قدرا مملوءة
طبيخا والقى الاكياس فيها وحملها على رأسه والناس يضحكون منه فيقول انا اريد
شيئا اطعمه عيالي اليوم فقضاء اسعفه فاستغنى بعد ذلك فظهر المال ولم يبق من نعمة
قطب الدين في ساعة واحدة قليل ولا كثير ولما خرج من البلد تبعه تنامش وجماعة من
الامراء فنهبت دورهم ايضا واخذت اموالهم واحرق اكثرها وسار قطب الدين الى الحلة
ومعه الامراء فسير الخليفة اليه صدر الدين عبد الرحيم شيخ الشيوخ فلم يزل به يخدعه
حتى سار عن الحلة الى الموصل على البر فلحقهم عطش عظيم فهلك اكثرهم من
شدة الحر والعطش ومات قطب الدين قبل وصوله الى الموصل فحمل ودفن بظاهر باب
العمادى وقبره مشهور هناك وهذا عاقبة عصيان الخليفة و كفران الاحسان والظلم
وسوء التدبير فانه ظلم اهل العراق وكفر احسان الخليفة الذى كان قد عمره ولو اقام
بالحلة وجمع العساكر وعاد وقصد بغداد لاستولى على الامور كلها كما كان فان عامة بغداد
كانوا يريدونه وكان قوى بالاحسان على البلاد فاساءه ولما مات في ذى الحجة وصل
علاء الدين تنامش الى الموصل فاقام مدة ثم امره الخليفة بالقدوم الى بغداد فعاد اليها
وبقى بها الى ان مات بغير اقطاع وكان هذا آخر امرهم ولما اقام قطب الدين بالحلة امتنع
الحاج من السفر فساروا الى ان رحل منها فدخلوا من الكوفة في ثمانية عشر يوما
وهذا ما لم يسمع بمثله وفات كثيرا منهم الحج ولما هرب قطب الدين خلع الخليفة على
عضد الدين الوزير واعاده الى الوزارة قال بعض الشعراء في قطب الدين وتنامش هذه
الابيات

ان كنت معتبرا بملك زائل * وحوادث عنت لها الادلاج
فدع العجائب والتواريخ الاولى * وانظر الى قيماز بن اغاج

قصبة الصوارى والحبال والآلات على حالة الاتابكية (وفي يوم الاحد سابع عشره) وصل الشريف غالب
شريف مكة الى مصر القديمة
وقد اتت به السفينة من
القلزم الى مرساة القصير
فتلقاه ابراهيم باشا وحضر
بصحبته الى قنا وقوص ثم
ركب النيل بمن معه من
أولاده وعبيده والعسكر
الواصلين بصحبته وحضر الى
مصر القديمة فلما وصل الخبر الى
كتخدا بك ضربوا عدة مدافع
من القلعة اعلاما بوصوله
واكراما على حد قوله تعالى
ذق انك انت العزيز الكريم
وركب صالح بك السلحدار
واحمد اغا اخو كتخدا بك
في ملاقاته لاتيانه واحضاره
وهيؤا له مكانا بمنزل احمد اغا
اخى كتخدا بك بعطفة ابن
عبد الله بك بخط السروجية
لينزل فيه وانتظره الكتخدا
هناك وبصحبته بونابارته الخازندار
ومحمود بك ومحو بك وابراهيم
اغا اغات الباب والسيد محمد
المحروقي فلما وصل الى الدار
نزل الكتخدا والجماعة ولاقوه
عند سلم الركوبة وقبلوا يده
ولزم الكتخدا يده تحت
ابطه حتى صعدا الى محل
الجلوس الذى اعدوه له
واستمر الكتخدا قائما على
قدميه حتى اذن له في الجلوس
هو وباقي الجماعة وعرفه
الكتخدا من السيد محمد
المحروقي فتقدم وقبل يده
فقام له وسلم عليه وجلس بحذاء الكتخدا الترجمان في الكلام ويؤانسه ويطمنوا خاطره ثم ان الكتخدا

القلنسوة لقتله فامسك صلاح الدين يد الباطني بيده الا انه لا يقدر على منعه من
الضرب بالكلية انما يضرب ضربا ضعيفا فبقي الباطني يضرب به في رقبته بالسكين
وكان عليه كزاغند فكانت الضربات تقع في زيق الكزاغند فتقطعه والزردية
تمنعها من الوصول الى رقبته لبعد اجله فجاء امير من امرائه اسمه يازكش فامسك
السكين بكفه فجرحه الباطني ولم يطلقها من يده الى ان قتل الباطني وجاء آخر من
الاسماعيلية فقتل ايضا وثالث فقتل وركب صلاح الدين الى خيمته كالمذعور
لا يصدق بنجاته ثم اعتبر جنده فمن انكره ابعده ومن عرفه اقره على خدمته ولازم
حصار اعزاز ثمانية وثلاثين يوما كل يوم اشد قتالا مما قبله وكثرت النقوب فيها فاذعن
من بها وسلموا القلعة اليه فتسلمها حادي عشر ذي الحجة

(ذكر حصر صلاح الدين مدينة حلب والصلح عليها)

لما ملك صلاح الدين قلعة اعزاز رحل الى حلب فنازلها منتصف ذي الحجة وحصرها
وبها الملك الصالح ومن معه من العساكر وقد قام العامة في حفظ البلد القيام المرضي
بحيث انهم منعوا صلاح الدين من القرب من البلد لانه كان اذا تقدم للقتال خرج هو
واصحابه وكثر الجراح فيهم والقتل وكانوا يخرجون ويقاتلونه ظاهر البلد فترك
القتال واخلد للمطاولة وانقضت سنة احدى وسبعين ودخلت سنة اثنتين وسبعين
وهو محاصر لها ثم ترددت الرسل بينهم في الصلح في العشرين من المحرم فوقعت الاجابة
اليه من الجانبين لان اهل حلب خافوا من طول الحصار فانهم ربما ضجروا وضعفوا
وصلاح الدين رأى انه لا يقدر على الدنو من البلد ولا على قتال من به فاجاب ايضا
وتقررت القاعدة في الصلح للجميع للملك الصالح ولسيف الدين صاحب الموصل
ولصاحب الحصن ولصاحب ماردين وتحالفوا واستقرت القاعدة ان يكونوا كلهم
عونا على الناكث الغادر فلما انفصل الامر رحل عن حلب بعد ان اعاد قلعة اعزاز
الى الملك الصالح فانه اخرج الى صلاح الدين اختا له صغيرة طفلة فاكرمها صلاح
الدين وحمل لها شيئا كثيرا وقال لها ما تريدين قالت اريد قلعة اعزاز وكانوا قد
علموها ذلك فسلمها اليهم ورحل الى بلد الاسماعيلية

(ذكر الفتنة بمكة وعزل اميرها واقامة غيره)

في هذه السنة في ذي الحجة كان بمكة حرب شديدة بين امير الحاج طاشتكين وبين
الامير مكثر بن عيسى امير مكة وكان الخليفة قد امر امير الحاج بعزل مكثر واقامة اخيه
داود مقامه وسبب ذلك انه كان قد بنى قلعة على جبل ابي قبيس فلما سار الحاج من
عرفات لم يبيتوا بالمزدلفة وانما اجتازوا بها فلم يرموا الجمار انما بعضهم رمى بعضها وهو
سائر ونزلوا الابطح فخرج اليهم ناس من اهل مكة فحاربوهم وقتل من الفريقين جماعة
وصاح الناس الغزاة الى مكة فهجموا عليها فهرب امير مكة مكثر فصعد الى القلعة التي
بناها في جبل ابي قبيس فحصروه بها ففارقها وسار عن مكة وولي اخوه داود الامارة

ضربوا عدة مدافع من القلعة وفي عصرية ذلك اليوم حضر حريم الباشا من بولاق الى الازبكية في عربات حضروا
بحضورهن مدافع من
الازبكية وشرعوا في عمل
المهم الثاني لابنة الباشا على
الدفتردار وافتتحوا ذلك من
ليلة السبت على النسق
المتقدم وعملوا العزائم
والولائم واحتفلوا ازيد من
المهم الاول واحضروا
الشريف غالبا واعدوا له
مكانا ببيت الترابي على
حدته هو واولاده ليتفرجوا
على الملاعب والبهلوانات
نهارا والشنك والحراقات
ليلا وعلى الشريف واولاده
الحرس ولا يجتمع بهم احد
على الوجه والصورة التي
كانوا عليها بالمنزل الذي انزلوا
فيه فلما كان في يوم الاربعاء
اجتمع ارباب العربات واصحابها
وقد زادوا عن الاولى خمسة
عشر عربة وفيهم معمل
الزجاج وباتوا بنواحي البركة
على النسق المتقدم ونصبوا لهم
خياما تقيهم من البرد والمطر
لان الوقت شتاء ولما اصبح
يوم الخميس انجرت العربات
وموكب الزفة من ناحية باب
الهواء على قنطرة الموسكي
على باب الخرق على درب
الجماميز وعطفوا من الصليبة
على المظفر على السروجية
على قصبة رضوان بك على باب
زويلة على شارع الغورية
على الجمالية على سوق
مرجوش على بين السورين على الازبكية على باب الهواء الى المنزل الذي اعدوه لها وهو بيت ابنة اسمعيل بك

العسكر ولم يقم هو وعبر الفرات وسار الى الموصل وهو لا يصدق انه ينجو وظن ان صلاح الدين يعبر الفرات ويقصده بالموصل فاستشار وزيره جلال الدين ومجاهد الدين في مفارقة الموصل والاعتصام بقلعة عقر الحميدية فقال له مجاهد الدين أرأيت ان ملكت الموصل عليك أتقدر ان تمتنع ببعض ابراج الفصيل فقال لا فقال برج في الفصيل خير من العقر وما زال الملوك ينهزمون ويعاودون الحرب واتفق هو والوزير على شد ازره وتقوية قلبه فثبت ثم اعرض عن زلفندار وعزله واستعمل مكانه على امارة الجيوش مجاهد الدين فاجابه الى ما ذكره ان شاء الله وقد ذكر العماد الكاتب في كتاب البرق الشامي في تاريخ الدولة الصلاحية أن سيف الدين كان عسكره في هذه الوقعة عشرين ألف فارس ولم يكن كذلك انما كان على التحقيق يزيدون على ستة آلاف فارس اقل من خمسمائة فانني وقفت على جريدة العرض وترتيب العسكر للمصاف ميمنة وميسرة وقلبا وجاليشية وغير ذلك وكان المتولي لذلك والكاتب له اخي مجد الدين ابا السعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم رحمه الله وانما قصد العماد أن يعظم أمر صاحبه بانه هزم بستة آلاف عشرين الفا والحق احق ان يتبع ثم يا ليت شعري كم هي الموصل واعمالها الى الفرات حتى يكون لها وفيها عشرون الف فارس

(ذكر ما ملكه صلاح الدين بعد الكسرة من بلاد الصالح بن نور الدين)

لما انهزم سيف الدين وعسكره ووصلوا الى حلب عاد سيف الدين الى الموصل كما ذكرناه وترك بحلب اخاه عز الدين مسعودا في طائفة من العسكر نجدة للملك الصالح واما صلاح الدين فانه لما استولى على اثقال العسكر الموصلي هو وعسكره وغنموها واقتسموها وقووا بها سار الى بزاعة فحصرها وتسلمها من بالقلعة ثم سلمها وجعل فيها من يحفظها وسار الى مدينة منبج فحصرها آخر شوال وبها صاحبها قطب الدين ينال بن حسان المنبجي وكان شديد العداوة لصلاح الدين والتحريض عليه والاطماع فيه والطعن فيه فصلاح الدين حنق عليه جدا فاما المدينة فملكها ولم تمتنع عليه وبقي القلعة وبها صاحبها قد جمع اليها الرجال والسلاح والذخائر فحصره صلاح الدين وضيق عليه وزحف الى القلعة فوصل النقابون الى السور فنقبوها وملكوها عنوة وغنم العسكر الصلاحي كل ما فيها واخذ صاحبها اسيرا فاخذ صلاح الدين كل ماله وأصبح فقيرا لا يملك نقيرا ثم اطلقه صلاح الدين فسار الى الموصل فاقطعه سيف الدين غازي مدينة الرقة ولما فرغ صلاح الدين من منبج سار الى قلعة اعزاز فنازلها ثالث ذي القعدة من السنة وهي من احصن القلاع وامنعها فنازلها وحصرها واحاط بها وضيق على من فيها ونصب عليها المجانيق وقتل عليها كثير من العسكر فبينما صلاح الدين يوما في خيمة لبعض امرائه يقال له جاولي وهو مقدم الطائفة الاسدية اذ وثب عليه باطني فضربه بسكين في رأسه فجرحه فلولا ان المغفر الزرد كان تحت

وقع منكم حرب احرقت البلدة وقتلت فيها اناس فلذلكم ارسل لهم ايضا الشريف يكفهم عن ذلك وكان بها الاولاد الثلاثة فحضر اليهم الشيخ احمد تركي وهو من خواص الشريف وخدمهم وقال لهم لم يكن هناك باس وانما والله كم مطلوب في مشاورة مع الدولة وتعود بالسلامة وحضرة الباشا يريد ان يقلد كبيركم نيابة عن ابيه الى حين رجوعه ولم يزل حتى انخدع كبيرهم لكلامه وقاموا معه فذهب بهم الى محل خلاف الذي به والدهم محتفظا بهم وفي الوقت احضر الباشا الشريف يحيى بن سرور وهو ابن اخي الشريف غالب وخلع عليه وقلده امارة مكة ونودي في البلدة باسمه وعزل الشريف غالب بحسب الاوامر السلطانية واستمر الشريف غالب اربعة ايام عند طوسون باشا ثم اركبوه واصحبوا معه عدة من العسكر وقبضوا عليه وباولاده الى بندر جدة وانزلوهم السفينة وساروا بها من ناحية القصير من صعيد مصر وحضر كما ذكر (وفي يوم الاربعاء) وصل قاصد من الديار الرومية وصحبته مثالان فعمل كالعادة الديوان في صبيحة يوم الخميس حادي عشرينه وقرئ ذلك وهما مثالان يتضمن احدهما التقرير لمحمد علي باشا على ولاية مصر على السنة الجديدة والثاني في الاخبار والبشارة باستيلاء العثمانيين على بلاد العرب ولما فرغوا من قراءتهما

والى صلاح الدين اشكو انني • من بعده مضنى الجوانح مولع
جزعا لبعد الدار منه ولم اكن • لولا هواه لبعد دار اجزع
فلأركبن اليه متن عزائمي • ويخب بي ركب الغرام ويوضع
ولاقطعن من النهار هواجرا • قلب النهار لحرها يتقطع
ولاسرين الليل لا يسري به • طيف الخيال ولا البروق اللمع
واقدمن اليه قلبي مخبرا • انى بجسمى من قريب اتبع
حتى اشاهد منه اسعد طلعة • من افقها صبح السعادة يطلع

وفي هذه السنة في المحرم برز صلاح الدين من دمشق وقد عظم شانه بما ملكه من بلاد الشام وبكسره عسكر الموصل ثانية الفرنج وغيرهم وعزم على دخول بلادهم ونهبها والاغارة عليها فارسلوا اليه يطلبون الهدنة معه فاجابهم اليها وصالحهم وامر العساكر المصرية بالعود الى مصر والاستراحة الى ان يعاود طلبهم وشرط عليهم انه متى ارسل يستدعيهم لا يتاخرون فساروا اليها واقاموا بها الى ان استدعاهم للحرب مع سيف الدين على ما ذكرناه وفيها مات ابو الحسن علي بن عساكر البطائحي المقرئ وكان قد سمع الحديث الكثير ورواه وكان نحويا جيدا وفي ذي الحجة منها توفي ابو سعد محمد ابن سعيد بن محمد بن الرزاز سمع الحديث ورواه وله شعر جيد فمن ذلك انه كتب اليه بعض اصدقائه مكاتبة وضمنها شعرا فاجابه

يا من اياديه تغنى من يعددها • وليس يحصي مداها من لها يصف
عجزت عن شكر ما اوليت من كرم • وصرت عبدا ولي في ذلك الشرف
اهديت منظوم شعر كالدرر • فكل ناظم عقد عنده يقف
اذا انيت بيت منه كان لنا • قصرا ودر المعاني فوقه شرف
وان انيت انا بيتا يناقضه • انيت لكن بيت سقفه يكف
ما كنت منه ولا من اهله ابدا • وانما حين ادعو منه اقتطف

(ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة)

(ذكر نهب صلاح الدين بلد الاسماعيلية)

لما رحل صلاح الدين من حلب على ما ذكرناه قبل قصد بلاد الاسماعيلية في المحرم ليقاتلهم بما فعلوه من الوثوب عليه واراده قتله فنهب بلادهم وخربها واحرقها وحصر قلعة مصياف وهي اعظم حصونهم واحصن قلاعهم فنصب عليها المجانيق وضيق على من بها ولم يزل كذلك فارسل سنان مقدم الاسماعيلية الى شهاب الدين الحارمي صاحب حماة وهو خال صلاح الدين يسأله ان يدخل بينهم ويصلح الحال ويشفع فيهم ويقول له ان لم تفعل قتلناك وجميع اهل صلاح الدين فشفع فيهم وسأل الصفح عنهم فاجابه الى ذلك وصالحهم ورحل عنهم وكان عسكره قد ملوا من طول البيكار وقد امتلأت ايديهم من غنائم عسكر الموصل ونهب بلد الاسماعيلية فطلبوا العود الى بلادهم للاستراحة فاذن لهم وسار هو الى مصر مع عسكرها لانه كان قد طال عهده بها

المسكينة للزيادة ونحو ذلك مع ما يلحقهم من كسر الخاطر والتكلف في المال ثم ادخلوا العروس الى تلك الدار وعند ما وصلت بالزفة (ومما حصل) انه قبل مرور موكب الزفة بيوم بين طائف اصحاب الشرطة ومعهم رجال بايديهم مقياس فكلما مروا بناحية او طريق ضيق عن القياس هدموا ما عارضهم من مصاطب الدكاكين او غيرها من الجهتين لاتساع الطريق لمرور العربات والملاعيب وغيرها فاتلفوا كثيرا من الابنية ونودي في يوم الاربعاء بزينة الحوانيت والطرق التي تمر عليها الزفة بالعروس (ومما حصل) من الحوادث السماوية انه في يوم الخميس المذكور عندما توسطت الزفة في مرورها وسط المدينة اطبق الجو بالغيام وامطرت السماء مطرا غزيرا حتى تغيرت الطرق وتوحلت الارض وابتلت الخلائق من النساء والرجال المجتمعين للفرجة وخصوصا الكائنين بالسقائف وفوق الحوانيت والمساطب واما المتعينون للمشي في الموكب ولابد الذين لا مفر لهم من ذلك ولا مهرب فاختل نظامهم وابتلت ثيابهم وتكدرت طباعهم وانتقضت اوضاعهم وزادت وحشتهم وتلفت ملابسهم وهطل الغيث على الابريسيم والحرير والشالات الكرخانة والسلبى

ونهب كثيرا من الحاج وأخذوا من اموال التجار المقيمين بها شيئا كثيرا واحرقوا دورا كثيرة ومن اعجب ماجرى فيها ان انسانا زراقا ضرب دارا بقارورة نفط فاحرقها وكانت لايتام فاحترقت مافيها ثم اخذ قارورة أخرى ليضرب بها مكانا آخر فاتاه حجر فاصاب القارورة فكسرها فاحترق هو بها وبقي ثلاثة ايام يعذب بالحريق ثم مات

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة في شهر رمضان انكسفت الشمس جميعها واظلمت الارض حتى بقي الوقت كانه ليل مظلم وظهرت الكواكب وكان ذلك ضحوة النهار يوم الجمعة التاسع والعشرين منه وكنت حينئذ صبيا بظاهر جزيرة ابن عمر مع شيخ لنا من العلماء اقرأ عليه الحساب فلما رأيت ذلك خفت خوفا شديدا وتمسكت به فقوى قلبي وكان عالما بالنجوم أيضا وقال لي الآن ترى هذا جميعه انصرف فانصرف سريعا وفيها ولى الخليفة المستضيء بامر الله حجبة الباب أباطالب نصر بن علي الناقد وكان يلقب في صغره قنبرا فصاروا يصيحون به لذلك اذا ركب فأمر الخليفة ان يركب معه جماعة من الاتراك ويمنعون الناس من ذلك ففعلته واقام كان قبل العيد خلع عليه ليركب في الموكب فاشترى جماعة من اهل بغداد من القنابر شيئا كثيرا وعزموا على ارسالها في الموكب اذا رأوا ابن الناقد فانهى ذلك الى الخليفة وقيل له يصير الموكب ضحكة فعزله وولى ابن المعوج وفيها في ذي الحجة يوم العيد وقعت فتنة ببغداد بين العامة وبين الاتراك بسبب أخذ جمال النحر فقتل بينهم جماعة ونهب شئ كثير من الاموال ففرق الخليفة اموالا جليلة فيمن نهب ماله وفيها زلزلت بلاد العجم من جهة العراق الى ماوراء الرى وهلك فيها خلق كثير وتهدمت دور كثيرة واكثر ذلك كان بالرى وقزوين وفيها في ربيع الآخر اخرج سيف الدين غازي صاحب الموصل جلال الدين اباالحسن ابن جمال الدين محمد بن علي وكان جمال الدين وزير البيت الاتابكي وقد تقدمت أخباره وهو المشهور بالجود والافضال ولماولي جلال الدين الوزارة ظهرت منه كفاية عظيمة ومعرفة تامة بقوانين الوزارة وله مكاتبات وعهود حسنة مدونة مشهورة وكان جوادا فاضلا خيرا وكان عمره لما ولي الوزارة خمسا وعشرين سنة وفيها في ذي الحجة استناب سيف الدين أيضا عنه بقلعة الموصل مجاهد الدين قايماز وفوض اليه الامور وكان قبل ذلك اليه الامر بمدينة اربل واعمالها وكان رحمه الله من صالحي الامراء وأرباب المعروف بنى كثيرا من الجوامع والخانات في الطرق والقناطر على الانهار والربط وغير ذلك من أبواب البر وكان دائم الصدقة كثير الاحسان عادل السيرة رحمه الله وفيها قبض الخليفة على صخر المقتدى استاذ الدار ورتب مكانه اباالفضل هبة الله ابن علي بن هبة الله بن الصاحب وفيها في رمضان قدم شمس الدولة توران شاه بن ايوب الذي ملك اليمن الى دمشق ولما سمع ان اخاه صلاح الدين ملكها حن الى الوطن والاتراب ففارق اليمن وسار الى الشام وأرسل من الطريق الى اخيه صلاح الدين يعلمه بوصوله وكتب في الكتاب شعرا من قول ابن المنجم المصري

وهي بنت ابراهيم بك وكانت متزوجة باسمعيل بك ولما مات تزوج بها علي كتخدا اغا ويعرف بالالفي وقد تولى اغاوية مستحفظان في هذه الدولة واعتنى بهذه الدار وعمر بها مكانين بداخل الحرم بموز نهما ونقشهما نقشا بديعا صناعة صناع العجم واستمروا في نقشهما سنتين ولما ماتت المذكورة في اوائل هذه السنة واستمر حوشا كناهيا وانزل الباشا عنده القاضي المنفصل عن قضا مصر المعروف بيهجة افندي وقاضي مكة صادق افندي حين حضر من اسلامبول ثم امره الباشا بالخروج منها والخلاء انها لا يحل ان يسكن بها ابقته هذه الزخرفة فخرج منها في اوائل شوال وكذا المسافر القاضيان الى الحجاز بصحبة الباشا وعند ذلك بيضوها وزاد في زخرفتها وفرشوها بانواع الفرش الفاخرة ونقلوا اليها جهاز العروس والصناديق وماقدم اليها من الهدايا والامتعة والجواهر والتحف من الاعيان ونسائهم حتى من نساء الامراء المصر يين المتكوبين وقد تكلفوا فوق طاقتهم وباعوا واستدانوا وضرموا في النقوط والتقادم والهدايا فعلين المهمين ماصبروا بمصرين ومديونين وكان اذا قدمت احدى المشهورات منهن هديتها عرضوها على ام العروس بنت التي هي زوجة الباشا فتلتمس منها من المصاغ الجوهر والمقصبات والى

رجلين وصعد الباقون الى سطح القلعة ولا يشكون ان القلعة لهم لامانع منها ووصل من الغد بكرة الامير عيسى ليتسلم القلعة وبينهم ما فعله وكانت امرأة الامير ابراهيم في خزانة اخرى وفيها شباك حديد ثقيل يشرف الى القلعة فقد شدتها فاقتلع وجند زوجها في القلعة لا يقدرون على شئ فلما قلعت الشباك ارادت ان تدلي حبلا ترفع به الرجال اليها فلم يكن عندها غير ثياب خام فوصلت بعضها ببعض ودلتها الى القلعة وشدت طرفيها عندها في عود فاصعدت اليها عشرة رجال ولم يكن يراهم الذين على السطح ورأى الامير عيسى وهو على جانب دجلة الرجال يصعدون فصاح هو ومن معه الى اولئك الذين على السطح ليحذروا وكان كلما صاحوا صاح اهل القلعة لتختلف الاصوات فلا يفهم الذين على السطح فبقوا يتزلون ويعجبون من ذلك فلما اجتمع عندها عشرة رجال ارسلت مع خادم عندها الى زوجها قدح شراب وامرته ان يقرب منه كانه يسقيه الشراب ويعرفه الحال ففعل ذلك وجلس بين يديه ليسقيه وعرفه الحال فقال ازدادوا من الرجال فاصعدت عشرين رجلا وخرجوا من عندها فاخذ ابراهيم بيده الى الرجلين الموكلين به فاخذ شعورهما وامر الخادم بقتلهما وكان عنده فقتلهما بالاحجار فخرج واجتمع باصحابه وارادوا فتح القلعة ليصعد اليه اصحابه من القلعة فلم يجد المفاتيح وكانت مع اولئك الرجال الذين على السطح فاضطروا الى الصعود الى سطح القلعة لياخذوا اصحاب عيسى فعلوا الحال فجاؤوا ووقفوا على رأس المرقى فلم يقدر احد يصعد فاخذ بعض اصحاب ابراهيم ترسا وجعله على رأسه وحصل في الدرجة وصعدوا فاتل القوم على رأس المرقى حتى صعد اصحابه فقتلوا الجماعة وبقي منهم رجل القى نفسه من السطح فنزل الى اسفل الجبل فتقطع فلما رأى عيسى ما حل باصحابه عاد خائبا مما امله واستقر الامير ابراهيم في قلعته على حاله

(ذكر نهب البندنيجين)

في هذه السنة وصل الملك الذي بخوزستان عند تكلة وهو ابن ملكشاه بن محمود الى البندنيجين فنهبها ونهبها وقتل في الناس وسبى حريمهم وفعل كل قبيح ووصل الخبر الى بغداد فخرج الوزير عضد الدين وعرض العسكر ووصل عز الدولة ومعه ملتشكين امير الحاج وطرغلي وساروا نحو العدو فلما سمع بوصولهم فارق مكانه وعاد وكان معهم من الترك جمع كثير فنهبهم عسكر بغداد ورجعوا من غير امر بالعود فانكر عليهم ذلك وامروا بالعود الى مواقفهم فعادوا الاوائل شهر رمضان وقد رجع الملك ذهب من البندنيجين ما كان سلم في الاول ووقعت بينهم وبين الملك وقعة ثم افترقوا فمضى الملك وفارق ولاية العراق

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في جمادى الاولى اقيمت الصلاة في الجامع الذي بناه فخر الدولة بن المطلب

نحو عشرة احمال من الجمال او حملا تقاربوا وهي الظروف المصنوعة ١٩٩ من الجلود التي تسمى البطط يريدون بها القلعة فخرج واحد من باب الحرق الى ناحية تحت الربع فلما وصلوا تجاه معمل الشمع وبصحبة الجمال شخص عسكري فتشاجر مع الجمال ورد عليه القول فحنق منه فضربه بخنجر الطبنجة فاصابت احدى البطط فالتهبت بالنار وسرت الى باقي الاحمال فالتهب الجميع وصعد الى عنان السماء فاحترقت السقيفة المطلة على الشارع وما بناحيتها من البيوت والذي اسفلها من الحوانيت وكذا الذي من صادف مروره في ذلك الوقت واحترق ذلك العسكري والجمال ومن احترق واتفق مرور امرأة من النساء المحتشمات مع رفيقتها فاحترقت ثيابها مع رفيقتها وذهبت تجري والنار ترعى فيها وكانت دارها بالقرب من تلك الناحية فلما وصلت الى الدار حتى احترق ما عليها من الثياب واحترق اكثر جسدها ووصلت الاخرى بعدها وهي محترقة وعريانة فماتت من ليلتها ولحقتها الاخرى في ضحوة اليوم الثاني ومات في هذه الحادثة اكثر من المائة نفس من رجال ونساء واطفال وصبيان واما الجمال فاخذوها الى بيت الى الشواب وهي صورة تربة الجلاوزة بيا من خرجت منه فاما بالجوها او نصروها وكل هذا الذي

والكشمير وما زينت به العربيات من انواع ٩٨ المزركش والقصبات وتقذفت على من بعد انظارهم من التراقي والاغاني الحسان وكثير من الناس وقع بسدها ازحاق وصار ثوبه بالوحل ابلق ومنهم من ترك الزفة وللجمار باقي عنقه يمسح يديه في الحيط بما انطلخ بها من الزماريط وتعارجت الحمير وتعفرت البياجير وانهدم تنور الزجاج ولم ينفع به العلاج وتلف للناس شيء كثير ولا يدفع قضاء الله حيلة ولا تدبير ولم تصل العروس الى دارها الا قبيل دنو الشمس من غروبها وعند ذلك انجلى الجو وانكشفت بيوت النور ووافق ذلك اليوم ثالث عشر طوبه من شهور القبط الشتويه وحصل بذلك الغيث العميم النفع لمزارع الغلة والبرسيم (وفيه) وردت مكاتبات من العقبة فيها الاخبار بوصول قافلة الحج صحبة الجمل واميرها مصطفى بك والي باشا (وفي يوم الجمعة) تاسع عشره وصل كثير من الحجاج الاتراك وغيرهم وردوا في البحر الى بندر السويس ووصل تابع تهومي باشا واخبر عنه انه فارق محمدويه من العقبة ونزل في مركب مع ام عابدين بك وحضر الى السويس

(واستهل شهر صفر بيوم الاحد سنة ١٢٢٩) فمما وقع في ذلك اليوم من الحوادث ان صناع البارود الكائنين بباب اللوق عملوا

ولم يمكنه المضي اليها فيما تقدم ذكره على بلاد الشام فلما انهزم سيف الدين وحصر هو حلب وملك بلادها واصطلحوا امن على البلاد فسار الى مصر وامر ببناء سور على مصر والقاهرة والقلعة التي على جبل المقطم ودوره تسعة وعشرون الف ذراع وثلثمائة ذراع بالذراع الهاشمي ولم يزل العمل فيه الى ان مات صلاح الدين

(ذكر ظفر المسلمين بالفرنج والفرنج بالمسلمين)

كان شمس الدين محمد بن عبد الملك بن المقدم صاحب بعلبك فاتاه خبر ان جمعا من الفرنج قد قصدوا البقاع من اعمال بعلبك واغاروا عليها فسار اليهم وكمن لهم في الشعراء والغياض واوقع بهم وقتل فيهم واكثر واسر نحو مائتي رجل منهم وسيرهم الى صلاح الدين وكان شمس الدولة توران شاه اخو صلاح الدين وهو الذي ملك اليمن قد وصل الى دمشق كما ذكرناه وهو فيها فسمع ان طائفة من الفرنج قد خرجوا من بلادهم الى اعمال دمشق فسار اليهم ولقيهم عند عين الجر في تلك المروج فلم يثبت لهم وانهزم عنهم فظفروا بجمع من اصحابه فاسروهم منهم سيف الدين ابو بكر بن السلار وهو من اعيان الجند الدمشقيين واجترأ الفرنج بعدها وانبسطوا في تلك الولاية وجبروا الكسر الذي ناله منهم ابن المقدم

(ذكر عصيان صاحب شهرزور على سيف الدين وعوده الى طاعته)

في هذه السنة عصى شهاب الدين محمد بن بزان صاحب شهرزور على سيف الدين غازي وكان في طاعته وتحت حكمه وكان سبب ذلك ان مجاهد الدين قايماز كان متوليا مدينة اربل وكان بينه وبين ابن بزان عداوة محكمة فلما استناب سيف الدين مجاهد الدين بالموصل خاف ابن بزان ان يناله منه اذى فاظهر الامتناع من النزول الى الخدمة فارسل اليه جلال الدين وزير سيف الدين كتابا يامره بمعاودة الطاعة ويحذره عاقبة المخالفة وهو من احسن الكتب وابلغها في هذا المعنى ولولا خوف التطويل لذكرته فليطلب من مكاتباته فلما وصل اليه الكتاب والرسول بادر الى حضور الخدمة بالموصل وزال الخلاف

(ذكر فرج بعد شدة يتعلق بالتاريخ)

بالقرب من جزيرة ابن عمر حصن منيع من امنع المعاقل اسمه فنك وهو على راس جبل عال وهو للاكراد البشنوية له بايديهم نحو ثلثمائة سنة وكان صاحبه هذه السنة اميرا منهم اسمه ابراهيم وله اخ اسمه عيسى قد اخرجه وهو لا يزال يسعى في اخذه من اخيه ابراهيم فواطاه بعض بطانة ابراهيم وفتح باب السر ليلا واصعد عنه الى راس القلعة نيفا وعشرين رجلا فقبضوا على ابراهيم ومن عنده ولم يكن عنده الا نفر من خواصه وهذه قلة على صخرة كبيرة منقطعة عن سائر القلعة وتحتها كثيرا وبها يسكن الامير واهله وخواصه وباقي الجند في القلعة تحت القلة فلما قبضوا ابراهيم جعلوه في خزانة وضربه بعضهم بسيف في يده على عاتقه فلم يصنع شيئا فلما جعل في الخزانة وكل به

فأخذا وهو وأخوه جماعة من أصحابهما وأوثقه واستبقى في الأسر فافتدى صلاح الدين الفقيه عيسى بستين ألف دينار وجماعة كثيرة من الأسرى ووصل صلاح الدين إلى القاهرة نصف جمادى الآخرة ورأيت كتابا كتبه صلاح الدين بخط يده إلى أخيه شمس الدولة توران شاه وهو بدمشق يذكر الوقعة وفي أوله

ذكرتك والخطي يخطر بيننا ● وقد نهلت منا المثقفة السمر

ويقول فيه لقد أشرفنا على الهلاك غير مرة وما أنجانا الله سبحانه منه إلا لأمر يريده سبحانه

● وما ثبتت إلا وفي نفسها أمر ●

●(ذكر حصر الفرنج مدينة حماة)●

في هذه السنة في جمادى الأولى حصر الفرنج مدينة حماة وسبب ذلك أنه وصل من البحر إلى الساحل الشامي كند كبير من الفرنج من أكبر طواغيتهم فرأى صلاح الدين بمصر قد عاد منهزما فاغتنم خلو البلاد لأن شمس الدولة بن أيوب كان بدمشق ينوب عن صلاح الدين وليس عنده كثير من العسكر وكان أيضا كثير الانهماك في اللذات مائلا إلى الراحات فجمع ذلك الكند الفرنجي من بالشام من الفرنج وفرق فيهم الأموال وسار إلى مدينة حماة فحصرها وبها صاحبها شهاب الدين محمود الحارمي خال صلاح الدين وهو مريض شديد المرض وكان طائفة من العسكر الصلاحي بالقرب منها فدخلوا إليها وأعانوا من بها وقاتل الفرنج على البلد قتالا شديدا وهجموا بعض الأيام على طرف منه وكادوا يملكون البلد قهرا وقسرا فاجتمع أهل البلد مع العسكر إلى تلك الناحية واشتد القتال وعظم الخطب على الفريقين واستقتل المسلمون وحاموا عن الأنفس والأهل والمال فأخرجوا الفرنج من البلد إلى ظاهره ودام القتال ظاهر البلد ليلا ونهارا وقويت نفوس المسلمين حين أخرجوهم من البلد وطمعوا فيهم وأكثروا فيهم القتل فرحل الفرنج حينئذ خائبين وكفى الله المسلمين شرهم فساروا إلى حارم فحصروها وكان مقامهم على حماة أربعة أيام ولما رحل الفرنج عن حماة مات صاحبها شهاب الدين الحارمي وكان له ابن من أحسن الناس شبابا مات قبله بثلاثة أيام

●(ذكر قتل كمشتكين وحصر الفرنج حارم)●

في هذه السنة قبض الملك الصالح بن نور الدين على سعد الدين كمشتكين وكان المتولي لأمر دولته والحاكم فيها وسبب قبضه أنه كان بحلب إنسان من أعيان أهلها يقال له أبو صالح بن العجمي وكان مقدما عند نور الدين محمود فلما مات نور الدين تقدم أيضا في دولة ولده الملك الصالح وصار بمنزلة الوزير الكبير المتمكن لكثرة أتباعه بحلب وصار كل من كان يحسد كمشتكين ينضم إلى أبي صالح وقووا جنانه وكثروا سواده وكان عنده إقدام وجرأة فصار واحد الدولة بحلب ومن يصدر الجماعة عن رأيه وأمره فبينما هو في بعض الأيام في الجامع وثب به الباطنية فقتلوه ومضى شهيدا وتمكن بعده سعد الدين وقوي حاله فلما قتل أحال الجماعة قتله على سعد الدين وقالوا هو وضع الباطنية

واخرجوا ثم يخرج وأربابه من سرايته الحاملين من الثياب بعدما فتشوهن تفتيشا فاحشا وخلق سوءته فقل اللهم مالك الملك هذا التشريف غالب انتزع من مملكته وخرج من دولته وسيادته وأمواله وذخائره والمال من ذلك كله كالشعرة من العجين حتى إنه لما ركب وخرج مع العسكر وهم متوجهون به إلى جدة أخذوا ما في جيوبه فليعتبر من يعتبر وكل الذي وقع له وما سيقع له بعد من التغريب وغيره فيما جناه من الظلم ومخالفة الشريعة والطمع في الدنيا وتحصيلها بأي طريق نسأل الله السلامة وحسن العاقبة (وفي يوم الخميس) خامسه طاف الأغا أيضا بأسواق المدينة وأمامه المناداة على أبواب الخانات والوكائل من التجار بأنهم لا يتعاملون في بيع البن ولا بها والاحتساب الريال المتعارف في معاملة الناس وهو الذي يصرف تسعين نصفا الآن باعة البن لا يسمون في بيعه إلا الفرانسه ولا يقبضون في ثمنه إلا إياها بأعيانها ولا يقبلون خلافها من جنس المعاملات فيحصل بذلك تعب للمتسببين الفقراء والقطاعين ومن يشتري بالقنطار أو دونه فيهدد المناداة بعدم المشتري ما يشاء من جنس المعاملات قروشا أو ذهبا أو فرانسه أو أي صغير من المعاملات ويحسبه بالمعاملة والريال المعروف بين الناس الذي يصرفه

وقصر المأمون غربي بغداد وفيها امر صلاح الدين ببناء المدرسة التي على قبر الشافعي رضي الله عنه بمصر وعمل بالقاهرة بيمارستان ووقف عليهما الوقوف العظيمة الكثيرة وفيها رأيت بالموصل خروفين ببطن واحد دون أسين وقبين ومظهر بن وعماني قوائم كأنهما ملتزقان ببطن واحد ووجه احدهما الى وجه الآخر وهذا من العجائب وفيها انقض كوكب اضاءت له الارض اضاءة كثيرة وسمع له صوت عظيم وبقي أثره في السماء مقدار ساعة وذهب وفيها توفي تاج الدين ابو علي الحسن بن عبد الله بن المظفر ابن رئيس الرؤساء اخو الوزير عضد الدين وزير الخليفة وفيها في المحرم توفي القاضي كمال الدين ابو الفضل محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري قاضي دمشق وجميع الشام واليه الوقوف بها والديوان وكان جوادا فاضلا رئيسا ذا عقل ومعرفة في تدبير الدول رحمه الله ورضي عنه

(ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة)

(ذكر انهزام صلاح الدين بالرملة)

في هذه السنة في جمادى الاولى سار صلاح الدين يوسف بن ايوب من مصر الى ساحل الشام لقصد غزاة بلاد الفرنج وجمع معه عساكر وجنوده فلم يزالوا يجدون السير حتى وصلوا الى عسقلان في الرابع والعشرين منه فنهبوا وأسروا وقتلوا واحرقوا وتفرقوا في تلك الاعمال مغيرين فلما رأوا أن الفرنج لم يظهر لهم عسكر ولا اجتمع لهم من يحمي البلاد من المسلمين طمعوا وانبسطوا وساروا في الارض آمنين ووصل صلاح الدين الى الرملة عازما على ان يقصد بعض حصونهم ليحصره فوصل الى نهر فازدحم الناس للعبور فلم يرعهم الا والفرنج قد أشرفت عليهم باطلابها وابطالها وكان مع صلاح الدين بعض العسكر لان اكثرهم تفرقوا في طلب الغنيمة فلما رآهم وقف لهم فيمن معه وتقدم بين يديه محمد ابن أخي صلاح الدين تقي الدين فباشر القتال بنفسه بين يدي عمه فقتل من اصحابه جماعة وكذلك من الفرنج وكان لتقي الدين ولد اسمه احمد وهو من أحسن الشباب أول ما تكاملت لحيته فامره ابوه بالحملة عليهم فحمل عليهم وقاتلهم وعاد سالما قد اثر فيهم اثرا كثيرا فامره بالعود اليهم ثانية فحمل عليهم فقتل شهيدا ومضى حميدا رحمه الله ورضي عنه وكان اشد الناس قتالا ذلك اليوم الفقيه عيسى رحمه الله وتمت الهزيمة على المسلمين وحمل بعض الفرنج على صلاح الدين فقاربه حتى كاد يصل اليه فقتل الفرنجي بين يديه وتكاثر الفرنج عليه فمضى منهزما يسير قليلا ويقف ليلحقه العسكر الى ان دخل الليل فسلك البرية الى ان مضى في نفر يسير الى مصر ولقوا في طريقهم مشقة شديدة وقل عليهم القوت والماء وهلك كثير من دواب العسكر جوعا وعطشا وسرعة سير واما العسكر الذين كانوا دخلوا بلاد الفرنج في الغارة فان اكثرهم ذهب ما بين قتيل واسير وكان من جملة من اسر الفقيه عيسى الهكاري وهو من اعيان الاسدية وكان جمع العلم والدين والشجاعة واسر ايضا اخوه الظهير وكانا قد سارا منهزمين فضلا الطريق

فاخذا

حصل من الحريق والموت والهدم في حارة قمعيز (وفي ثامنه) يوم الاثنين وصل مصطفى بك امير ركب الحجاج الى مصر وترك الحجاج بالدار الحمراء فبات في داره واصبح عائدا الى البركة فدخل مع المحمل يوم الاربعاء ودخل الحجاج واخبروا بان المسافة في احد وعشرين يوما وسبب حضور المذكور انه ذهب بعساكر وعساكر الشريف من الطائف الى ناحية تربة والمتآمر عليها امرأة فحاربتهم وانهزم منها شر هزيمة فحنق عليه الباشا وامره بالذهاب الى مصر مع المحمل (وفيه) ارسل الباشا يستدعي ثنتين او ثلاثة عينهن من عياليه وصحبتهن خمسة من الجواري السود الاسطاوات في الطبخ وعمل انواع الفطور فارسلوهن في ذلك اليوم الى السويس وصحبتهن نفيسة القهرمانة وهي من جواريه ايضا وكانت زوجة القاضي ابو غلي المحتسب الذي مات بالحجاز في العام الماضي (وفيه) ايضا وصل حريم الشريف غالب فعينوا له دارا بكتخدا اميرية جهة سويقة العزى تسكنها ومعه اولاده وعليهم الحافظون واستولى الباشا على موجودات الشريف غالب من نقود وامتعة وودائع وخبايات وشركات وتجارات وبن وبهار وفي مكة وجدة والهند واليمن بشيء لا يعلم قدره الا الله

قصد الحج وفيها كانت فتنة ببغداد وسببها أن حضر قوم من مسلمي المدائن الى بغداد
تشكوا من يهودها وقالوا لنا مسجد نؤذن فيه ونصلي وهو مجاور الكنيسة فقال لنا
اليهود قد آذيتمونا بكثرة الاذان فقال المؤذن ما نبالي بذلك فاختصموا وكانت فتنة
استظهر فيها اليهود فجاء المسلمون يشكون منهم فامر ابن العطار وهو صاحب المخزن
بحبسهم ثم اخرجوا فقصدوا جامع القصر واستغاثوا قبل صلاة الجمعة فخفف الخطيب
الخطبة والصلاة فعادوا يستغيثون فاتاهم جماعة من الجند ومنعوهم فلما رأى العامة
ما فعل بهم غضبوا نصرة للاسلام فاستغاثوا وقالوا أشياء قبيحة وقلعوا طوابيق الجامع
ورجموا الجند فهربوا ثم قصد العامة دكاكين المخلطين لان اكثرهم يهود فنهبوها
وأراد حاجب الباب منعهم فرجموه فهرب منهم وانقلب البلد وخربوا الكنيسة التي
عند دار البساسيري واحرقوا التوراة وامر الخليفة ان تنقض الكنيسة التي بالمدائن
وتجعل مسجدا ونصب بالرحبة اخشاب ليصلب عليها قوم من المفسدين فظنها العامة
نصبت تخويفا لهم لاجل ما فعلوا فعلقوا عليها في الليل جرذانا ميتة واخرج جماعة
من الحبس لصوص فصلبوا عليها وفيها في شعبان قبض سيف الدين غازي صاحب
الموصل على وزيره جلال الدين على بن جمال الدين لغير جرم ولا عجز ولا تقصير بل
لان سيف الدين كان بينه وبين مجاهد الدين قايماز منافسة فقال
مجاهد الدين لسيف الدين لابد من قبض الوزير فقبض عليه كارها لذلك ثم شفع فيه
ابن رئيس آمد لصهورة بينهما فاخرج وسار الى آمد فمرض بها وعاد الى دنيسر فمات
سنة خمس وسبعين وعمره سبع وعشرون سنة وحمل الى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم
فدفن عند والده في الرباط الذي بناه بها وكان رحمه الله من محاسن الدنيا جمع كرما
وعلما ودينا وعفة وحسن سيرة واستحلفه سيف الدين أنه لا يمضي الى صلاح الدين لانه
خاف ان يمضي اليه للمودة التي كانت بين جمال الدين و بين نجم الدين أيوب واسد الدين
شيركوه فبلغني ان صلاح الدين طلبه فلم يقصده اليمين وفيها اجتمع الفرنج طائفة
منهم وقصدوا اعمال حمص فنهبوها وغنموا واسروا وسبوا فسار ناصر الدين محمد بن
شيركوه صاحب حمص وسبقهم ووقف على طريقهم ولم يكن لهم علم فلما وصلوا اليه خرج
اليهم هو والكمين ووضعوا السيف فيهم فقتل اكثرهم واسر جماعة من مقدميهم
ومن سلم منهم لم يفلت الا وهو مثخن بالجراح واسترد منهم جميع ما غنموا فرده على
أصحابه وفيها في ربيع الآخر توفي صدقة بن الحسين الحداد الذي ذيل تاريخ
ابن الزاغوني ببغداد وفيها في جمادى الاولى توفي محمد بن احمد بن عبد الجبار الفقيه الحنفي
المعروف بالمشطب ببغداد

ه(ثم دخلت سنة اربع وسبعين وخمسمائة)ه

ه(ذكر قصد الفرنج مدينة حماة ايضا)ه

في هذه السنة في ربيع الاول منها جمع كثير من الفرنج بالشام الى مدينة حماة وكثر

من شرحنا ما (وفيه) انتقل
الشريف غالب بعياله من بيت
السيد محمد المحروقي الى المنزل
الذي أعدوه له وهو بيت
الطيف باشا بسويقة العزى
بعد ما اصلحوه و بيضوه
واسكنوه به وعليه البيرق
والعسكر الملازمون لبابه
(وفيه) أبرز كتخدا بك
فرمانا وصل اليمن الباشا
يتضمن ضبط جميع الالتزام
لطرف الباشا ورفع أيدي
الملتزمين عن التصرف بل
الملتزم يأخذ فائظه من
الخزينة فلما أشيع ذلك
في الناس وكثر فيهم اللغط
واجتمعوا على المشايخ فطلعوا
الى كتخدا بك وسألوه فقال
ذم ورد من أفندينا امر بذلك
ولا يمكنني مخالفته فقالوا له
كيف تقطعون معايش
الناس وارزاقهم وفيهم
ارامل وعواجز والواحدة قيراط
او نصف قيراط يتعيش من
ايراده فينقطع عنه فقال
يأخذ الفائظ من الخزينة
العامرة فرادده وناقشوه
وهو يهون و يقرب و يبعد
الى ان قالوا له نكتب للباشا
عرضحال وننتظر الجواب
فاجابهم الى ذلك من باب
المسايرة وانفض المجلس وشرع
الشيخ المهدي في ترصيف
العرضحال وكتبوه وختموا
عليه بعد امتناع البعض
الذي ليس له التزام وكثر اللغط فيهم بسبب ذلك (وفي خامسه) حضر جمع كثير من النساء الملتزمات الى الجامع

تسعون نهمة اضعفوا اذا مشى بحر القنطار فلا يمشى الا بهذا الرجال وهذه المنادة باشارة السيد محمد المحروقى

عليه حتى قتلوه وذكروا ذلك للملك الصالح وقد نسبوه الى الهجر وانه ليس له حكم وان سعد
الدين قد تحكم عليه واحتقره واستصغره وقتل وزيره ولم يزالوا به حتى قبض عليه
وكانت قلعة حارم لسعد الدين قد اقطعه اياها الملك الصالح فامتنع من بها بعد قبضه
وتحصنوا فيها فسير سعد الدين اليها تحت الاستظهار ليأمر اصحابه بتسليمها الى الملك
الصالح فامرهم بذلك فامتنعوا فعذب كمشتكين واصحابه يرونه ولا يرحمونه فمات في
العذاب واصر اصحابه على الامتناع والعصيان فلما رأى الفرنج ذلك ساروا الى حارم
من حماة في جمادى الاولى على ما ذكرناه ظنا منهم انهم لا ناصر لهم وان الملك الصالح صبي
قليل العسكر وصلاح الدين بمصر فاغتنموا هذه الفرصة ونازلوها واطالوا المقام عليها
مدة اربعة اشهر ونصبوا عليها المنجنيقات والسلالم فلم يزالوا كذلك الى ان بذل لهم
الملك الصالح مالا وقال لهم ان صلاح الدين واصل الى الشام وربما اسلم المتعلقون بها اليه
فاجابوا حينئذ الى الرحيل فلما رحلوا عنها سير اليها الملك الصالح جيشا فحصروها
وقد بلغ الجهد منهم بحصار الفرنج وصاروا كأنهم طلائح وكان قد قتل من اهلها وجرح
كثير فسلموا القلعة الى الملك الصالح فاستناب بها مملوكا كان لابيه اسمه سرخك

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في المحرم خطب للسلطان طغرل بن ارسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه
المقيم عند ايلدكز بهمذان وكان ابوه ارسلان قد توفي وفيها سابع شوال هبت ببغداد
ريح عظيمة فزلزلت الارض واشتد الامر على الناس حتى ظنوا ان القيامة قد قامت
فبقي ذلك ساعة ثم انجلت وقد وقع كثير من الدور ومات فيها جماعة كثيرة وفيها رابع
ذي القعدة قتل عضد الدين ابو الفرج محمد بن عبد الله بن هبة الله بن المظفر بن رئيس
الرؤساء ابي القاسم بن المسلمة وزير الخليفة وكان قد عزم على الحج فعبر دجلة ليسير وعبر
معه ارباب المناصب وهو في موكب عظيم وتقدم الى اصحابه ان لا يمنعوا عنه احدا فلما
وصل الى باب قطفتا لقيه كهل فقال انا مظلوم وتقدم ليسمع الوزير كلامه فضربه
بسكين في خاصرته فصاح الوزير قتلني ووقع من الدابة وسقطت عمامته فغطى رأسه
بكمه وضرب الباطني بسيف وعاد الى الوزير فضربه واقبل حاجب الباب ابن المعوج
لينصر الوزير فضربه الباطني بسكين وقيل بل ضربه رفيق كان للباطني ثم قتل
الباطني ورفيقه وكان لهما رفيق ثالث فصاح وبيده سكين فقتل ولم يعمل شيئا واحرقوا
ثلاثتهم وحمل الوزير الى داره هنالك وحمل حاجب الباب مجروحا الى بيته فمات هو
والوزير وحمل الوزير فدفن عند ابيه بتربة الرباط عند جامع المنصور وكان الوزير قد رأى في
المنام انه معانق عثمان بن عفان وحكى عنه ولده انه اغتسل قبل خروجه وقال هذا غسل
الاسلام وانا مقتول بلا شك وكان مولده في جمادى الاولى سنة اربع عشرة وخمسمائة وكان
ابوه استاذ دار المقتفي لامر الله فلما مات ولي هو مكانه فبقي كذلك الى ان مات المقتفي
فاقره المستنجد على ذلك ورفع قدره ثم ولي المستضيء فاستوزره وكان حافظا للقرآن سمع
الحديث وله معروف كثير وكانت داره مجمعا للعلماء وختمت اعماله بالشهادة وهو على

بسبب ما كان يقع من
تعطيل الاسباب (وفيه) سافر
محمود بك وصحبته المعلم غالي
للكشف عن قياس الاراضي
البحرية التي نزل اليها القياسون
بصحبة مباشريهم من النصارى
والمسلمين من وقت انحدار
الماء من الاراضي وانتشروا
بالاقاليم البحرية وهم
يقيسون بقصبة تنقص عن
القصبة القديمة (وفي يوم
الاثنين) تاسعه وصل حريم
الشريف غالب من السويس
فانزلوهن بيت السيد محمد
المحروقي وعدتهن خمسة
احداهن جارية بيضاء
والاربعة حبشيات ومعهن
جواري سود وداية وخصي
اليهم سيدهم وصحبته احد
اغاته وكتخدا بك وصحبتهم
نحو العشرين نفرا من العسكر
واستمر الجميع مقيمين
بمنزل المذكور وهو يجري
عليهم النفقات اللائقة بهم
والمصاريف وفصل لهم
كساوي من مقصبات
وكشميري وتفاصيل هندية
(وفي يوم السبت) رابع عشره
خرج محمد بك الى ناحية
الآثار بعساكره ليسافر من
ساحل القصير الى الحجاز
باستدعاء الباشا فاستمر
مقيما هناك مدة ايام فاتفق
الريح وارتحل في اواخره وفي
اوائل هذا الشهر بل والذي قبله علوا كورتينة في اسكندرية ودمياط

خبز اقتاتوا احضاره وامده معه وهو يبكى ويتمرغ على الارض ويشكو الجوع فلم يبق فينا الامن يبكى رحمة له وللناس فتغيمت السماء وجاءت نقط من المطر متفرقة فصيح الناس واستغاثوا ثم جاء الخبز فاكل التركمانى بعضه واخذ الباقى ومضى واشتد المطر ودام المطر من تلك الليلة

(ذكر غارات الفرنج على بلاد المسلمين)

فى هذه السنة فى ذى القعدة اجتمع الفرنج وساروا الى بلد دمشق مع ملكهم فاغاروا على اعمالها فنهبوها واسروا وقتلوا وسبوا فارسل صلاح الدين فرخشاه ولد اخيه فى جمع من العسكر اليهم وامره انه اذا قاربهم يرسل اليه يخبره على جناح طائر ليسير اليه وتقدم اليه ان يامر اهل البلاد بالانتزاح من بين يدى الفرنج فسار فرخشاه فى عسكره يطلبهم فلم يشعر الا والفرنج قد خالطوه فاضطر الى القتال فاقتتلوا اشد قتال رآه الناس والقى فرخشاه نفسه عليهم وغشى الحرب ولم يكله الى سواه فانهزم الفرنج ونصر المسلمون عليهم وقتل من مقدميهم جماعة منهم هنفرى وما ادراك ما هنفرى كان يضرب به المثل فى الشجاعة والراى فى الحرب وكان بلاء صبه الله على المسلمين فاراح الله من شره وقتل غيره من اضرابه ولم يبلغ عسكر فرخشاه الف فارس وفيها ايضا اغار البرنس صاحب انطاكية ولاذقية على شيزر المسلمين بشيزر واخذه واغار صاحب طرابلس على جمع كثير من التركمان فاجحف بهم والهم وكان صلاح الدين على بانياس على ما نذكره ان شاء الله فسير ولد اخيه تقى الدين عمر الى حماة وابن عمه ناصر الدين محمد ابن شيركوه الى حمص وامرهما بحفظ البلاد وحياطة اطرافها من العدو رحمهم الله تعالى

(ذكر عدة حوادث)

ليلة النصف من ربيع الآخر انكسف القمر نحو ثلث الليل الاخير وغاب منكسفا وفيها ايضا فى التاسع والعشرين انكسفت الشمس وقت العصر فغربت منكسفة وفى هذه السنة فى شعبان توفى الحيص بيص الشاعر واسمه سعد بن محمد بن سعد ابو الفوارس وكان قد سمع الحديث ومدح الخلفاء والسلاطين والاكابر وشعره مشهور فمن قوله

كلما اوسعت حلمى جاهلا • اوسع الفحش لمخشى المقال
واذا شاورته فهت بها • صبغت من الدماء والشمال
لا تلمنى فى شقائى بالعلا • رغد العيش لربات الحجال
سيف عز زانه رونقه • فهو بالطبع غنى عن صقال

وفى المحرم ماتت شهدة بنت احمد بن عمر بن الابرى وسمعت الحديث من السراج وطراد وغيرهما وعمرت حتى قاربت مائة سنة وسمع عليها الخلق الكثير الحديث لعلو اسنادها

(ثم دخلت سنة خمس وسبعين وخمسمائة)

(ذكر تخريب الحصن الذى بناه الفرنج عند مخاضة الاحزان)

حسن اغا مصنرم المعروف بغبانى من اقليم النوبية وهو من بعض ونوفى فى ثانى يوم ودفن (وفى خامس عشره) من الاغا والوالى واغات التبديل وهم يامرون الناس بكنس الاسواق ورشها الا فى ذلك الوقت من غير تاخير فانزعج الناس ونزلوا من حوانيتهم وبايديهم المكانس يكنسون بها تحت حوانيتهم ثم يرشونها (وفى تاسع عشره) حضر الشريف عبد الله ابن الشريف سرور وارسله الباشا الى مصر من ناحية القصير منفيا من ارض الحجاز فانزلوه بمنزل احمد اغا الذى كتخدا بك حجروا عليه ولم يجتمع بعمه ولم يره (وفيه) كثر الطلب للريال الفرانسه بسبب احتياج دار الضرب وما يرسل الى الباشا من ذلك والزموا التجار باحضار جملة من ذلك وياخذون بدلها قروشا فوزعوا مقادير على افرادهم بما يخصه وجمعوا ما قدروا عليه منها (وفيه) شنق شخص يسمى صالحا عند باب زويلة واستمر معلقا يومين وسبب ذلك انه يدعى الجذب والولاية وتزوج بامراة واخذ متاعها وما لها وحصل لها خلل فى عقلها فانهوا امره الى كتخدا بك فامر بحبسه واستخلصوا منه ما باعها واخذه من متاع المراة وكثر كلام الناس فى حقه فامر الكتخدا بشنقه (وفى اواخره) حضر ابراهيم بك ابن الباشا من الجهة القبلية ونزل بالبيت الذى اشتراه بناحية الجمالية بدرب الدليل و

جمعهم من الفرسان والرجالة متعلقي الثوب والغارة فشنوا الغارة ونهبوا وخربوا
القرى واحرقوا وأسروا وقتلوا فلما سمع العسكر المقيم بحماة ساروا اليهم وهم قليل
متوكلين على الله تعالى فالتقوا واقتتلوا وصدق المسلمون القتال فنصرهم الله تعالى
وانهزم الفرنج وكثر القتل والاسر فيهم واستردوا ما غنموه من السواد وكان صلاح
الدين قد عاد من مصر الى الشام في شوال من السنة المتقدمة وهو نازل بظاهر حمص
فحملت الرؤس والاسرى والاسلاب اليه فامر بقتل الاسرى فقتلوا

(ذكر عصيان ابن المقدم على صلاح الدين وحصر بعلبك وأخذ البلاد منه)

في هذه السنة عصى شمس الدين محمد بن عبد الملك المقدم على صلاح الدين ببعلبك
وكانت له قد سلمها اليه صلاح الدين لما فتحها جزاء له حيث سلم اليه ابن المقدم دمشق
على ما سبق ذكره فلم تزل بيده الى الآن فطلب شمس الدولة محمد بن أيوب أخو صلاح
الدين منه بعلبك وألح عليه في طلبها لانه ربي بها ومنشاه كان بها وكان يحبها ويختارها
على غيرها من البلاد وكان الاكبر فلم يمكن صلاح الدين مخالفته فأمر شمس الدين
بتسليمها الى أخيه ليعوضه عنها فلم يجب الى ذلك وذكر العهود التي له وما اعتمده
معه من تسليم البلاد اليه فلم يصغ اليه وألح في أخذها وسار ابن المقدم اليها واعتصم
بها فوجه اليه صلاح الدين عسكرا وحصره بها مدة ثم رحل عنها من غير أن يأخذها
وترك عليه عسكرا يحصره فطال عليه الحصار أرسل الى صلاح الدين يطلب العوض
عنها ليسلمها اليه فعوضه عنها وسلمها فاقطعها صلاح الدين أخاه شمس الدولة

(ذكر الغلاء والوباء العام)

في هذه السنة انقطعت الامطار بالكلية في سائر البلاد الشامية والجزرية والعراقية
والديار البكرية والموصل وبلاد الجبل وخلاط وغير ذلك واشتد الغلاء وكان عاما في
سائر البلاد فبيعت الغرارة الحنطة بدمشق وهي اربعة عشر مكوكا بالموصل بعشرين
دينارا صوريا بدمشق وكان الشعير بالموصل كل ثلاثة مكاكي بدينار أميري وفي سائر
البلاد ما يناسب ذلك واستسقى الناس في اقطار الارض فلم يسقوا وتعذرت الاقوات
وأكلت الناس الميتة وما لا يحل أكلها ودام كذلك الى آخر سنة خمس وسبعين ثم تبعه بعد ذلك
وباء شديد عام أيضا كثر فيه الموت وكان مرض الناس شيئا واحدا وهو البرسام
وكان الناس لا يلحقون يدفنون الموتى الا أن بعض البلاد كان أشد من البعض ثم ان
الله تعالى رحم العباد والبلاد والدواب وأرسل الامطار وأرخص الاسعار ومن عجيب
ما رأيت انني قصدت رجلا من العلماء الصالحين بالجزيرة لأسمع عليه شيئا من
حديث النبي صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان سنة خمس وسبعين والناس في أشد
ما كانوا غلاء وقنوطا من الامطار وقد توسط الربيع ولم يجئ قطرة واحدة من
المطر فبينما انا جالس ومعي جماعة ننتظر الشيخ واذ قد أقبل انسان تركماني قد أثر
عليه الجوع وكأنه قد أخرج من قبر فبكى وشكا الجوع فأرسلت من يشتري له

الأزهر وصرخوا في وجوه الفقهاء وأبطلوا الدروس وبددوا عمائمهم وأوراقهم فتفرقوا وذهبوا الى دورهم
وكان قد اجتمع معهم الكثير
من العامة واستمروا في هرج
الى بعد العصر ثم جاءهم
من يقول لهم كلاما كذبا
سكن به حدتهم فانفض الجمع
وذهب النساء وهن يقلن
نأتي في كل يوم على هذا
المنوال حتى يخرجوا الناس من
حصصنا ومعايشنا وأرزاقنا
وفي ظن الناس وغفلتهم ان
في الامام بقية أو انهم يدفعون
الرزية وما علموا ان البساط
قد انطوى وكل قد ضل
وأضل وغوى ومال عن
الصراط واتبع الهوى وكلب
الجور قد كشر أنيابه وعوى
ولم يجد له طاردا ولا معارضا
ولا منتقدا ولما وصل الخبر الى
كتخدا بك طلب بعض المشايخ
وقال له ما خبر هذه الجمعية
بالازهر فقال له بسبب ما بلغهم
من قطع معاشهم ثم قال ومن
قطع معاشهم وأغاتم الذين
تسلطونهم على هذه الفعال
لاغراضكم ولابد أني استخبر
على من أثار اهم واثر جهة
حقه وطلب على أغا الوالي
وقال له اخبرني عن هؤلاء
النساء من أي البيوت فقال
وما علي ومن غيرهن وغالبهن
وأكثرهن من نساء العساكر ولا
قدرة لي على منعهن وانفض
المجلس وبردت همتهم وانكمشوا
وشرعوا في تنفيذ ما أرادوه
وترتيبه وتنظيمه (وفيه) حضر محمود بيك والامير علي لاقطاعا اباما وسافر في ثالث عشره (وفيه) احضروا

خبرا

فيه النار فسقط يوم الخميس لست بقين من ربيع الاول ودخل المسلمون الحصن عنوة وأسروا كل من فيه واطلقوا من كان به من اسارى المسلمين وقتل صلاح الدين كثيرا من اسرى الفرنج وأدخل الباقين الى دمشق فسجنوا وأقام صلاح الدين بمكانه حتى هدم الحصن وعفى اثره والحقه بالارض وكان قد بذل للفرنج ستين الف دينار مصرية ليهدموه فلم يفعلوا ظنا منهم انه اذا بقي بناؤه تمكنوا به من كثير من بلاد الاسلام واما الفرنج فاجتمعوا بطبرية ليجيروا الحصن فلما اتاهم الخبر باخذه فت في اعضادهم فتفرقوا الى بلادهم واكثر الشعراء فيه فمن ذلك قول صديقنا النشو بن نفادة رحمه الله

هلاك الفرنج اتى عاجلا * وقد آن تكسير صلبانها
ولو لم يكن قد دنا حتفها * لما عمرت بيت احزانها

وقول علي بن محمد الساعاتي الدمشقي

أتسكن اوطان النبيين عصبة * تمين لدى ايمانها وهي تحلف
نصحتكم والنصح للدين واجب * ذروا بيت يعقوب فقد جاء يوسف

(ذكر الحرب بين عسكر صلاح الدين وعسكر قلج ارسلان)

في هذه السنة كان الحرب بين عسكر صلاح الدين يوسف بن أيوب ومقدمهم ابن أخيه تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب وبين عسكر الملك قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان صاحب بلاد قونية واقصرا وسببها ان نور الدين محمود بن زنكي بن آقسنقر رحمه الله كان قد أخذ قديما من قلج ارسلان حصن رعبان وكان بيد شمس الدين بن المقدم الى الآن فطمع فيه قلج ارسلان بسبب ان الملك الصالح بحلب بينه وبين صلاح الدين فأرسل اليه من يحصره فاجتمع عليه جمع كثير يقال كانوا عشرين ألفا فارسل اليهم صلاح الدين تقي الدين في ألف فارس فواقعهم وقاتلهم وهزمهم وأصلح حال تلك الولاية وعاد الى صلاح الدين ولم يحضر معه حرب حصن الاحزان فكان يفتخر ويقول هزمت بألف مقاتل عشرين ألفا

(ذكر وفاة المستضيء بامر الله وخلافة الناصر لدين الله)

في هذه السنة في ثاني ذي القعدة توفي الامام المستضيء بامر الله امير المؤمنين ابو محمد الحسن بن يوسف المستنجد رضي الله عنه وامه ام ولد ارمنية تدعى غضة وكانت خلافته نحو تسع سنين وسبعة اشهر وكان مولده سنة ست وثلاثين وخمسمائة وكان عادلا حسن السيرة في الرعية كثير البذل للاموال غير مبالغ في اخذ ما جرت العادة باخذه وكان الناس معه في امن عام واحسان شامل وطمأنينة وسكون لم يروا مثله وكان حليما قليل المعاقبة على الذنوب محبا للعفو والصفح عن المذنبين فعاش حميدا ومات سعيدا رضي الله عنه فلقد كانت ايامه كما قيل

كأن ايامه من حسن سيرته * مواسم الحج والاعياد والجمع

واستعجال المطلوبات من الاموال وغيرها (وفيه) قبضوا على اليهود المردين الذين يوردون الذهب والفضة لدار الضرب بسبب انحصار الفرانسة وقد قلت بايدي الناس جدا لكثرة اخذها والطلب لها وانقطاع مجيئها من بلادها فحبسوهم وضربوهم ونزلوا في اشواطال متحيرين وذلك ان راتب الفرنسة كان سبعة آلاف في كل يوم عنها ثلاثة وستون ألف درهم وقدرها الآن ثلاثة من الصناع يضربون ذلك قروشا حتى بلغ سعر الصاغة الفرانسة مائة وعشرين نصفا فضة (وفي تاسعه) حضر محمود بك الدويدار والمعلم غالي من سرحتهما الى مصر وهما المتأمران على مباشرة قياس الاراضي وتحصيل المال المفروض وسبب حضورهما ان ابراهيم باشا ارسل بطلبهما للحضور ليتشاور معهما في امر فاقاما بعد ايام وعادا راجعين الى شغلهما (وفي منتصفه) سافر ابراهيم باشا عائدا الى اسيوط وذهب بصحبته اخوه اسمعيل باشا والبيكات الصغار خوفا وهروبا من الطاعون (وفيه) كمل تعمير الجامع الذي عمره دبوس اوغلي الذي بقرب داره التي بقنطرة العدة وهو جامع جوهر العيني وكان قد خرب فهدمه جميعه وانشأه وزخرفه ونقل لعمارته انقاضا كثيرة واخشابا ورخاما من بيت ابي الشوارب وعمل به منبرا بديع الصنعة واستخلص جهة اوقافه لنفسه ناواها كن

كان الفرنج قد بنوا حصنا منيعا يقارب بانياس عند بيت يعقوب عليه السلام بمكان
يعرف بمخاضة الاحزان فلما سمع صلاح الدين بذلك سار من دمشق الى بانياس واقام
بها وبث الغارات على بلاد الفرنج ثم سار الى الحصن وحصره ليخبره ثم يعود اليه عند
اجتماع العساكر فلما نازل الحصن قاتل من به من الفرنج ثم عاد عنه فلما دخلت سنة
خمس وسبعين لم يفارق بانياس بل اقام بها وخيله تغير على بلاد العدو وارسل جماعة
من عسكره مع جالبي الميرة فلم تشعر الا والفرنج مع ملكهم قد خرجوا عليهم فارسلوا الى
صلاح الدين يعرفونه الخبر فسار في العساكر مجدا حتى وافاهم وهم في القتال فقاتل
الفرنج قتالا شديدا وحملوا على المسلمين عدة حملات كادوا يزيلونهم عن مواقفهم
ثم انزل الله نصره على المسلمين وهزم المشركين وقتلت منهم مقتلة كثيرة ونجا ملكهم
فريدا واسر منهم كثير منهم ابن بيرزان صاحب الرملة ونابلس وهو اعظم الفرنج محلا
بعد الملك واسروا ايضا اخا صاحب جبيل وصاحب طبرية ومقدم الداوية ومقدم
الاسبتارية وصاحب جينين وغيرهم من مشاهير فرسانهم وطواغيتهم فاما ابن بيرزان
فانه فدى نفسه بمائة الف وخمسين الف دينار صورية واطلاق الف اسير من المسلمين
وكان اكثر العمل في هذا اليوم لعز الدين فرخشاه ابن اخي صلاح الدين وحكى عنه
انه ذكر في تلك الحال بيتي المتنبي وهما

فان تكن الدولات قسما فانها * لمن ورد الموت الزؤام تدول
ومن هون الدنيا على النفس ساعة * وللبيض في هام الكماة صليل

فهان الموت في عيني فالقيت نفسي اليه وكان ذلك سبب الظفر ثم عاد صلاح الدين
الى بانياس من موضع المعركة وتجهز للدخول الى ذلك الحصن ومحاصرته فسار اليه في
ربيع الاول واحاط به وقوى طمعه بالهزيمة المذكورة في فتحه وبث العساكر في بلد
الفرنج للاغارة ففعلوا ذلك وجمعوا من الاخشاب والزرجون شيئا كثيرا ليجعله متارس
للمنجنيقات فقال له جاولي الاسدي وهو مقدم الاسدية ومن اكابر الامراء الرأي اننا
نجربهم بالزحف اول مرة وننظر قتال من به وننظر الحال معهم فان استضعفناهم والا
نصبنا المنجنيقات فانها لا تفوت فقبل رايه وامر فنودي بالزحف اليه والجد في قتاله فزحفوا
واشتد القتال وعظم الامر فصعد انسان من العامة في باشورة الحصن
وقاتل على السور لما علاه وتبعه غيره من اضرابه ولحق بهم الجند فملكوا الباشورة
فصعد الفرنج حينئذ منها الى اسوار الحصن ليحموا نفوسهم وحصنهم الى ان ياتيهم
المدد وكان الفرنج قد جمعوا بطبرية فقاتلهم المسلمون في قتال الحصن خوفا من وصول
الفرنج اليهم وازاحتهم عنه فلما ادركهم الليل امر صلاح الدين بالمبيت بالباشورة الى
الغد ففعلوا فلما كان الغد اصبحوا نقبوا الحصن وعمقوا النقب واشعلوا النيران
فيه وانتظروا سقوط السور فلم يسقط لعرضه فانه كان تسعة اذرع بالنجاري يكون
الذراع ذراعا ونصفا فانتظروه يومين فلم يسقط فامر صلاح الدين باطفاء النار التي في
النقب فحمل الماء والقي عليها فطفئت وعاد النقابون فنقبوا وخرقوا السور والقوا

يوت احمد بن محرم * (واستهل
حضر مبشر اغا من ناحية
الحجاز بسلام من عند الباشا
باستهلال حسن باشا المنصور
الى الحجاز وكان قبل ذلك بايام
ارسل يطلب سبعة آلاف
عسكري وسبعة آلاف كيس
فشرع كتخدا بك في استكتاب
اشخاص من اخلاط العالم
ما بين مغاربة وصعايدة وفلاحي
القرى فكان كل من ضاق
به الحال في معاشه يذهب
و يعرض نفسه فيكتبونه وان
كان وجيها جعلوه اميرا على
مائة او مائتين و يعطيه اكياسا
يفرقها في اتباعه و يشترى
فرسا وسلاحا و يتقلد بسيف
وطبنجات و كذلك اتباعه
و يلبسون قناطيش ولباسا
مثل لبس العسكر و يعلق له
وزنيا رودحت ابطه و ياخذ
على كتفه بندقية و يمشون
امام كبيرهم مثل الموكب
وفيهم اشخاص من الفعلة
الذين يستعملون في شيل
التراب والطين في العمائر
و برابرة وارسل الكتخدا الى
الفيوم وغيرها بطلب رجال
من امثال ذلك وجمعوا الكثير
من ارباب الصنائع مثل
الخبازين والفرانين والنجارين
والحدادين والبيطارين وغيرهم
من ارباب الصنائع و يحبسونهم
قهرا فاغلق الفرانون مخابزهم
وتعطل خبيز خبز الناس اياما
(وفيه) وورد الطلب لحسن باشا فشرع في تشهيل احواله ولوازم سفره ثم حضر مبشر اغا باشه بجماله

فيه

الحق بن عبد الخالق بن يوسف سمع الحديث ورواه وهو من بيت الحديث والقاضي عمر بن علي بن الخضر ابو الحسن الدمشقي سمع الحديث ورواه وولي قضاء الحريم وعلي بن احمد اليزيدي سمع الحديث الكثير وله وقف كتب كثيرة ببغداد وكان زاهدا خيرا صالحا ومحمد بن علي بن حمزة بن علي الاقساسي نقيب العلويين بالكوفة وكان ينشد كثيرا

رب قوم في خلائقهم * عرر قد صيروا غررا
ستر المال القبيح لهم * سترى ان زال ما سترا

ومحمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن سديد الدولة الانباري كاتب الانشاء بعد أبيه وأبو الفتوح نصر بن عبد الرحمن الدامغاني الفقيه كان مناظرا حسن المناظرة كثير العبادة ودفن عند قبر أبي حنيفة

(ثم دخلت سنة ست وسبعين وخمسمائة)

(ذكر وفاة سيف الدين صاحب الموصل وولاية أخيه عز الدين بعده)

في هذه السنة ثالث صفر توفي سيف الدين غازي بن مودود بن زنكي صاحب الموصل وديار الجزيرة وكان مرضه السل وطال به ثم أدركه في آخره برسام ومات ومن عجيب ما يحكى ان الناس خرجوا سنة خمس وسبعين يستسقون لانقطاع الغيث وشدة الغلاء وخرج سيف الدين في موكبه فثار به الناس وقصدوه بالاستغاثة وطلبوا منه ان يأمر بالمنع من بيع الخمر فأجابهم الى ذلك فدخلوا البلد وقصدوا اماكن الخمارين وخربوا أبوابها ودخلوها ونهبوها واراقوا ما بها من خمور وكسروا الظروف وعملوا ما لا يحل فاستغاث اصحاب الدور الى نواب السلطان وخصوا بالشكوى رجلا من الصالحين يقال له ابو الفرج الدقاق ولم يكن له في الذي عملته العامة من النهب وما لا يجوز فعله انما هو اراق الخمور ونهى العامة عن الذي يفعلونه فلم يسمعوا منه فلما شكى الخمارون منه احضر بالقلعة وضرب على راسه فسقطت عمامته فلما اطلق لينزل من القلعة نزل مكشوف الراس فارادوا تغطيته بعمامته فلم يفعل وقال والله لا غطيت راسي حتى ينتقم الله لي ممن ظلمني فلم يمض غير ايام حتى توفي الدزدار الذي تولى اذاه ثم تبعه مرض سيف الدين واستمر الى ان مات وعمره حينئذ نحو ثلاثين سنة وكانت ولايته عشر سنين وثلاثة أشهر وكان حسن الصورة مليح الشباب تام القامة أبيض اللون وكان عاقلا وقورا قليل الالتفات اذا ركب واذا جلس عفيفا لم يذكر عنه ما ينافي العفة وكان غيورا شديد الغيرة لا يدخل دوره غير الخدم الصغار فاذا كبر احدهم منعه وكان لا يحب سفك الدماء ولا أخذ الاموال على شح فيه وجبن ولما اشتد مرضه اراد ان يعهد بالملك لابنه معز الدين سنجر شاه وكان عمره حينئذ اثنتي عشرة سنة فخاف على الدولة من ذلك لان صلاح الدين يوسف بن أيوب كان قد تمكن بالشام وقوي أمره وامتنع أخوه عز الدين مسعود بن مودود من الاذعان لذلك والاجابة اليه فأشار الامراء الاكابر ومجاهد الدين قايماز بان يجعل الملك بعده في عز الدين أخيه لما هو

واحتياجات وجمال والذي أخبر به المخبرون عن الباشا وعساكره ان طوسون بك أو عابدين بك ركبوا بعساكرهم على ناحية تربة التي بها المرأة التي يقال لها الغالية فوقعت بينهم حروب ثمانية ايام ثم رجعوا منهزمين ولم يظفروا بطائل ولان العربان تغيرت طباعهم من الباشا لما حصل منه في حق الشريف من القبض عليه وهاجر الكثير من الاشراف وانضموا الى الاخصام وتفرقوا في النواحي ومنهم شخص يقال له الشريف راجح فاتى من خلف العسكر وقت قيام الحرب وحاربهم ونهب الذخيرة والاحمال وقطع عنهم المدد واخبروا ان الجمال قل وجودها عند الباشا وشحتها من العربان الملتزمين له باغلى ثمن واخبروا ايضا انه وقع بالحرمين غلاء شديد لقلة الجالب واحتكار الباشا للغلال الواصلة اليه من مصر فيبيعه حتى على عسكره باغلى ثمن مع التضييق على المسافرين والحجاج في استصحابهم شيئا من الحب والدقيق فيفتشون متاعهم في السويس ويأخذون ما يجدونه معهم مما يتزودون به في سفرهم من القمح أو الدقيق وما يكون معهم من القرانسة لنفقتهم واعطوهم بدلها من القروش (وفيه) بلغ صرف الريال الفرانسة من الفضة العددية ثمانية وعشرين نصفا ثم ثمانية قروش والمخفض عشرون قرشا وقل وجوده

وو زراؤ ومنهم عضد الدين ابو الفرج بن رئيس الرؤساء الى ان قتل في ذي القعدة سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة ولما قتل حكم في الدولة ظهير الدين ابو بكر منصور بن نصر المعروف بابن العطار وكان خيرا حسن السيرة كثير العطاء وتمكن تمكنا كثيرا فلما مات المستضيء قام ظهير الدين بن العطار في أخذ البيعة لولده الناصر لدين الله أمير المؤمنين فلما تمت البيعة صار الحاكم في الدولة استاذ الدار مجد الدين أبا الفضل بن الصاحب وفي سابع ذي القعدة قبض على ابن العطار ظهير الدين ووكل عليه في داره ثم نقل الى التاج وقيد ووكل به وطلبت ودائعه وأمواله وفي ليلة الاربعاء ثامن عشر ذي القعدة اخرج ميتا على رأس حمال سرا فغمز به بعض الناس فثار به العامة فألقوه عن رأس الحمال وكشفوا سوأته وشدوا في ذكره حبلا وسحبوه في البلد وكانوا يضعون بيده مغرفة يعني انها قلم وقد غمسوها في العذرة ويقولون وقع لنا يا مولانا الى غير هذا من الافعال الشنيعة ثم خلص من أيديهم ودفن هذا فعلهم به مع حسن سيرته فيهم وكفه عن اموالهم واعراضهم وسيرت الرسل الى الآفاق لأخذ البيعة فسير صدر الدين شيخ الشيوخ الى البهلوان صاحب همذان واصفهان والري وغيرها فامتنع من البيعة فراجعه صدر الدين وأغلظ له في القول حتى انه قال لعسكره في حضرته ما هذا عليكم طاعة ما لم يبايع أمير المؤمنين بل يجب عليكم ان تخلعوه من الامارة وتقاتلوه فاضطر الى البيعة والخطبة وأرسل رضي الدين القزويني مدرس النظامية الى الموصل لأخذ البيعة فبايع صاحبها وخطب للخليفة الناصر لدين الله في السنة

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة هبت ريح سوداء مظلمة بالديار الجزرية والعراق وغيرها وعمت اكثر البلاد من الظهر الى ان مضى من الليل ربعه وبقيت الدنيا مظلمة لا يكاد الانسان يبصر صاحبه وكنت حينئذ بالموصل فصلينا الظهر والمغرب والعشاء الآخرة على الظن والتخمين وأقبل الناس على التضرع والتوبة والاستغفار وظنوا ان القيامة قد قامت فلما مضى مقدار ثلث الليل زال ذلك الظلام والعتمة التي غشت السماء فنظرنا فرأينا النجوم فعلمنا مقدار ما مضى من الليل لأن الظلام لم يزد بدخول الليل وكان كل من يصل من جهة من الجهات يخبر بمثل ذلك وفيها في ذي القعدة نزل شمس الدولة اخو صلاح الدين عن بعلبك وطلب عوضا عنها الاسكندرية فأجابه صلاح الدين الى ذلك واقطع بعلبك لعز الدين فرخشاه ابن اخيه فسار اليها وجمع اصحابه وأغار على بلاد الفرنج حتى وصل الى قلعة صفد وهي مطلة على طبرية فسبى وأسر وغنم وخرب وفعل في الفرنج الافاعيل العظيمة واما شمس الدولة فانه سار الى مصر وأقام بالاسكندرية واذا اراد الله ان يقبض رجلا بارض جعل له اليها حاجة فانه اقام بها الى ان مات بها وفيها أذن بالجامع الذي بناه مجاهد الدين قايماز بظاهر الموصل من جهة باب الجسر الفراغ واقيمت فيه الصلوات الخمس والجمعة وهو من احسن الجوامع وفيها توفي احمد بن عبد الرحمن الصوفي شيخ رباط الزوزني وسمع الحديث وكان يصوم الدهر وعبد

من واشق البلد (وفيه) ارسلوا جملة اخشاب الى الحجاز مطلوبة الى الباشا (وفيه) ايضا طلبوا على سكان الجيزة بالخروج منها بعد عصر يوم السبت ومن لا يريد الخروج فلا يخرج بعد ذلك ومن خرج فلا يدخل واعطوهم الى الغروب فخرجوا بامتعتهم وامتعة لم يجدوا ولا دهموا وانهم الى خارج البلد وبات الاكثر منهم تحت السماء لضيق الوقت على الرحيل الى بلدة اخرى وخرج ايضا الكثير من عساكرهم واتباعهم ممن لا يريد المقام والحبس فكانوا كلما وجدوا من حمل متاعه من اهل البلد على حمار ليذهب الى جهة يستقر بها رموا به الى الارض واخذوا الحمار وحصل لاهل الجيزة في تلك الليلة ما لا مزيد عليه من الكرب والجلاء عن اوطانهم وكل ذلك بمجرد وهم معرة لهم وجود الطاعون الا النزر اليسير (وفي ثالث عشرينه) سافرت خزينة المال المطلوبة الى الباشا الى جهة السويس واصحبوا معها عدة كبيرة من عسكر الدلاة لخفارتها وقدرها الفان وخمسمائة كيس جميعها قروش

(شهر جمادى الاولى سنة ۱۲۳۳)

(استهل بيوم الجمعة) في ثالثه خرج حسن باشا بعساكره ونزل بوطاقه وخيامه التي نصبت له بالعادلية قبل خروجه بيومين (وفي رابعه) وصلت هجانة من ناحية الحجاز بطلب حسين بك دالى باشا واخشاب

الحق

القلزم المراكب القصير التي تحملهم الى الحجاز (وفي سادس عشره)

وصلت قافلة وفيها التجار من اهل مكة والمدينة وصحبتهم بضائع تجارة بن والقهوة وبياض شيء كثير وقد اتت الى جدة من تجارات الشريف غالب ولم يبلغهم خبر الشريف غالب وما حصل له فلما حضروا وضع الباشا يده عليه جميعه وارسله الى مصر فتولى ذلك السيد محمد المحروقي وفرقها على التجار بالثمن الذي قدره عليهم والزمهم ان لا يبيعوه الا بما رسمه (وفي هذا الشهر) وصل الخبر بموت الشيخ مسعود كبير الوهابية وتولى مكانه ابنه عبد الله (وفيه) خرج طائفة الانكليز والاقباط والاروام والنصارى والجامكية وذهب الجميع الى جزيرة شلقان ابصروا ادطار على الروك الذي واكومن قياس الاراضي وزيادة الاطيان وبعد ذلك الكثير من الفلاحين واهالي الارياف وتركوا اوطانهم وزروعهم وعالهم هذا الواقع لكونهم لم يعتادوه وبالقوة وباعوا مواشيهم ودفعوا المغارم والمقاسم التي طلع عليهم في الزيادات السابقة ويعودون مثل الكلاب ويعتادون طرح الاحباب واما الملتزمون فبقوا حيارى بالحيرة وارتفع ايدي تصرفهم في حصصهم ولا يدرون عاقبة امرهم منتظرين ما يحررونه وارادات الحادرهم يخرجون من عزم زرع ومالهم الى ان اذن لهم الكتخدا بذلك وذهب لهم اوقاتا ويرجعوا بانفسهم

واحسب أن أحداً ما راجعك بهذا أما يعلمون ان الامر كذا ثم احسب ان قلج ارسلان مات وخلف ابنته قد ارسلتني اليك تستجيرك وتسألك ان تنصفها من زوجها فان فعلت فهو الظن بك ان لا تردها فقال والله الحق بيدك وان الامر لكما تقول ولكن هذا الرجل دخل علي واستجار بي ويقبح بي تركه لكنك أنت اجتمع به واصلح الحال بينكم على ما تحبون وانا اعينكم عليه واقبح فعله ووعد من نفسه بكل جميل فاجتمع الرسول وصاحب الحصن وتردد القول بينهم فاستقر ان صاحب الحصن يخرج المغنية عنه بعد سنة وان كان لا يفعل ينزل صلاح الدين عن نصرته ويكون هو وقلج ارسلان عليه واصطلحوا على ذلك وعاد صلاح الدين عنه الى الشام وعاد نور الدين الى بلاده فلما انقضت المدة اخرج نور الدين المغنية عنه فتوجهت الى بغداد واقامت بها الى ان ماتت

﴿ذكر قصد صلاح الدين بلد ابن ليون الارمني﴾

وفيها قصد صلاح الدين بلد ابن ليون الارمني بعد فراغه من امر قلج ارسلان وسبب ذلك ان ابن ليون الارمني كان قد استمال قوما من التركمان وبذل لهم الاموال فامرهم ان يرعوا مواشيهم في بلاده وهي بلاد حصينة كلها حصون منيعة والدخول اليها صعب لانها مضايق وجبال وعرة ثم غدر بهم وسبى حريمهم واخذ اموالهم واسر رجالهم بعد ان قتل منهم من حان اجله ونزل صلاح الدين على النهر الاسود وبث الغارات على بلاده فخاف ابن ليون على حصن له على رأس جبل ان يؤخذ فخربه واحرقه فسمع صلاح الدين بذلك فاسرع السير اليه فادركه قبل ان ينقل ما فيه من ذخائر واقوات فغنمها وانتفع المسلمون بما غنموه فارسل ابن ليون يبذل اطلاق من عنده من الاسرى والسبي واعادة اموالهم على ان يعودوا عن بلاده فاجابه صلاح الدين الى ذلك واستقر الحال واطلق الاسرى واعيدت اموالهم وعاد صلاح الدين عنه في جمادى الآخرة

﴿ذكر ملك يوسف بن عبد المؤمن مدينة قفصة بعد خلاف صاحبها عليه﴾

في هذه السنة سار ابو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الى افريقية وملك قفصة وكان سبب ذلك ان صاحبها علي بن المعتز المعتز لما رأى دخول الترك الى افريقية واستيلاءهم على بعضها وانقياد العرب اليهم طمع ايضا في الاستبداد والانفراد عن يوسف وكان في طاعته فاظهر ما في نفسه وخالفه واظهر العصيان ووافقه اهل قفصة وقتلوا كل من كان عندهم من الموحدين اصحاب ابي يعقوب وكان ذلك في شوال سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة فارسل والي بجاية الى يوسف بن عبد المؤمن يخبره باضطراب امور البلاد واجتماع كثير من العرب الى قراقوش التركي الذي دخل الى افريقية وقد تقدم ذكر ذلك وما جرى في قفصة من قتل الموحدين وموافقة اهل قفصة صاحبهم على ذلك فشرع في سد الثغور التي يخافها بعد مسيره فلما فرغ من جميع ذلك تجهز

عليه من كبر السن والشجاعة والعقل وقوة النفس ولم يعطِ ابنيه بعض البلاد
ويكون مرجعهما الى عز الدين عمهما والمتولى لامرهما مجاهد الدين قايماز ففعل ذلك
وجعل الملك فى اخيه واعطى جزيرة ابن عمر وقلاعها لولده سنجرشاه وقلعة عقر
الحميدية لولده الصغير ناصر الدين كسك فلما توفى سيف الدين ملك بعده الموصل
والبلاد اخوه عز الدين وكان المدبر لدولته مجاهد الدين وهو الحاكم فى الجميع
واستقرت الامور ولم يختلف اثنان

(ذكر مسير صلاح الدين لحرب قلج ارسلان)

فى هذه السنة سار صلاح الدين يوسف بن ايوب من الشام الى بلاد قلج ارسلان بن
مسعود بن قلج ارسلان وهى ملطية وسيواس وما بينهما وقونية ليحاربه وسبب ذلك ان
نور الدين محمد بن قرا ارسلان بن داود صاحب حصن كيفا وغيره من ديار بكر كان
قد تزوج ابنة قلج ارسلان المذكور وبقيت عنده مدة ثم انه احب مغنية فتزوجها ومال
اليها وحكمت فى بلاده وخزائنه واعرض عن ابنة قلج ارسلان وتركها نسيا منسيا فبلغ
اباها الخبر فعزم على قصد نور الدين واخذ بلاده فارسل نور الدين الى صلاح الدين
يستجير به ويسأله كف يد قلج ارسلان عنه فارسل صلاح الدين الى قلج ارسلان فى
المعنى فاعاد الجواب انى كنت قد سلمت الى نور الدين عدة حصون تجاور بلاده لما
تزوج ابنتى فحيث آل الامر معه الى ما يعلمه فانا اريد ان يعيد الى ما اخذ منى وترددت
الرسل بينهما فلم يستقر حال فتهادن صلاح الدين الفرنج وسار فى عساكره وكان
الملك الصالح اسمعيل بن نور الدين محمود بحلب فتركها ذات اليسار وسار على تل باشر الى
رعبان فاتاه بها نور الدين محمد واقام عنده فلما سمع قلج ارسلان بقربه منه ارسل اليه
اكبر امير عنده يقول له ان هذا الرجل فعل مع ابنتى كذا ولا بد من قصد بلاده
وتعريفه محل نفسه فلما وصل الرسول واجتمع بصلاح الدين وادى الرسالة امتعض
صلاح الدين لذلك واغتاظ وقال للرسول قل لصاحبك والله الذى لا اله الا هو لئن
لم يرجع لاسيرن الى ملطية وبينى وبينها يومان ولا انزل عن فرسى الا فى البلد ثم اقصد
جميع بلاده وآخذها منه فرأى الرسول امرا شديدا فقام من عنده وكان قد رأى العسكر
وما هو عليه من القوة والتجمل وكثرة السلاح والدواب وغير ذلك وليس عنده ما يقاربه
فعلم انه ان قصدهم اخذ بلادهم فارسل اليه من الغد يطلب ان يجتمع به فاحضره
فقال له اريد ان اقول شيأ من عندى ليس رسالة عن صاحبى واحب ان تنصفنى فقال
له قل فقال يا مولانا ما هو قبيح بك وانت من اعظم السلاطين واكبرهم شأنا ان تسمع
الناس عنك انك صالحت الفرنج وتركت الغزو ومصالح المملكة واعرضت عن
كل ما فيه صلاح لك ولرعيتك وللمسلمين عامة وجمعت العساكر من اطراف البلاد
البعيدة والقريبة وسرت وخسرت انت وعساكرك الاموال العظيمة لاجل قحبة
مغنية ما يكون عذرك عند الله تعالى ثم عند الخليفة وملوك الاسلام وكافة العالم

القرانسه والمنقص بل والمحبوب المصرى بايدى الناس حتى انهم نودى على ان يصرف الريال بسبعة قروش
والمنقص بستة عشر قرشا
وشددوا فى ذلك وتكلموا بمن
يخالف ذلك وعاقبوا من زاد
على ذلك فى قبض اثمان
المبيعات واطلقوا فى الناس
جواسيس وعيونا فمن عثروا
عليه فى مبيع او غيره انه
قبض بالزيادة احاطوا به
واخذوه وعاقبوه بالحبس
والضرب والتغريم وربما
ارسلوا من طرفهم اشخاصا
متنكرين يأتى احدهم للبائع
فيساومه السلعة كانه مشتر
ويدفع له فى ضمن الثمن ريالا
او منقصا ويحسبه بحسابه
الاول وينازعه فى ذلك فربما
تجاوز البائع خوفا من بوار
سلعته وتحصيل ثمنها اذا كانت
البيعة رابحة او بيعة استفتاح
على زعم الباعة فقبضوا عليه
بسبب وقف حال الناس
او افلاسهم فلم يسعهم الا ان
يتباعد عنه بيراقه يابشر
الا وهو بين يدى الاعوان
ويلاقى وعده (وفى منتصفه)
وصلت قافلة من السويس
وفيها جملة من العسكر المتمرضين
ونحو العشرة من كبارهم
نفاهم الباشا الى مصر وفيهم
حسن اوغلى ودالى حسن وعلى
اغا ورملى وترجوا وحسن
اغا ارزنجلى ومصطفى ميسوا
واحمد اغا قبودو (وفيه ايضا)
خرج عسكر المغاربة ومن
معهم من الاجناس المختلفة الى مصر المتفرقة لبلادهم من ناحية القصير الى الحجاز واما هؤلاء فانهم لم يزالوا قتا واحب

الى طرف بلادهم واقام بها ليمتنع البرنس من المسلمين فامتنع من مقصده وطال مقام كل واحد منهما في مقابلة الآخر وعلم البرنس ان المسلمين لا يعودون حتى تتفرق جموعه وانقطع طمعه من الحركة فعاد فرخشاه الى دمشق وكفى الله المؤمنين شر الكفار

(ذكر تلبيس ينبغي ان يحتاط من مثله)

كان سيف الدولة مبارك بن كامل بن منقذ الكناني ينوب عن شمس الدولة اخي صلاح الدين باليمن ويحكم في الاموال والبلاد بعد ان فارقها شمس الدولة كما ذكرنا وكان هواه بالشام لانه وطنه فارسل الى شمس الدولة يطلب الاذن له في المجيء اليه فاذن له في المجيء فاستناب بزبيد اخاه حطان بن كامل بن منقذ الكناني وعاد الى شمس الدولة وكان معه بمصر حيث شمس الدولة وبقي مع صلاح الدين فقيل عنه انه اخذ اموال اليمن وادخرها وسعى به اعداؤه فلم يعارضه صلاح الدين فلما كان هذه السنة وصلاح الدين بمصر اصطنع سيف الدولة طعاما وعمل دعوة كبيرة ودعا اليها اعيان الدولة الصلاحية بقرية تسمى العدوية وارسل اصحابه يتجهزون من البلد ويشترون ما يحتاجون اليه من الاطعمة وغيرها فقيل لصلاح الدين ان ابن منقذ يريد الهرب واصحابه يتزودون له ومتى دخل اليمن اخرجه عن طاعتك فارسل صلاح الدين فاخذه والناس عنده وحبسه فلما سمع صلاح الدين جلية الحال علم ان الحيلة تمت لاعدائه في قبضه فخفف ما كان عنده وسهل امره وصالحه على ثمانين الف دينار مصرية سوى ما اخذ منه من الحمل لاخوة صلاح الدين واصحابه واطلقه واعاده الى منزلته وكان اديبا شاعرا

(ذكر ارسال صلاح الدين العساكر الى اليمن)

في هذه السنة سير صلاح الدين جماعة من امرائه منهم صارم الدين قتلغ ابه والي مصر الى اليمن للاختلاف الواقع بها بين نواب اخيه شمس الدولة وهم عز الدين عثمان بن الزنجيلي والي عدن وحطان بن منقذ والي زبيد وغيرهما فانه لما بلغهم وفاة صاحبهم اختلفوا ووقعت بين عز الدين عثمان وبين حطان حرب وكل واحد منهما يروم ان يغلب الآخر على ما بيده واشتد الامر فخاف صلاح الدين أن يطمع اهل البلاد فارسل هؤلاء الامراء اليها واستولى قتلغ ابه على زبيد وازال حطان عنها ثم مات قتلغ ابه فعاد حطان الى امارة زبيد واطاعه الناس لجوده وشجاعته

(ذكر وفاة الملك الصالح وملك ابن عمه عز الدين مسعود مدينة حلب)

في هذه السنة في رجب توفي الملك الصالح اسمعيل بن نور الدين محمود صاحب حلب بها وعمره نحو تسع عشرة سنة ولما اشتد مرضه وصف له الاطباء شرب الخمر للتداوي فقال لا افعل حتى استفتي الفقهاء فاستفتى فافتاه فقيه من مدرسي الحنفية بجواز ذلك فقال له أرأيت ان قدر الله تعالى بقرب الاجل أيؤخره شرب الخمر فقال له الفقيه لا فقال والله لا لقيت الله سبحانه وقد استعملت ما حرمه علي ولم يشربه فلما

المصروف وطلب من الحاكم ورده وهي ورقة الفلاق وهذه لوقت آخر حتى يجرد حسابه فلا يقدر الفلاح على رد ذلك خوفا منه فاذا سأله من بعد ذلك قال له بقي عليك حبتان من فدان او نحو ذلك او نحو ذلك ولا يعطيه ورقة الفلاق حتى يستوفي منه قدر المال او يصالحه بالهدية والرشوة وغير ذلك امور واحكام خارجة عن ادراك البهيمية فضلا عن البشرية كالشكاوى ونحوها وذلك انه اذا تشاجر احدهم مع آخر على امر جزئي بادر احدهم بالحضور الى الملتزم ويمثل بين يديه قائلا اشكو اليك فلانا بماله ريال مثلا فبمجرد قوله ذلك يأمر بكتابة ورقة خطابا الى قائمقام او المشايخ باحضار ذلك الرجل المشكي واستخلاص القدر الذي ذكره الشاكي قليلا او كثيرا او حبسه وضربه حتى يدفع ذلك القدر ويرسل الورقة مع بعض اتباعه ويكتب بهامشها قدرا معينا قليلا او كثيرا ويسمونه حق الطريق فعند وصوله اول شيء يطالب به الرجل حق الطريق المعين ثم الشكوى فان بادر ودفعها والا حبس او حضر به المعين الى بيت استاذه فيحبسه الحبس ويعاقبه بالضرب حتى يوفي القدر الذي نطق به الشاكي وان تأخر عن حضوره او حضور المعين اردفه بآخر وحق طريق الآخر كذلك ويسمونها الاستيفا له ونحو ذلك احكام وامور غير معقولة المعنى قدر يواطيها واعتاد به الآخرون

أو من يتوب عن مخازن ومغرا أو راد حبس زوجته وأولاده وحبسه من جليهم بيوم وتداولوا اسلامهم بالالسنة فيقول الحر فوق منهم لقادحي

العسكر وسار الى افريقية سنة خمس وسبعين ونزل على مدينة قفصة وحصرها ثلاثة اشهر وهي بلد حصينة واهلها انجاد وقطع شجرها فلما اشتد الامر على صاحبها واهلها خرج منها مستخفيا لم يشعر به احد من اهل قفصة ولا من عسكره وسار الى خيمة يوسف وعرف حاجبه انه قد حضر الى امير المؤمنين يوسف فدخل الحاجب واعلم يوسف بوصول صاحب قفصة الى باب خيمته فعجب منه كيف اقدم على الحضور عنده بغير عهد وامر بادخاله عليه فدخل وقبل يده وقال قد حضرت اطلب عفو امير المؤمنين عني وعن اهل بلدي وان يفعل ما هو اهله واعتذر فرق له يوسف فعفا عنه وعن اهل البلد وتسلم المدينة اول سنة ست وسبعين وسير علي بن المعز صاحبها الى بلاد المغرب فكان فيها مكرما عزيزا واقطعه ولاية كبيرة ورتب يوسف بقفصة طائفة من اصحابه الموحدين وحضر مسعود بن زمام امير العرب عند يوسف ايضا فعفا عنه وسيره الى مراكش وسار يوسف الى المهدية فاتاه بها رسول ملك الفرنج صاحب صقلية يلتمس منه الصلح فهادنه عشر سنين وكانت بلاد افريقية مجدبة فتعذر على العسكر القوت وعلف الدواب فسار الى المغرب مسرعا والله اعلم

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة توفي شمس الدولة توران شاه بن ايوب اخو صلاح الدين الاكبر بالاسكندرية وكان قد اخذها من اخيه اقطاعا فاقام بها وتوفي وكان له اكثر بلاد اليمن ونوابه هناك يحملون اليه الاموال من زبيد وعدن وما بينهما من البلاد والمعاقل وكان اجود الناس واسخاهم كفا يخرج كل ما يحمل اليه من اموال اليمن ودخل الاسكندرية ومكنه في بلاد اخيه صلاح الدين واموالها فلما توفي ومع هذا فلما مات كان عليه نحو مائتي الف دينار مصرية دين فوفاها اخوه صلاح الدين عنه لما دخل الى مصر فانه لما بلغه خبر وفاته سار الى مصر في شعبان من السنة واستخلف بالشام عز الدين فرخشاه ابن اخيه شاهنشاه وكان من الاجواد الشجعان وفيها توفي ابو طاهر احمد بن محمد بن سلفة الاصفهاني بالاسكندرية وكان حافظ الحديث وعالما به سافر في طلب الكثير وتوفي ايضا في المحرم علي بن عبد الرحيم المعروف بابن العصار اللغوي ببغداد وسمع الحديث وكان من اصحاب ابن الجواليقي

(ثم دخلت سنة سبع وسبعين وخمسمائة)

(ذكر غزاة الى بلد الكرك من الشام)

في هذه السنة سار فرخشاه نائب صلاح الدين بدمشق الى اعمال الكرك ونهبها وسبب ذلك ان البرنس ارناط صاحب الكرك كان من شياطين الفرنج ومردتهم واشدهم عداوة للمسلمين فتجهز وجمع عسكره ومن امكنه الجمع وعزم على المسير في البر الى تيماء ومنها الى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم للاستيلاء على تلك النواحي الشريفة وسمع عز الدين فرخشاه ذلك فجمع العساكر الدمشقية وسار الى بلده ونهبه وخربه وعاد

للشغل بأجرته وزوج القاطي يجري
أبا الشغول في شغل أنتم أين
بقا أكبر في البلاد فقد انقضت
أيامكم اختصاصهم بالفلاحين
الباشا وقد كانوا مع الملتزمين
أذل من العبيد المشترى فربما
إن العبد يهرب من سيده إذا
كلفه فوق طاقته أو أهانه
بالضرب وأما الفلاح فلا يمكنه
ولا يسهل به أن يترك وطنه
وأولاده وعياله ويهرب وإذا
هرب إلى بلدة أخرى واستعلم
استاذه مكانه أحضره قهرا
وازداد ذلا ومقتا وإهانة وكان
من شرائطهم أنه إذا آن وقت
الحصاد والتخضير طلب
الملتزم أو قائم مقامه الفلاحين
فينادي عليهم الخفير أمس
اليوم المطلوبين في صبحه
بالتبكير إلى الشغل الملتزم
فمن تخلف لعذر أحضره
الخفير أو المشد وسحبه من
شنفه وأشبعه سبا وشتما
وضربا وهو المسمى عندهم
بالعونة والسخرة واعتادوا
ذلك بل يرونه من اللازم
الواجب وهذا خلاف ما يلقونه
من الإذلال والتحكم من
مشايخهم والشاهد والصراف
الصراف وهو المعلم والجهبذ
خصوصا عند قبض المال
فيشتد الظلم ويزداد كربهم وهم
لها أطوع من استاذهم وأمره
بالقتل فيهم جار قائم مقام يحبس
من شاء أو ضربه عصيا عليهم بيراق لا يدفعوا وإذا غلق أحدهم ما عليه من المال الذي وجب عليه في ناحية

كانت قلعة البيرة وهي مطلة على الفرات من ارض الجزيرة لشهاب الدين الارتقي وهو ابن عم قطب الدين ايلغازي بن البي بن تمرتاش بن ايلغازي بن ارتق صاحب ماردين وكان في طاعة نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام فمات شهاب الدين وملك القلعة بعده ولده وصار في طاعة عز الدين مسعود صاحب الموصل فلما كان هذه السنة ارسل صاحب ماردين الى عز الدين يطلب منه ان يأذن له في حصر البيرة واخذها فاذن له في ذلك فسار في عسكره الى قلعة سميساط وهي له ونزل بها وسير العسكر الى البيرة فحصروها فلم يظفروا منها بطائل الا انهم لازموا الحصار فارسل صاحبها الى صلاح الدين وقد خرج من ديار مصر على ما نذكره يطلب منه ان ينجده ويرحل العسكر الماردانى عنه ويكون هو في خدمته كما كان أبوه في خدمة نور الدين فاجابه الى ذلك وأرسل رسولا الى صاحب ماردين يشفع فيه ويطلب ان يرحل عسكره عنه فلم يقبل شفاعته واشتغل صلاح الدين بما نذكره من الفرنج فلما رأى صاحب ماردين طول مقام عسكره على البيرة ولم يبلغوا منها غرضا امرهم بالرحيل عنها وعاد الى ماردين فسار صاحبها الى صلاح الدين وكان معه حتى عبر معه الفرات على ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة كثرت المنكرات ببغداد فاقام حاجب الباب جماعة لاراقة الخمور واخذ المفسدات فبينما امرأة منهن في موضع اذ سمعت بمجيء اصحاب حاجب الباب فاضطجعت وأظهرت انها مريضة واوقع انها فرأوها على تلك الحال فتركوها وانصرفوا فاجتهدت بعد ذلك ان تقوم فلم تقدر وجعلت تصيح الكرب الكرب الى ان ماتت وهذا من العجب ما يحكى وفيها في عاشر ذي الحجة توفي الامير حسام الدين تمر صاحب قلعة تكريت بالمزدلفة كان قد استخلف الامير عيسى ابن اخيه مودود وحج فتوفي ودفن بالمعلى مقبرة مكة وفيها في شعبان توفي عبد الرحمن بن محمد بن ابي سعيد ابو البركات النحوي المعروف بابن الانباري ببغداد وله تصانيف حسنة في النحو وكان فقيها صالحا وفيها توفي ابراهيم بن محمد بن مهران الفقيه الشافعي بجزيرة ابن عمر وكان فاضلا كثير الورع

(ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وخمسمائة)

(ذكر مسير صلاح الدين الى الشام واغارته على الفرنج)

في هذه السنة خامس المحرم سار صلاح الدين عن مصر الى الشام ومن عجيب ما يحكى من التطير انه لما برز من القاهرة اقام بخيمته حتى تجتمع العساكر والناس عنده واعيان دولته والعلماء وارباب الآداب فمن بين مودع له وسائر معه وكل منهم يقول شيئا في الوداع والفراق وما هم بصدده من السفر وفي الحاضرين معلم لبعض اولاد

البر (وفي ليلة الاربعاء) سابع عشرينه قبل الغروب بنحو نصف ساعة وصل جراد كثير مثل الغمام وصار يتساقط على الدور والاسطحة والازقة مثل الغمام وافسد كثيرا من الاشجار وانقطع اثره في ثاني يوم (وفي يوم الاثنين) عاشره ارتحل حسن باشا من ناحية الشيخ قمر الى بركة الحج (وفي) منتصفه حضر الروزنامجي والافندية بديوان استولى منهم الدفاتر واسماء الملتزمين ومقادير حصصهم ثم حضر محمود بك والمعلم غالي ومن معهم من الكتبة الاقباط وظهر للناس عند حضورهم نتيجة ما صنعوه ودبروه وتمموه من قياس الاراضي وروك البلاد وهو ان الاراضي زادت في القياس بالقصبة التي قاسوا بها وحددوها مقدار الثلث او الربع حتى قاسوا الرزق الاحباسية باعطاء اصحابها وزراعها واطيان الوسايا على حدتها حتى الاجران وما لا يصلح للزراعة وما يصلح من البور الصالح وغير الصالح فلما تم ذلك حسبوها بزيادتها بالافدنة ثم جعلوها ضرائب منها ضريبة خمسة عشر ريالا واربعة عشر واثنى عشر واحد عشر وعشرة مال الفدان بحسب جودة الاقليم والارض فبلغ ذلك مبلغا عظيما والعجيب ان البلدة التي كانت يغرم عليها في مقادم القرض التي كانوا اقرضوها ابل ذلك في سنيهم الماضية و يشكي منها الفلاحون والملتزمون

فيها بالسا ولاغنيا وتسلط الله على هؤلاء الفلاحين بسوء اعمالهم وعدم ديانتهم وخياناتهم واضرارهم لبعضهم البعض من لا يرحمهم ولا يعفو عنهم كما قال فيهم البدر الحجازي

وسيمة بالقبح قد اثرت
لما حووه من قبيح الفعال
شيوخهم استاذهم والمشد
والقتل فيما بينهم والقتال
مع النصارى كاشف الناحيه
وزد عليها كدهم في اشتغال
وعزهم ما بين جيرانهم
مع اسود اذا جمعهم النكال

واذا التزم بهم ذو رحمة ازدروه في اعينهم وامتهنوا به وجحدوه وماطلوه في الخراج وسموه باسماء النساء وتمنوا زوال التزامه بهم وولاية غيره من الجبابرة الذين لا يخافون ربهم ولا يرحمونهم لينالوا بذلك اغراضهم بوصول الاذى لبعضهم وكذلك اشياخهم اذا لم يكن الملتزم ظالما يتمكنون هم ايضا من ظلم الفلاحين لانهم لم يحصل لهم رواج الا بطلب الملتزم الزيادة والمغارم فيأخذون لانفسهم في ضمنها ما احبوا وجعلوا خراج اطيانهم ورزقاتهم على الفلاحين وقد انحرم هذا الترتيب بما حدث في هذه الدولة من قياس الاراضي والفدن وما يحدث بعد ذلك من الاحداثات التي تبدو قرائنها شيئا بعد شيء (وفي ثاني عشرينه) برز حسن بك دالي باشا سياه الى خارج باب النصر وخرج في ثاني يوم في موكب ونزل بوطاقه ليتوجه الى الحجاز على طريق

ايس من نفسه احضر الامراء وسائر الاجناد ووصاهم بتسليم البلد الى ابن عمه عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي واستحلفهم على ذلك فقال له بعضهم ان عماد الدين ابن عمك ايضا وهو زوج اختك وكان والدك يحبه ويؤثره وهو تولى تربيته وليس له غير سنجار فلو اعطيته البلد لكان اصلح وعز الدين له من البلاد من الفرات الى همذان ولا حاجة به الى بلدك فقال له ان هذا لم يغب عني ولكن قد علمتم ان صلاح الدين قد تغلب على عامة بلاد الشام سوى ما بيدي ومتى سلمت حلب الى عماد الدين يعجز عن حفظها وان ملكها صلاح الدين لم يبق لاهلنا معه مقام وان سلمتها الى عز الدين امكنه حفظها بكثرة عساكره وبلاده فاستحسنوا قوله وعجبوا من جودة فطنته مع شدة مرضه وصغر سنه ثم مات وكان حليما كريم العفة اليد والفرج واللسان ملازما للدين لا يعرف له شيء مما يتعاطاه الملوك والشباب من شرب خمر او غيره حسن السيرة في رعيته عادلا فيهم ولما قضى نحبه ارسل الامراء الى اتابك عز الدين يستدعونه الى حلب فسار هو ومجاهد الدين قايماز الى الفرات وارسل احضر الامراء عنده من حلب فحضروا وساروا جميعا الى حلب ودخلوها في العشرين من شعبان وكان صلاح الدين حينئذ بمصر ولولا ذلك لاحجموا عليها وقاتلهم فلما انتزى في طريقه اليها من الفرات كان تقي الدين عمر ابن اخي صلاح الدين بمدينة منبج فارتحل هاربا الى حماة وثار اهل حماة ونادوا بشعار عز الدين واشار عسكر حلب على عز الدين بقصد دمشق واطمعوه فيها وفي غيرها من بلاد الشام واعلموه محبة اهلها له ولاهل بيته فلم يفعل وقال بيننا يمين فلا نغدر به واقام بحلب عدة شهور ثم سار منها الى الرقة

(ذكر تسليم حلب الى عماد الدين واخذ سنجار عوضا عنها)

لما دخل عز الدين الى الرقة جاءته رسل اخيه عماد الدين صاحب سنجار يطلب ان يسلم اليه حلب ويأخذ عوضا عنها مدينة سنجار فلم يجبه الى ذلك ولج عماد الدين في ذلك وقال ان سلمتم الى حلب والا سلمت انا سنجار الى صلاح الدين فاشار حينئذ جماعة من الامراء بتسليمها اليه وكان اشدهم في ذلك مجاهد الدين قايماز ولم يمكن عز الدين مخالفته لتمكنه في الدولة وكثرة عساكره وبلاده والحامل لمجاهد الدين على ذلك خوفه من عز الدين لانه عظم في نفسه وكثر معه العسكر وكان الامراء الحلبيون لا يلتفتون الى مجاهد الدين ويسلكون معه من ترك الادب ما يفعله عسكر الموصل فاستقر الامر على تسليم حلب الى عماد الدين واخذ سنجار عوضا عنها فسار عماد الدين فتسلمها وسلم سنجار الى اخيه وعاد الى الموصل وكان صلاح الدين بمصر قد بلغه خبر ملك عز الدين حلب فعظم الامر عليه وخاف ان يسير منها الى دمشق وغيرها ويملك الجميع وايس من حلب فلما بلغه ملك عماد الدين لها برز من مصر من يومه وسار الى الشام وكان من الوهن على دولة عز الدين ما نذكره ان شاء الله

(ذكر حصر صاحب ماردين قلعة البيرة ومصير صاحبها مع صلاح الدين)

وكان آخر العهد به فقيل انه قتله وكان في جملة ما أخذه منه من الاموال الذهب العين في سبعين غلافا زردية علوا ذهبا عينا وأما عز الدين عثمان الزنجيلي فانه لما سمع ما جرى على حطان خاف فسار نحو الشام خائفا يترقب وسير معظم أمواله في البحر فصادفهم مراكب فيها أصحاب سيف الاسلام فأخذوا كل ما لعز الدين ولم يبق له الا ما صحبه في الطريق وصفت زبيد وعدن وما معهما من البلاد لسيف الاسلام

(ذكر اغارة صلاح الدين على الغور وغيره من بلاد الفرنج واعمالها)

لما وصل صلاح الدين الى دمشق كما ذكرناه أقام أياما يريح ويستريح هو وجنده ثم سار الى بلاد الفرنج في ربيع الاول فقصد طبرية فنزل بالقرب منها وخيم في الاقحوانة من الاردن وجاءت الفرنج بجموعها فنزلت بطبرية فسير صلاح الدين فرخشاه ابن أخيه الى بيسان فدخلها قهرا وغنم ما فيها وقتل وسبى وجحف الغور غارة شعواء فعم أهله قتلا وأسرا وجاءت العرب فأغارت على جينين واللجون وتلك الولاية حتى قاربوا مرج عكا وسار الفرنج من طبرية فنزلوا تحت جبل كوكب فتقدم صلاح الدين اليهم وأرسل العساكر عليهم يرمونهم بالنشاب فلم يبرحوا ولم يتحركوا للقتال فأمر ابني أخيه تقي الدين عمر وعز الدين فرخشاه فحملا على الفرنج فيمن معهما فقاتلوا قتالا شديدا ثم ان الفرنج انحازوا الى حاميتهم فنزلوا عفربلا فلما رأى صلاح الدين ما قد اثخن فيهم وفي بلادهم عاد عنهم الى دمشق

(ذكر حصر بيروت)

ثم انه سار عن دمشق الى بيروت فنهب بلدها وكان قد أمر الاسطول المصري بالمجيء في البحر اليها فساروا ونازلوها وأغاروا وأطلبوا على بلدها وسار صلاح الدين فوافاهم ونهب ما لم يصل الاسطول اليه وحصرها عدة أيام وكان عازما على ملازمتها الى ان يفتحها فأتاه الخبر وهو عليها أن البحر قد ألقى بطسة للفرنج فيها جمع كثير منهم الى دمياط كانوا قد خرجوا لزيارة البيت المقدس فأسروا من بها بعد ان غرق منهم كثير فكان عدة الاسرى الفا وستمائة وستة وتسعين أسيرا فضربت بذلك البشائر

(ذكر عبور صلاح الدين الفرات وملكه ديار الجزيرة)

في هذه السنة عبر صلاح الدين الفرات الى الديار الجزرية وملكها وسبب ذلك ان مظفر الدين كوكبري بن زين الدين علي بن بكتكين وهو مقطع حران كان قد أقطعه اياها عز الدين اتابك المدينة والقلعة تقوية واعتضادا ارسل الى صلاح الدين وهو يحاصر بيروت يعلمه انه معه ومن اوليائه ويعده النصرة له اذا عبر الفرات ويطمعه في البلاد ويحثه على الوصول فسار صلاح الدين عن بيروت ووصل مظفر الدين تنزى اليه يحثه على المجيء وجد صلاح الدين في السير مظهرا انه يريد حصر حلب سترا للحال فلما قارب الفرات سار اليه مظفر الدين فعبر الفرات واجتمع به وقصد البيرة وهي قلعة منيعة على الفرات من الجانب الجزري وكان صاحبها قد صار مع صلاح الدين وفي

الديوان ورغبوا الكاتب الرزقى ان يعمل دفترا لذلك ومعه عدة من الكتبة ويأتي اليه الناس باوراق سنداتهم فيجدد لهم سندا جديدا كتب له صورة فيها الكشف بموجب ما هو مقيد في ورقة فيذهب بها الى الديوان فيقيدون ذلك بعد البحث والتعنت من الطرفين ووقع الاشتباه الكثير في اسماء اربابها واسماء حيضانها وغيطانها فيكلفون صاحب الحاجة باثبات ما ادعاه ويكتب له اوراقا لمشايخ الناحية وقاضيها باثبات ما يدعيه ويعود مسافرا ويقاسي ما يقاسيه من مشقة السفر والمصرف وبعد كتبه المشايخ وقاضي الناحية ثم يعود الى الديوان بالجواب ثم يمكن الاحتجاج عليه بحجة اخرى وربما كان سنده وتقسيمه على فدان واحد او اقل او اكثر وازدحم الناس على بيت كاتب الرزق وانفتح له بذلك باب لانه لا يكتب كشفا حتى يأخذ عليه دراهم تعينت على قدر الافدنة واضاع الكثير من الناس ما تلقوه عن اسلافهم وما كانوا يرتزقون منه واهملوا تجديد السندات واتكلوا على ما بايديهم من السندات القديمة لجهلهم او لظنهم انقضاء الامر وعدم دوام الحال وتغير الدولة وعود النسق الاول او لفقرهم وعدم قدرتهم على ما ابتدعوه من كثرة المصاريف التي تصرف على تجديد السند

فخرج اليه من بين الحاضرين وانشد

تمتع من شميم عرار نجد ٭ فما بعد العشية من عرار

فانقبض صلاح الدين بعد انبساطه وتطير وتنكد المجلس على الحاضرين فلم يعد اليها الى ان مات مع طول المدة ثم سار عن مصر وتبعه من التجار واهل البلاد ومن كان قصد مصر من الشام بسبب الغلاء بالشام وغيره عالم كثير فلما سار جعل طريقه على ايلة فسمع ان الفرنج قد جمعوا له ليحاربوه ويصدوه عن المسير فلما قارب بلادهم سير الضعفاء والاثقال مع اخيه تاج الملوك بورى الى دمشق وبقى هو فى العساكر المقاتلة لا غير فشن الغارات باطراف بلادهم وهو كذلك ببلد الكرك والشوبك فلم يخرج اليه منهم احد ولا اقدم على الدنو منه ثم سار الى دمشق فوصلها حادى عشر صفر من السنة

٭(ذكر ملك المسلمين شقيفا من الفرنج)٭

فى هذه السنة ايضا فى صفر فتح المسلمون بالشام شقيفا من الفرنج يعرف بحبس جلدك وهو من اعمال طبرية مطل على السواد وسبب فتحه ان الفرنج لما بلغهم مسير صلاح الدين من مصر الى الشام جمعوا له وحشدوا الفارس والراجل واجتمعوا بالكرك بالقرب من الطريق لعلهم ينتهزون فرصة او يظفرون بنصرة وربما قطعوا المسلمين عن المسير بان يقفوا على بعض المضايق فلما فعلوا ذلك خلت بلادهم من ناحية الشام فسمع فرخشاه الخبر فجمع من عنده من عساكر الشام ثم قصد بلاد الفرنج واغار عليها ونهب دبورية وما يجاورها من القرى واسر الرجال وقتل واكثر وسبى النساء وغنم الاموال وفتح منهم الشقيف وكان على المسلمين منه اذى شديد ففرح المسلمون بفتحه فرحا عظيما وارسل الى صلاح الدين بالبشارة فلقيه فى الطريق ففت ذلك فى عضد الفرنج وانكسرت شوكتهم

٭(ذكر ارسال سيف الاسلام الى اليمن وتغلبه عليه)٭

فى هذه السنة سير صلاح الدين اخاه سيف الاسلام طغتكين الى بلاد اليمن وامره بتملكها وقطع الفتن بها وفوض اليه امرها وكان بها حطان بن منقذ كما ذكرناه قبل وكتب عز الدين عثمان الزنجيلى متولى عدن الى صلاح الدين يعرفه باختلال البلاد ويشير بارسال بعض اهله اليها لان حطان كان قوى عليه فخافه عثمان فجهز صلاح الدين اخاه سيف الاسلام وسيره الى بلاد اليمن فوصل الى زبيد فخافه حطان بن منقذ واستشعر منه وتحصن فى بعض القلاع فلم يزل به سيف الاسلام يؤمنه ويهدى اليه ويتلطفه حتى نزل اليه فاحسن صحبته وعمل معه ما لم يكن يتوقعه من الاحسان فلم يثق حطان به وطلب منه دستورا ليقصد الشام فامتنع من اجابته اظهارا للرغبة فى كونه عنده فلم يزل حطان يراجعه حتى اذن له فاخرج اثقاله وامواله ودوابه واولاده واصحابه وكل ماله وسير الجميع بين يديه فلما كان الغد دخل الى سيف الاسلام ليودعه فقبض عليه واسترجع جميع ماله فاخذه عن آخره لم يسلم منه قليل ولا كثير ثم سجنه فى بعض القلاع

وكان

ويستفيدون ويبقى ما بواقى ويحوزون ضمن الف ريال فاعلى عليها الى هذه اللفظة عشرة آلاف ريال الى مائة الف واقل واكثر واحضر [illegible] ابراهيم افندى الرزاز والشيخ احمد يوسف وخلع عليهما خلعتين وجعلوا لهما ديوانا خاصا لمن يلتزم بالقدر الذى يحرر على حصته التى فى مصر تقسيطه وورقة تصرف ويكتب على نفسه وثيقة باجل معلوم يقوم بدفع ذلك ويتصرف فى حصته بشرط ان لا يكون وله الاطيان الاوسية ان شاء زرعها واخذ غلتها وان شاء اجرها لمن شاء وليس له من مال الخراج الا المال الحر المعين بسند الديوان المعروف بالتقسيط وما زاد فى قياس الارض من طين الفلاحة والاوسية فهو للميرى قل او كثر واما الرزق الاحباسية المرصدة على البر والصدقة ولاهل المساجد والاسبلة والمكاتب والخيرات فانهم مسحوها بقياسهم فما وجدوه زائدا عن الحد الاصلى جعلوه للديوان وما بقى قيدوه وسطروه باسم واضع اليد عليه او باسم واقفها وزارعها او من عليه المزارع الحاضر وقت القياس وسؤال المباشرين وقرروا عليها المال مثل ضريبة البلد فان اثبتها اصحابها وكان بيده سند جديد من ايام الوزير شريف افندى وما بعده على سبقه لوقت تاريخه قيدوا له نصف مال تاريخها والنصف الثانى الباقى

لمواد فسار صلاح الدين الى الموصل وكان عز الدين صاحبها ومجاهد الدين نائبه قد جمعا
بالموصل العساكر الكثيرة ما بين فارس وراجل واظهرا من السلاح وآلات الحصار
ما حارت له الابصار وبذلا الاموال الكثيرة واخرج مجاهد الدين من ماله كثيرا واصطلى
الامور بنفسه فاحسن تدبيرها وحصنوا ما بقي بايديهم من البلاد كالجزيرة وسنجار
والموصل واربل وغيرها من البلاد بالرجال والسلاح والاموال وسار صلاح الدين
حتى قارب الموصل وترك عسكره وانفرد هو ومظفر الدين وابن عمه ناصر الدين بن
شيركوه ومعهم نفر من اعيان دولته وقربوا من البلد فلما قربوا ورآه وحققه رأى
ما هاله وملأ صدره وصدور اصحابه فانه رأى بلدا عظيما كبيرا ورأى السور
والفصيل قد ملئا من الرجال وليس فيه شرافة الا وعليها رجل يقاتل سوى من عليه
من عامة البلد المتفرجين فلما رأى ذلك علم انه لا يقدر على اخذه وانه يعود خائبا فقال
لناصر الدين ابن عمه اذا رجعنا الى المعسكر فاحمل ما طلبت من المال نقض معك على
القول فقال قد رجعت عما بذلته من المال فان هذا البلد لا يرام فقال له مظفر الدين
غررتنا واطمعتنا في غير مطمع ولو قصدت غيره قبله لكان اسهل اخذا بالاسم
والهيبة التي حصلت لنا ومتى نازلناه وعدنا عنه انكسر ناموسنا وقوة لهم وشوكتنا
ثم رجع الى معسكره وصبح البلد وكان نزوله عليه في رجب فنازله وضايقه ونزل
عند باب كندة وانزل صاحب الحصن بباب الجسر وانزل اخاه تاج الملوك عند الباب
العمادي وانشب القتال فلم يظفر وخرج اليه يوما بعض العامة فقتل راجلا ولم يمكن
عز الدين ومجاهد الدين احدا من العسكر يخرجون لقتال بل الزموا الاسوار ثم ان
تقي الدين اشار على عمه صلاح الدين بنصب منجنيق فقال مثل هذا البلد لا ينصب
عليه منجنيق ومتى نصبناه اخذوه ولو نصب بنار جاوبه من يقدر على الدخول للبلد
وفيه هذا الخلق الكثير فالح تقي الدين وقال نجربه فنصب منجنيقا فنصب عليه
من البلد تسعة منجنيقات وخرج جماعة من العامة فاخذوه وجرى عنده قتال كثير فاخذ
بعض العامة لالكة من رجليه فيها المسامير الكثيرة ورمى بها اميرا يقال له جاولي
الاسدي مقدم الاسدية وكبيرهم فاصاب صدره فوجد لذلك الما شديدا واخذ
اللالكة وعاد عن القتال الى صلاح الدين وقال قد قاتلنا اهل الموصل بحماقات
ما رأينا بعد مثلها وألقى اللالكة وحلف انه لا يعود يقاتل عليها انفة حيث ضرب
بها ثم ان صلاح الدين رحل من قرب البلد ونزل متراخيا خوفا من البيات فانه لقربه
كان لا يأمن ذلك وكان سببه أيضا ان مجاهد الدين اخرج في بعض الليالي جماعة من باب
السر الذي للقلعة ومعهم المشاعل فكان احدهم يخرج من الباب وينزل الى دجلة
مما يلي عين الكبريت ويطفئ المشعل فرأى العسكر الناس يخرجون فلم يشكوا في
الكبسة فحملهم ذلك على الرحيل والتأخر ابتعادا من البيات على اهل الموصل وكان
صدر الدين شيخ الشيوخ رحمه الله قد وصل اليه قبل نزوله على الموصل ومعه بشير
الخادم وهو من خواص الخليفة الناصر لدين الله في الصلح فاقاما معه على الموصل

بمصر وتدبيرها والزارعون ايديهم على الايدي هم يحوزونها ولا مستحقيها
الا ما هو رزق ومقرر من الزمن الاول
السابق وهو شيء قليل ولينهم
لو دفعوه فان في اوقاف
السلاطين المتقدمة القطعة
من الاراضي التي عبرتها
اكثر من الف فدان وخراجها
خمسون زكية والزكية
خمس ويبات ومن الدراهم
الفضة فضة واقل واكثر
وهي تحت يد بعض كبراء
البلد لا يدري زرعها ويأخذ منها
الالوف من الارادب من
اجناس الغلال ويحصل
بعدد ذلك القدر
اليسير بجهة وقفه ويكسر
النفقة على السنة فان كانت
بيد صاحب الاصل قرية
او كان واضع اليد فيه منظرية
وقليل ما هو يدفع لاربابها
ثم بعد ان يرد الخمسين الى
الاربعين بالتكسير والخلط
ثم يغض الثمن جدا فان كان
ثمن الاردب اربعمائة قحبة
يأبه بين نصفها او اقل فيعود
ثمن الخمسين زكية الى ثمن
زكيتين وقس على ذلك
والذي يكون تحت يده شيء
من اطيان هذه الاوقاف
هو وذووه من بعده ذريته
فزرعوها وتقاسموها معتقدين
ملكيتها انتقلوها بالارث من
مورثهم ولا يرون ان لاحد
سواهم فيها حقا ولا يعرفون بهم
دفع شيء لاربابه ولو قل الا
قهرا وبالجملة ما اصاب
الناس الا ما كسبت ايديهم ولا جنوا الا ثمرات اعمالهم وكل منهم ادارات دوائر عظماء النواحي وتوسعاتهم

واشتغال بال الجماعة التى قدرها عاشر يف ٢١٨ افندى على أراضى الرزق عن كل فدان عشرة انصاف أوجدة فكثير

باعتهم وقد ذكرنا سبب ذلك قبل فعبر هو وعسكره الفرات على الجسر الذى عند البيرة
وكان عز الدين صاحب الموصل ومجاهد الدين لما بلغهما وصول صلاح الدين الى
الشام قد جمعا العسكر وسارا الى نصيبين ليكونا على اهبة واجتماع لئلا يتعرض صلاح
الدين الى حلب ثم تقدما الى دارا فنزلا عندها لحفظها امرا لم يكن فى الحساب فلما بلغهما
عبور صلاح الدين الفرات عادا الى الموصل وارسلا الى الرها عسكرا يحميها ويمنعها
فلما سمع صلاح الدين ذلك قوى طمعه فى البلاد ولما عبر صلاح الدين الفرات
كاتب الملوك اصحاب الاطراف ووعدهم وبذل لهم البذول على نصرته فاجابه نور
الدين محمد بن قرا ارسلان صاحب الحصن الى ما طلب منه لقاعدة استقرت بينهما لما
كان نور الدين عنده بالشام فانه استقر الحال ان صلاح الدين يحصر آمد ويملكها
ويسلمها اليه وسار صلاح الدين الى مدينة الرها فحصرها فى جمادى الاولى وقاتلها اشد
قتال فحدثنى بعض من كان بها من الجند انه عد فى غلافه ورمح اربعة عشر جرحا وقد خرقته
السهام ووالى الزحف عليها وكان بها حينئذ مقطعها وهو الامير فخر الدين مسعود
الزعفرانى فحين رأى شدة القتال اذعن الى التسليم وطلب الامان وسلم البلد وصار
فى خدمة صلاح الدين فلما ملك المدينة زحف الى القلعة فسلمها اليه الدزدار الذى بها
على مال اخذه فلما ملكها سلمها الى مظفر الدين مع حران ثم سار عنها على حران الى الرقة
فلما وصل اليها كان بها مقطعها قطب الدين ينال بن حسان المنبجى فسار عنها الى عز
الدين اتابك وملكها صلاح الدين وسار الى الخابور قرقيسيا وماكسين وعربان فملك
جميع ذلك فلما استولى على الخابور جميعه سار الى نصيبين فملك المدينة لوقتها وبقيت
القلعة فحصرها عدة ايام فملكها ايضا واقام بها يصلح شانها ثم اقطعها اميرا كان معه
يقال له ابو الهيجاء السمين وسار عنها ومعه نور الدين صاحب الحصن واتاه الخبر ان
الفرنج قصدوا دمشق ونهبوا القرى ووصلوا الى داريا وارادوا تخريب جامعها
فارسل النائب بدمشق اليهم جماعة من النصارى يقول لهم ان اخربتم الجامع جددنا
عمارته واخربنا كل بيعة لكم فى بلادنا ولا نمكن احدا من عمارتها فتركوه فلما وصل
الخبر الى صلاح الدين بذلك اشار عليه من يتعصب لعز الدين بالعود فقال يخربون قرى
ونملك عوضها بلادا ونعود نعمرها ونقوى على قصد بلادهم ولم يرجع فكان كما قال

(ذكر حصر صلاح الدين الموصل)

لما ملك صلاح الدين نصيبين جمع امراءه وارباب المشورة عنده واستشارهم باى
البلاد يبدأ وايها يقصد الموصل ام سنجار ام جزيرة ابن عمر فاختلفت آراؤهم فقال له
مظفر الدين كوكبرى بن زين الدين لا ينبغى ان يبدأ بغير الموصل فانها فى ايدينا لا مانع
لها فان عز الدين ومجاهد الدين متى سمعا بمسيرنا اليها تركاها وسارا عنها الى بعض
القلاع الجبلية ووافقه ناصر الدين محمد ابن عمه شيركوه وكان قد بذل لصلاح الدين مالا
كثيرا ليقطعه الموصل اذا ملكها وقد اجابه صلاح الدين الى ذلك فاشار بهذا الرأى

من الناس استعظم ذلك
واعتمد على اوراقه القديمة
فضاعت عليه رزقته واطلقت
واخذها الغير والذى لم يرض
بالتوث يل ولا حصل حجته
رضى بالولاش وكان الشان
فى امر الرزق ان اراضيها تزيد
من موقوع اراضى البلاد
زيادة كثيرة وخراجها اقل
من خراج اراضى البلاد
الذى يقال له المال الحر
الاصلى وليس عليها مصاريف
ولا مغارم ولا تكاليف
فالمزارع من الفلاحين اذا
كان تحت يده شئ من رزقة او
رزقتين فانه يكون مغبوطا
ومحسودا فى اهل بلده ويدفع
لصاحب الاصل القدر النزر
والمزارع يتلقى ذلك سلفا عن
خلف ولا يقدر صاحب
الاصل ان يزيد عليه زيادة
وخصوصا اذا كانت تحت
يد بعض مشايخ البلاد فلا
يقدر احد ان يتعدى عليه
من الفلاحين ويستأجرها
من صاحبها وان فعل لا يقدر
على حمايتها والكثير من
الرزق واسعة القياس جدا
وما قل قليل جدا وخصوصا
فى الاراضى القبلية فان
غالبها رزق وشراوى
ومشتراوات لم تمسح ولم يعلم لها
قوانين ولا مقادير وقد تزيد
ايضا بانحسار البحر عن
سواحلها وكذلك فى البلاد البحرية ولكن دون ذلك ومعظم اراضى الرزق القبلية مرصدة على جهات الاوقاف

لحواء

في الشفاعة اليه بالكف عن الموصل وما يتعلق بعز الدين فلم يجبه الى ذلك وغالطه فارسل اليه اخيرا لو كه سيف الدين بكتمر الذي ملك خلاط بعد شاه ارمن فاتاه وهو محاصر سنجار يطلب اليه ان يتركها ويرحل عنها وقال له ان رحل عنها والا قصده وقصد بلاده وغار ربيعة فلما بلغه بكتمر الشفاعة سوفه في الجواب رجاء ان يفتحها فلما رأى بكتمر ذلك ابلغه الرسالة بابات وتهديد وفارقه غضبان ولم يقبل منه خلعة ولا صلة واخبر صاحبه الخبر وخوفه عاقبة الاهمال والتواني عن صلاح الدين فسار شاه ارمن من خلاط وكان غضبا ظاهرا وسار الى ماردين وصاحبها حينئذ قطب الدين بن نجم الدين الغي وهو ابن اخت شاه ارمن وابن خال عز الدين وحموه لان عز الدين كان قد زوج ابنة قطب الدين وحضر مع شاه ارمن دولة شاه صاحب بدليس وارزن وسار اتابك عز الدين من الموصل في عسكره جريدة من الاثقال وكان صلاح الدين قد ملك سنجار وسار عنها الى حران وفرق عساكره فلما سمع باجتماعهم سير الى تقي الدين ابن اخيه وهو بحماة يستدعيه فوصل اليه مسرعا واشار عليه بالرحيل وحذره منه آخرون وكان هوى صلاح الدين في الرحيل فرحل الى راس عين فلما سمعوا برحيله تفرقوا فعاد شاه ارمن الى خلاط واعتذر بانه اجتمع العساكر واعود ورجع عز الدين الى الموصل واقام قطب الدين بماردين وسار صلاح الدين فنزل بحرزم تحت ماردين عدة ايام

(ذكر الظفر بالفرنج في بحر عيذاب)

في هذه السنة عمل البرنس صاحب الكرك اسطولا وفرغ منه بالكرك ولم يبق الا جمع قطعه بعضها الى بعض وحمله الى بحر ايلة وجمعها في اسرع وقت وفرغ منها وشحنها بالمقاتلة وسيرها فساروا في البحر وافترقوا فرقتين فرقة اقامت على حصن ايلة يحصرونه ويمنعون اهله من ورود الماء فنال اهله شدة شديدة وضيق عليهم واما الفرقة الثانية فانهم ساروا نحو عيذاب وافسدوا في السواحل ونهبوا واخذوا ما وجدوا من المراكب الاسلامية ومن فيها من التجار وبغتوا الناس في بلادهم على حين غفلة منهم فانهم لم يعهدوا بهذا البحر فرنجيا لا تاجرا ولا محاربا وكان بمصر الملك العادل ابو بكر بن ايوب ينوب عن اخيه صلاح الدين فعمر اسطولا وسيره وفيه جمع كثير من المسلمين ومقدمهم حسام الدين لؤلؤ الحاجب وهو متولي الاسطول بديار مصر وكان مظفرا ميمونا شجاعا كريما فسار لؤلؤ مجدا في طلبهم فابتدا بالذين على ايلة فانقض عليهم انقضاض العقاب على صيده فقاتلهم فقتل بعضهم واسر الباقي وسار من وقته بعد الظفر يقص اثر الذين قصدوا عيذاب فلم يرهم وكانوا قد اغاروا على ما وجدوه بها وقتلوا من لقوه عندها وساروا الى غير ذلك المرسى ليفعلوا كما فعلوا فيه وكانوا عازمين على الدخول الى الحجاز مكة والمدينة حرسهما الله تعالى واخذ الحاج ومنعهم عن البيت الحرام والدخول بعد ذلك الى اليمن فلما وصل لؤلؤ الى عيذاب ولم يرهم سار يقفو اثرهم فبلغ رابغ وساحل الحوراء فادركهم بساحل الحوراء فاوقع بهم هنالك

وحضروا الى جدة فجمع الباشا مكوسهم فبلغت اربعة وعشرين لكا واللك الواحد مائة الف فرانسا فيكون اربعة وعشرين مائة الف فرانسا فقبضها منهم بضائع ونقودا وحسب البضائع بابخس الاثمان ثم التفت الى التجار الذين اشتروا البضائع وقال لهم اني طلبت منكم مرارا ان تقرضوني المال فادعيتم الافلاس ولما حضر الموسم بادرتم باخذه وظهرت اموالكم التي كنتم تبخلون بها فلا بد ان تقرضوني ثلثمائة الف فرانسه فصالحوه على مائتي الف دفعوها له نقودا وبضائع مشتروا منهم حسبها لهم العشرة ستة ثم فرض على اهل المدينة ثلاثين الف فرانسه

(واستهل شهر رجب سنة ١٢٢٩)

في خامسه ضربوا عدة مدافع واخبروا بوصول بشارة وان عساكرهم حاربوا القنفدة واستولوا عليها ولم يجدوا بها غير اهلها (وفي سادسه) سافر حسين بك دالي باشا بعساكره الخيالة برا (وفيه) عزم على السفر والده محرم بك زوج ابنة الباشا الى بلاده وذلك بعد عوده من الحجاز فارسلوا الى الاعيان بتنابيه بالامر لهم بهاداه فعملوا وعبوا له بقعا وبنا وارزا واقمشة هندية وعسلا وبن كل امير على قدر مقامه (وفي ليلة الاثنين) ثامـ بها اشراق وقت اذان العشاء زلزلة نحو دقيقتين وكان المؤذنون طلعوا على المنارات وشرعوا في الاذان فلما اهتزت

وترددت الرسل الى عز الدين ومجاهد الدين في الصلح فطلب عز الدين اعادة البلاد التي اخذت منهم فاجاب صلاح الدين الى ذلك بشرط ان تسلم اليه حلب فامتنع عز الدين ومجاهد الدين ثم نزل عن ذلك واجاب الى تسليم البلاد بشرط ان يتركوا انجاد صاحب حلب عليه فلم يجيبوا الى ذلك ايضا وقال عز الدين هو اخي وله العهود والمواثيق ولا يسعني ان انكثها ووصلت ايضا رسل قزل ارسلان صاحب اذربيجان ورسل شاه ارمن صاحب خلاط في المعنى فلم ينتظم امر ولا تم صلح فلما رأى صلاح الدين انه لا ينال من الموصل غرضا ولا يحصل على غير العناء والتعب وان من بسنجار من العساكر الموصلية يقطعون طريق من يقصده من عساكره واصحابه سار من الموصل اليها

﴿ذكر ملك صلاح الدين مدينة سنجار﴾

لما سار صلاح الدين عن الموصل الى سنجار سير مجاهد الدين اليها عسكرا قوة لها ونجدة فسمع بهم صلاح الدين فمنعهم من الوصول اليها واوقع بهم واخذ سلاحهم ودوابهم وسار اليها ونازلها وكان بها شرف الدين امير اميران هندوا اخو عز الدين صاحب الموصل في عسكر معه فحصر البلد وضايقه والح في قتاله فكاتبه بعض امراء الاكراد الذين به من الزرزارية وخامر معه واشار بقصده من الناحية التي هو بها ليسلم اليه البلد فطرقه صلاح الدين ليلا فسلم اليه ناحيته فملك الباشورة لا غير فلما سمع شرف الدين الخبر استكان وخضع وطلب الامان فامن ولو قاتل على تلك الناحية لاخرج العسكر الصلاحي عنها ولو امتنع بالقلعة لحفظها ومنعها ولكنه عجز فلما طلب الامان اجابه صلاح الدين اليه فامنه وملك البلد وسار شرف الدين ومن معه الى الموصل واستقر جميع ما ملكه صلاح الدين بملك سنجار فانه كان قصد ان يستردده المواصلة اذا فارقه لانه لم يكن فيه حصن غيرها لا غير فلما ملك سنجار صارت على الجميع كالسور واستناب بها سعد الدين بن معين الدين انر وكان من اكابر الامراء واحسنهم صورة ومعنى

﴿ذكر عود صلاح الدين الى حران﴾

لما ملك صلاح الدين سنجار وقرر قواعدها سار الى نصيبين فلقيه اهلها شاكين من ابي الهيجاء السمين باكين من ظلمه مستغيثين على دولة عز الدين وعدله فيهم فلما سمع ذلك انكر على ابي الهيجاء ظلمه وعزله عنهم واخذه معه وسار الى حران وفرق عساكره ليستريحوا وبقي جريدة في خواصه وثقات اصحابه وكان وصوله اليها اوائل ذي القعدة من السنة

﴿ذكر اجتماع عز الدين وشاه ارمن﴾

في هذه السنة في ذي الحجة اجتمع اتابك عز الدين صاحب الموصل وشاه ارمن صاحب خلاط على قتال صلاح الدين وسبب ذلك ان رسل عز الدين ترددت الى شاه ارمن يستنجده ويستنصره على صلاح الدين فارسل شاه ارمن الى صلاح الدين عدة رسل

وضايقهم من هذه الارزاق التي كانت تحت ايديهم بغير استحقاق الى ان سلط الله عليهم من اشتهر على جميع ذلك وسلب عنهم ما كانوا فيه من النعمة وتشتتوا في النواحي وتغربوا من اوطانهم وخربت دورهم وضياعهم وذهبت سيادتهم وكم اهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا وفرق بعض الارزاق من مات اربابه وخربت جهاته وفني امره وبقي تحت يد من هو تحت يده من غير شيء اصلا وقد اخبرني بنحو ذلك شمس الدين ابن جودة من مشايخ برما بالمنوفية عند ما احضر الى مصر في وقت هذا النظام انه كان في حوزهم الف فدان لا علم لهم بها ولا خبر بها وذلك بخلاف ما بايديهم من الرزق التي يزرعونها بالمال اليسير وخلاف المرصد على مساجد بلادهم التي لم يبق لها اثر وكذلك الاسبلة وغيرها وما بايديهم تحت ايديهم من غير شيء وخلاف فلاحتهم الشاذرة بالمال القليل لمصارف الحج لانها كانت من جملة البلاد الموقوفة على مهمات امير الحاج وقد انسحق ذلك كله (ومنه) اخبر المخبرون ان مراكب الموسم وصلت في هذا العام الى جدة وكان لها مدة سنين عديدة من الوصول خوفا من جور الشريف سرور والان ولاة الدولة البلاد وطابت نفوسهم بالعدل فاطمأنوا وجلبوا متاجرهم

والاحسان ان اطاعوه ووعيدهم ان قاتلوه فزادهم ذلك تقاعدا وتخاذلا واحجموا
ملكه وتركوا القتال ووصل النقابون الى السور فنقبوه وعلقوه فلما رأى الجند
واهل البلد ذلك جنحوا الى ابن نيسان واشتطوا في المطالب فحين صارت الحال الى ذلك
اخرج ابن نيسان نساءه الى القاضي الفاضل وزير صلاح الدين يسأله ان يأخذ له
الامان ولاهله وماله وان يؤخره ثلاثة ايام حتى ينقل ماله بالبلد من الاموال والذخائر
فسعى له القاضي الفاضل في ذلك فاجابه صلاح الدين اليه فتسلم البلد في العشر الاول من المحرم
هذه السنة واخرج ابن نيسان خيمه الى ظاهر البلد ورام نقل ماله فتعذر وذلك عليه لزوال حكمه عن
اصحابه واطراحهم امره ونهيه فارسل الى صلاح الدين يعرفه الحال ويسأله مساعدته
على ذلك فامر بالدواب والرجال فنقل البعض وسرق البعض وانقضت الايام الثلاثة
قبل الفراغ فمنع من الباقي وكانت ابراج المدينة مملوءة من انواع الذخائر فتركها بحالها
ولو اخرج البعض منها لحفظ البلد وسائر نعمه وامواله لكن اذا اراد الله امرا هيأ
اسبابه فلما تسلمها صلاح الدين سلمها لصاحب الحصن نور الدين فقيل له قبل تسليمها
ان هذه المدينة فيها من الذخائر ما يزيد على الف الف دينار فلو اخذت ذلك واعطيته
جندك وسلمت البلد اليه فارغا لكان راضيا فانه لا يطمع في غيره فامتنع من ذلك
وقال ما كنت لاعطيه الاصل وابخل بالفرع فلما تسلم نور الدين البلد اصطنع دعوة
عظيمة ودعا اليها صلاح الدين وامراءه ولم يكن دخل البلد وقدم له ولاصحابه من التحف
والهدايا اشياء كثيرة

(ذكر ملك صلاح الدين تل خالد وعينتاب من اعمال الشام)

لما فرغ صلاح الدين من امر آمد سار الى الشام وقصد تل خالد وهو من اعمال حلب
فحصرها ورماها بالمنجنيق فنزل اهلها وطلبوا الامان فامنهم وتسلمها في المحرم ايضا ثم
سار منها الى عينتاب فحصرها وبها ناصر الدين محمد وهو اخو الشيخ اسمعيل الذي كان
خازن نور الدين محمود بن زنكي وصاحبه وكان قد سلمها اليه نور الدين فبقيت معه الى
الآن فلما نازلها صلاح الدين ارسل اليه يطلب ان يقر الحصن بيده وينزل الى خدمته
ويكون تحت حكمه وطاعته فاجابه صلاح الدين الى ذلك وحلف له عليه فنزل اليه
وصار في خدمته وكان ايضا في المحرم من هذه السنة

(ذكر وقعتين مع الفرنج في البحر والشام)

في هذه السنة في العاشر من المحرم سار اسطول المسلمين من مصر في البحر فلقوا بطسة فيها
نحو ثلثمائة من الفرنج بالسلاح التام ومعهم الاموال والسلاح الى فرنج الساحل
فقاتلوهم وصبر الفريقان وكان الظفر للمسلمين واخذوا الفرنج اسرى فقتلوا بعضهم
وابقوا بعضهم اسرى وغنموا ما معهم وعادوا الى مصر سالمين وفيها ايضا سارت عصابة
كبيرة من الفرنج من نواحي الداروم الى نواحي مصر ليغيروا وينهبوا فسمع بهم المسلمون
فخرجوا اليهم على طريق صدر وايلة فانزاح الفرنج من بين ايديهم فنزلوا على ماء يقال

ثم طلعوا بصورتها وقت ما يحصل المال فان الخزينة فارغة من المال (وفي يوم السبت) حضر
محمود بك والمعلم غالي من
مرحلتيهما فذهب اليهما
المشايخ في ثاني يوم ثم خاطبوهما
بالكلام في شأن الرزق
فاجابهم المعلم غالي بقوله
يا اسيادنا هذا امر مفروغ
منه بامر افندينا من عام اول
من قبل سفره فلا تتعبوا
خاطركم وواجب عليكم
مساعدته خصوصا في خلاص
كعبتكم ونبيكم من ايدي
الخوارج فلم يردوا عليه
جوابا وانصرفوا (وفي يوم
الاحد تاسع عشرينه) حصل
كسوف شمس وكان ابتداؤه
بعد الشروق ومقداره قريبا
من ثلثي الجرم وتم انجلاؤه
في ثاني ساعة من النهار وكانت
الشمس ببرج السرطان
اربعا وعشرين درجة في
حادي عشر ابيب القبطي
(وفيه) وصلت القافلة
من ناحية السويس واخبر
الواصلون عن واقعة قنفدة
وما حصل بها بعد دخول
العسكر اليها وذلك انهم لما
ركبوا اليها برا وبحرا
وكبيرهم محمود بك وزعيم
اوغلي وشريف اغا فوجدوها
خالية فطلعوا اليها وملكوها
من غير ممانع ولا مدافع وليس
بها غير اهلها وهم اناس ضعاف
فقتلوهم وقطعوا آذانهم
وارسلوها الى مصر ليرسلوها
الى اسلامبول وتقدموا على العرب بان يجيء الاتراك فلم تمنعوا وبقتالهم عرب العسير وترافقوا واعتنوا كبيرهم حتى

فلما رأوا العطب وشاهدوا الهلاك خرجوا الى البر واعتصموا ببعض تلك الشعاب فنزل لؤلؤ من مراكبه وقاتلهم أشد قتال وأخذ خيلا من الاعراب الذين هناك فركبها وقاتلهم فرسانا ورجالة فظفر بهم وقتل اكثرهم وأخذ الباقين اسرى وأرسل بعضهم الى منى لينحروا بها عقوبة لمن رام اخافة حرم الله تعالى وحرم رسوله صلى الله عليه وسلم وعاد بالباقين الى مصر فقتلوا جميعهم

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في جمادى الاولى توفي عز الدين فرخشاه ابن اخي صلاح الدين وكان ينوب عنه بدمشق وهو ثقته من أهله وكان اعتماده عليه اكثر من جميع اهله وامرائه وكان شجاعا كريما فاضلا عالما بالادب وغيره وله شعر جيد من بين اشعار الملوك وكان ابتداء مرضه انه خرج من دمشق الى غزو الفرنج فمرض وعاد مريضا فمات ووصل خبر موته الى صلاح الدين وقد عبر الفرات الى الديار الجزرية فاعاد شمس الدين محمد بن المقدم الى دمشق ليكون مقدما على عسكرها وفيها مات فخر الدولة ابو المظفر الحسن بن هبة الله بن المطلب كان ابوه وزير الخليفة واخوه استاذ الدار فتصوف هو من زمن الصبا وبنى مدرسة ورباطا ببغداد عند عقد المصطنع وبنى جامعا بالجانب الغربي منها وفيها توفي الامير ابو منصور هاشم ولد المستضيء بامر الله ودفن عند أبيه وفيها توفي ابو العباس أحمد بن علي بن الرفاعي من سواد واسط وكان صالحا ذا قبول عظيم عند الناس وله من التلامذة ما لا يحصى

(ثم دخلت سنة تسع وسبعين وخمسمائة)

(ذكر ملك صلاح الدين آمد وتسليمها الى صاحب الحصن)

قد ذكرنا نزول صلاح الدين بحرزم تحت ماردين فلم ير لطمعه وجها وسار عنها الى آمد على طريق البارعية وكان نور الدين محمد بن قرا ارسلان يمنا به في كل وقت بقصدها وأخذها وتسليمها اليه على ما استقرت القاعدة بينهما فوصل الى آمد سابع عشر ذي الحجة من سنة ثمان وسبعين ونازلها وأقام عليها يحاصرها وكان المتولي لامرها والحاكم فيها بهاء الدين بن نيسان وكان صاحبها وليس له من الامر شيء مع ابن نيسان فلما نازلها صلاح الدين أساء ابن نيسان التدبير ولم يعط الناس من الذخائر شيئا ولا فرق فيهم دينارا واحدا ولا قوتا وقال لاهل البلد قاتلوا عن نفوسكم فقال له بعض اصحابه ليس العدو بكافر حتى يقاتلوا عن نفوسهم فلم يفعل شيئا وقاتلهم صلاح الدين ونصب المنجنيقات وزحف اليها وهي الغاية في الحصانة والمنعة بها وبسورها يضرب المثل وابن نيسان على حاله من الشح بالمال وتصرفه تصرف من ولت سعادته وأدبرت دولته فلما رأى الناس ذلك منه تهاونوا بالقتال وجنحوا الى السلامة وكانت ايام ابن نيسان قد طالت وثقلت على اهل البلد لسوء سيرته وتضييقه عليهم في مكاسبهم فالناس كارهون لها محبون لانقراضها وامر صلاح الدين ان يكتب على السهام الى اهل البلد يعدهم الخير

ظن كل من كان على منارة سقوطها فصرخوا بالنزول فلما علموا انها زلزلة طلعوا واعادوا الاذان وسقط من شرافات الجامع الازهر شرافة وتحركت الارض ايضا في خامس ساعة من الليل ولكن دون الاولى وكذلك وقت الشروق حركة لطيفة (وفي حادي عشره) هرب الشريف عبد الله ابن الشريف سرور وقت الفجرية ولم يشعروا بهروبه الا بعد الظهر فلما بلغ كتخدا بك الخبر فتكدر لذلك وارسل الى مشايخ الحارات وغيرهم وبث العربان في الجهات فلما كان ليلة السبت حضروا به في وقت الغروب وقد حجزوه بحلوان واتوا به الى بيت السيد محمد المحروقي فأخذه الى كتخدا بك فارسله الى بيت ابنه احمد اغا ومن ذلك الوقت ضيقوا عليه ومنعوه من الخروج والدخول بعد ان كان مطلق السراح يخرج من بيت احمد اغا ويذهب الى بيت عمه الشريف غالب ويعود وحده فعند ذلك ضيقوا عليه وعلى عمه ايضا (وفي يوم الخميس تاسع عشره) حضر المشايخ عند كتخدا بك وعاودوه في الخطاب فيما احدثوه على الرزق وعرفوه انه يلزم من هذا الاحداث ابطال المساجد والشعائر فتنصل من ذلك وقال حداثني لا علاقة لي فيه وهذا شيء امر به افندينا ويحجزه بلاد والتزام فالحاصل انهم كلموه ايضا في صرف الجامكية المعروفة بالسائرة والدعاجي وجرايات الفقراء والعامة

والاحسان

عن حلب فقال اخذناها وهي لك فقال ذلك لو كان وانا حي ووالله لقد اخذتها غالية حيث تفقد مثلي فبكى صلاح الدين وابكى ولما خرج عماد الدين الى صلاح الدين وقد عمل له دعوة احتفل فيها فبينما هم في سرور اذ جاءه انسان فاسر الى صلاح الدين بموت اخيه فلم يظهر هلعا ولا جزعا وامر بتجهيزه سرا ولم يعلم عماد الدين ومن معه في الدعوة واحتمل الحزن وحده لئلا يتنكد ما هم فيه وكان هذا من الصبر الجميل

(ذكر فتح صلاح الدين حارم)

لما ملك صلاح الدين حلب كان بقلعة حارم وهي من اعمال حلب بعض المماليك النورية واسمه سرخك وولاه عليها الملك الصالح عماد الدين فامتنع من تسليمها الى صلاح الدين فراسله صلاح الدين في التسليم وقال له اطلب من الاقطاع ما اردت ووعده الاحسان فاشتط في الطلب وترددت الرسل بينهم فراسل الفرنج ليحتمي بهم فسمع من معه من الاجناد انه يراسل الفرنج فخافوا ان يسلمها اليهم فوثبوا عليه وقبضوه وحبسوه وراسلوا صلاح الدين يطلبون منه الامان والانعام فاجابهم الى ما طلبوا وسلموا اليه الحصن فرتب به دزدارا بعض خواصه واما باقي قلاع حلب فان صلاح الدين اقر عينتاب بيد صاحبها كما تقدم واقطع تل خالد لامير يقال له داروم الياروقي وهو صاحب تل باشر واما قلعة اعزاز فان عماد الدين اسمعيل كان قد خربها فاقطعها صلاح الدين لامير يقال له سليمان بن جندر فعمرها واقام صلاح الدين بحلب الى ان فرغ من تقرير قواعدها واحوالها ودواوينها واقطع اعمالها وارسل منها يجمع العساكر من جميع بلاده

(ذكر القبض على مجاهد الدين وما حصل من الشر بذلك)

في هذه السنة في جمادى الاولى قبض عز الدين مسعود صاحب الموصل على نائبه مجاهد الدين قايماز وكان اليه الحكم في جميع البلاد واتبع في ذلك هوى من اراد المصلحة لنفسه ولم ينظر في مصلحة صاحبه وكان الذي اشار بذلك عز الدين محمود زلفندار وشرف الدين احمد بن ابي الخير الذي كان ابوه صاحب العراق وهما من اكابر الامراء فلما اراد القبض عليه لم يقدم على ذلك لقوة مجاهد الدين فاظهر انه مريض وانقطع عن الركوب عدة ايام فدخل اليه مجاهد الدين وحده وكان خصيا لا يمتنع من الدخول على النساء فلما دخل عليه قبض عليه وركب لوقته الى القلعة فاحتوى على الاموال التي لمجاهد الدين وصار زلفندار ولي قلعة الموصل بعد مجاهد الدين وجعل ابن صاحب العراق امير حاجب وحكمهما في دولته وكان تحت حكم مجاهد الدين حينئذ اربل واعمالها ومعه فيها زين الدين يوسف بن زين الدين علي وهو صبي صغير ليس له من الحكم شيء والحكم والعسكر الى مجاهد الدين وتحت حكمه ايضا جزيرة ابن عمر وهي لمعز الدين سنجر شاه بن سيف الدين غازي بن مودود وهو ايضا صبي والحكم والنواب والعسكر لمجاهد الدين وبيده ايضا شهرزور واعمالها ونوابه فيها ودقوقا وله فيها نائب وقلعة عقر الحميدية

وكتبت مراسيم سلطانية الى بلاد الروملى والاناطول بالبشائر بالفتح والاذن والترخيص والاطلاق لمن يريد الحج الى الحرمين بالامن والامان والرفاهية والراحة فتحركت هممهم مريدي الحج لان لهم سنين وهم ممنوعون ومخوفون من ورود الحج فعند ذلك اقبلوا افواجا بحريمهم واولادهم ومتاعهم حتى ان كثيرا من المتصوفين منهم باع داره وتعلقاته وعزم على الحج والمجاورة بالحرمين باهله وعياله ولم يبلغهم استمرار الحروب وما بالحرمين من الغلاء والقحط الا بعد وصولهم الى ثغر اسكندرية ولم يتحققوها الا عند تعرفهم خبرها بين مصدق ومكذب فمنهم من قصد السفر ولم يرجع عن عزمه وسلم الامر لله ومنهم من تأخر بمصر الى ان ينكشف له الحال وقرروا على كل شخص من المسافرين في مراكب السويس عشرين فرانسه وذلك خلاف اجرة متاعه وما يتزوده في سفره فانهم يزنونه بالميزان وعلى كل اقة قدر معلوم من الدراهم واما من يسافر في بحر النيل على جهة القصير في مراكب الباشا فيؤخذ على رأس كل شخص من مصر القديمة الى ساحل قنا ثلاثون قرشا ثم عليه اجرة حمله من قنا الى القصير ثم اجرة بحر القلزم ان

وبعد مغيبه تحاضر دولة الاتراك اما بالقصير او السويس حتى يتيسر لهم النزول ويقاسي

ما في قلعة المدينة من الاتراك وعدى عليهم بالخروج ثمانية أيام وجهوا عليهم واحاطوا بهم ومنعوهم الماء فعند ذلك وكبروا عليهم وحاربوهم فانهزموا وقتل الكثير منهم ونجا هو بنفسه في نحو سبعة انفار وكذلك عزم صيهم اوغلي وشريف اغا فنزلوا في سفينة وهربوا فغضب الباشا وقد كان أرسل لهم نجدة من الشقاسية الخيالة فهربوا يوم الحرب ورجعوا منهزمين من ناحية البر وتواتر هذا الخبر

(واستهل شهر شعبان بيوم الثلاثاء سنة ۱۲۲۹)

في ثانيه حضر بعض أغاوات من الديار الحجازية وعلى يده مرسومات خطابا لدبوس اوغلي وآخرين يستدعيهم الى الحضور بعساكرهم وكان دبوس اوغلي في بلده البرلس فتوجه اليه الطلب وكذلك شرع كتخدا بك في استكتاب عساكر أتراك ومغاربة وعربان وغير ذلك (وفي رابعه) سافر طائفة من العسكر وارسل كتخدا بك بمنع الحجاج الواردين من بلاد الروم وغيرهم من النزول الى السفائن الكائنة بساحل السويس والقصير وبأن يعملوها لأجل نزول العساكر المسافرين وبتأخير الحجاج وذلك انه لما وصلت البشائر الى الديار الرومية بفتح الحرمين وخلاص مكة وجدة والطائف والمدينة ووصول ابن مضيان والمضايفي وغيرهم الى دار السلطنة وهروب الوهابيين الى بلادهم فعملوا الولائم والافراح وتم التهاني

هذه

له الحيلة وسبقوا المسلمين اليه فأتاهم المسلمون وهم عطاش قد أشرفوا على الهلاك فرأوا الفرنج قد ملكوا الماء فأتاهم الله سبحانه وتعالى بلطفه سحابة عظيمة فمطروا منها حتى رووا وكان الزمان قيظا والحر شديدا في بر مهلك فلما رأوا ذلك قويت نفوسهم ووثقوا بنصر الله لهم وقاتلوا الفرنج فنصرهم الله عليهم فقتلوهم ولم يسلم منهم الا الشريد الفريد وغنم المسلمون ما معهم من سلاح ودواب وعادوا منصورين ظاهرين بفضل الله

(ذكر ملك صلاح الدين حلب)

في هذه السنة سار صلاح الدين من عينتاب الى حلب فنزل عليها في المحرم أيضا في الميدان الاخضر وأقام به عدة أيام ثم انتقل الى جبل جوشن فنزل بأعلاه وأظهر أنه يريد أن يبني مساكن له ولأصحابه وعساكره وأقام عليها أياما والقتال بين العسكرين كل يوم وكان صاحب حلب عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي ومعه العسكر النوري وهم يجدون في القتال فلما رأى كثرة الخرج كأنه شح بالمال فحضر يوما عنده بعض أجناده وطلبوا منه شيئا فاعتذر بقلة المال عنده فقال له بعضهم من يريد أن يحفظ مثل حلب يخرج الأموال ولو باع حلي نسائه فمال حينئذ الى تسليم حلب وأخذ العوض منها وأرسل مع الأمير طمان الياروقي وكان يميل الى صلاح الدين أنه يسلم حلب ويأخذ عوضها سنجار ونصيبين والخابور والرقة وسروج وجرت اليمين على ذلك وباعها بأوكس الأثمان أعطى حصنا مثل حلب وأخذ عوضها قرى ومزارع فنزل منها ثامن عشر صفر وتسلمها صلاح الدين فعجب الناس كلهم من ذلك وقبحوا ما أتى حتى أن بعض عامة حلب أحضر اجانة وماء وناداه أنت لا يصلح لك الملك وانما يصلح لك أن تغسل الثياب وأسمعوه المكروه واستقر ملك صلاح الدين بملكها وكان تزلزلا قد بدت فيه بتسليمها وكان على شفا جرف هار واذا أراد الله أمرا فلا مرد له وسار عماد الدين الى البلاد التي أعطيها فتسلمها وأخذ صلاح الدين حلب واستقر الحال بينهما أن عماد الدين يحضر في خدمة صلاح الدين بنفسه وعسكره اذا استدعاه لا يحتج بحجة ومن الاتفاقات العجيبة أن محيي الدين بن الزكي قاضي دمشق مدح صلاح الدين بقصيدة منها

وفتحكم حلبا بالسيف في صفر ۞ مبشر بفتوح القدس في رجب

فوافق فتح القدس في رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة على ما نذكره ان شاء الله تعالى ومما كتبه القاضي الفاضل في المعنى عن صلاح الدين فأعطيناه عن حلب كذا وكذا وهو صرف على الحقيقة أعطيناه الدراهم وتركنا عن القرى وأحرزنا العواصم وكتب أيضا أعطيناه ما لم يخرج عن اليد ومتى شاء أخذه لعدم حصانته وكان في جملة من قتل على حلب تاج الملوك بوري أخو صلاح الدين الاصغر وكان فارسا شجاعا كريما حليما جامعا لخصال الخير ومحاسن الاخلاق طعن في ركبته فانفكت فمات منها بعد أن استقر الصلح بين عماد الدين وصلاح الدين على تسليم حلب قبل أن يتسلمها صلاح الدين فلما استقر منه الصلح حضر صلاح الدين عند أخيه يعوده وقال له

الدين الى الكرك فى رجب ووالاه اخوه العادل فى العسكر المصرى وكثر جمعه وكان
من حضره وصعد معه المسلمون الى ربضه وملكوه وحصر الحصن من الربض وتحكم
عليه فى القتال ونصب عليه سبع مجانيق لا تزال ترمى بالحجارة ليلا ونهارا وكان
صلاح الدين يظن ان الفرنج لا يمكنونه من حصر الكرك وانهم يبذلون جهدهم فى رده
عنه فلم يستصحب معه من آلات الحصار ما يكفى لمثل ذلك الحصن العظيم والمعقل المنيع
فرحل عنه منتصف شعبان وسير تقى الدين ابن اخيه الى مصر نائبا عنه ليتولى ما كان
اخوه العادل يتولاه واستصحب اخاه العادل معه الى دمشق واعطاه مدينة حلب
وقلعتها واعمالها ومدينة منبج وما يتعلق بها وسيره اليها فى شهر رمضان من السنة واحضر
ولده الظاهر منها الى دمشق

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فتح الرباط الذى بناه ام الخليفة بالمأمونية وفيها فى ذى الحجة توفى مكرم
ابن بختيار ابو الخير الزاهد ببغداد وروى الحديث وكان كثير البكاء وفى جمادى الآخرة
توفى محمد بن بختيار بن عبد الله ابو عبد الله المولد الشاعر ويعرف بالابله فمن جملة شعره

اراق دمعى لا بسل اراق دمى ● ظلما بظلم من ريقه الشبم
ذو قامة كالقضيب ناضرة ● وناظر من سقامه سقمى
حصلت من وعده لى اصدق الوعد ومن وصله على التهم

(ثم دخلت سنة ثمانين وخمسمائة)

(ذكر اطلاق مجاهد الدين من الحبس وانهزام العجم)

فى هذه السنة فى المحرم اطلق اتابك عز الدين صاحب الموصل مجاهد الدين قايماز من
الحبس بشفاعة شمس الدين البهلوان صاحب همذان وبلاد الجبل وسيره الى البهلوان
واخيه قزل يستنجد بهما على صلاح الدين فسار الى قزل اولا وهو صاحب اذربيجان
فلم يمكنه المضى الى البهلوان وقال هو ما تختاره انا افعله وجهز معه عسكرا كثيرا
نحو ثلاثة آلاف فارس وساروا الى اربل ليحصروها فلما قاربوها اخذوا فى البلاد
ونهبوها ونهبوا وسبوا واخذوا النساء قهرا ولم يقدر مجاهد الدين على منعهم فسار
اليهم زين الدين يوسف صاحب اربل فى عسكره فلقيهم وهم متفرقون فى القرى
ينهبون ويحرقون فاغتنم الفرصة فيهم بتفرقهم والتقى بنفسه وعسكره على اول من
اتيه منهم فهزمهم وتمت الهزيمة على الجميع وغنم الاربليون اموالهم ودوابهم
وسلاحهم وعاد العجم الى بلادهم منهزمين وعاد صاحب اربل الى بلده مظفرا غانما
وعاد مجاهد الدين الى الموصل فكان يحكى انى ما زلت انتظر العقوبة من الله تعالى
على سوء افعال العجم فانى رأيت منهم ما لا كنت اظنه يفعله مسلم بمسلم وكنت انهاهم
فلا يسمعون حتى كان من الهزيمة ما كان

(ذكر وفاة يوسف بن عبد المؤمن وولاية ابنه يعقوب)

انهم اخذوا ما لى ذخيرة تخصنا وخزائنه فكيف آخذ بدل ذلك مما لا انتفع به فى غير مصر فاعطوه مائتى كيس
ذهبا وخزائنه وتحول بالباقى
وكيله مكى الخولانى ثم زودوه
واعطوه سكرا وبنا وارزا
وشربات وغير ذلك ونزل
مسافرا الى المراكب صحبة
المعين الى الحجاز من ناحية
القصير وبرز ابن باشة طرابلس
وصحبته عساكر ايضا الى
ناحية العادلية وآخر يقال له
وجه بك ومعهم نحو الالف
خيال من العرب والمغاربة
على طريق البر الى الحجاز وفى
يوم الخميس رابع عشرينه
الموافق لسادس شهر مسرى
القبطى اوفى النيل المبارك
اذرعه فنادوا بالزيادات ونودى
بالوفاء وكسروا السد فى صبح
يوم الجمعة بحضرة كتخدا بك
والقاضى والجم الغفير من
العساكر (وفى اواخره)
وصلت الاخبار بان الباشا
توجه الى الطائف وابقى حسن
باشا بمكة

(واستهل شهر رمضان بيوم الاربعاء سنة ١٢٢٩)

فى رابعه حضر موسى اغا
تفكجى باشه من الديار الحجازية
وكان قيمن باشر حرابة قنفدة
ومن جملة من انهزم بها
وهلكت جميع عساكره
وخدمه ورجع الى مصر
وصحبته اربعة انفار من
الخدم (وفى عاشره) خرجت
العساكر الهاربة لسفر الحجاز
الى بركة الحج وهم مقدار بضعة عشر بات وارتحلوا يوم الاحد ثانى عشره (وفى يوم الاربعاء خامس عشره) برز دبوس اوغلى

ونائبه فيها ولم يبق له عز الدين مسعود بعد ان اخذ صلاح الدين البلاد الجزرية سوى الموصل وقام بتدبيره مجاهد الدين وهو على الحقيقة الملك واسم عز الدين فلما قبض عليه امتنع صاحب اربل من طاعة عز الدين واستبد وكذلك ايضا صاحب جزيرة ابن عمر وارسل الخليفة الى دقوقا فحصرها واخذها ولم يحصل لعز الدين مسعود غير شهرزور والعقر وصارت اربل والجزيرة اضر شيء على صاحب الموصل وارسل صاحبها الى صلاح الدين بالانتماء اليه والكون في خدمته وكان الخليفة الناصر لدين الله قد ارسل صدر الدين شيخ الشيوخ ومعه بشير الخادم الخاص الى صلاح الدين في الصلح مع عز الدين صاحب الموصل وسير عز الدين معه القاضي محيي الدين ابا حامد بن الشهرزوري في المعنى فاجاب صلاح الدين الى ذلك وقال ليس لكم مع الجزيرة واربل حديث فامتنع محيي الدين من ذلك وقال هما لنا فلم يجب صلاح الدين الى الصلح الا ان تكون اربل والجزيرة معه فلم يتم امره وقوي طمع صلاح الدين في الموصل بقبض مجاهد الدين فلما رأى صاحب الموصل الضرر بقبض مجاهد الدين قبض على شرف الدين احمد بن صاحب العراق وزلفندار وعزلهما ثم اخرج مجاهد الدين على ما نذكره ان شاء الله

❊(ذكر غزو بيسان)❊

لما فرغ صلاح الدين من امر حلب جعل فيها ولده الملك الظاهر غازي وهو صبي وجعل معه الامير سيف الدين يازكج وكان اكبر الامراء الاسدية وسار الى دمشق وتجهز للغزو ومعه عساكر الشام والجزيرة وديار بكر وسار الى بلد الفرنج فعبر نهر الاردن تاسع جمادى الآخرة من السنة فرأى اهل تلك النواحي قد فارقوها خوفا فقصد بيسان فاحرقها وخربها واغار على ما هناك فاجتمع الفرنج وجاؤا الى قبالته فلما رأوا كثرة عساكره لم يقدموا عليه فاقام عليهم وقد استندوا الى جبل هناك وخندقوا عليهم فاحاط بهم وعساكر الاسلام ترميهم بالسهام وتناوشهم القتال فلم يخرجوا واقاموا كذلك خمسة ايام وعاد المسلمون عنهم سابع عشر الشهر لعل الفرنج يطمعون ويخرجون فيستدرجونهم ليبلغوا منهم غرضا فلما رأى الفرنج ذلك لم يطمعوا انفسهم في غير السلامة واغار المسلمون على تلك الاعمال يمينا وشمالا ووصلوا فيها الى ما لم يكونوا يطمعون في الوصول اليه والاقدام عليه فلما كثرت الغنائم معهم رأوا العود الى بلادهم بما غنموا مع الظفر اولى فعادوا الى بلادهم على عزم الغزو

❊(ذكر غزو الكرك وملك العادل حلب)❊

لما عاد صلاح الدين والمسلمون من غزوة بيسان تجهزوا للغزو الى الكرك فسار اليه في العساكر وكتب الى اخيه العادل ابي بكر بن ايوب وهو نائبه بمصر يأمره بالخروج بجميع العساكر الى الكرك وكان العادل قد ارسل الى صلاح الدين يطلب منه مدينة حلب وقلعتها فاجابه الى ذلك وامره ان يخرج معه باهله وماله فوصل صلاح

كقفاطين ويعطيه رسوما بالاذن وبلغني ان الذين خرجوا من اسلامبول خاصة بقصد الحج نحو العشرة آلاف خلاف من وصل من بلاد الروملي والاناضول وغيرهما وحضر الكثير من اعيانهم مثل امام السلطان وغيره فنزل البعض عند عثمان اغا وكيل دار السعادة سابقا والبعض نزل عند السيد محمد المحروقي وبيت شيخ السادات ومنهم من استأجر دورا في الخانات والوكائل (وفيه) حضر قاصد من باب الدولة وعلى يده مرسوم مضمونه الامر باسترجاع ما اخذ من الشريف غالب من المال والذخائر اليه وكان الباشا ارسل الى الدولة بسبحتي لؤلؤ عظام من موجودات الشريف فحضر بهما ذلك القبجي وردهما الى الشريف غالب ثم سافر ذلك القبجي بالاوامر الى الباشا بالحجاز (وفي سابعه) وصلت هجانة باستعجال العساكر وتوالي حضور السعاة بخصوص الاستعجال (وفي يوم السبت تاسع عشره) انزلوا الشريف غالبا الى بولاق بحريمه واولاده وعبيده وكان قد وصل الى مصر اغا معين بقصد سفر المذكور الى سلانيك فنزل بصحبته الى بولاق وصادره وحسبوا ما اخذ منه من المال وغيره خمسمائة كيس فارادوا اخذه منه قروشا فامتنع قائلا

الدين

ولا يبلغ غرضه وسار الى مدينة نابلس ونهب كل ما على طريقه من البلاد فلما وصل
الى نابلس احرقها وخربها وقتل فيها واسر وسبى فاكثر وسار عنها الى سبسطية وبها
مشهد زكريا عليه السلام وبها كنيسة وبها جماعة اسرى من المسلمين فاستنقذهم
ووصل الى جينين فنهبها وخربها وعاد الى دمشق وترك سراياه على طريقه يغيرون ويبثون
السرايا في طريقه يمينا وشمالا يغنمون ويخربون ووصل الى دمشق

ذكر ملك الملثمين بجاية وعودها الى اولاد عبد المؤمن

في هذه السنة في شعبان خرج علي بن اسحق المعروف بابن غانية وهو من اعيان الملثمين
الذين كانوا ملوك المغرب وهو حينئذ صاحب جزيرة ميورقة الى بجاية فملكها وسبب
ذلك انه لما سمع بوفاة يوسف بن عبد المؤمن عمر اسطوله فكان عشرين قطعة وسار
في جموعه فارسى في ساحل بجاية وخرج خيله ورجاله من الشواني فكانوا نحو مائتي
فارس من الملثمين واربعة آلاف راجل فدخل مدينة بجاية بغير قتال لانه اتفق ان
واليها سار عنها قبل ذلك بايام الى مراكش ولم يترك فيها جيشا ولا عدة لعدم عدو
يحفظها منه فجاءه الملثمون ولم يكن في حسابهم انه يحدث نفسه بذلك فارسى بها ووافقه
جماعة من بقايا دولة بني حماد وصاروا معه فكثر جمعهم وقويت نفسه فسمع خبره
والي بجاية فعاد من طريقه ومعه من الموحدين ثلثمائة فارس فجمع من العرب
والقبائل الذين في تلك الجهات نحو الف فارس فسمع بهم وبقربهم منه فخرج اليهم
وقد صار معه قدر الف فارس وتواقفوا ساعة فانضاف جميع الجموع التي كانت مع
والي بجاية الى الملثم فانهزم حينئذ والي بجاية ومن معه من الموحدين وساروا الى
مراكش وعاد الملثم الى بجاية فقسم جيشه وخرج الى اعمال بجاية فاطاعه جميعها الا
قسنطينة الهوى فحصرها الى ان جاء جيش من الموحدين من مراكش في صفر سنة
احدى وثمانين وخمسمائة الى بجاية في البر والبحر وكان بها يحيى وعبد الله اخوا علي
ابن اسحق الملثم فخرجا منها هاربين ولحقا باخيهما فرحل عن قسنطينة وسار الى
افريقية وكان سبب ارسال الجيش من مراكش ان والي بجاية وصل الى يعقوب
ابن يوسف صاحب المغرب وعرفه ما جرى ببجاية واستيلاء الملثمين عليها وخوفه عاقبة
التواني فجهز العساكر في البر عشرين الف فارس وجهز الاسطول في البحر في خلق
كثير واستعادوها

ذكر وفاة صاحب ماردين وملك ولده

في هذه السنة مات قطب الدين ايلغازي بن نجم الدين البي بن تمرتاش بن ايلغازي
ابن ارتق صاحب ماردين وملك بعده ابنه حسام الدين يولق ارسلان وهو طفل وقام
بتربيته وتدبير مملكته نظام الدين البقش مملوك ابيه وكان شاه ارمن صاحب خلاط
خال قطب الدين فحكم في دولته وهو رتب البقش مع ولده وكان البقش دينا خيرا
عادلا حسن السيرة حليما فاحسن تربية الولد وتزوج امه فلما كبر الولد لم يمكنه النظام

من الحساب ووجهت من شاهد ذيفته محمود بك المهردار الذي هو اعظم اخصائهم
وهو المتولي على قياس
الاراضي مع المعلم غالي وهو
حاشر في دواوينهم المخصوص
بالقرب من جوهرة اللالا وهو
يشرب في النارجيلة التنباك
ويأتونه بالقراءمجهار او يقول
انا مسافر الشرقية لعمل نظام
الاراضي (وفي) ثامنه وصلت
هجانة باستعجال العساكر

(واستهل شهر شوال بيوم الخميس سنة ١٢٢٩)

في ليلته قلدوا عبد الله كاشف
الدرندلي اميرا على ركب
الحاج (وفي يوم السبت ثالثه)
خرج دبوس اوغلي في موكب
الى المخيم وكذلك حسن اغا
سرششمه ليسافر الى الحجاز
(وفي يوم السبت حادي عشره)
نزلوا بكسوة الكعبة بالطبول
والزمور الى المشهد الحسيني
واجتمع الناس على عادتهم
للفرجة (وفيه) انتقل محمود
بك والمعلم غالي الى بيت حسن
اغا قطاجي وعملوا دواوينهم فيه
وانقلوا الجنينة التي به
وجعلوا تحت اشجارها
وربط الاقباط حيرهم فيها
وشرع محمود بك في عمارة
الجهة القبلية منه وانزوت
صاحبة المنزل في ناحية منه
(وفي سابع عشره) ارتحل
دبوس اوغلي وحسن اغا
سرششمه ومن معهم من
العساكر من مقامهم متوجهين
الى الديار الحجازية (وفي يوم
الخميس ثاني عشرينه) رميم اخذ الشرنيقي طائفة من الفقهاء من ناحية طنطا الى قبر بسبب قتيل قتلوه

في هذه السنة سار ابو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الى بلاد الاندلس وجاز البحر اليها
في جمع عظيم من عساكر المغرب فانه جمع وحشد الفارس والراجل فلما عبر الخليج
قصد غربي البلاد فحصر مدينة شنترين وهي للفرنج فاصابه بها مرض فمات منه
في ربيع الاول وحمل في تابوت الى مدينة اشبيلية من الاندلس وكانت مدة ملكه
اثنتين وعشرين سنة وشهرا ومات عن غير وصية بالملك لاحد من اولاده فاتفق رأى
قواد الموحدين واولاد عبد المؤمن على تمليك ولده ابى يوسف يعقوب بن يوسف بن
عبد المؤمن فملكوه من الوقت الذى مات فيه ابوه لئلا يكونوا بغير ملك يجمع كلمتهم
لقربهم من العدو فقام في ذلك احسن قيام واقام راية الجهاد واحسن السيرة في الناس
وكان دينا مقيما للحدود في الخاص والعام فاستقامت له الدولة وانقادت اليه باسرها
مع سعة اقطارها ورتب ثغور الاندلس وشحنها بالرجال ورتب المقاتلة في سائر بلادها
واصلح احوالها وعاد الى مراكش وكان ابو يوسف حسن السيرة وكان على بقية من
طريق ابيه مع الناس يحب العلماء ويقربهم ويشاورهم وهم اهل خدمته وخاصته
واحبه الناس ومالوا اليه واطاعه من البلاد ما امتنع على ابيه وسلك في جباية الاموال
ما كان ابوه يأخذه ولم يتعده الى غيره واستقامت له البلاد بحسن فعله مع اهلها ولم يزل
كذلك الى ان توفي رحمه الله تعالى

(ذكر غزو صلاح الدين الكرك)

في هذه السنة في ربيع الآخر سار صلاح الدين من دمشق يريد الغزو وجمع عساكره
فاتته من كل ناحية وممن اتاه نور الدين محمد بن قرا ارسلان صاحب الحصن وكتب
الى مصر ليحضر عسكرها عنده على الكرك فنازل الكرك وحصره وضيق على من به
وامر بنصب المنجنيقات على ربضه واشتد القتال فملك المسلمون الربض وبقي الحصن
وهو والربض على سطح جبل واحد الا ان بينهما خندقا عظيما عمقه ستون ذراعا
فامر صلاح الدين بالقاء الاحجار والتراب فيه ليطمه فلم يقدر احد على الدنو منه لكثرة
الرمى عليهم بالسهام من الجرخ والقوس والاحجار من المنجنيقات فامر ان يبنى
بالاخشاب واللبن ما يمكن الرجال يمشون من تحت السقائف ويلقون في الخندق ما يطمه
ومنجنيقات المسلمين مع ذلك ترمى الحصن ليلا ونهارا وارسل من فيه من الفرنج الى
ملكهم وفرسانهم يستمدونهم ويعرفونهم عجزهم وضعفهم عن حفظ الحصن
فاجتمعت الفرنج عن آخرها وساروا الى نجدتهم عجلين فلما بلغ الخبر بمسيرهم الى
صلاح الدين رحل عن الكرك الى طريقهم ليلقاهم ويصافهم ويعود بعد ان
يهزمهم الى الكرك فقرب منهم وخيم ونزل ولم يمكنه الدنو منهم لخشونة الارض وصعوبة
المسالك اليهم وضيقه فاقام اياما ينتظر خروجهم من ذلك المكان ليتمكن منهم فلم يبرحوا
منه خوفا على نفوسهم فلما رأى ذلك رحل عنهم عدة فراسخ وجعل بازائهم من يعلمه
بمسيرهم فساروا ليلا الى الكرك فلما علم صلاح الدين ذلك علم انه لا يتمكن حينئذ

ولا

بعساكره الى الحجاز وكذلك حسن لهم شيخه ونصبوا خيامهم واستمروا يخرجون
خارج باب القنوع للمسافر
من المدينة ويدخلون غدوا
وعشيا وهم يأكلون ويشربون
جهارا في نهار رمضان ويقولون
نحن مسافرون ومجاهدون
ويمرون بالاسواق ويجلسون
على المساطب وبأيديهم
الاقصاب والشبكات التى
يشربون فيها الدخان من غير
احتشام ولا حياء ويجوزون
بصارات الحشيشة على
القهاوى في القهوة فيجدونها
مقفولة فيسألون عن القهوجي
ويطلبونه ليفتح لهم القهوة
ويوقد لهم النار ويقلي لهم
القهوة ويسقيهم فربما هرب
القهوجي واختفى منهم
فيكسرون الباب ويعبثون
بآلاته واوانيه فيتبعه الا
الجبى وايقاد النار وانتشر
من ذلك انها اجتمع بناحية
عرضيهم وخيامهم الجم
الكثير من النساء الخواطى
والبغايا ونصبوا لهن خياما
واخصاصا وانضم اليهن بياع
البوظة والعرقي والحشاشون
والغوازى والرقاصون وامثال
ذلك واجتمع معهم الكثير من
الفساق واهل الاهواء
والعياق من اولاد البلد
فكانوا جميعا يأكلون
الحشيش ويشربون المسكرات
ويرقصون ويلوطون ويشربون
البوظة ويلعبون القمار جهارا
في نهار رمضان ولياليه مختلطين مع العساكر كافة نفقة عن الجميع التكاليف وخاصروا

ويؤدي ما معه حتى انه بذل له اذا سار اليها خمسين الف دينار فلما وصل صلاح الدين الى حران لم يف له بما بذل من المال وانكر ذلك فقبض عليه ووكل به ثم اطلقه واعاده الى مدينتي حران والرها وكان قد اخذهما منه وانما اطلقه لانه خاف انحراف الناس عنه بالبلاد الجزرية لانهم كلهم علموا انما اعتمد مظفر الدين معه من تملك البلاد فاطلقه وسار صلاح الدين عن حران في ربيع الاول فحضر عنده عساكر الحصن ودارا ومعز الدين سنجر شاه صاحب الجزيرة وهو ابن اخي عز الدين صاحب الموصل وكان قد فارق طاعة عمه بعد قبض مجاهد الدين وسار مع صلاح الدين الى الموصل فلما وصلوا الى مدينة بلد سير اتابك عز الدين والدته الى صلاح الدين ومعها ابنة عمه نور الدين محمود بن زنكي وغيرهما من النساء وجماعة من اعيان الدولة يطلبون منه المصالحة ويبذلون له الموافقة والانجاد بالعساكر ليعود عنهم وانما ارسلهن لانه وكل من عنده ظنوا انهن اذا طلبن منه الشام اجابهن الى ذلك لا سيما ومعهن ابنة مخدومه وولي نعمته نور الدين فلما وصلن اليه انزلهن واحضر اصحابه واستشارهم فيما يفعله ويقوله فاشار اكثرهم باجابتهن الى ما طلبن منه وقال له الفقيه عيسى وعلي بن احمد المشطوب وهما من بلد الهكارية من اعمال الموصل مثل الموصل لا يترك لامرأة فان عز الدين ما ارسلهن الا وقد عجز عن حفظ البلد ووافق ذلك هواه فاعادهن خائبات واعتذر باعذار غير مقبولة ولم يكن ارسالهن عن ضعف ووهن انما ارسلهن طلبا لدفع الشر بالتي هي احسن فلما عدن رحل صلاح الدين الى الموصل وهو كالمتيقن انه يملك البلد وكان الامر بخلاف ذلك فلما قارب البلد نزل على فرسخين منه وامتد عسكره في تلك الصحراء بنواحي الحلة المراقية وكان يجري بين العسكر بن مناوشات بظاهر الباب العمادي وكنت اذ ذاك بالموصل وبذل العامة نفوسهم غيظا وحنقا لرده النساء فرأى صلاح الدين ما لم يكن يحسبه فندم على رده النساء ندامة الكسعي حيث فاته الذكر وملك البلد وعاد على الذين اشاروا بردهن باللوم والتوبيخ وجاءته كتب القاضي الفاضل وغيره ممن ليس له هوى في الموصل يقبحون فعله وينكرونه واتاه وهو على الموصل زين الدين يوسف بن زين الدين صاحب اربل فانزله ومعه اخوه مظفر الدين كوكبري وغيرهما من الامراء بالجانب الشرقي من الموصل وسير من المنزلة علي بن احمد المشطوب الهكاري الى قلعة الجزيرة من بلد الهكارية فحصرها واجتمع عليه من الاكراد الهكارية كثير وبقي هناك الى ان رحل صلاح الدين عن الموصل وكان عامة الموصل يعبرون دجلة فيقاتلون من بالجانب الشرقي من العسكر ويعودون ولما كان صلاح الدين يحاصر الموصل بلغ اتابك عز الدين ان صاحبه الذي نائبه بالقلعة يكاتبه فمنعه من الصعود الى القلعة وعاد يقتدي براي مجاهد الدين وكان قد اخرجه كالذي كان يصدر عن رايه وضبط الامور واصلح ما كان فسد من الاحوال حتى آل الامر الى الصلح على ما نذكره ان شاء الله وحضر عند صلاح الدين انسان بغدادي اقام بالموصل ثم خرج الى صلاح الدين فاشار عليه بقطع دجلة عن الموصل الى ناحية نينوى

ومن معها ... عشرينه الى بندر السويس وفي ذلك اليوم برزت عساكر المغاربة وغيرهم من تعسكروا وارتحل امير الحج من الحصوة الى البركة (وفي يوم الثلاثاء) خرجت عساكر كثيرة تجردين للسفر (وفي يوم الخميس تاسع عشرينه) ارتحل امير الحج ومن معه من البركة في تاسع ساعة من النهار وفي ذلك اليوم هبت رياح غربية شمالية باردة واشتد هبوبها اواخر النهار واطبقت السماء بالغيوم والقتام وابرق البرق برقا متتابعا وارعدت رعدا له دوي متصل ولما قرب من سمت رؤسنا كان له صوت عظيم مزعج ثم نزل مطر غزير استمر نحو خمس ساعات ثم سكن بعد ان تعرت منه الازقة والطرق وكان ذلك اليوم رابع شهر بابه القبطي (وفيه) ورد الخبر من السويس ان امراة الباشا لما وصلت الى هناك وجدت عالما كثيرا من الحجاج المختلفة الاجناس ممنوعين من نزول المراكب فصرخوا في وجهها وشكوا اليها تخلفهم وان امير البندر مانعهم من النزول في المراكب وبذلك المنع يفوتهم الحج الذي تجشموا الاسفار وصرفوا ايضا الاموال من اجله وهم في مشقة عظيمة من عدم الماء ولا يمكنهم الرجوع لعدم من يحملهم وان امير البندر يشتط عليهم في الاجرة وياخذ على كل راس خمسة عشر فرانسا فاقسمت انها لا تنزل الى المركب حتى ينزل جميع من بالسويس

من مملكته يخيط وهو ج كان فيه وكان النظام الدين ابن حسد الملوك اسمه لؤلؤ قد تحكم
في دولته وحكم فيها فكان يحمل النظام على ما يفعله مع الولد ولم يزل الامر كذلك الى ان
مات الولد وله اخ اصغر منه لقبه قطب الدين فرتبه النظام في الملك وليس له منه الا
الاسم والحكم الى النظام ولؤلؤ فبقي كذلك الى سنة احدى وستمائة فمرض النظام
البقش فأتاه قطب الدين يعوده فلما خرج من عنده خرج معه لؤلؤ وضرب قطب
الدين بسكين معه فقتله ثم دخل الى النظام وبيده السكين فقتله ايضا وخرج وحده
ومعه غلام له والقى الرأسين الى الاجناد وكانوا كلهم قد انشأهم النظام ولؤلؤ
فاذعنوا له بالطاعة فلما تمكن اخرج من اراد وترك من اراد واستولى على قلعة ماردين
واعمالها وقلعة البارعية وصور وهو الى الآن حاكم فيها حازم في افعاله

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة توفي صدر الدين شيخ الشيوخ عبد الرحيم بن شيخ الشيوخ اسمعيل بن شيخ
الشيوخ ابي سعيد احمد في شعبان وكان قد سار في ديوان الخلافة رسولا الى صلاح
الدين ومعه شهاب الدين بشير الخادم في معنى الصلح بينه وبين عز الدين صاحب
الموصل فوصل دمشق وصلاح الدين يحصر الكرك فاقام الى ان عاد فلم يستقر في الصلح
امر ومرضا وطلبا العودة الى العراق فاشار عليهما صلاح الدين بالمقام الى ان يصلحا فلم
يفعلا وسارا في الحر فمات بشير بالسخنة ومات صدر الدين بالرحبة ودفن بمشهد البوق
وكان واحد زمانه قد جمع بين رياسة الدين والدنيا وكان ملجأ لكل خائف صالحا
كريما حليما وله مناقب كثيرة ولم يستعمل في مرضه هذا دواء توكلا على الله تعالى
وفيها توفي عبد اللطيف بن محمد بن عبد اللطيف الخجندي الفقيه الشافعي رئيس
اصفهان وكان موته بباب همذان وقد عاد من الحج وله شعر فمنه

يا لحمى دار سقاها ديمة • يا سقى الله الحمى من مربع
ليت شعري والاماني ضلة • هل الى وادي الغضى من مرجع
اذنت علوة للواشي بنا • ما على علوة لو لم تسمع
اوهجرت رشدا فيها وفي • اوعفت عن خافقي مدمعي

رحمه الله ورضي عنه وارضاه

(ثم دخلت سنة احدى وثمانين وخمسمائة)

(ذكر حصر صلاح الدين الموصل ورحيله عنها لوفاة شاه ارمن)

في هذه السنة حصر صلاح الدين يوسف بن ايوب الموصل مرة ثانية وكان مسيره من
دمشق في ذي القعدة من السنة الماضية فوصل الى حلب واقام بها الى ان خرجت
السنة وسار منها فعبر الفرات الى الجزيرة فلما وصل حران قبض على مظفر الدين كوكبري
ابن زين الدين الذي كان سبب ملكه الديار الجزرية وسبب قبضه عليه ان مظفر الدين
كان يراسل صلاح الدين كل وقت ويشير عليه بقصد الموصل ويحسن له ذلك

ويقوي

في حادثة ببلدهم وقضى بها قاضيهم وانهيت الدعوى الى ديوان مصر فطلبوا الى اعادة الدعوى بحضرتهم وترافعوا
الى قاضي العسكر واعتنوا
عليهم الخطا فرسم بنفي الشاكي
والمفتيين والقاضي رابعهم
(وفي يوم السبت رابع عشرينه)
عملوا موكب خروج المحمل
واستعد الناس لذلك جريا على
عادتهم فكان عبارة عن نحو
مائة جمل تحمل روايا الماء
والقرب وعدة من طائفة
الدلاة على رؤوسهم طراطير
سود الانق وامير الحاج على
شكلهم وخلفه ارباب
الاشاير ببيارقهم وشراميطهم
وطبولهم وزمورهم وجوقاتهم
وخلفهم المحمل فكان مدة
مرورهم مع تقطيعهم وعدم
نظامهم نحو ساعتين فاين
ما كان يعمل من المواكب
بمصر التي يضرب بحسنها
وترتيبها ونظامها المثل في
الدنيا فصار مغير الشؤون
والاحوال (وفيه) خرجت
زوجة الباشا الكبيرة وهي
ام اولاده تريد الحج الى خارج
باب النصر في ثلاثة تخوت
والمتقدم بها ابوتبابارته الخازندار
وقد حضر لوداعها ولدها ابراهيم
باشا من الصعيد وخرج
لتشييعها هو واخوه اسمعيل
باشا وصحبتهما محرم بك
زوج ابنتها حاكم الجيزة
وحماقى بلدا الى باشا ويقال
انه اخوها وكذلك محمد بك
الدفتردار زوج ابنتها ايضا وطاهر باشا وصالح بك السلحدار وارباب

لما سار صلاح الدين الى خلاط جعل طريقه على ميافارقين مطمعا في ملكها حيث كان
صاحبها قطب الدين صاحب ماردين قد توفي كما ذكرناه وملك بعده ابنه وهو طفل وكان
حكمها الى شاه أرمن وعسكره فيها فلما سار قوي طمعه في أخذها لما لم يرها مشحونة
بالرجال وبها زوجة قطب الدين المتوفى ومعها بنات لها منه وهي أخت نور الدين محمد
صاحب الحصن فأقام صلاح الدين عليها يحصرها من أول جمادى الاولى وكان المقدم
على اجنادها أمير اسمه برتقش ولقبه أسد الدين وكان شجاعا شهما فحفظ البلد فأحسن
الحفظ واشتد القتال عليه ونصب المجانيق والعرادات فلم يصل صلاح الدين الى ما يريد
منها فلما رأى ذلك عدل من القوة والحرب الى اعمال الحيلة فراسل امرأة قطب الدين
المقيمة بالبلد يقول لها ان أسد الدين برتقش قد مال الينا في تسليم البلد ونحن نرعى حق
أخيك نور الدين فيك بعد وفاته ونريد ان يكون لك في هذا الامر نصيب وانا أزوج
بناتك بأولادي وتكون ميافارقين وغيرها لك وبحكمك ووضع من أرسل الى الاسد
يعرفه ان الخاتون قد مالت للمقاربة والانقياد الى السلطان وان من بخلاط قد كاتبوه
ليسلموا اليه خلاط فانفسخ واتفق ان رسولا وصله من خلاط يبذلون له الطاعة وقالوا له
من الاستدعاء اليهم ما كانوا يقولونه فأمر صلاح الدين الرسول فدخل الى ميافارقين
وقال للاسد انت عمن تقاتل وانا قد جئت في تسليم خلاط الى صلاح الدين فسقط في
يده وضعفت قوته وأرسل يقترح اقطاعا ومالا فأجيب الى ذلك وسلم البلد سلخ جمادى
الاولى وعقد النكاح لبعض أولاده على بعض بنات خاتون وأقر بيدها قلعة هتاخ
لتسكون فيها هي وبناتها

(ذكر عود صلاح الدين الى بلاد الموصل والصلح بينه وبين أتابك عز الدين)

لما فرغ صلاح الدين من امر ميافارقين واحكم قواعدها وقرر اقطاعاتها وولاياتها
اجمع على العود الى الموصل فسار نحوها وجعل طريقه على نصيبين فوصل الى كفرزمار
والزمان شتاء فنزلها في عساكره وعزم على المقام بها واقطاع جميع بلاد الموصل وأخذ
غلاتها ودخلها واضعاف الموصل بذلك اذ علم انه لا يمكنه التغلب عليها وكان نزوله
في شعبان وأقام بها شعبان ورمضان وترددت الرسل بينه وبين عز الدين صاحب
الموصل وصار مجاهد الدين يراسل ويتقرب وكان قوله مقبولا عند سائر الملوك لما
علموا من صحته فبينما الرسل تتردد في الصلح اذ مرض صلاح الدين وسار من كفرزمار
عائدا الى حران فلحقته الرسل بالاجابة الى ما طلب فتقرر الصلح وحلف على ذلك وكانت
القاعدة ان يسلم اليه عز الدين شهرزور واعمالها وولاية القرابلي وجميع ما وراء الزاب من
أعمال وان يخطب له على منابر بلاده ويضرب اسمه على السكة فلما حلف أرسل رسله
فحلف عز الدين له وتسلم البلاد التي استقرت القاعدة على تسليمها ووصل صلاح الدين
الى حران فأقام بها مريضا وأمنت الدنيا وسكنت الدهماء وانحسمت مادة الفتن وكان
ذلك بتوصل مجاهد الدين قايماز رحمه الله واما صلاح الدين فانه طال مرضه بحران
وكان عنده من أهله اخوه الملك العادل وله حينئذ حلب وولده الملك العزيز عثمان

رفيقه الى كتخدا بك فاحضره
في الحال واحضر كبراء المغاربة
وطالبهم بالضارب فلم يتبين
امره وقبضوا على الغلام
الضارب فحبسوه وفي ذلك
الوقت حصل في الناس فزعة
واغلقت اهل سوق الغورية
والشوايين والقماشين
حوانيتهم وبقي ذلك الغلام
محبوسا ومات الفلاح المضروب
في ليلة السبت خامس عشره
فاحضروا ذلك الغلام الى باب
زويلة وقطعوا رأسه ظلما ولم
يكن هو الضارب (وفي عشرينه)
سافر ابن باشت طرابلس
وسافر معه عسكر المغاربة
الخيالة

(واستهل شهر ذي الحجة
الحرام ختام سنة ١٢٢٩)
في اوله ورد نجاب من الحجاز
واخبر بموت طاهر افندي
وهو افندي ديوان الباشا
وكان موته في شهر شوال
بالمدينة حتف انفه وورد
الخبر ايضا بصلح الشريف راجح
مع الباشا وانه قابله واكرمه
وانعم عليه بالفي كيس واخبر
ايضا بانه تركه الباشا بناحية
الكلخة وهي ما بين الطائف
وتربة وانقضت السنة بحوادثها

(واما من مات في هذه السنة)
فمات العمدة الفاضل الفقيه
النبيه الشيخ حسين المعروف
بابن الكاشف الدمياطي ويعرف بالرشيدي تعلق باله الى التخلص من الاجربة والجندية

وقال ان دجلة اذا نقصت عن الموصل عطش اهلها وهلكوا فكتابها بيد فقال فقيل لصلاح الدين ان قوله صدق فعزم على ذلك ثم علم انه لا يمكن قطعها بالكلية فان المدة تطول والتعب يكثر ولا فائدة وراءه وقبحه عنده اصحابه فاعرض عنه واقام بمكانه من اول ربيع الآخر الى ان قارب آخره ثم رحل عنها الى ميافارقين وكان سبب ذلك ان شاه ارمن صاحب خلاط توفي بها تاسع ربيع الآخر فوصل الخبر بوفاته في العشرين منه فعزم على الرحيل اليها وعلى ملكها حيث ان شاه ارمن لم يخلف ولدا ولا احدا من اهل بيته يملك البلاد بعده وانما قد استولى عليها مملوك له اسمه بكتمر ولقبه سيف الدين فاستشار صلاح الدين امراءه ووزراءه فاختلفوا فاما من اراد الموصل فيشير بالمقام وملازمة الحصار لها واما من يكره اذى البيت الاتابكي فانه اشار بالرحيل وقال ان ولاية خلاط اكبر واعظم وهي سائبة لا حافظ لها وهذه لها سلطان يحفظها ويذب عنها واذا ملكنا تلك سهل امر هذه وغيرها فتردد في امره فاتفق انه جاءه كتب جماعة من اعيان خلاط من اهلها وامرائها يستدعونه ليسلموا اليه البلد فسار عن الموصل وكانت مكاتبتهم له خديعة ومكرا فان شمس الدين البهلوان بن ايلدكز صاحب اذربيجان وهمذان وتلك المملكة قد قصدهم ليأخذ البلاد منهم وكان قبل ذلك قد زوج شاه ارمن على كبر سنه ابنته ليجعل ذلك طريقا الى ملك خلاط واعمالها فلما بلغهم مسيره اليهم كاتبوا صلاح الدين يستدعونه اليهم ليسلموا البلد اليه ليدفعوا به البهلوان ويدفعوه بالبهلوان ويبقى البلد بايديهم فسار صلاح الدين وسير في مقدمته ابن عمه ناصر الدين محمد بن شيركوه ومظفر الدين بن زين الدين وغيرهما فساروا الى خلاط ونزلوا بطوانة بالقرب من خلاط وسار صلاح الدين الى ميافارقين واما البهلوان فانه سار الى خلاط ونزل قريبا منها وترددت رسل اهل خلاط بينهم وبينه وبين صلاح الدين ثم انهم اصلحوا امرهم مع البهلوان وصاروا من حزبه وخطبوا له

(ذكر وفاة نور الدين صاحب الحصن)

في هذه السنة توفي نور الدين محمد بن قرا ارسلان بن داود صاحب الحصن وآمد لما كان صلاح الدين على الموصل وخلف ابنين فملك الاكبر منهما واسمه سقمان ولقبه قطب الدين وتولى تدبير الامور وزيره القوام بن سماقة الاسعردي وكان عماد الدين بن قرا ارسلان قد سيره اخوه نور الدين في عسكره الى صلاح الدين وهو يحاصر الموصل وهو معه فلما بلغه خبر وفاة اخيه سار ليملك البلاد بعده لصغر اولاده فتعذر عليه ذلك فسار الى خرتبرت فملكها وهي بيد اولاده الى سنة عشرين وستمائة ولما حضر صلاح الدين ميافارقين حضر عنده ولد نور الدين فاقره على ملك ابيه ومن جملته آمد وكانوا قد خافوا ان يأخذها منهم فلم يفعل ورتبهم الى بلادهم وشرط عليهم ان يراجعوه فيما يفعلونه ويصدرون عن امره ونهيه ورتب معه اميرا من امراء صلاح الدين من اصحاب ابيه

(ذكر ملك صلاح الدين ميافارقين)

من الحجاج المراكب ولا يؤخذ منهم الا القدر الذي جعلته على كل فرد منهم فكان ما حكمت به هذه المكرمة صار لهم به منقبة حيث تعود كراحتنا وفرجا لهؤلاء الخلائق بعد الشدة

(واستهل شهر ذي القعدة بيوم السبت سنة ١٢٢٩)

وفي يوم الاثنين نادى المنادي بوقود قناديل سهارى على البيوت والوكائل وكل اربع دكاكين قنديل (وفي ثامنه) جرسوا شخصا واركبوه على حمار بالمقلوب وهو قابض بيده على ذنب الحمار وعمره مقدار بن ذيحة وعلى كتفه كرش بعدان حلقوا نصف لحيته وشواربه قيل ان سبب ذلك انه زور حجة تقرير على اغا كرتبعلق بامراة اجنبية وباع بعض الاغا كرو كانت تلك المراة غائبة في مصر فلما حضرت وجدت مكانها مسكونا بالذي اشتراه فرفعت قصتها الى كتخدا بك ففعل به ذلك بعد وضوح القضية (وفي ثاني عشره) سافر عبد الله ابن الشريف سرور الى الحجاز باستدعاء من الباشا فاعطوه اكياسا وقضى اشغاله وخرج مسافرا (وفيه) وقعت حادثة بحارة المكيين بين شخصين من الدلاتية وعفا خلف غلام بدوي فحمل نفسه عسكريا مع عصبة المغاربة يدعي احدهما ان له عنده دراهم فهرب منهما الى العطفة المذكورة رجاله فقبض وكل منهما بسيفه مسلولا فدخل الغلام الى عطفة الجماميز فرصت عليهما المغاربة

فقرأ الشمايل والمواهب والجلالين ولم يزل على حالته حتى توفي ثاني عشر ذي الحجة ١٢٣٠ (ومات) الشيخ المفيد محمد الاشناوي

الدين ابن اخي صلاح الدين اسمه بوزابه فكثر جمعهم وقويت شوكتهم فلما اجتمعوا
بلغت عدتهم مبلغا كثيرا وكلهم كاره لدولة الموحدين واتبعوا جميعهم علي بن اسحق
الملثم لانه من بيت المملكة والرياسة القديمة وانقادوا اليه ولقبوه بامير المسلمين وقصدوا
بلاد افريقية فملكوها جميعها شرقا وغربا الا المدينتين تونس والمهدية فان الموحدين
اقاموا بهما وحفظوهما على خوف وضيق وشدة وانضاف الى المفسد الملثم كل مفسد في تلك
الارض ومن يريد الفتنة والنهب والفساد والشر فخربوا البلاد والحصون والقرى
وهتكوا الحرم وقطعوا الاشجار وكان الوالي على افريقية حينئذ عبد الواحد بن
عبد الله الهنتاتي وهو بمدينة تونس فارسل الى ملك المغرب يعقوب وهو بمراكش يعلمه
الحال وقصد الملثم مدينة باشرا وهي بقرب تونس تشتمل على قرى كثيرة فنازلها واحاط
بها فطلب اهلها منه الامان فامنهم فلما دخلها العسكر نهبوا جميع ما فيها من الاموال
والدواب والغلات وسلبوا الناس حتى ثيابهم وامتدت الايدي الى النساء والصبيان
وتركوهم هلكى فقصدوا مدينة تونس فاما الاقوياء فكانوا يخدمون ويعملون
ما يقوم بقوتهم واما الضعفاء فكانوا يستعطون ويسألون الناس ودخل عليهم فصل
الشتاء فاهلكهم البرد ووقع فيهم الوباء فاحصى الموتى منهم فكانوا اثني عشر الفا هذا
من موضع واحد فما الظن بالباقي ولما استولى الملثم على افريقية قطع خطبة اولاد
عبد المؤمن وخطب للامام الناصر لدين الله الخليفة العباسي وارسل اليه يطلب الخلع
والاعلام السود وقصد في سنة اثنتين وثمانين مدينة قفصة فحصرها فاخرج اهلها
الموحدين من عساكر ولد عبد المؤمن وسلموها الى الملثم فرتب فيها جندا من الملثمين
والاتراك وحصنها بالرجال مع حصانتها في البناء واما يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن
فانه لما وصله الخبر اختار من عساكره عشرين الف فارس من الموحدين وقصد قلة
العسكر لقلة القوت في البلاد ولما جرى فيها من التخريب والاذى وسار في صفر سنة
ثلاث وثمانين وخمسمائة فوصل الى مدينة تونس وارسل ستة آلاف فارس مع ابن
اخيه فساروا الى علي بن اسحق الملثم ليقاتلوه وكان بقفصة فواقعوه وكان مع الموحدين
جماعة من الترك فخامروا عليهم فانهزم الموحدون وقتل جماعة من مقدميهم وكان ذلك
في ربيع الاول سنة ثلاث وثمانين فلما بلغ يعقوب الخبر اقام بمدينة تونس الى نصف
رجب من السنة ثم خرج فيمن معه من العساكر وطلب الملثم والاتراك فوصل اليهم
فالتقوا بالقرب من مدينة قابس واقتتلوا فانهزم الملثم ومن معه فاكثر الموحدون
القتل حتى كادوا يفنونهم فلم ينج منهم الا القليل فقصدوا البر ورجع يعقوب من يومه
الى قابس فقصدها واخذ منها اهل قراقوش واولاده وحملهم الى مراكش وتوجه الى
مدينة قفصة فحصرها ثلاثة اشهر وقطع اشجارها وخرب ما حولها فارسل اليه الترك
الذين فيها يطلبون الامان لانفسهم ولاهل البلد فاجابهم الى ذلك وخرج الاتراك منها
سالمين وسير الاتراك الى الثغور لما رأى من شجاعتهم ونكايتهم في العدو وتسلم يعقوب
البلد وقتل من فيه من الملثمين وهدم اسواره وترك المدينة مثل قرية وظاهرها اقذره

الشهير بجاد المولى ممن جاور بالازهر وحضر دروس اشياخ الوقت من اهل عصره ولازم الشيخ عبد الله الشرقاوي في دروسه وبه تخرج وواظب عليه في مجالس الذكر وتلقى عنه طريقة الخلوتية والبسه التاج وتقدم في خطابة الجمعة والاعياد بالجامع الازهر بدلا عن الشيخ عبد الرحمن البكري عند [illegible] عنه وخطب بجامع عمرو بمصر العتيقة يوم الاستسقاء عندما قصرت زيادة النيل في سنة ثلاث وعشرين وتأخر في الزيادة عن اوانه ولما حضر محمد باشا خسروا الى مصر وصلى صلاة الجمعة بالازهر في سنة سبع عشرة خلع عليه بعد الصلاة فروة سمور فكان يخرجها من الخزينة ويلبسها وقت خطبة الجمعة والاعياد وواظب على قراءة الكتب للمبتدئين كالشيخ خالد والآجرومية ثم قرأ شرح الاشموني على الخلاصة واشتهر ذكره وعظم امره في اقل زمن وكان فصيحا مفوها في التقرير والالقاء لتفهيم الطلبة ولم يزل على حالة جيدة في حسن السلوك والطريقة حتى توفي في شهر الحجة وقد ناهز الاربعين

(سنة ثلاثين ومائتين والف)

(استهل المحرم بيوم الثلاثاء)

(في خامسه) وصل نجاب من الحجاز وعلى يده مكاتبات بالاخبار عن الباشا والحجاج بانهم حجوا ووقفوا بعرفة وقضوا

واشتد مرضه حتى ايسوا من عافيته فخاف الناس لاولاده وجعل لكل منهم شيئاً من البلاد معلوماً وجعل اخاه العادل وصياً على الجميع ثم انه عوفي وعاد الى دمشق في المحرم سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة ولما كان مريضاً بحران كان عنده ابن عمه ناصر الدين محمد بن شيركوه وله من الاقطاع حمص والرحبة فسار من عنده الى حمص فاجتاز بحلب واحضر جماعة من الدمشقيين وواعدهم على تسليم البلد اليه اذا مات صلاح الدين واقام بحمص ينتظر موته ليسير الى دمشق فيملكها فعوفي وبلغه الخبر على جهته فلم يمض غير قليل حتى مات ابن شيركوه ليلة عيد الاضحى فانه شرب الخمر واكثر منه فاصبح ميتاً فذكروا والعهدة عليهم ان صلاح الدين وضع انساناً يقال له الناصح بن العميد وهو من دمشق فحضر عنده ونادمه وسقاه سماً فلما اصبحوا من الغد لم يروا الناصح فسألوا عنه فقيل انه سار من ليلته الى صلاح الدين فكان هذا مما قوى الظن فلما توفي اعطى اقطاعه لولده شيركوه وعمره اثنتا عشرة سنة وخلف ناصر الدين من الاموال والخيل والآلات شيئاً كثيراً فحضر صلاح الدين في حمص واستعرض تركته واخذ اكثرها ولم يترك الا ما لا خير فيه وبلغني ان شيركوه بن ناصر الدين حضر عند صلاح الدين بعد موت ابيه بسنة فقال له الى اين بلغت من القرآن فقال الى قوله تعالى ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلماً انما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً فعجب صلاح الدين والحاضرون من ذكائه

(ذكر الفتنة بين التركمان والاكراد بديار الجزيرة والموصل)

في هذه السنة ابتدأت الفتنة بين التركمان والاكراد بديار الجزيرة والموصل وديار بكر وخلاط والشام وشهرزور واذربيجان وقتل فيها من الخلائق ما لا يحصى ودامت عدة سنين وتقطعت الطرق ونهبت الاموال واريقت الدماء وكان سببها ان امرأة من التركمان تزوجت بانسان تركماني واجتازوا في طريقهم بقلعة من الزوزان للاكراد فخرج اهلها وطلبوا من التركمان وليمة العرس فامتنعوا من ذلك وجرى بينهم كلام صاروا منه الى القتال فنزل صاحب تلك القلعة فاخذ الزوج فقتله فهاجت الفتنة وقام التركمان على ساق وقتلوا جمعاً كثيراً من الاكراد وثار الاكراد فقتلوا من التركمان ايضاً كذلك وتفاقم الشر ودام ثم ان مجاهد الدين قايماز رحمه الله جمع عنده جماعة من رؤساء الاكراد والتركمان واصلح بينهم واعطاهم الخلع والثياب وغيرها واخرج عليهم مالاً جماً فانقطعت الفتنة وكفى الله شرها وعادوا الى ما كانوا عليه من الطمأنينة والامان

(ذكر ملك الملثمين والعرب افريقية وعودها الى الموحدين)

قد ذكرنا سنة ثمانين ملك علي بن اسحق الملثم بجاية وارسال يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن العساكر واستعادتها فسار الى افريقية فلما وصل اليها اجتمع معه سليم ورياح ومن هناك من العرب وانضاف اليهم الترك الذين كانوا قد دخلوا من مصر مع شرف الدين قراقوش وقد تقدم ذكر وصولهم اليها ودخل ايضاً من اتراك مصر مملوك لتقي

وحضر اشياخ العصر ولازم حضور الشيخ عبد الله الشرقاوي وانتقل من مذهب الحنفية الى الشافعية لملازمته لهم في المعقول والمنقول وتلقى عن السيد مرتضى اسانيد الحديث المسلسلات وحفظ القرآن في مبدأ امره برشيد وجوّده على السيد صديق وحفظ شيئاً من المتون قبل مجيئه الى مصر واكب على الاشتغال بالازهر وتزيا بزي الفقهاء بلبس العمامة والفرجية وتصدر ودرس في الفقه والمعقول وغيرهما ولما وصل محمد باشا الى ولاية مصر اجتمع عليه عند قلعة ابي قير وجعله اماماً يصلي خلفه الاوقات وحضر معه الى مصر ولم يزل مواظباً على وظيفته وانتفع بنسبته اليه واقتنى حصصاً واقطاعات وتقلد قضايا مناصب البلاد البنادر ويأخذ عن يتولاها الجعالات والهدايا واخذ ايضاً نظر وقف ازبك وغيره ولم يزل تحت نظره بعد انفصال محمد باشا خسرو واستمر المذكور على القراءة والاقراء حتى توفي اواخر السنة (ومات) الفاضل الشيخ عبد الرحمن الجمل وهو اخو الشيخ سليمان الجمل تفقه على اخيه ولازم دروسه وحضر غيره من اشياخ العصر ومشى على طريقة اخيه في التقشف والانجماع عن خلطة الناس ولما مات اخوه وكان يملي الدروس بجامع المشهد الحسيني بين المغرب والعشاء على جمع من مجاوري الازهر والعامة تصدر للاقراء في محله في ذلك الوقت

الدين

وكان كبير القدر عنده مطاعا في الجند الى مصر وامرها باخراج تقي الدين والمقام بمصر فسار
مع العادل فشعر تقي الدين الامر فدخل الفقيه عيسى الى داره بالقاهرة وارسل اليه
يامره بالخروج منها فطلب ان يمهل الى ان يتجهز فلم يفعل وقال تقيم خارج المدينة
وتتجهز فخرج واظهر انه يريد الدخول الى الغرب فقال له اذهب حيث شئت فلما سمع
صلاح الدين الخبر ارسل اليه يطلبه فسار الى الشام فاحسن اليه ولم يظهر له شيئا مما كان
لانه كان حليما كريما صبورا رحمه الله واما اخذ حلب من العادل فان السبب فيه انه
كان من جملة جندها امير كبير اسمه سليمان بن جندر بينه وبين صلاح الدين صحبة قديمة
قبل الملك وكان صلاح الدين يعتمد عليه وكان عاقلا ذا مكر ودهاء فاتفق ان الملك
العادل لما كان بحلب لم يفعل معه ما كان يظنه وقدم غيره عليه فتأثر بذلك فلما مرض
صلاح الدين وعوفي وسار الى الشام سايره يوما سليمان بن جندر فجرى حديث مرضه
فقال له سليمان باي رأي كنت تظن انك توصي الى الصيد فلا يخالفونك بالله ما تستحي
ان يكون الطائر اهدى منك الى المصلحة قال وكيف ذلك وهو يضحك قال اذا اراد الطائر
ان يعمل عشا لفراخه قصد اعالي الشجر ليحمي فراخه وانت سلمت الحصون الى اهلك
وجعلت اولادك على الارض هذه حلب بيد اخيك وحماة بيد تقي الدين وحمص بيد ابن
شيركوه وابنك العزيز مع تقي الدين بمصر يخرجه اي وقت اراد وهذا ابنك الآخر مع
اخيك في خيمة يفعل به ما اراد فقال له صدقت واكتم هذا الامر ثم اخذ حلب من اخيه
واخرج تقي الدين من مصر ثم اعطى اخاه العادل حران والرها وميافارقين ليخرجه من
الشام ومصر لتبقى لاولاده فلم ينفعه ما فعل لما اراد الله تعالى نقل الملك عن اولاده
على ما نذكره

(ذكر وفاة البهلوان وملك اخيه قزل)

في هذه السنة في اولها توفي البهلوان محمد بن ايلدكز صاحب بلد الجبل والري
واصفهان واذربيجان واران وغيرها من البلاد وكان عادلا حسن السيرة عاقلا
حليما ذا سياسة حسنة للملك وكانت البلاد في ايامه آمنة والرعايا مطمئنة فلما
مات جرى باصفهان بين الشافعية والحنفية من الحروب والقتل والاحراق والنهب
ما يجل عن الوصف وكان قاضي البلد راس الحنفية وابن الخجندي راس الشافعية
وكان بمدينة الري ايضا فتنة عظيمة بين السنية والشيعة وتفرق اهلها وقتل منهم
وخربت المدينة وغيرها من البلاد ولما مات البهلوان ملك اخوه قزل ارسلان واسمه
عثمان وكان السلطان طغرل بن ارسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه مع البهلوان
والخطبة له في البلاد بالسلطنة وليس له من الامر شيء وانما البلاد والامراء والاموال بحكم
البهلوان فلما مات البهلوان خرج طغرل عن حكم قزل ولحق به جماعة من الامراء والجند
فاستولى على بعض البلاد وجرت بينه وبين قزل حروب نذكرها ان شاء الله تعالى

(ذكر اختلاف الفرنج بالشام وانحياز القمص صاحب طرابلس الى صلاح الدين)

فانتقل به ابراهيم باشا الى مجلس كتخدا بك فخلع كتخدا بك على بشارة خلعة وامر بضرب المدافع ونزلت المبشرون
وانتشروا بالبشائر الى بيوت
الاعيان واخذ البقاشيش
ولما حصل التراخي والتباطؤ
والتأخر في الحضور بعد
الاشاعة اخذ الناس في
اختلاف الروايات والاقاويل
كعادتهم فمنهم من يقول انه
حضر مهزوما ومنهم من يقول
مجروحا ومنهم من يثبت موته
والشيء الذي اوجب في الناس
هذه التقليبات ما شاهدوه
من حركات اهل الدولة وانتقال
نسائهم من المدينة وطلوعهم
الى القلعة بمتاعهم واخلاء
الكثير منهم البيوت وانتقال
طائفة الاروام من الدور
المتباعدة واتباعهم وسكناهم
بناحية خطة عابدين وكذلك
انتقل ابراهيم باشا الى القلعة
ونقل اليها الكثير من متاعه
واقرب من هذا كله اشاعة
اتفاق عظماء الدولة على
ولاية ابراهيم باشا على الاحكام
عوضا عن ابيه في يوم الخميس
وترتيب الموكب يركب فيه
ذلك اليوم ويشق من وسط
المدينة واجتمع الناس
للفرجة عليه واصطفوا على
المصاطب والدكاكين فلم
يحصل وظهر كذب ذلك كله
وبطلانه واتفق في اثناء ذلك
من زيادة الاوهام والتخيلات
ان رضوان كاشف المعروف
بالشعراوي سعى بداره التي
بالشارع بخط باب الشعرية وفتح له بابا صغيرا من داخل العطفة التي بظاهره فاوشى بعض مبغضيه الى كتخدا بك

المهدي بن تومرت فانه قال انها تخرب اسوارها وتقطع اشجارها وقد تقدم ذكر ذلك فلما
فرغ يعقوب من افريقية واستقامت افريقية عاد الى مراكش وكان وصوله اليها
سنة اربع وثمانين وخمسمائة

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة فارق الرضى ابو الخير احمد بن اسماعيل القزويني الفقيه الشافعي بغداد وكان
مدرس النظامية بها وعاد الى قزوين ودرس فيها بعده الشيخ ابو طالب المبارك صاحب
ابن الخل وكان من العلماء الصالحين وفيها كان بين اهل الكرخ ببغداد وبين اهل
باب البصرة فتنة عظيمة جرح فيها كثير منهم وقتل ثم اصلح النقيب الطاهر بينهم
وفيها توفي الفقيه مهذب الدين عبد الله بن اسعد الموصلي وكان عالما بمذهب الشافعي
وله نظم ونثر جاد فيه وكان من محاسن الدنيا وكانت وفاته بحمص

(ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة)

(ذكر نقل العادل من حلب والملك العزيز الى مصر واخراج
الافضل من مصر الى دمشق واقطاعه اياها)

في هذه السنة اخرج صلاح الدين ولده الافضل عليا من مصر الى دمشق واقطعها له
واخذ حلب من اخيه العادل وسيره مع ولده العزيز عثمان الى مصر وجعله اتابكه
واستدعى تقي الدين منها وسبب ذلك انه كان قد استناب تقي الدين بمصر كما ذكرناه
وجعل معه ولده الاكبر الافضل عليا فارسل تقي الدين يشكو من الافضل ويذكر انه
قد عجز عن جباية الخراج معه لانه كان حليما كريما اذا اراد تقي الدين معاقبة احد
منعه فاحضر ولده الافضل وقال لتقي الدين لا تحتج في الخراج وغيره بحجة وتغير عليه
بذلك وظن انه يريد اخراج ولده الافضل ليتفرد بمصر حتى يملكها اذا مات صلاح الدين
فلما قوي هذا الخاطر عنده احضر اخاه العادل من حلب وسيره الى مصر ومعه ولده
العزيز عثمان واستدعى تقي الدين الى الشام فامتنع من الحضور وجمع الاجناد
والعساكر ليسير الى المغرب الى غلامه قراقوش وكان قد استولى على جبال نفوسة
وبرقة وغيرها وقد كتب اليه يرغبه في تلك البلاد فتجهز للسفر اليه واستصحب معه اجناد
العسكر واكثرهم فلما سمع ذلك صلاح الدين ساءه وعلم انه ان ارسل اليه يمنعه لم يجبه
فارسل اليه يقول له اريد ان تحضر عندي لاودعك واوصيك بما تعمله فلما حضر عنده
منعه وزاد في اقطاعه فصار اقطاعه حماة ومنبج والمعرة وكفرطاب وميافارقين وجبل
جور بجميع اعمالها وكان تقي الدين قد سير مقدما من مماليكه بوزابة فاتصل بقراقوش
وكان منهم ما ذكرناه سنة احدى وثمانين وخمسمائة وقد بلغني من خبير باحوال صلاح
الدين انه انما حمله على اخذ حلب من العادل واعادة تقي الدين الى الشام ان صلاح الدين
لما مرض بحران على ما ذكرناه ارجف بمصر انه قد مات فجرى من تقي الدين حركات من
يريد ان يستبد بالملك فلما عوفي صلاح الدين بلغه ذلك فارسل الفقيه عيسى الهكاري

المماليك (وفي تاسعه) حضر ابراهيم باشا من الجهة القبلية الى داره بالجمالية (وفي عاشره) يوم الخميس وصل
في ليلته قابجي وعلى يده
تقرير للباشا من الحجاز الى
ساحل القصير فضربوا المدافع
مدافع من القلعة (وفي صبحه) لم
خرج ابن الباشا واخوه
وكذلك الكبير ولتهم الى ناحية
البساتين ومنهم من عدى
النيل الى البر الغربي للاقاته
على مقتضى عادته في عطته
في الحض ورده على حساب مضى
الايام من يوم وصوله الى القصير
فقابوا في انتظاره حتى انقضى
النهار ثم رجعوا (وفي صبح اليوم
الثاني) خرجوا ثم عادوا الى
دورهم آخر النهار واستمروا
على الخروج والرجوع ثلاثة
ايام ولم يحضر وكثر لغط الناس
عند ذلك واختلفت رواياتهم
واقاموا بهم مدة ايام ليلا ونهارا
ثم ظهر كذب هذا الخبر وان
الباشا لم يزل بارض الحجاز وقيل
ان سبب اشاعة خبر مجيئه انه
وصل الى ساحل القصير سفينة
بها سبعة عشر شخصا من العسكر
فسألهم الوكيل الكاشف
بالقصير عن مجيئهم فاجابوه
انهم مقدمة الباشا وانه واصل
في اثرهم فعندما سمع جوابهم
ارسل خطابا الى كاتب من
الاقباط بقنا يعرفه بقدوم
الباشا فكتب ذلك القبطي
خطابا الى وكيل شخص من
اعيان كتبة الاقباط باسيوط
يبشر المعلم بشارة عندما وصله
الجواب ارسل جوابا الى موكله بشارة المذكور بمصر بذلك الخبر وفي الحال طلع به الى القلعة واعطاه لابراهيم باشا وكان

لذلك مصنوع ولم يهب من الرياح شئ البتة حتى ان الغلال الحنطة والشعير ما تم نجازها لعدم الهواء الذي يذري به الفلاحون فأكذب الله احدوثة المنجمين وأخزاهم وفيها توفي عبد الله بن بري بن عبد الجبار بن بري النحوي المصري وكان اماما في النحو رحمه الله تعالى

(ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة)

اتفق أول هذه السنة يوم السبت وهو يوم النوروز السلطاني وهو رابع عشر آذار سنة الف واربعمائة وثمان وتسعين اسكندرية وكان القمر والشمس في الحمل واتفق أول سنة العرب وأول سنة الفرس التي جددها الخير وأول سنة الروم والشمس والقمر في أول البروج وهذا يبعد وقوع مثله

(ذكر حصر صلاح الدين الكرك)

في هذه السنة كتب صلاح الدين الى جميع البلاد يستنفر الناس للجهاد وكتب الى الموصل وديار الجزيرة واربل وغيرها من بلاد الشرق والى مصر وسائر بلاد الشام يدعوهم الى الجهاد ويحثهم عليه ويأمرهم بالتجهز بغاية الامكان ثم خرج من دمشق أواخر المحرم في عسكرها وحلقتها الخاص فسار الى رأس الماء وتلاحقت به العساكر الشامية فلما اجتمعوا جعل عليهم ولده الملك الافضل عليا ليجتمع اليه من يرد اليه منها وسار هو الى بصرى جريدة وكان سبب مسيره وقصده اليها انه أتته الاخبار ان البرنس ارناط صاحب الكرك يريد ان يقصد الحجاج ليأخذهم من طريقهم وأظهر انه اذا فرغ من أخذ الحجاج يرجع الى طريق العسكر المصري يصدهم عن الوصول الى صلاح الدين فسار الى بصرى ليمنع البرنس ارناط من طلب الحجاج ويلزم بلده خوفا عليه وكان من الحجاج جماعة من اقاربه منهم محمد بن لاجين وهو ابن اخت صلاح الدين وغيره فلما سمع ارناط بقرب صلاح الدين من بلده لم يفارقه وانقطع عما طمع فيه فوصل الحجاج سالمين فلما وصلوا وفرغ سره من جهتهم سار الى الكرك وبث سراياه من هناك على ولاية الكرك والشوبك وغيرهما فنهبوا وخربوا واحرقوا والبرنس محصور لا يقدر على المنع عن بلده وسائر الفرنج قد لزموا طرف بلادهم خوفا من العسكر الذي مع ولده الافضل فتمكن من الحصر والنهب والحريق والتخريب هذا فعل صلاح الدين

(ذكر الغارة على بلد عكا)

أرسل صلاح الدين الى ولده الافضل يأمره ان يرسل قطعة صالحة من الجيش الى بلد عكا ينهبونه ويخربونه فسير مظفر الدين كوكبري بن زين الدين وهو صاحب حران والرها وأضاف اليه قايماز النجمي ودلدرم الياروقي وهما من اكابر الامراء وغيرهما فساروا ليلا وصبحوا صفورية أواخر صفر فخرج اليهم الفرنج في جمع من الداوية والاستبارية وغيرهما فالتقوا هناك وجرت بينهم حرب تشيب لها المفارق السود ثم أنزل الله تعالى

معارضة وكتبوا مراسيم الى جميع البلاد وفيها التشديد والتهديد والانتقام لمن يريد (وفي أواخره) الزم المعلم غالي عمال الجمرك بمال التي تطلب من النصارى على خمسة وثمانين كيسا وسبب ذلك ان بعض اتباع المقيد لقبض الجوالي قبض على شخص من النصارى وكان من قسوسهم وشددوا عليه في الطلب واهانه فانهوا الامر الى المعلم غالي ففعل ذلك قصدا لمنع الايذاء من ابناء جنسه ويكون الطلب منه عليهم ومنع المتظاهرين بالاسلام عنهم (واستهل شهر ربيع الاول يوم السبت سنة ١٢٣٠) في تاسعه وصلت قافلة طيارى من الحجاز فقدم صحبتها السيد عبد الله الافغاني ومعها هجانة من الحجاز وعلى يدهم مكتوبات وفيها الاخبار والبشرى بنصرة الباشا على العرب وانه استولى على تربة وغنم منها جمالا وغنائم واخذ منهم اسرى فلما وصلت الاخبار بذلك انطلق المبشرون الى بيوت الاعيان لاخذ البقاشيش وضربوا في صبحها مدافع كثيرة من القلعة (وفي يوم الثلاثاء حادي عشره) كان المولد النبوي فنودي في صبحه بزينة المدينة وبولاق ومصر القديمة ووقود القناديل والسهر ثلاثة ايام بلياليها فلما اصبح يوم الاربعاء والزينة بحالها الى بعد اذان العصر نودي برفعها ففرح اهل الاسواق بازالتها ورفعها لما يحصل لهم من التكاليف

كان القومص صاحب طرابلس واسمه ريمند بن ريمند الصنجيلي قد تزوج بالقومصة صاحبة طبرية وانتقل اليها واقام عندها بطبرية ومات ملك الفرنج بالشام وكان مجذوما واوصى بالملك الى ابن اخت له وكان صغيرا فكفله القومص وقام بسياسة الملك وتدبيره لانه لم يكن للفرنج ذلك الوقت اكبر منه شانا ولا اشجع ولا اجود رايا منه فطمع في الملك بسبب هذا الصغير فاتفق ان الصغير توفي فانتقل الملك الى امه فبطل ما كان القومص يحدث نفسه به ثم ان هذه الملكة هويت رجلا من الفرنج الذين قدموا الشام من الغرب اسمه كي فتزوجته ونقلت الملك اليه وجعلت التاج على راسه واحضرت البطرك والقسوس والرهبان والاسبتارية والداوية والبارونية واعلمتهم انها قد ردت الملك اليه واشهدتهم عليها بذلك فاطاعوه ودانوا له فعظم ذلك على القومص وسقط في يديه وطولب بحساب ما جبى من الاموال مدة ولاية الصبي فادعى انه انفقه عليه وزاده ذلك نفورا وجاهر بالمشاقة والمباينة وراسل صلاح الدين وانتمى اليه واعتضد به وطلب منه المساعدة على بلوغ غرضه من الفرنج ففرح صلاح الدين والمسلمون بذلك ووعده النصر والسعي له في كل ما يريد وضمن له انه يجعله ملكا مستقلا للفرنج قاطبة وكان عنده جماعة من فرسان القومص فاطلقهم فحل ذلك عنده اعظم محل واظهر طاعة صلاح الدين ووافقه على ما فعل جماعة من الفرنج فاختلفت كلمتهم وتفرق شملهم وكان ذلك من اعظم الاسباب الموجبة لفتح بلادهم واستنقاذ البيت المقدس منهم على ما نذكره ان شاء الله وسير صلاح الدين السرايا من ناحية طبرية فشنت الغارات على بلاد الفرنج وخرجت سالمة غانمة فوهن الفرنج بذلك وضعفوا وتجرا المسلمون عليهم وطمعوا فيهم

(ذكر غدر البرنس ارناط)

كان البرنس ارناط صاحب الكرك من اعظم الفرنج واخبثهم واشدهم عداوة للمسلمين واعظمهم ضررا عليهم فلما راى صلاح الدين ذلك منه قصده بالحصر مرة بعد مرة وبالغارة على بلاده كرة بعد اخرى فذل وخضع وطلب الصلح من صلاح الدين فاجابه الى ذلك وهادنه وتحالفا وترددت القوافل من الشام الى مصر ومن مصر الى الشام فلما كان هذه السنة اجتاز به قافلة عظيمة غزيرة الاموال كثيرة الرجال ومعها جماعة صالحة من الجند فغدر اللعين بهم واخذهم عن آخرهم وغنم اموالهم ودوابهم وسلاحهم واودع السجون من اسره منهم فارسل اليه صلاح الدين يلومه ويقبح فعله وغدره ويتوعده ان لم يطلق الاسرى والاموال فلم يجب الى ذلك واصر على الامتناع فنذر صلاح الدين نذرا ان يقتله ان ظفر به فكان ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر عدة حوادث)

كان المنجمون قديما وحديثا قد حكموا ان هذه السنة التاسع والعشرين من جمادى الآخرة تجتمع الكواكب الخمسة في برج الميزان وتحدث باقترانها رياح شديدة لم يكن

فلما تم في هذا الوقت والناس يرددون في الوهم ويتحدثون بما اوجبه من الاكاذيب وخصوصا كونه من الاعيان المعروف بين طائفة كتخدا بك وقال له لاي شيء سددت بابدارك وما الذي اوجب ذلك فقال ان طائفة من العسكر تشاجروا بالحطبة ودخلوا الى الدار وازعجونا فسددتها من ناحية الشارع خوفا من الشر وخوفا مما جرى على داري سابقا من النهب فلم يلتفت لكلامه وامر بقتله فتشفع فيه صالح بك السلحدار وحسن اغا سرششمه فعفا عنه من القتل وامر بضربه فبطحوه وضربوه بالعصي ثم نزل بصحبته الاغا الى داره وفتح الباب كما كان (وفي رابع عشرينه) وصلت مكاتبات من الديار الحجازية من عند الباشا وخلافته مؤرخة في ثالث عشر ذي الحجة يذكرون فيها ان الباشا بمكة وطوسون باشا ابنه بالمدينة وحسن باشا واخاه عابدين بك وخلافهم بالسكاكة ما بين الطائف وتربة

(واستهل شهر صفر الخير بيوم الخميس سنة ١٢٣٠)

في خامس عشرينه نودي بنقص مصارفة اصناف العاملة وقد وصل صرف الريال الفرانسه من الفضة العددية الى ثلثمائة واربعين نصفا والمشخص البندقي الى ... دنانير اغيانية قروش ونصف فنودي عليه بنقص نصف قرش والمحبوب وصل الى عشرة قروش فنودي عليه بنقص قرش وشددوا في المناداة تشديدا زائدا وان كل من زاد على ذلك من غير نقص قتل

الجميع الاستعداد بالجهاد ثم رحل من الاقحوانة اليوم الخامس من نزوله بها وهو يوم
الخميس لسبع بقين من ربيع الآخر فسار حتى خلف طبرية وراء ظهره وصعد جبلها
وتقدم حتى قارب الفرنج فلم ير منهم احدا ولا فارقوا خيامهم فنزل وامر العسكر بالنزول
فلما جنه الليل جعل في مقابل الفرنج من يمنعهم من القتال ونزل جريدة الى طبرية وقاتلها
ونقب بعض ابراجها واخذ المدينة عنوة في ليلة ولجأ من بها الى القلعة التي لها فامتنعوا
بها وفيها صاحبتها ومعها اولادها فنهب المدينة واحرقها فلما سمع الفرنج بنزول صلاح
الدين الى طبرية وملكه المدينة واخذ ما فيها واحراقها واحراق ما تخلف عنه لا يحمل
اجتمعوا للمشورة فاشار بعضهم بالتقدم الى المسلمين وقتالهم ومنعهم عن طبرية فقال
القمص ان طبرية لي ولزوجتي وقد فعل صلاح الدين بالمدينة ما فعل وبقي القلعة وفيها
زوجتي وقد رضيت ان ياخذ القلعة وزوجتي وما لنا بها ويعود فوالله لقد رأيت عساكر
الاسلام قديما وحديثا ما رأيت مثل هذا العسكر الذي مع صلاح الدين كثرة وقوة واذا
اخذ طبرية لا يمكنه المقام بها فمتى فارقها وعاد عنها اخذناها وان اقام بها لا يقدر على المقام
بها الا بجميع عساكره ولا يقدرون على الصبر طول الزمان عن اوطانهم واهليهم فيضطر
الى تركها ونفتك من اسر منا فقال له برنس ارناط صاحب الكرك قد اطلت في
التخويف من المسلمين ولا شك انك تريدهم وتميل اليهم والا ما كنت تقول هذا واما
قولك انهم كثيرون فان النار لا يضرها كثرة الحطب فقال القمص انا واحد منكم ان تقدمتم
تقدمت وان تأخرتم تأخرت وسترون ما يكون فقوي عزمهم على التقدم الى المسلمين
وقتالهم فرحلوا من معسكرهم الذي لزموه وقربوا من عساكر الاسلام فلما سمع صلاح
الدين بذلك عاد عن طبرية الى عسكره وكان قريبا منه وانما كان قصده بمحاصرة طبرية
ان يفارق الفرنج مكانهم ليتمكن من قتالهم وكان المسلمون قد نزلوا على الماء والزمان
قيظ شديد الحر فوجد الفرنج العطش ولم يتمكنوا من الوصول الى ذلك الماء من المسلمين
وكانوا قد افنوا ما هناك من ماء الصهاريج ولم يتمكنوا من الرجوع خوفا من المسلمين
فبقوا على حالهم الى الغد وهو يوم السبت وقد اخذ العطش منهم واما المسلمون فانهم
طمعوا فيهم وكانوا من قبل يخافونهم فباتوا يحرض بعضهم بعضا وقد وجدوا
ريح النصر والظفر وكلما رأوا حال الفرنج خلاف عادتهم مما ركبهم من الخذلان زاد
طمعهم وجرأتهم فاكثروا التكبير والتهليل طول ليلتهم ورتب السلطان تلك الليلة
الجاليشية وفرق فيهم النشاب

﴿ذكر انهزام الفرنج بحطين﴾

اصبح صلاح الدين والمسلمون يوم السبت لخمس بقين من ربيع الآخر فركبوا
وتقدموا الى الفرنج فركب الفرنج ودنا بعضهم من بعض الا ان الفرنج قد اشتد بهم
العطش وانخذلوا فاقتتلوا واشتد القتال وصبر الفريقان ورمى جاليشية المسلمين من
النشاب ما كان كالجراد المنتشر فقتلوا من خيول الفرنج كثيرا هذا القتال بينهم

وساعة تضرب مقامات موسيقى في كل ربع يمضي من الساعة بانغام مطربة
وشمعدان بمركنفرية كلما طالت فتيلة الشمعة تحركت آلية فيخرج منه شخص لطيف من جانبه فيقطع راس الفتيلة بمقص لطيف بيده ويعود راجعا الى داخل الشمعدان هذا ما بلغني عمن ادعى انه شاهد ذلك (وفيه) عملوا تسعيرة على المبيعات والمأكولات مثل اللحم والسمن والجبن والشمع ونادوا بنقص اسعارها نقصا فاحشا وشددوا في ذلك بالتنكيل والشنق والتعليق وخزم الآناف فارتفع اللحم والزبد والزيت من الحوانيت واخفوه وطفقوا يبيعونه في العشيات بالسعر الذي يختارونه على الزبون واما السمن فلكثرة طلبه لاهل الدولة شح وجوده واذا ورد منه شئ خطفوه واخذوه من الطريق بالسعر الذي سعره الحاكم وانعدم وجوده عند القبانية واذا بيع منه شئ بيع سرا باقصى الثمن واما السكر والصابون فبلغا الغاية في غلو الثمن وقلة الوجود لان ابراهيم باشا احتكر السكر بجميعه الذي يأتي من الصعيد وليس بغير الجهة القبلية شئ منه فيبيعه على ذمته وهو في الحقيقة لا يسمح ثم صار نفس الباشا يعطي لاهل المطابخ بالثمن الذي يعينه عليهم ويشاركهم في ربحه فزاد ضرره على الناس وبيع الرطل من السكر الصعيدي الذي كان يباع بخمسة انصاف فضة بثمانية عشر نصفا واما

نصره على المسلمين فانهزم الفرنج وقتل منهم جماعة واسر الباقون وفيهن قتل مقدم الاسبتارية وكان من فرسان الفرنج المشهورين وله النكايات العظيمة في المسلمين ونهب المسلمون ما جاورهم من البلاد وغنموا وسبوا وعادوا سالمين وكان عودهم على طبرية وبها القمص فلم ينكر ذلك وكان فتحا كثيرا فان الداوية والاسبتارية هم جمرة الفرنج وسيرت البشائر الى البلاد بذلك

(ذكر عود صلاح الدين الى عسكره ودخوله الى الفرنج)

لما اتت صلاح الدين البشارة بهزيمة الاسبتارية والداوية وقتل من قتل منهم واسر من اسر منهم عاد عن الكرك الى العسكر الذي مع ولده الملك الافضل وقد تلاحقت سائر الامراء والعساكر واجتمع بهم وساروا جميعا وعرض العسكر فبلغت عدتهم اثنى عشر الف فارس ممن له الاقطاع والجامكية سوى المتطوعة فعبى عسكره قلبا وجناحين ميمنة وميسرة وجالشية وساقة وعرف كل منهم موضعه وموقفه وامره بملازمته وسار على تعبية فنزل بالاقحوانة بقرب طبرية وكان القمص قد انتمى الى صلاح الدين كما ذكرنا وكتبه متصلة اليه يعده النصرة ويمنيه المعاضدة وما يعدهم الشيطان الا غرورا فلما راى الفرنج العساكر الاسلامية وتصميم العزم على قصد بلادهم ارسلوا الى القمص البطرك والقسوس والرهبان وكثيرا من الفرسان فانكروا عليه انتماءه الى صلاح الدين وقالوا له لا شك انك اسلمت والا لم تصبر على فعل المسلمين امس بالفرنج يقتلون الداوية والاسبتارية ويأسرونهم ويجتازون بهم عليك وانت لا تنكر ذلك ولا تمنع عنه ووافقهم على ذلك من عنده من عسكر طبرية وطرابلس وتهدده البطرك انه يحرمه ويفسخ عليه نكاح زوجته الى غير ذلك من التهديد فلما راى القمص شدة الامر عليه خاف واعتذر وتنصل وتاب فقبلوا عذره وغفروا زلته وطلبوا منه الموافقة على المسلمين والموازرة على حفظ بلادهم فاجابهم الى المصالحة والانضمام اليهم والاجتماع بهم وسار معهم الى ملك الفرنج واجتمعت كلمتهم بعد فرقتهم ولم تغن عنهم من الله شيئا وجمعوا فارسهم وراجلهم ثم ساروا من عكا الى صفورية وهم يقدمون رجلا ويؤخرون اخرى قد ملئت قلوبهم رعبا

(ذكر فتح صلاح الدين طبرية)

لما اجتمع الفرنج وساروا الى صفورية جمع صلاح الدين امراءه واستشارهم فاشار اكثرهم عليه بترك اللقاء وان يضعف الفرنج بشن الغارات واخراب الولايات مرة بعد مرة فقال له بعض امرائه الراي عندي اننا نجوس بلادهم وننهب ونخرب ونحرق ونسبي فان وقف احد من عسكر الفرنج بين ايدينا لقيناه فان الناس بالمشرق يلعنوننا ويقولون ترك قتال الكفار واقبل يريد قتال المسلمين والراي ان نفعل فعلا نعذر فيه ونكف الالسنة عنا فقال صلاح الدين الراي عندي ان نلقى بجمع المسلمين جمع الكفار فان الامور لا تجري بحكم الانسان ولا نعلم قدر الباقي من اعمارنا ولا ينبغي ان نفرق هذا

الجميع

والمجر في البرد والهواء خصوصا وقد حصل في آخر ليلة رياح شديدة باردة (وفي هذه الايام) سافر محمود بك والمعلم غالي ومن بصحبتهما من النصارى الاقباط واخذوا معهم طائفة من الكتبة الافندية المختصين بالروزنامه ومنهم محمد افندي ابن حسين افندي المنفصل عن الروزنامه ونزلوا لاعادة قياس الاراضي وتحرير الري والشراقي وسبقهم القياسون بالاقصاب نزلوا وسرحوا قبلهم بنحو عشرة ايام وشرع كشاف النواحي في قبض التوجيه من المزارعين وفرضوا على كل فدان الادنى تسعة ريالات الى خمسة عشر بحسب جودة الاراضي ورداءتها وهذا الطلب في غير وقته لانه لم يحصل حصاد للزرع وليس عند الفلاحين ما يقتاتون به ومن العجب انه لم يقع مطر في هذه السنة ابدا ومضت ايام الشتاء ودخل فصل الربيع ولم يقع غيث ابدا سوى ما كان يحصل في بعض الايام من غيوم واهوية غربية ينزل معها بعض رشاش قليل لا يبتل الارض منه ويجف بالهواء بمجرد نزوله (وفي اواخره) ورد بحضرة الباشا هدية من بلاد الانكليز وفيها طيور مختلفة الاجناس والاشكال كبار وصغار وفيها ما يتكلم ويحاكي وآلة مصنوعة لنقل الماء يقال لها الطلمبه وهي تنقل الماء الى المسافة البعيدة ومن الاسفل الى العلو وآلة زجاج بشكل كبيرة قطعة واحدة

طبرية فنزلوا عن دوابهم وجلسوا على الارض فصعد المسلمون اليهم فالقوا خيمة الملك واسروهم عن بكرة ابيهم وفيهم الملك واخوه والبرنس ارناط صاحب الكرك ولم يكن في الفرنج اشد منه عداوة للمسلمين واسروا ايضا صاحب جبيل وابن هنفري ومقدم الداوية وكان من اعظم الفرنج شأنا واسروا ايضا جماعة من الداوية وجماعة من الاسبتارية وكثر القتل والاسر فيهم فكان من يرى القتلى لا يظن انهم اسروا واحدا ومن يرى الاسرى لا يظن انهم قتلوا احدا وما اصيب الفرنج منذ خرجوا الى الساحل وهو سنة احدى وتسعين واربعمائة الى الآن بمثل هذه الوقعة فلما فرغ المسلمون منهم نزل صلاح الدين في خيمته واحضر ملك الفرنج عنده وبرنس صاحب الكرك واجلس الملك الى جانبه وقد اهلكه العطش فسقاه ماء مثلوجا فشرب واعطى فضله برنس صاحب الكرك فشرب فقال صلاح الدين ان هذا الملعون لم يشرب الماء باذني فينال اماني ثم كلم البرنس وقرعه بذنوبه وعدد عليه غدراته وقام اليه بنفسه فضرب رقبته وقال كنت نذرت دفعتين ان اقتله ان ظفرت به احداهما لما اراد المسير الى مكة والمدينة والثانية لما اخذ القفل غدرا فلما قتله وسحب واخرج ارتعدت فرائص الملك فسكن جاشه وامنه واما القمص صاحب طرابلس فانه لما نجا من المعركة كما ذكرناه وصل الى صور ثم قصد طرابلس ولم يلبث الا اياما قلائل حتى مات غيظا وحنقا مما جرى على الفرنج خاصة وعلى دين النصرانية عامة

(ذكر عود صلاح الدين الى طبرية وملك قلعتها مع المدينة)

لما فرغ صلاح الدين من هزيمة الفرنج اقام بموضعه باقي يومه واصبح يوم الاحد عاد الى طبرية ونازلها فارسلت صاحبتها تطلب الامان لها ولاولادها واصحابها ومالها فاجابها الى ذلك فخرجت بالجميع فوفى لها فسارت آمنة ثم امر بالملك وجماعة من اعيان الاسرى فارسلوا الى دمشق وامر بمن اسر من الداوية والاسبتارية ان يجمعوا ليقتلهم ثم علم ان من عنده اسير لا يسمح به لما يرجو من فدائه فبذل في كل اسير من هذين الصنفين خمسين دينارا مصرية فاحضر عنده في الحال مائتا اسير منهم فامر بهم فضربت اعناقهم وانما خص هؤلاء بالقتل لانهم اشد شوكة من جميع الفرنج فاراح الناس من شرهم وكتب الى نائبه بدمشق ليقتل من دخل البلد منهم سواء كان له او لغيره ففعل ذلك ولقد اجتزت بموضع الوقعة بعدها بنحو سنة فرأيت الارض ملأى من عظامهم تبين على البعد منها المجتمع بعضه على بعض ومنها المفترق هذا سوى ما جحفته السيول واخذته السباع في تلك الآ كام والوهاد

(ذكر فتح مدينة عكا)

لما فرغ صلاح الدين من طبرية سار عنها يوم الثلاثاء ووصل الى عكا يوم الاربعاء وقد صعد اهلها على سورها يظهرون الامتناع والحفظ فعجب هو والناس من ذلك لانهم

يذكرون فيها ان الباشا حصل له النصر واستولى على ناحية يقال لها بيشة وتربة وقتل الكثير من الوهابيين وانه عازم على الذهاب الى ناحية تنفدة ثم نزل بعد ذلك الى العصر وبالعصر دو وصل الخبر بوفاة الشيخ ابراهيم كاتب الصرة

(واستهل شهر جمادى الاولى بيوم الثلاثاء سنة ١٢٣٠)

في سادسه يوم الاحد ضربت مدافع بقصد القلعة لورود مكاتبة بان الباشا استولى على ناحية من النواحي جهة قنفدة (وفي يوم الجمعة ثامن عشره) وصل المحمل الى بركة الحج وصحبته من بقي من رجال الركب مثل خطيب الجبل والصيرفي والمحلجية ووردت مكاتبات بالقبض على طاهر الذي جرى منه ما جرى في وقائع قنفدة السابقة وقتله العساكر في دنكلة الذي اصطلح مع الباشا بتحصيله الحبائل حتى صادره وذلك انه عمل لابن اخيه مبلغا من المال ان هو اوقعه في شركه فعمل له وليمة ودعاه الى محله فاتاه آمنا فقبض عليه واغتاله طمعا في المال وارسله الى عرضي الباشا فوجهها الى بندر جدة في الحال وانزلوه السفينة وحضروا به الى السويس وعلموا بحضوره فلما وصل الى البركة والمحمل اذ ذاك بها

تم رجعت جميع العساكر في ليلة الاثنين حادي عشر ينه وانجروا في صحبتها طوائف وخلائق من الحمل وعدة روم وهم

والفرنج قد جمعوا انفسهم براجلهم وهم يقاتلون سائرين نحو طبرية لعلهم يردون
الماء فلما علم صلاح الدين مقصدهم صدهم عن مرادهم ووقف بالعسكر في وجوههم
وطاف بنفسه على المصاف يحرضهم ويأمرهم بما يصلحهم وينهاهم عما يضرهم والناس
يأتمرون لقوله ويقفون عند نهيه فحمل مملوك من مماليكه الصبيان حملة منكرة على
صف الفرنج فقاتل قتالا عجب منه الناس ثم تكاثر الفرنج عليه فقتلوه فحين قتل حمل
المسلمون حملة منكرة فضعضعوا الكفار وقتلوا منهم كثيرا فلما رأى القمص شدة الامر
علم انهم لا طاقة لهم بالمسلمين فاتفق هو وجماعته وحملوا على من يليهم وكان المقدم من
المسلمين في تلك الناحية تقي الدين عمر ابن اخي صلاح الدين فلما رأى حملة الفرنج
حملة مكروب علم انه لا سبيل الى الوقوف في وجوههم فأمر اصحابه ان يفتحوا لهم طريقا
يخرجون منه وكان بعض المتطوعة قد القى في تلك الارض نارا وكان الحشيش كثيرا
فاحترق وكانت الريح على الفرنج فحملت حر النار والدخان اليهم فاجتمع عليهم العطش وحر
الزمان وحر النار والدخان وحر القتال فلما انهزم القمص سقط في ايديهم وكادوا
يستسلمون ثم علموا انهم لا ينجيهم من الموت الا الاقدام عليه فحملوا حملات متداركة
كادوا يزيلون المسلمين على كثرتهم عن مواقفهم لولا لطف الله بهم الا ان الفرنج
لا يحملون حملة فيرجعون الا وقد قتل منهم فوهنوا وهنا عظيما فاحاط بهم المسلمون
احاطة الدائرة بقطرها فارتفع من بقي من الفرنج الى تل بناحية حطين وارادوا ان
ينصبوا خيامهم ويحموا انفسهم به فاشتد القتال عليهم من سائر الجهات ومنعوهم
عما ارادوا ولم يتمكنوا من نصب خيمة غير خيمة ملكهم لا غير واخذ المسلمون
صليبهم الاعظم الذي يسمونه صليب الصلبوت ويذكرون ان فيه قطعة من الخشبة
التي صلب عليها المسيح عليه السلام بزعمهم فكان اخذه عندهم من اعظم المصائب
عليهم وايقنوا بعده بالقتل والهلاك هذا والقتل والاسر يعملان في فرسانهم ورجالتهم
فبقي الملك على التل في مقدار مائة وخمسين فارسا من الفرسان المشهورين والشجعان
المذكورين فحكى لي عن الملك الافضل ولد صلاح الدين قال كنت الى جانب ابي في
ذلك المصاف وهو اول مصاف شاهدته فلما صار ملك الفرنج على التل في تلك الجماعة
حملوا حملة منكرة على من بإزائهم من المسلمين حتى الحقوهم بوالدي قال فنظرت اليه
وقد علته كآبة واربد لونه وامسك بلحيته وتقدم وهو يصيح كذب الشيطان قال فعاد
المسلمون على الفرنج فرجعوا فصعدوا الى التل فلما رأيت الفرنج قد عادوا والمسلمون
يتبعونهم صحت من فرحي هزمناهم فعاد الفرنج فحملوا حملة ثانية مثل الاولى الحقوا
المسلمين بوالدي وفعل مثل ما فعل اولا وعطف المسلمون عليهم فالحقوهم بالتل
فصحت انا ايضا هزمناهم فالتفت والدي الي وقال اسكت ما نهزمهم حتى تسقط تلك
الخيمة قال فهو يقول لي واذا الخيمة قد سقطت فنزل السلطان وسجد شكرا لله تعالى
وبكى من فرحه وكان سبب سقوطها ان الفرنج لما حملوا تلك الحملات ازدادوا عطشا
وقد كانوا يرجون الخلاص في بعض تلك الحملات مما هم فيه فلم يجدوا الى الخلاص

طريقا

الصابون فرضوا على تجاره غرامة فاحشة وعز وجوده وبيع الرطل الواحد منه بستين نصفا واكثر وفي هذه
الايام غلا سعر الحنطة والفول
وبيع الاردب بالف ومائة
نصف فضة خلاف الكلف
والاجرة مع ان الاهراء والشون
ببولاق ملآنة بالغلال
وياكلها السوس ولا يخرجون
منها للبيع شيئا حتى قيل
لكتخدا بك في اخراج شئ
منها يباع في الناس فلم ياذن
وكانه لم يكن ماذونا من مخدومه
(واستهل شهر ربيع الثاني
بيوم الاثنين سنة ١٢٣٠)
في ثامنه عمل محرم بك
الكورنتينة بالجيزة على نسق
السنة الماضية من اخراج
الناس وازعاجهم تطيرا وخوفا
من الطاعون (وفيه) حوزقوا
شيخ عرب بلي فيما بين قبة
العزب والعادلية بعد حبسه
اربعة اشهر (وفي يوم الجمعة
ثامن عشريه) ضربت
مدافع واشيع الخبر بوصول
بعض عسكري بمكاتبات
من الباشا وخلافه والخبر
بقدوم الباشا وانتشرت المبشرون
الى بيوت الاعيان واصحاب
المظاهر على عاداتهم لاخذ
البقاشيش فمن قائل انه وصل
الى القصير ومن قائل انه نزل
الى السفينة بالبحر ومنهم من
يقول انه حضر الى السويس
ثم اختلفت الروايات وقالوا
ان الذي وصل الى السويس
حريم الباشا فلما تبين كذب هذه الاقاويل واشاعوا مكاتبات فقط مؤرخة اواخر شهر صفر

وكان بالطاعون وهلك الكثير من العسكر واهل البلدة والاطفال والجواري والعبيد خصوصا السودان فانه لم يبق منهم الا القليل النادر وخلت منهم الدور (وفي منتصفه) اخرج كتخدا بك صدقة تفرق على الاولاد الايتام الذين يقرؤن بالكتاتيب وبعد ارتفاع الطاعون فكانوا يجمعونهم ويأتي بهم فقهاؤهم الى بيت حسين كتخدا الكتخدا عند حيضان مصلى و يدفعون لكل صغير ورقة بها ستون نصفا فضة ياخذ منها جزأ الذي يجمع الطائفة منهم و يدعي انه معلمهم زيادة عن حصته لان معظم المكاتب مغلوقة وليس بها احد بسبب تعطيل الاوقاف وقطع ايرادهم وصار لهذه الاطفال جلبة وغوغاء في ذهابهم ورجوعهم في الاسواق وعلى بيت الذي يقسم عليهم

(واستهل شهر رجب بيوم الجمعة سنة ١٢٣٠)

في سادسه يوم الاربعاء وصلت هجانة من ناحية قبلي واخبروا بوصول الباشا الى القصير فكتب عليهم كتخدا بك كتاوي ولم يأمر بعمل شنك ولا مدافع حتى يتحقق صحة الخبر (وفي ليلة الجمعة ثامنه) احترق بيت طاهر باشا بالازبكية والبيت الذي بجواره ايضا (وفي يوم الجمعة) المذكور قبل العصر ضربت مدافع كثيرة من القلعة والجيزة وذلك عندما ثبت وتحقق ورود الباشا الى قنا وقوص و وصل ايضا حريم

احد من اهل تلك البلاد وكان عندي جارية من اهلها ومعها طفل عمره نحو سنة فسقط من يدها فانسلخ وجهه فبكت عليه كثيرا فسكنتها واعلمتها انه ليس بولدها ما يوجب البكاء فقالت ما له ابكي انما ابكي لما جرى علينا كان لي ستة اخوة كلهم هلكوا جميعهم وزوج واختان لا اعلم ما كان منهم هذا من امرأة واحدة والباقي بالنسبة ورأيت بحلب امرأة فرنجية قد جاءت مع سيدها الى باب فطرق سيدها فخرج صاحب البيت فكلمهم ثم اخرج امرأة فرنجية فحين رأتها الاخرى صاحتا واعتنقتا وهما يصرخان و يبكيان وسقطتا الى الارض ثم قعدتا يتحدثان واذا هما اختان وكان لهما عدة من الاهل ليس لهما علم باحد منهم

(ذكر فتح تبنين وصيدا وجبيل وبيروت)

فاما تبنين فقد ذكرنا انفاذ صلاح الدين تقي الدين ابن اخيه الى تبنين فلما وصلوا اليها نازلها واقام عليها فرأى حصرها لا يتم الا بوصول عمه صلاح الدين اليه فارسل اليه يعلمه الحال ويحثه على الوصول اليه فرحل ثامن جمادى الاولى ونزل عليها حادي عشره فحصرها وضايقها وقاتلها بالزحف وهي من القلاع المنيعة على جبل فلما ضاق عليهم الامر واشتد الحصر اطلقوا من عندهم من اسرى المسلمين وهم يزيدون على مائة رجل فلما دخلوا العسكر احضرهم صلاح الدين وكساهم واعطاهم نفقة وسيرهم الى اهليهم وبقي الفرنج كذلك خمسة ايام ثم ارسلوا يطلبون الامان فامنهم على انفسهم فسلموها اليه ووفى لهم وسيرهم الى مامنهم واما صيدا فان صلاح الدين لما فرغ من تبنين رحل عنها الى صيدا فاجتاز في طريقه بصرفند فاخذها صفوا عفوا بغير قتال وسار عنها الى صيدا وهي من مدن الساحل المعروفة فلما سمع صاحبها بمسيره نحوه سار عنها وتركها فارغة من مانع ومدافع فلما وصلها صلاح الدين تسلمها ساعة وصوله وكان ملكها لتسع بقين من جمادى الاولى واما بيروت فهي من احصن مدن الساحل وانزهها واطيبها فلما فتح صلاح الدين صيدا سار عنها من يومه نحو بيروت ووصل اليها من الغد فرأى اهلها قد صعدوا على سورها واظهروا القوة والجلد والعدة وقاتلوا على سورها قتالا شديدا واغتروا بحصانة البلد وظنوا انهم قادرون على حفظه وزحف المسلمون اليهم مرة بعد مرة فبينما الفرنج يقاتلون اذ سمعوا من البلد جلبة عظيمة وغلبة زائدة فاتاهم من اخبرهم ان البلد قد دخله المسلمون من الناحية الاخرى قهرا وغلبة فارسلوا ينظرون ما الخبر واذا ليس له صحة فارادوا تسكين من به فلم يمكنهم ذلك لكثرة ما اجتمع فيه من السواد فلما خافوا على انفسهم من الاختلاف الواقع ارسلوا يطلبون الامان فامنهم على انفسهم واموالهم وتسلمها في التاسع والعشرين من جمادى الاولى من السنة فكان مدة حصرها ثمانية ايام واما جبيل فان صاحبها كان من جملة الاسرى الذين سيروا الى دمشق مع ملكهم فتحدث مع نائب صلاح الدين بدمشق في تسليم جبيل على شرط اطلاقه فعرف صلاح الدين بذلك فاحضره مقيدا تحت الاستظهار والاحتياط

علموا ان عساكره من فارس وراجل بين قتيل واسير وانهم لم يسلم منهم الا القليل الا انه نزل يومه وركب يوم الخميس وقد صمم على الزحف الى البلد وقتاله فبينما هو ينظر من اين يزحف ويقاتل اذ خرج كثير من اهلها يضرعون ويطلبون الامان فاجابهم الى ذلك وامنهم على انفسهم واموالهم وخيرهم بين الاقامة والظعن فاختاروا الرحيل خوفا من المسلمين وساروا عنها متفرقين وحملوا ما امكنهم حمله من اموالهم وتركوا الباقى على حاله ودخل المسلمون اليها يوم الجمعة مستهل جمادى الاولى وصلوا بها الجمعة فى جامع كان للمسلمين قديما ثم جعله الفرنج بيعة ثم جعله صلاح الدين جامعا وهذه الجمعة اول جمعة اقيمت بالساحل الشامى بعد ان ملكه الفرنج وسلم البلد الى ولده الافضل واعطى جميع ما كان فيه للداوية من اقطاع وضياع وغير ذلك للفقيه عيسى وغنم المسلمون ما بقى مما لم يطق الفرنج حمله وكان من كثرته يعجز الاحصاء عنه فرأوا فيها من الذهب والجوهر والسقلاط والبندقى والسكر والسلاح وغير ذلك من انواع الامتعة كثيرا فانها كانت مقصد التجار الفرنج والروم وغيرهم من اقصى البلاد وادناها وكان كثير منها قد خزنه التجار وسافروا عنه لكساده فلم يكن له من ينقله ففرق صلاح الدين وابنه الافضل ذلك جميعه على اصحابهما وكان اكثر ذلك فعل الافضل لانه كان مقيما بالبلد وكانت شيمته فى الكرم معروفة واقام صلاح الدين بعكا عدة ايام لاصلاح حالها وتقرير قواعدها

(ذكر فتح مجدل يابا)

لما هزم صلاح الدين الفرنج ارسل الى اخيه العادل بمصر يبشره بذلك ويامره بالمسير الى بلاد الفرنج من جهة مصر بمن بقى عنده من العسكر ومحاصرة ما يليه منها فسارع الى ذلك وسار عن مصر فنازل حصن مجدل يابا وحصره وغنم ما فيه وورد كتابه بذلك الى صلاح الدين وكانت بشارة كبيرة

(ذكر فتح عدة حصون)

فى مدة مقام صلاح الدين بعكا تفرق عسكره الى الناصرة وقيسارية وحيفا وصفورية ومعليا والشقيف والفولة وغيرها من البلاد المجاورة لعكا فملكوها ونهبوها واسروا رجالها وسبوا نساءها واطفالها وقدم وامن ذلك شيئا يسد الفضاء وسير تقى الدين فنزل على تبنين ليقطع الميرة عنها وعن صور وسير حسام الدين عمر بن لاجين فى عسكر الى نابلس فاتى سبسطية وبها قبر زكريا اخذه من ايدى النصارى وسلمه الى المسلمين ووصل الى نابلس فدخلها وحصر قلعتها واستنزل من فيها بالامان وتسلم القلعة واقام اهل البلد به واقرهم على املاكهم واموالهم

(ذكر فتح يافا)

لما خرج العادل من مصر وفتح مجدل يابا كما ذكرنا سار الى مدينة يافا وهى على الساحل فحصرها وملكها عنوة ونهبها واسر الرجال وسبى الحريم وجرى على اهلها ما لم يجر على

دخلوا بها الى المذكور وهو راكب على هجين وفى رقبته الحديد والجنزير مربوطا فى عنق الهجين وصورته رجل شهم عظيم اللحية وهو لابس عباءة عبدانية ويقرأ وهو راكب وعملوا فى ذلك اليوم شنكا ومدافع وحضر ايضا عابدين بك وتوجه الى داره فى ليلة الاثنين

(واستهل شهر جمادى الثانية بيوم الخميس سنة ١٢٣٠) فى خامسه وصلت عساكر فى داوات الى السويس وحضروا الى مصر وعلى رؤسهم شلنجات فضة اعلاما واشارة بانهم مجاهدون وعائدون من غزو الكفار وانهم افتتحوا بلاد الحرمين وطردوا المخالفين لديانتهم حتى ان طوسون باشا وحسن باشا كتبا فى امضائهما على المراسلات بعد اسميهما لفظة الغازى واشاعوا بطلبه (وفى تاسعه) اخرجوا عساكر كثيرة وجرهم الى الثغور ومحافظة الاساكل خوفا من طارق يطرق الثغور لانه اشيع ان بونابارته كبير الفرنساوية خرج من الجزيرة التى كان بها ورجع الى فرانسا وملكها واغار على بلاد الجور ونحوها وخرج بعمارة كبيرة ولا يعلم قصده الى اى جهة يريد فربما طرق ثغر الاسكندرية او دمياط على حين غفلة وقيل غير ذلك وسئل كتخدا بك عن سبب خروجهم فقال خوفا عليهم من الطاعون ولئلا يزعجوا المدينة لانه وقع فى هذه السنة

لما ملك صلاح الدين بيروت وجبيل وغيرهما كان امر عسقلان والقدس اهم عنده لاسباب منها انهما على طريق مصر يقطعان بينهما و بين الشام وكان يختار ان تتصل الولايات ليسهل خروج العساكر منها ودخولهم اليها ولما في فتح القدس من الذكر الجميل والصيت العظيم الى غير ذلك من الاغراض فسار عن بيروت نحو عسقلان واجتمع باخيه العادل ومن معه من عساكر مصر ونازلوها يوم الاحد سادس عشر جمادى الآخرة وكان صلاح الدين قد احضر ملك الفرنج ومقدم الداوية اليه من دمشق وقال لهما ان سلمتما البلاد اليّ فلكما الامان فارسلا الى من بعسقلان من الفرنج يامرانهم بتسليم البلد فلم يسمعوا امرهما وردوا عليهما اقبح رد وجبهوهما بما يسوءهما فلما رأى السلطان ذلك جد في قتال المدينة ونصب المنجنيقات عليها وزحف مرة بعد اخرى وتقدم النقابون الى السور فنالوا منه شيئا فقتلوا وملكهم يكرر المراسلات اليهم بالتسليم ويشير عليهم و يعدهم انه اذا اطلق من الاسر اضرم البلاد على المسلمين نارا واستنجد بالفرنج من البحر واجلب الخيل والرجل من اقاصي بلاد الفرنج وادانيها وهم لا يجيبون الى ما يقول ولا يسمعون ما يشير به ولما رأوا انهم كل يوم يزدادون ضعفا ووهنا واذا قتل منهم الرجل لا يجدون له عوضا ولا لهم نجدة ينتظرونها راسلوا صلاح الدين في تسليم البلد على شروط اقترحوها فاجابهم صلاح الدين اليها وكانوا قتلوا في الحصار اميرا كبيرا من المهرانية فخافوا عند مفارقة البلد ان عشيرته يقتلون منهم بثاره فاستثنوا في ذلك ما اشترطوا لانفسهم فاجيبوا الى ذلك جميعه وسلموا المدينة سلخ جمادى الآخرة من السنة وكانت مدة الحصار اربعة عشر يوما وسيرهم صلاح الدين ونساءهم واموالهم واولادهم الى بيت المقدس ووفى لهم بالامان

(ذكر فتح البلاد والحصون المجاورة لعسقلان)

لما فتح صلاح الدين عسقلان اقام بظاهرها وبث السرايا في اطراف البلاد المجاورة لها ففتحوا الرملة والداروم وغزة ومشهد ابراهيم الخليل عليه السلام ويبنى وبيت لحم وبيت جبريل والنطرون وكل ما كان للداوية

(ذكر فتح البيت المقدس)

لما فرغ صلاح الدين من امر عسقلان وما يجاورها من البلاد على ما تقدم وكان قد ارسل الى مصر فاخرج الاسطول الذي بها في جمع من المقاتلة ومقدمهم حسام الدين لؤلؤ الحاجب وهو معروف بالشجاعة والشهامة ويمن النقيبة فاقاموا في البحر يقطعون الطريق على الفرنج كلما رأوا لهم مركبا غنموه وشانيا اخذوه فلما وصل الاسطول وخلا سرهم من تلك الناحية سار عن عسقلان الى البيت المقدس وكان به البطرك المعظم عندهم وهو اعظم شانا من ملكهم وبه ايضا باليان بن بيرزان صاحب الرملة وكانت مرتبته عندهم تقارب مرتبة الملك وبه ايضا من خلص من فرسانهم من حطين وقد جمعوا وحشدوا واجتمع اهل تلك النواحي عسقلان وغيرها فاجتمع به كثير من

ذلك في البلاد القبلية ورد كل شيء الى اصله وتساقطوا فتلف في جميع النواحي وباتوا يتخيلونه في احلامهم ويطلبا مضى من وقت حضوره ثلاثة ايام كتبوا اوراقا لمشاهير الملتزمين مضمونها انه بلغ حضرة افندينا ما فعله الاقباط من ظلم الملتزمين والجور عليهم في فائظهم ولم يرض بذلك والحال انكم تحضرون بعد ار بعة ايام وتحاسبون على فائظكم وتقبضونه فان افندينا لا يرضى بالظلم وعلى الاوراق امضاء الدفتردار ففرح اكثر المغفلين بهذا الكلام واعتقدوا صحته واشاعوا ايضا انه نصب شخاه قصر شيرا خوازيق للمعلم غالي وا كابر القبط (وفي رابع عشرينه) حضر الكثير من اصحاب الارزاق الكائنين بالقرى والبلاد مشايخ واشرافا وفلاحين ومعهم بيارق واعلام مستبشرين وفرحين بما سمعوه واشاعوه وذهبوا الى الباشا وهو يعمل رماحة بناحية القبة ويرمي ببنادق كثيرة وميدان تعليم فلما رآهم واخبروه عن سبب مجيئهم امر بضربهم وطردهم ففعلوا بهم ذلك ورجعوا خائبين (وفيه) حضر محمود بك والمعلم غالي من مرحتهما وقابلا الباشا وخلع عليهما وكساهما والبسهما فراوي

ومن ورود ركب المعلم غالي وعليه الخلعة وشق من وسط المدينة وحوله عدة كثيرة من الاقباط لابراء الناس ... كمد

وكان العسكر حينئذ على بيروت فسلم حصنه واطلق اسرى المسلمين الذين به واطلقه صلاح الدين كما شرط له وكان هذا صاحب جبيل من اعيان الفرنج واصحاب الراى والمكر والشر به يضرب المثل بينهم وكان للمسلمين منه عدو ازرق وكان اطلاقه من الاسباب الموهنة للمسلمين على ما يأتى بيانه

(ذكر خروج المركيش الى صور)

لما انهزم القمص صاحب طرابلس من حطين الى مدينة صور فاقام بها وهى اعظم بلاد الشام حصانة واشد امتناعا على من رامها فلما رأى السلطان قد ملك تبنين وصيدا وبيروت خاف ان يقصد صلاح الدين صور وهى فارغة ممن يقاتل فيها ويحميها ويمنعها فلا يقوى على حفظها وتركها وسار الى مدينة طرابلس فبقيت صور شاغرة لامانع لها ولا عاصم من المسلمين فلم يبدأ بها صلاح الدين قبل تبنين وغيرها الا اخذها بغير مشقة لكنه استعظمها لحصانتها فاراد ان يفرغ باله مما يجاورها من نواحيها ليسهل اخذها فكان ذلك سبب حفظها وكان امر الله قدرا مقدورا واتفق ان انسانا من الفرنج الذين داخل البحر يقال له المركيش لعنه الله خرج فى البحر بمال كثير للزيارة والتجارة ولم يشعر بما كان من الفرنج فارسى بعكا وقد رابه ما رأى من ترك ما عوائد الفرنج عند وصول المراكب من الفرح وضرب الاجراس وغير ذلك وما رأى ايضا من زى اهل البلد فوقف ولم يدر ما الخبر وكانت الريح قد ركدت فارسل الملك الافضل اليه بعض اصحابه فى سفينة ينظر من هو وما يريد فاتاه القاصد فسأله المركيش عن الاخبار لما انكره فاخبره بكسرة الفرنج واخذ عكا وغيرها واعلمه ان صور بيد الفرنج وعسقلان وغيرها وحكى الامر له على وجهه فلم يمكنه الحركة لعدم الريح فرد الرسول يطلب الامان ليدخل البلد بما معه من متاع ومال فاجيب الى ذلك فردده مرارا كل مرة يطلب شيئا لم يطلبه فى المرة الاولى وهو يفعل ذلك انتظارا لهبوب الهواء ليسير به فبينما هو فى مراجعاته اذ هبت الريح فسار نحو صور وسير الملك الافضل الشوانى فى طلبه فلم يدركوه فاتى صور وقد اجتمع بها من الفرنج خلق كثير لان صلاح الدين كان كلما فتح مدينة من عكا وبيروت وغيرهما مما ذكرنا اعطى اهلها الامان فساروا كلهم الى صور وكثر الجمع بها الا انهم ليس لهم رأس يجمعهم ولا مقدم يقاتل بهم وليسوا اهل حرب وهم عازمون على مراسلة صلاح الدين وتسليم البلد اليه فاتاهم المركيش وهم على ذلك العزم فردهم عنه وقوى نفوسهم وضمن لهم حفظ المدينة وبذل ما معه من الاموال وشرط عليهم ان تكون المدينة واعمالها له دون غيره فاجابوه الى ذلك فاخذ ايمانهم عليه واقام عندهم ودبر احوالهم وكان من شياطين الانس حسن التدبير والحفظ وله شجاعة عظيمة وشرع فى تحصين البلد فجدد حفر خنادقها واعمل اسوارها وزاد فى حصانتها واتفق من بها على الحفظ والقتال دونها

(ذكر فتح عسقلان وما يجاورها)

الباشا وطلعوا الى قصر شبرا المارين من المسافرين والفلاحين الواصلين من الارياف المرور من تحت القصر الذى هو الطريق المعتادة للمسافرين فكانوا يذهبون و يمرون من طريق اتخذوها متعسفة خلف تلك الطريق ومتباعدة بمسافة طويلة (وفى ليلة الخميس رابع عشره) انخسف جرم القمر جميعه بعد الساعة الثالثة وكان فى آخر برج القوس (وفى ليلة الجمعة خامس عشره) وصل الباشا الى الجيزة ليلا فاقام بها الى آخر الليل ثم حضر الى داره بالازبكية فاقام بها يومين وحضر كتخدا بك واكابر دولته للسلام عليه فلم يأذن لاحد وكذلك مشايخ الوقت ذهبوا ورجعوا ولم يجتمع به احد سوى ثانى يوم وترادفت عليه التقادم والهدايا من كل نوع من اكابر الدولة والنصارى باجناسهم خصوصا الارمن وخلافهم بكل صنف من التحف حتى السرارى البيض بالحلى والجواهر وغير ذلك واشيع فى الناس فى المصر وفى القرى بانه تاب عن الظلم وعزم على اقامة العدل وانه نذر على نفسه انه اذا رجع منصورا واستولى على ارض الحجاز افرج للناس عن حصصهم و رد الارزاق الاحباسية الى اهلها وزادوا على هذه الاشاعة انه فعل

لما

عن القتال رجاء الامان ظنا منهم انك تجيبهم اليه كما اجبت غيرهم وهم يكرهون الموت ويرغبون في الحياة فاذا رأينا الموت لا بد منه فوالله لنقتلن ابناءنا ونساءنا ونحرق اموالنا وامتعتنا ولا نترككم تغنمون منها دينارا واحدا ولا درهما ولا تسبون وتأسرون رجلا ولا امرأة واذا فرغنا من ذلك اخربنا الصخرة والمسجد الاقصى وغيرهما من المواضع ثم نقتل من عندنا من اسارى المسلمين وهم خمسة آلاف اسير ولا نترك لنا دابة ولا حيوانا الا قتلناه ثم خرجنا اليكم كلنا قاتلناكم قتال من يريد ان يحمي دمه ونفسه وحينئذ فلا يقتل الرجل حتى يقتل امثاله ونموت اعزاء او نظفر كراما فاستشار صلاح الدين اصحابه فاجمعوا على اجابتهم الى الامان وان لا يخرجوا ويحملوا على ركوب ما لا يدرى عاقبة الامر فيه عن اي شيء تنجلي ونحسب انهم اسارى بايدينا فنبيعهم نفوسهم بما يستقر بيننا وبينهم فاجاب صلاح الدين حينئذ الى بذل الامان للفرنج فاستقر ان يزن الرجل عشرة دنانير يستوي فيه الغني والفقير ويزن الطفل من الذكور والبنات دينارين وتزن المرأة خمسة دنانير فمن ادى ذلك الى اربعين يوما فقد نجا ومن انقضت الاربعون يوما عنه ولم يؤد ما عليه فقد صار مملوكا فبذل باليان بن بيرزان عن الفقراء ثلاثين الف دينار فاجيب الى ذلك وسلمت المدينة يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب وكان يوما مشهودا ورفعت الاعلام الاسلامية على اسوارها ورتب صلاح الدين على ابواب البلد في كل باب اميناً من الامراء ليأخذوا من اهله ما استقر عليهم فاستعملوا الخيانة ولم يؤدوا فيه الامانة واقتسم الامناء الاموال وتفرقت ايدي سبا ولو اديت فيه الامانة لملأ الخزائن وعم الناس فانه كان فيه على الضبط ستون الف رجل ما بين فارس وراجل سوى من يتبعهم من النساء والولدان ولا يعجب السامع من ذلك فان البلد كبير واجتمع اليه من تلك النواحي من عسقلان وغيرها والداروم والرملة وغزة وغيرها من القرى بحيث امتلأت الطرق والكنائس وكان الانسان لا يقدر ان يمشي ومن الدليل على كثرة الخلق ان اكثرهم وزن ما استقر من القطيعة واطلق باليان بن بيرزان ثمانية عشر الف رجل وزن عنهم ثلاثين الف دينار وبقي بعد هذا جميعه من لم يكن معه ما يعطي واخذ اسيرا ستة عشر الف آدمي ما بين رجل وامرأة وصبي هذا بالضبط واليقين ثم ان جماعة من الامراء ادعى كل واحد منهم ان جماعة من رعية اقطاعه مقيمون بالبيت المقدس فيطلقهم ويأخذ قطيعتهم وكان جماعة من الامراء يلبسون الفرنج زي الجند المسلمين ويخرجونهم ويأخذون منهم قطيعة قرروها واستوهب جماعة من صلاح الدين عددا من الفرنج فوهبهم لهم فاخذوا قطيعتهم وبالجملة فلم يصل الى خزانته الا القليل وكان بالقدس بعض نساء الملوك من الروم قد ترهبت واقامت به ومعها من الحشم والعبيد والجواري خلق كثير ولها من الاموال والجواهر النفيسة شيء عظيم فطلبت الامان لنفسها ومن معها فامنها وسيرها وكذلك ايضا اطلق ملكة القدس التي كان زوجها الذي اسره صلاح الدين قد ملك الفرنج بها وتملكهم بسببها كان يقوم بالملك واطلق مالها وحشمها واستأذنت في المصير

وقطع الامراء دورهم وابالاقل وتشوشوا لحصوله وكل قليل يعطون بعدد ايام او ثلاثة ايام حتى تصير الطائر فاذا تحررت قبل ان الباشا امر بتغييرها وتحريرها على شيء آخر و يكرر ذلك ثانيا وثالثا على حسب تفاوت الحصول في السنين وما يدفع في الخزينة قليلا او كثيرا (وفيه) وصل رجل تركي من طرابلس دمياطا يزعم انه عاش من العمر زمنا طويلا وانه ادرك اواخر القرن العاشر ويذكر انه حضر المحصر مع السلطان سليم وادرك وقته ووقائعه مع السلطان الغوري وكان في ذلك الوقت تابعا لبعض البكوات قدراية وشاع ذكره وحكى من رآه انه مغفل في دعواه وامتحنه البعض في مذاكرة الاخبار والوقائع فحصل منه تخليط ثم امر الباشا بنفيه وابعاده فانزلوه في مركب وغاب خبره فقيل انهم اغرقوه والله اعلم (وفي خامس عشرينه) جعلوا الديوان ببيت الدفتردار وقضوا باب صرف الفائض على ارباب حصص الالتزام فجعلوا يعطون منه جانبا واكثر ما يعطونه نصف القدر الذي قرروه واقل وازيد قليلا (وفيه) امر الباشا الجميع العساكر بالخروج الى الميدان لعمل التعليم والرماحة خارج باب النصر حيث قبة العزب يخرجوا من ثلث الليل الاخير

الخلق كلهم يرى الموت ايسر عليه من ان يملك المسلمون البيت المقدس ويأخذوه منهم
ويرى ان يبذل نفسه وماله واولاده بعض ما يجب عليه من حفظه وحصنوه تلك الايام
بما وجدوا اليه سبيلا وصعدوا على سوره بحدهم وحديدهم مجتمعين على حفظه
والذب عنه بجهدهم وطاقتهم مظهرين العزم على المناضلة دونه بحسب استطاعتهم
ونصبوا المنجنيقات ليمنعوا من يريد الدنو منه والنزول عليه ولما قرب صلاح الدين
منه تقدم امير في جماعة من اصحابه غير محتاط ولا حذر فلقيه جمع من الفرنج قد خرجوا
من القدس ليكونوا يزكا فقاتلوه وقاتلهم فقتلوه وقتلوا جماعة ممن معه واهم المسلمين
قتله وفجعوا بفقده وساروا حتى نزلوا على القدس منتصف رجب فلما نزلوا عليه رأى
المسلمون على سوره من الرجال ما هالهم وسمعوا لاهله من الجلبة والضجيج من وسط
المدينة ما استدلوا به على كثرة الجمع وبقي صلاح الدين خمسة ايام يطوف حول المدينة
لينظر من اين يقاتله لانه في غاية الحصانة والامتناع فلم يجد عليه موضع قتال الا من
جهة الشمال نحو باب عمود او كنيسة صهيون فانتقل الى هذه الناحية في العشرين
من رجب ونزلها ونصب تلك الليلة المنجنيقات فاصبح من الغد وقد فرغ من نصبها ورمى
بها ونصب الفرنج على سور البلد منجنيقات ورموا بها وقوتلوا اشد قتال رآه احد من
الناس كل واحد من الفريقين يرى ذلك دينا وحتما واجبا فلا يحتاج فيه الى باعث
سلطاني بل كانوا يمنعون ولا يمتنعون ويزجرون ولا ينزجرون وكان خيالة الفرنج كل
يوم يخرجون الى ظاهر البلد يقاتلون ويبارزون فيقتل من الفريقين وممن استشهد
من المسلمين الامير عز الدين عيسى بن مالك وهو من اكابر الامراء وكان ابوه صاحب
قلعة جعبر وكان يباشر القتال بنفسه كل يوم فقتل الى رحمة الله تعالى وكان محبوبا
الى الخاص والعام فلما رأى المسلمون مصرعه عظم عليهم ذلك واخذ من قلوبهم فحملوا
حملة رجل واحد فازالوا الفرنج عن مواقفهم فادخلوهم بلدهم ووصل المسلمون الى
الخندق فجاوزوه والتصقوا الى السور فنقبوه وزحف الرماة يحمونهم والمنجنيقات
توالي الرمي لتكشف الفرنج عن الاسوار ليتمكن المسلمون من النقب فلما نقبوه
حشوه بما جرت به العادة فلما رأى الفرنج شدة قتال المسلمين وتحكم المنجنيقات بالرمي
المتدارك وتمكن النقابين من النقب وانهم قد اشرفوا على الهلاك اجتمع مقدموهم
يتشاورون فيما يأتون ويذرون فاتفق رأيهم على طلب الامان وتسليم البيت المقدس
الى صلاح الدين فارسلوا جماعة من كبرائهم واعيانهم في طلب الامان فلما ذكروا ذلك
للسلطان امتنع من اجابتهم وقال لا افعل بكم الا كما فعلتم باهله حين ملكتموه سنة
اثنتين وتسعين واربعمائة من القتل والسبي وجزاء السيئة بمثلها فلما رجع الرسل
خائبين محرومين ارسل باليان بن بيرزان وطلب الامان لنفسه ليحضر عند صلاح الدين
في هذا الامر وتحريره فاجيب الى ذلك وحضر عنده ورغب في الامان وسأل فيه فلم
يجبه الى ذلك واستعطفه فلم يعطف عليه واسترحمه فلم يرحمه فلما ايس من ذلك قال له
ايها السلطان اعلم اننا في هذه المدينة في خلق كثير لا يعلمهم الا الله تعالى وانما يفترون

الاعداء ويبطل ما قيل من التقولات ثم اقام [illegible] اياما قليلة ورجع لاشغاله المهملة وتتميم اعماله من تحرير
القياس وجبي الاموال وكانا
ارسلا قبل حضورهما عدة
كثيرة من الجمال الحاملة
للاموال في كل يوم قطارات
بعضها اثر بعض من الشرقية
والغربية والمنوفية وباقي
الاقاليم (وفيه) حضر شيخ
طرهونة بجهة قبلي ويسمى
كريم بضم الكاف وفتح الراء
وتشديد الياء وسكون الميم
وكان عاصيا على الباشا ولم
يقابله ابدا فلم يزل يحتال
عليه ابراهيم باشا ويصالحه
ويمنيه حتى اتى اليه وقابله
وامنه فلما حضر الباشا ابوه
من الحجاز اتاه على امان ابنه
وقدم معه هدية واربعين من
الابل فقبل هديته ثم امر برمي
عنقه بالرميلة

(واستهل شهر شعبان
سنة ١٢٣٠)

والناس في امر مريج من قطع
ارزاقهم وارباب الالتزامات
والحصص التي ضبطها الباشا
ورفع ايديهم من التصرف في
شيء منها لا الاطيان الاوسية
فانه ما خصهم فيه سوى ما زاد
عن الرواك الذي قاسوه فانه
للديوان ووعدهم بصرف
المال الحر المعين بالسند
الديواني فقط بعد التحرير
والمحاققة ومناقضة الكتبة
الاقباط في القوائم واقاموا
منتظرين انجاز وعده اياما
يغدون ويروحون ويسألون الكتبة ومن له وصلة بهم وقد ضاق خناقهم من التفليس

الدين وجه اقصى كفاه ذلك فخرا وشرفا واما الفرنج من اهله فانهم اقاموا وشرعوا في بيع ما لا يمكنهم حمله من امتعتهم وذخائرهم واموالهم وما لا يخفون حمله وباعوا ذلك بارخص الثمن فاشتراه التجار من اهل العسكر واشتراه النصارى من اهل القدس الذين ليسوا من الفرنج فانهم طلبوا من صلاح الدين ان يمكنهم من المقام في مساكنهم ويأخذ منهم الجزية فاجابهم الى ذلك فاستقروا واشتروا حينئذ من اموال الفرنج وترك الفرنج ايضا اشياء كثيرة لم يمكنهم بيعها من الاسرة والصناديق والبتيات وغير ذلك وتركوا ايضا من الرخام الذي لا يوجد مثله من الاساطين والالواح والفص وغيره شيئا كثيرا ثم ساروا

(ذكر رحيل صلاح الدين الى صور ومحاصرتها)

لما فتح صلاح الدين البيت المقدس اقام بظاهره الى الخامس والعشرين من شعبان يرتب امور البلد واحواله وتقدم بعمل الربط والمدارس فجعل دار الاسبتار مدرسة للشافعية وهي في غاية ما يكون من الحسن فلما فرغ من امر البلد سار الى مدينة صور وكانت قد اجتمع فيها من الفرنج عالم كثير وقد صار المركيش صاحبها والحاكم فيها وقد ساسهم احسن سياسة وبالغ في تحصين البلد ووصل صلاح الدين الى عكا واقام بها اياما فلما سمع المركيش بوصوله الى عكا جد في عمل سور صور وخنادقها وتعميقها ووصلها من البحر الى البحر من الجانب الآخر فصارت المدينة كالجزيرة في وسط الماء لا يمكن الوصول اليها ولا الدنو منها ثم رحل صلاح الدين من عكا ووصل الى صور تاسع شهر رمضان فنزل على نهر قريب البلد بحيث يراه حتى اجتمع الناس وتلاحقوا وسار في الثاني والعشرين من رمضان فنزل على تل يقارب سور البلد بحيث يرى القتال وقسم القتال على العسكر كل جمع منهم له وقت معلوم يقاتلون فيه بحيث ان يتصل القتال على اهل البلد على ان الموضع الذي يقاتلون منه قريب المسافة يكفيه الجماعة اليسيرة من اهل البلد لحفظه وعليه الخنادق التي قد وصلت من البحر الى البحر فلا يكاد الطير يطير عليها فان المدينة كالكف في البحر والساعد متصل بالبر والبحر من جانبي الساعد والقتال انما هو في الساعد فزحف المسلمون مرة بالمنجنيقات والعرادات والجروخ والدبابات وكان اهل صلاح الدين يتناوبون القتال مثل ولده الافضل وولده الظاهر غازي واخيه العادل بن ايوب وابن اخيه تقي الدين وكذلك سائر الامراء وكان للفرنج شواني وحراقات يركبون فيها في البحر ويقفون من جانبي الموضع الذي يقاتل المسلمون منه اهل البلد فيرمون المسلمين من جانبيهم بالجروخ ويقاتلونهم وكان ذلك يعظم عليهم لان اهل البلد يقاتلونهم من بين ايديهم واصحاب الشواني يقاتلونهم من جانبيهم فكانت سهامهم تنفذ من احد الجانبين الى الجانب الآخر لضيق الموضع فكثرت الجراحات في المسلمين والقتل ولم يتمكنوا من الدنو الى البلد فارسل صلاح الدين الى الشواني التي جاءته من مصر وهي عشر قطع وكانت بعكا فاحضرها برجالها

بذنهم امر الباشا وما هو شارع فيه واتفقوا على الهجوم عليه في داره بالازبكية في العشية ثم ان عابدين بك غافلهم وتركهم في اتفاقهم وخرج متنكرا مسرعا الى الباشا واخبره ورجع الى اصحابه فاسرع الباشا في الحال الركوب في سادس ساعة من الليل وطلب عساكر طاهر باشا فركبوا معه وحوطوا المنزل بالعساكر ثم اخذ الطريق وذهب على ناحية الناصرية ودرب الشباب وصعد الى القلعة وتحصن بقومه من العساكر والحرم ان المتوافقين ولم يسعهم الرجوع عن عزيمتهم فساروا الى بيت الباشا يريدون نهبه فمنعهم المرابطون وتضاربوا بالرصاص والبنادق وقتل منهم اشخاص ولم ينالوا غرضا فساروا على ناحية القلعة واجتمعوا بالرميلة وقرا ميدان وتحيروا في امرهم واشتد غيظهم وعلموا ان وقوفهم بالرميلة لا يجدي شيئا وقد اظهروا الفضيحة ولا غيرة تعود عليهم فدخولهم وسكونهم بل ينكشف حالهم وتثقل انفسهم ويلحقهم اللوم من امرائهم الذين لم ينضموا اليهم فاجمع رأيهم لسوء طباعهم وخبث عقيدتهم وطرائقهم انهم يتفرقون في شوارع المدينة وينهبون متاع الرعية واموال المسلمين فلذا

الى زوجها وكان حينئذ محبوسا بقلعة نابلس فاذن لها فاتته واقامت عنده واتته ايضا
امراة البرنس ارناط صاحب الكرك وهو الذي قتله صلاح الدين بيده يوم المصاف
بحطين فشفعت في ولد لها ماسور فقال لها صلاح الدين ان سلمت الكرك اطلقته فسارت
الى الكرك فلم يسمع منها الفرنج ولم يسلموه فلم يطلق ولدها ولكنه اطلق مالها ومن تبعها
وخرج البطرك الكبير الذي للفرنج ومعه من اموال البيع منها الصخرة والاقصى
وقمامة وغيرها ما لا يعلمه الا الله تعالى وكان له من المال مثل ذلك فلم يعرض له صلاح
الدين فقيل له ليأخذ ما معه يقوي به المسلمين فقال لا اغدر به ولم يأخذ منه غير عشرة
دنانير وسير الجميع ومعهم من يحميهم الى مدينة صور وكان على رأس قبة الصخرة
صليب كبير مذهب فلما دخل المسلمون البلد يوم الجمعة تسلق جماعة منهم الى اعلى القبة
ليقلعوا الصليب فلما صعدوا صاح الناس كلهم صيحة واحدة من البلد ومن ظاهره
المسلمون والفرنج اما المسلمون فكبروا فرحا واما الفرنج فصاحوا تفجعا وتوجعا فسمع
الناس صيحة كادت الارض ان تميد بهم لعظمها وشدتها فلما ملك البلد وفارقه
الكفار امر صلاح الدين باعادة الابنية الى حالها القديم فان الداوية بنوا غربي الاقصى
ابنية ليسكنوها وعملوا فيها ما يحتاجون اليه من هري ومستراح وغير ذلك وادخلوا
بعض الاقصى في ابنيتهم فاعيد الى الاول وامر بتطهير المسجد والصخرة من الاقذار
والانجاس ففعل ذلك اجمع ولما كان الجمعة الاخرى رابع شعبان صلى المسلمون فيه
الجمعة ومعهم صلاح الدين وصلى في قبة الصخرة وكان الخطيب والامام محيي الدين
ابن الزكي قاضي دمشق ثم رتب فيه صلاح الدين خطيبا واماما برسم الصلوات الخمس
وامر ان يعمل له منبر فقيل له ان نور الدين محمودا كان قد عمل بحلب منبرا امر الصناع
بالمبالغة في تحسينه واتقانه وقال هذا قد عملناه لينصب بالبيت المقدس فعمله
النجارون في عدة سنين لم يعمل في الاسلام مثله فامر باحضاره فحمل من حلب ونصب
بالقدس وكان بين عمل المنبر وحمله ما يزيد على عشرين سنة وكان هذا من كرامات
نور الدين وحسن مقاصده رحمه الله ولما فرغ صلاح الدين من صلاة الجمعة تقدم
بعمارة المسجد الاقصى واستنفاد الوسع في تحسينه وترصيفه وتدقيق نقوشه فاحضروا
من الرخام الذي لا يوجد مثله ومن الفص المذهب القسطنطيني وغير ذلك مما يحتاجون اليه
قد ادخر على طول السنين فشرعوا في عمارته ومحوا ما كان في تلك الابنية من الصور
وكان الفرنج قد فرشوا الرخام فوق الصخرة وغيبوها فامر بكشفها وكان سبب تغطيتها
بالفرش ان القسيسين باعوا كثيرا منها للفرنج الواردين اليهم من داخل البحر للزيارة
فكانوا يشترونه بوزنه ذهبا رجاء بركتها وكان احدهم اذا دخل الى بلاده باليسير منها
بنى له الكنيسة ويجعل في مذبحها فخاف بعض ملوكهم ان تفنى فامر بها ففرش فوقها
حفظا لها فلما كشفت نقل اليها صلاح الدين المصاحف الحسنة والربعات الجيدة
ورتب القراء وادر عليهم الوظائف الكثيرة فعاد الاسلام هناك غضا طريا وهذه
المكرمة من فتح البيت المقدس لم يفعلها بعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه غير صلاح

الدين

وأخذوا في الرماحة والبندقة المتواصلة المتتابعة مثل
الرعود على طريقة الافرنج
وذلك من قبيل العصر الى
الضحوة ولما انقضى ذلك
رجعوا داخلين الى المدينة
في كبكبة عظيمة حتى زحموا
الطرق بخيولهم من كل ناحية
وداسوا اشخاصا من الناس
بخيولهم بل وحميرا ايضا ولتعلم
ان الباشا قصده احصاء
العسكر وترتيبهم على النظام
الجديد واوضاع الافرنج
ويلبسهم الملابس المقمصة
ويغير شكلهم وركب في
ثاني يوم الى بولاق وجمع
عساكر ابنه اسمعيل باشا
وصفهم على الطريقة
المعروفة بالنظام الجديد
وعرفهم بقصده فعل ذلك
بجميع العساكر ومن ابى
ذلك قابله بالضرب والطرد
والنفي بعد سلبه حتى من
ثيابه ثم ركب من بولاق
وذهب الى شبرا وحصل في
العسكر قلقلة ولغط وتناجوا
فيما بينهم وتفرق الكثير
منهم من مخاديمهم واكابرهم
ووافقهم على النفور بعض
اعيانهم واتفقوا على غدر
الباشا ثم ان الباشا ركب
من قصر شبرا وحضر الى بيت
الازبكية ليلة الجمعة ثامن
عشرينه وقد اجتمع عنده
[illegible] وجماعة من
اكابرهم في وليمة وفيهم محو بك
وعبد الله افندي ابن حلة وحسن اغا الازرنجلي فتفاوضوا

منهم ما ينفقه في العسكر اذا ألم بهم كانوا الخزائن وبيوت الاموال من الدرهم والدينار فانه كان يخرج كل ما حصل اليه منها وقالت الطائفة الاخرى الرأي ان نصابر البلد ونضايقه فهو الذي يعتمدون عليه من حصونهم ومتى أخذناه منهم انقطع طمعهم من داخل البحر من هذا الجانب وأخذنا باقي البلاد صغوا عفوا فبقي صلاح الدين مترددا بين الرحيل والاقامة فلما رأى من يرى الرحيل اقامة أهل عساكر اليمن الغارية والرمي بالمنجنيق والعرادات واصراح رجالهم وانهم قد أرسلوا بعضهم لبعض واتفقاتهم والعلوفات لدوابهم والادوات لهم الى ذلك من الاعذار فصار واعقبوا بغير قتال فاضطر الى الرحيل فرحل عنها آخر شوال وكان أول كانون الاول الى عكا فاذن العساكر جميعها بالعود الى أوطانهم والاستراحة في الشتاء والعود في الربيع فعادت عساكر الشرق والموصل وغيرها وعساكر الشام وعساكر مصر وبقي حلقته الخاص مقيما بعكا ونزل بقلعتها وردّ أمر البلاد الى عز الدين جورديك وهو من أكابر المماليك النورية جمع الديانة والشجاعة وحسن السيرة

●(ذكر فتح هونين)●

لما فتح صلاح الدين تبنين امتنع من بهونين من تسليمها وهي من أحصن القلاع وامنع لم يزل الفرنج عليها ولا الاشتغال بمحاصرتها بل سير اليها جماعة من العسكر والامراء فحصروها ومنعوا من حمل الميرة اليها واشتغل بما تقدم ذكره من فتح عسقلان والبيت المقدس وغير ذلك فلما كان يحاصر مدينة صور أرسل من فيها يطلبون الامان فامنهم فسلموا ونزلوا منها ورقى لهم باماناتهم

●(ذكر حصر صفد وكوكب والكرك)●

لما سار صلاح الدين الى عسقلان جعل على قلعة كوكب وهي مطلة على الاردن من يحصرها وحفظ الطريق للمجتاز بن لئلا يتزل من بها من الفرنج يقطعونه وسير طائفة اخرى من العسكر ايضا الى قلعة صفد فحصروها وهي مطلة على مدينة طبرية وكان حصن كوكب الاستبار وحصن صفد للداوية وهما قريبان من حطين موضع المصاف فلما اليهما انهم من سلم من الداوية والاستبار فحماهم فلما حصرهما المسلمون استراح الناس من شرهما واتصلت الطرق حتى كان يسير فيها المنفرد فلا يخاف وكان مقدم الجماعة الذين يحصرون قلعة كوكب أميرا يقال له سيف الدين محمود وهو أخو طاولي الاسدي وكان شهما شجاعا فرجع الى دين وعبادة فدام عليها الى آخر شوال وكان أصحابه يحرسون نوبة بمرتبة فلما كان آخر ليلة من شوال فقال الذين كانت نوبتهم في الحراسة وكان قد صلى ورده من الليل الى السحر وكانت ليلة كثيرة الرعد والبرق والريح والمطر فلم يشعر المسلمون وهم نازلون الا والفرنج قد خالطوهم بالسيوف ووضعوا السلاح فيهم فقتلوهم أجمعين وأخذوا ما كان عندهم من طعام وسلاح وغيره وعادوا الى قلعتهم فقووا بذلك قوة عظيمة أمكنهم ان يحفظوا قلعتهم الى ان

وحصلوا اشيوا اتباعهم ومن الشاق لهم من الاوباش البلابقوا الحرافيش والجعيدية يلقون ما اتصل عنهم على قارعة الطريق بحيث صار السوق من حضاب زويلة الى الخانخليلي مع اتساعه وطوله مرسوما ومنقوشا بالوان السكر واقراص الاشربة الملونة واصال المربيات سائلة على الارض وكان اهل ذلك السوق المتسببون جددوا وطيقوا انواع المربيات والاشربة عندو رود الفواكه وكثرتها في اوانها وهو هذا الشهر المبارك مثل الخوخ والتفاح والبرقوق والتوت والقرع السبع والحصرم والسفرجل وملؤا الاوعية وصففوها في حوانيتهم للبيع وخصوصا على موسم شهر رمضان ومضوا في سيرهم الى العقادين الرومي والفورية والاشرفية وسوق الصاغة ووصلت طائفة الى سوق مرجوش فكسروا ابواب الحوانيت والوكائل والخانات ونهبوا ما في حواصل التجار من الاقمشة الهلاوي والبز والحرير والزردخان ولما وصلت طائفة الى راس خان الخليلي وارادوا الصرد والنهب فزعت فيهم الاتراك والارفود الذين يتعاطون التجارة الساكنون بخان الخليلي والصاغة وغيرهما وضربوا

فعلوا قلالفي كثر جمعهم وتقوى شوكتهم وبشاركهم

ومعا تلتها وصدمتها وكانت في البحر عشر شواني اهل صور من الخروج الى قتال
المسلمين فتمكن المسلمون حينئذ من القرب من البلد ومن قتالها قتلوا برا وبحرا
وضايقوا حتى كادوا يظفرون بخبايا ت الاعداد بما لم يكن في الحساب وذلك ان
خمس قطع من شواني المسلمين باتت في بعض تلك الليالي مقابل مينا صور ليمنعوا
من الخروج منه والدخول اليه فباتوا ليلتهم يحرسون وكان مقدمهم عبد السلام
المغربي الموصوف بالحذق في صناعته وشجاعته فلما كان وقت السحر امنوا فما راعهم
شعروا الا بشواني الفرنج قد نازلتهم وضايقتهم واوقعت بهم فقتلوا من ارادوا قتله
واخذوا الباقين برا كبهم وادخلوهم مينا صور والمسلمون في البر ينظرون اليهم ورمى
جماعة من المسلمين انفسهم من الشواني في البحر فمنهم من سبح فنجا ومنهم من غرق وتقدم
السلطان الى الشواني الباقية بالمسير الى بيروت لعدم استطاعتها لقلتها فسارت فتبعها
شواني الفرنج فلما راى من في شواني المسلمين الفرنج مجدين في طلبهم القوا انفسهم
في شوانيهم الى البر فنجوا وتركوها فاخذها صلاح الدين ونقضها وعاد الى مقاتلة صور في
البر وكان ذلك قليل الجدوى لضيق المجال وفي بعض الايام خرج الفرنج فقاتلوا المسلمين
من وراء خنادقهم فاشتد القتال بين الفريقين ودام الى آخر النهار وكان خروجهم قبل
العصر واسر منهم فارس كبير مشهور بعد ان كثر القتال والقتل عليه من الفريقين لما
سقط فلما اسر قتل وبقوا كذلك عدة ايام

(ذكر الرحيل عن صور الى عكا وتفريق العساكر)

لما راى صلاح الدين ان امر صور يطول رحل عنها وهذه كانت عادته متى ثبت البلد
بين يديه ضجر منه ومن حصاره فرحل عنه وكان هذه السنة لم يطل مقامه على مدينة
بل فتح الجميع في الايام القريبة كما ذكرناه بغير تعب ولا مشقة فلما راى هو واصحابه
شدة امر صور ملوها وطلبوا الانتقال عنها ولم يكن لاحد ذنب في امرها غير صلاح الدين
فانه هو جهز اليها جنود الفرنج وامدها بالرجال والاموال من اهل عكا وعسقلان
والقدس وغير ذلك كما سبق ذكره كان يعطيهم الامان ويرسلهم الى صور فصار فيها
فرسان الفرنج بالساحل بامواله وامسى واموال التجار وغيرهم فحفظوا المدينة وراسلوا
الفرنج داخل البحر يستنفرونهم فاجابوهم بالتلبية لدعوتهم ووعدوهم بالنصرة
وامروهم بحفظ صور لتكون دار هجرتهم يحتمون بها ويلجؤن اليها فزادهم ذلك حرصا على
حفظها والذب عنها وسنذكر ان شاء الله ما صار اليه الامر بعد ذلك ليعلم ان الملك لا ينبغي
ان يترك الحزم وان ساعدته الاقدار فلان يعجز حازما خير له من ان يظفر مفرطا
مضيعا للحزم واعذر له عند الناس ولما اراد الرحيل استشار امراءه فاختلفوا فجماعة
يقولون الراي ان نرحل فقد جرح الرجال وقتلوا وملوا وفنيت النفقات وهذا الشتاء
قد حضر والشوط بطين فنريح ونستريح في هذا البرد فاذا جاء الربيع اجتمعنا
وعاودناها وغيرها وكان هذا قول الاغنياء منهم وكانوا خافوا ان السلطان يقترض

المتخلفون عنهم رغبة الجميع
في القبائح الذميمة ويعودون
بالغنيمة ويحصلون من
الحواصل ولا يضيع سعيهم
في الباطل كما يقال في المثل
ما قدر على ضرب الحمار
فضرب البرذعة ونزلوا على
ومنا قصبة المدينة على الصالحية
الى البروجية وهم يكسرون
ويفتحون ابواب الحوانيت
المغلوقة وينهبون ما فيها لان
الناس لما سمعوا بالحركة
اغلقوا حوانيتهم وابوابهم
وتركوا اسبابهم طلبا للسلامة
وعندما شاهدوا ذلك
اسرعوا للحرق وبادروا معهم
للنهب والخطف بل وشاركهم
الكثير من الشطار والزعر
والعامة المتقلبين والجياع
ومن لا دين له وعند ذلك كثر
جمعهم ومضوا على طريقهم
الى قصبة رضوان الى داخل
باب زويلة وكسروا حوانيت
السكرية واخذوا ما وجدوه
من الدراهم وما حبوه من
اصناف السكر فحملوا ما كانوا
يحملون ويدعون الذي لم
يأخذوه يلقونه تحت الارجل
في الطريق وكسروا اواني
الحلو وقدور المربيات وغيرها
ما هو من الصيني والبياغوري
والافرنجي وبخاخ الاشربة
واقراص الحلو الملونة والرشال
والملبس والقلائد والبهائص والبخيخ وبعيدان يا كلوا

السلطان منعزل بغير جواب وأمر الخليفة بنقض دار السلطنة فهدمت إلى الأرض وبقي أثرها

(ذكر ملك شرمتي من الهند وانهزام المسلمين بعدها)

في آخر هذه السنة سار شهاب الدين الغوري ملك غزنة إلى بلاد الهند وقصد بلاد اجمير وتعرف بولاية السوالك واسم ملكهم كولة وكان شجاعا شهما فلما دخل المسلمون بلاده ملكوا مدينة تبرنده وهي حصن منيع عال وملكوا شرمتي وملكوا كوه رام فلما سمع ملكهم جمع العساكر فأكثر وسار إلى المسلمين فالتقوا وقامت الحرب على ساق وكان مع الهند أربعة عشر فيلا فلما اشتدت الحرب انهزمت ميمنة المسلمين وميسرتهم فقال لشهاب الدين بعض خواصه قد انكسرت الميمنة والميسرة فانج بنفسك لا يهلك المسلمون فأخذ شهاب الدين الرمح وحمل على الهنود فوصل إلى الفيلة فطعن فيلا منها في كتفه وجرح الفيل لا يندمل فلما وصل شهاب الدين إلى الفيلة زرقه بعض الهنود بحربة فوقعت الحربة في ساعده فنفذت الحربة من الجانب الآخر فوقع حينئذ إلى الأرض فقاتل عليه أصحابه ليخلصوه وحرص الهنود على أخذه وكان عنده حرب لم يسمع بمثله وأخذه أصحابه فركبوا فرسه وعادوا به منهزمين فلم يتبعهم الهنود فلما ابعدوا عن موضع الوقعة بمقدار فرسخ أغمي على شهاب الدين من كثرة خروج الدم فحمله الرجال على أكتافهم في محفة اليد أربعة وعشرين فرسخا فلما وصل إلى لهاوور أخذ الأمراء الغورية وهم الذين انهزموا ولم يثبتوا وعلق على كل واحد منهم عليق شعير وقال أنتم دواب ما أنتم أمراء وسار إلى غزنة وأمر بعضهم فمشى إليها ماشيا فلما وصل إلى غزنة أقام بها ليستريح الناس ونذكر ما فعله بملك الهند الذي هزمه سنة ثمان وثمانين إن شاء الله تعالى

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في ربيع الأول قتل مجد الدين أبو الفضل بن الصاحب وهو أستاذ دار الخليفة أمر الخليفة بقتله وكان متحكما في الدولة ليس للخليفة معه حكم وكان هو القائم بالبيعة له وظهر له أموال عظيمة أخذ جميعها وكان حسن السيرة عفيفا عن الأموال وكان الذي سعى به إنسان من أصحابه وصنائعه يقال له عبيد الله بن يونس فسعى به إلى الخليفة ونبه آثاره فقبض عليه وقتله وفيها في ربيع الآخر وقع حريق في الحظائر ببغداد احترقت أحطاب كثيرة وسببه أن فقيها بالمدرسة النظامية كان يطبخ طعاما يأكله فغفل عن النار والطبيخ فعلقت النار واتصلت فاحترقت جميعها واحترق درب السلسلة وغيره مما يجاوره وفيها في شوال استوزر الخليفة الناصر لدين الله أبا المظفر عبيد الله بن يونس ولقبه جلال الدين ومشى أرباب الدولة في ركابه حتى قاضي القضاة وكان ابن يونس من شهوده وكان يمشي ويقول لعن الله طول العمر وفيها في المحرم توفي عبد المغيث بن زهير الحربي ببغداد وكان من أعيان الحنابلة قد سمع الحديث الكثير

والنعالات وحملوا القوي على الضعيف فيما خطفا معه من الأشياء الثمينة وقتل بعضهم البعض وكسروا أبواب الدكاكين التي خارج الخان بالحفة وأخرجوا ما فيها من التحف والأواني الصيني والزجاج المذهب والكاسات البلور والصحون والأطباق والفناجين الحبشية وأنواع الخردة وأخذوا ما أعجبهم وما وجدوه من نقود ودراهم وخشوا اليواقي وكسروه وألقوه على الأرض تحت الأرجل شقافا متنوعة وكذلك فعلوا بسوق البندقانيين وما به من حوانيت العطارين وطرحوا أنواع الأشياء العطرية بوسط الشارع تداس بالأرجل أيضا وهذا ما الأخير فيه من نهب أموال الناس والإتلاف ولولا الذين تصدوا لدفعهم ومنعهم بالبنادق والسكك وغلق البوابات لكان الواقع أفظع من ذلك ونهبوا أيضا البيوت وطردوا بالنساء والعيال فيا لقه ولكن الله سلم وشاركهم في فعلهم الكثير من الأوباش والمغاربة السداقين أيضا فإنهم أخذوا أشياء كثيرة وكانوا يقبضون على من يمر بهم ممن يصدرون عليهم الناهبين ويأخذون ما معهم لأنفسهم وإذا هجمت العساكر جاثوا وخطفوا منها شيئا ومنعهم من يطردهم عنها فاستأصل اللاحقون عليها واشتباح

اخذت أواخر سنة أربع وثمانين على ما سنذكره ان شاء الله وأتى الخبر الى صلاح الدين بذلك عند رحيله عن صور فعظم ذلك عليه مضافا الى ما ناله من انخشوانيه ومن فيها ورحيله عن صور ثم رتب على حصن كوكب الامير قايماز النجمي في جماعة أخرى من الاجناد فحصروها

ذكر الفتنة بعرفات وقتل ابن المقدم

في هذه السنة يوم عرفة قتل شمس الدين محمد بن عبد الملك المعروف بابن المقدم بعرفات وهو أكبر الامراء الصلاحية وقد تقدم من ذكر مناقبه كفاية وسبب قتله انه لما فتح المسلمون البيت المقدس طلب اذنا من صلاح الدين ليحج ويحرم من القدس ويجمع في سنته بين الجهاد والحج وزيارة الخليل عليه السلام ومن بالشام من مشاهد الانبياء وبين زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين فأذن له وكان قد اجتمع تلك السنة من الحجاج بالشام الخلق العظيم من البلاد والعراق والموصل وديار الجزيرة وخلاط وبلاد الروم ومصر وغيرها ليجمعوا بين زيارة بيت المقدس ومكة فجعل ابن المقدم أميرا عليهم فساروا حتى وصلوا الى عرفات سالمين ووقفوا في تلك المشاعر وأدوا الواجب والسنة فلما كان عشية عرفة تجهز هو وأصحابه ليسيروا من عرفات فأمر بضرب كوساته التي هي امارة الرحيل فضرب بها أصحابه فأرسل اليه أمير الحاج العراقي وهو مجير الدين طاشتكين ينهاه عن الافاضة من عرفات قبله ويأمره بكف أصحابه عن ضرب كوساته فأرسل اليه يقول انني ليس لي معك تعلق انت أمير الحاج العراقي وأنا أمير الحاج الشامي وكل منا يفعل ما يراه ويختاره وسار ولم يقف ولم يسمع قوله فلما رأى طاشتكين اصراره على المسير ركب في أصحابه واجناده وتبعه من غوغاء الحاج العراقي وطماعهم وطغامهم العالم الكثير والجم الغفير وقصدوا حاج الشام مهولين عليهم فلما قربوا منهم خرج الامر من الضبط وعجزوا عن تلافيه فهجم طماعة العراق على حاج الشام وفتكوا فيهم وقتلوا جماعة ونهبت أموالهم وسبيت جماعة من نسائهم الا انهن رددن عليهم وجرح ابن المقدم عدة جروح وكان يكف أصحابه عن القتال ولو أذن لهم لانتصف منهم وزاد لكنه راقب الله تعالى وحرمة المكان واليوم فلما أثخن بالجراحات أخذه طاشتكين الى خيمته وأنزله عنده ليمرضه ويستدرك الفارط في حقه وساروا تلك الليلة من عرفات فلما كان الغد مات بمنى ودفن بمقبرة المعلى ورزق الشهادة بعد الجهاد وشهود فتح البيت المقدس رحمه الله تعالى

ذكر قوة السلطان طغرل على قزل

في هذه السنة قوى أمر السلطان طغرل وكثر جمعه وملك كثيرا من البلاد فأرسل قزل الى الخليفة يستنجده ويخوفه من طغرل ويبذل من نفسه الطاعة والتصرف على ما يختارونه وأرسل طغرل رسولا الى بغداد أيضا يطلب ان يقدم الديوان بعمارة دار السلطنة لامضي اليها وصلت فأكرم رسول قزل ووعد بالنجدة ورد رسول

عليهم بالرصاص وكذلك الخرنفجية السالكون بالرباع بباب الزهومة جعلوا يرمون عليهم من الطبقات بالرصاص حتى ردوهم ومنعوهم وكذلك تعصبت طائفة المغاربة الكائنون بالفحامين وعمارة الكعكيين رموا عليهم بالرصاص وطردوهم من تلك الناحية واغلقوا البوابات التي على رؤس العطف وجلس عند كل درب اناس ومن خوفهم اناس من اهل الحارة بالرصاص يمنع الواصل اليهم ووصلت طائفة الى خان الحمزاوى فكسروا بابه حتى كسروا الخوخة التي في الباب ونهبوا الخان وكسروا حواصل التجار من نصارى الشوام وغيرهم ونهبوا ما وجدوه من النقود وانواع الاقمشة الهندية والشامية والقصبات والالات الجوخ والقطايف والاصطوفة وانواع الاطلس والالاجات والسلاوى والجنقس والصندل والحبر وانواع الشيت والحمر والخام والابريسم وغير ذلك وتبعهم الخدم والعامة في النهب واخرجوا ما في الدكاكين والحواصل من انواع الاقمشة واخذوا ما فيهم واختاروه وانتقوه وتركوا ما تركوه ولم يقدروا على حمله مطروحا على الارض وداخل الخان وخارج السوق يطئون عليها بالارجل من سوق الحمزاوية والاتراك

السلطان

وصنف كتابا في فضائل يزيد بن معاوية أتى فيه بالغرائب وقد رد عليه أبو الفرج بن
الجوزي وكان يتهم ماعدا ذلك وفيها توفي قاضي القضاة أبو الحسن بن الدامغاني وولي
القضاء المفتي بعده ابن الزينبي ثم المستنجد بالله ثم عزل ثم أعيد إلى المستضيء بأمر الله
وفيها توفي علي بن خطاب بن خلف الشيخ الصالح من جزيرة ابن عمر وكان من الأولياء
أرباب الكرامات صحبته أنا مدة فلم أر مثله حسن خلق وسمت وكرم وعبادة رحمه الله
وفيها ولدت امرأة من سواد بغداد بنتا لها أسنان وفيها توفي نصر بن فتيان بن مطر أبو
الفتح بن المني الفقيه الحنبلي لم يكن لهم مثله رحمه الله تعالى

(تم الجزء الحادي عشر من تاريخ الكامل لابن الأثير ويليه)
(الجزء الثاني عشر أوله ثم دخلت سنة أربع وثمانين وخمسمائة)

الناس أموال بعضهم لبعض
وكان هذا الحادث الذي لم
يسمع بنظيره في دولة من الدول
في ظرف خمس ساعات وذلك
من قبيل صلاة الجمعة إلى
قبيل العصر حصل للناس
هذه المدة اليسيرة من
الانزعاج والخوف الشديد
ونهب الأموال وإتلاف
الأسباب والبضائع ما لا يوصف
ولم تصل الجمعة في ذلك
اليوم وأغلقت المساجد
الكائنة بداخل المدينة
وأخذ الناس حذرهم
ولبسوا أسلحتهم وأغلقوا
البوابات وصعدوا على الكراكات
والمرابط والمتاريس وسهروا
الليالي وأقاموا على الحذر
وانقطعوا الطرق أياما وليالي